وحيد القرن

ورياح التغـــــيير

عبد السلام حمدي اللمعي

٢٠٠٤

الدار العالمية للنشر والتوزيع

رقم الإيداع

١٧٠٣٦

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977-6086-97-0

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

الدار العالمية للنشر والتوزيع

Publisher & Distributor

١١٧ شارع الملك فيصل – الهرم

تليفون : ٧٤٤٦٤٣٨ فاكس : ٧٤٤٦٣٢٤

ص.ب : ٢٦٢ الأهرام ج.م.ع

ww.dar-alalamiya.com

e-mail : daralaalmiya@hotmail.com

وحيـــد القـــرن

ورياح التغـــيير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إليهما :

أبـي وأمي

اللذين ربياني صغيراً ولا يزالان يقومان برعايتي كبيراً
ودعاء إلى الله أن يباركهما ويجزيهما عني أكمل الجزاء ٠

وإلى :

زوجتي التي قاسمتني أشطار الحياة

وأولادي حلو الحياة وبسمتها الدائمة

نهى وحمدي وضياء وآيات

أهدي هذا الكتاب

·· ولنا بعد ·· حكاية

ويبقى الصراع بين الحق والعدل والخير في جانب ·· وبين الباطل والظلم والشر في الجانب الآخر ·

ولأن الحق صدق فهو لا يعيش إلا في النور حتى غدا الحق والنور متلازمين ··

ولأن العدل إنصاف فهو يتربع فوق الذرا حتى بدا العدل والرفعة متلازمين ··

ولأن الخير سماحة فهو لا يضيق بالرأي والرأي الآخر ·· ولا يحجر على عقيدة لحساب عقيدة أخرى ·· وهو يفسح المجال واسعا للبناء والتعمير ·· ويصون الحياة في إطار منهج متفق عليه بين الجميع يضمن الأمن والسلام ·· وقد غدا الخير والحرية متلازمين ·

أما الباطل فهو كذب وادعاء يعتمد على التضليل والمؤامرات يحيكها في الظلام حتى بدا الباطل والظلام متلازمين ·

والظلم قهر وخسة ونذالة ·· وهو خلق متدن حقير صار به الظلم والحقارة متلازمين ·· والشر همجية وأنانية بغيضة يعدو على الحياة ويقتلها في الإنسان والحيوان والجماد ·· حتى غدا الشر والفناء متلازمين ·

تلك مراجعة عفوية لابد من تذكرها ونحن نواجه وحيد القرن لنعرف أي الاتجاهين يقصد وبأيهما يتخلق ·· وعلى منوال أيهما يكون سلوكه وحركة حياته مع نفسه وشعبه ومع الآخرين بل ومع الكون كله من أرض وسماء !!

وعندما تذكر كلمة وحيد القرن يقفز إلى الذهن سريعا ذلك الحيوان الضخم المتخم الفج البليد المظهر وهو يقف وحده في المرعى ·· الشرس الذي لا يقبل بالآخر وقد تميز في غلظته وشكله المقيت بقرن غادر فتاك فوق أنفه لا يشم ويتلمس الأشياء إلا به ·

ووحيد القرن في كتاب المؤرخ البارع والمبدع في آن ·· الأستاذ عبد السلام حمدي اللمعي هو صورة أكثر مسخا وتشويها وشراسة وفجاجة من وحيد القرن الحيوان مع اختلاف في الخلق والتركيب ·

وحيد قرن الكتاب هو إفراز جماعات المهاجرين الصعاليك وشذاذ الآفاق والصهاينة الذين قفزوا في موجات متتالية منذ بضع مئات من السنين على الأرض النائية المجهولة وراء البحار يسوقهم الباطل ويدفعهم الظلم لينفثوا شرهم في سكان البلاد الأصليين يدمرون مساكنهم ·· ويقلعون زروعهم ويبيدونهم في مطاردات وحروب غير متكافئة ·· ثم يستولون على الأرض ويقيمون عليها مجتمعا عنصريا بغيضا ·

وتتسارع خطى المستعمرين فيستقدمون ناسا من كــل الأرض يســاعدون على الإعمار وتبنى القوة الاقتصادية ٠٠ والقوة العسكرية مع مــرور الأيــام ٠٠ وتراود وحيد القرن أحلام السيطرة والهيمنة مع تنامي قوته التي بناها متسقة مــع أخلاق الباطل والظلم والشر المركوزة فيه ٠٠ وتتاح له الفرصة فيتطلع إلى الشرق العربي الإسلامي ويعد الخطط الشيطانية ٠٠ ومن ثم أخذ يسوق مفارزه تسبقه إلى الشرق العربي الإسلامي مفرزة تلو أخرى فتسبقه مفارز الإرهابيين الــذين بنــاهم وأمدهم بأسلحة الشيطان ٠٠ والحاكمين الطغاة الذين أعانهم علــى قهــر شــعوبهم والاستئثار بخيرات بلادهم وثرواتهم ٠

وتسبقه مفارز اللاهين العابثين من أدعياء السياسة الذين باع لهم الوهم في ملك لا يبلى ٠٠ وعز لا يفنى فتوهوا شعوبهم في حلقات مفرغة لا تعرف بداياتها من نهاياتها ٠

وتسبقه مفارز أدعياء الثقافة وأدعياء الكلمة المقــروءة والمســموعة ٠٠ اشتراهم بماله ووعدهم رغد العيش وبريق المناصب وسحر الشهرة فضلوا وأضلوا وسعوا لنشر ثقافة ممسوخة تحت مسمى العولمة ومفاهيمها الخاطئة ٠٠ واندســوا بين الناس يبذرون بذور الشك في الدين ٠٠ ويوهنون العــزائم ويثبطــون الهمــم ويعدون على الأصالة والنبالة والقيم لدحر الانتماء ويغرسون في النفــوس اليــأس والقنوط والإحباط ٠

تسبقه مفارزه من المبشرين الذين تسللوا إلى البلاد ليعيثوا فيها الفساد تحت مسميات حقوق الإنسان ٠٠ وحرية الدين ٠٠ وحرية المرأة ٠٠ وحرية الشذوذ ٠

وتسبقه مفارز الذين طاش هواهم وتبخر فكرهم وعميت بصائرهم وصمت آذانهم إلا عن رنين الذهب والخلخال في ليالي الخلاعة والمجون على شاطئ النيل والخليج والقرى السياحية وسواها ٠

وتقام له القواعد وتعقد معه التحالفات ، وتسهل له عمليات ضرب الشــقيق وابن العم ٠٠ وتطبق الغفلة على الغافلين ٠٠ ويضطرب العــالم كلــه اضــطرابا عظيما ٠٠ وتتضخم ذات وحيد القرن وقد تهيأ المسرح العالمي للانطلاق ٠٠ فيقفز ويضرب ضربته ٠٠ ويكتسح الأرض يحرق من عليها وما عليها ٠٠ ولا يبغي إلا الثروات ينهبها إنسجاما مع طبيعته المركوزة فيه ٠٠ واتساقا مع خليقة الباطل فيه والظلم والشر وهي تحكم سلوكه وعلاقته بالآخر فيقيم أغرب وأعجب معزرة فــي التاريخ الإنساني كله ويغيب نفسه عن مكيدة لشعبه ينبهه من غفلة مزعومة ويمرر بها اتجاهه البغيض لغزو العالم يروح ضحية هــذه المكيــدة الآلاف مــن ناســه والعاملين معهم من كل الأقطار ٠

يُغيب نفسه عن مكيدة دبرت بإحكام صهيوني إندس من قديم في النسيج القومي لشعوب وحيد القرن .

يعدو على أفغانستان ... ثم يعدو على العراق ...

ومابين السطور في الكتاب الرائع للكاتب المبدع الأستاذ عبد السلام حمدي اللمعي سطور وسطور .. ترنحت أفغانستان ولكنها لم تسقط .. وهي الآن تسترد عافيتها .. والحرب سجال .. وتفاجئ وحيد القرن كل ساعة من ليل أو نهار بما لم يخطر لأحد على بال .. ولم يعد وحيد القرن يملك حيال ضربات الأفغان الموجعة إلا التعتيم والكذب والتضليل حرصا على عدم إراقة ماء الوجه لكن صرخاته في العالم ليساعده يفضح المستور .

وفي العراق أحاديث وأحاديث .. وقصص وروايات لشعب بطل أمتص الصدمة بإباء وانقلب سريعا يحرق آليات وحيد القرن ويبعثر أشلاء جنوده ما بين قتلى ومنتحرين وهاربين بائسين يائسين .. ولسوف يخيب أمله .. ولسوف يكسر قرنه .. وتقطع أظلافه .. ولن يجديه صراخه الذي يفضحه وهو يستجدي العالم يعينه على تخليصه من وحل دجلة والفرات ومواجهة الشعوب بعد أن تلاشى حكامها بالاحتماء بالجدران أو بالهروب اللعين .

وأخذت شعوب الأصالة شعوب الحق والعدل والخير في أفغانستان والعراق ومن قبلهما فلسطين ومن دونهم شعوب العالم المعتدى عليهم وهم يصوغون أول جملة .. ويخطون أول سطر في تاريخهم الجديد في القرن الأول للألفية الثالثة يعلنون أن الشعوب في أوضاع استثنائية قد تغض الطرف عن أي شئ إلا ما يمس عقيدتها ويمتهن كرامتها ويحتل أرضها .

وهذا القرن هو قرن الشعوب .. والشعوب وحدها وسيسطر تاريخها الجديد نضالها ولسوف يسجل انتصاراتها بأحرف من نور .

فتحية إلى الكاتب المؤرخ المبدع الأستاذ عبد السلام حمدي اللمعي على عمله الرائع وتحية للأستاذ محمد عبد الحميد مدير الدار العالمية للنشر والتوزيع على إفساحه المجال لهذا العمل العملاق ونشره للجمهور المتعطش لمثل هذه الأعمال الجادة .

إبراهيم حسن خلاف
أديب روائي – كاتب إسلامي
مستشار
الدار العالمية للنشر والتوزيع

المقـــدمة

على الرغم من القدر الهائل الذي ساهم به نظام القطبية الثنائية في توازنـــات القوى وما رافقه من استقطاب جيد على المستوى الدولي في الحقبة الســـابقة فـــي تجميد الصراعات ، والنزاعات أو بالأجدر تقنينها والحد منها بسبب ما مَيَّــز تلـــك الفترة من توازن في الرعب والتداعيات.

وظل الحال حتى سقوط "جدار برلين" الشهير وما تبعه مـــن انهيـــار للقطـــب الثاني في المعادلة والموازنة ، مما أدى إلى انتهاء الصراع أو بالأحرى "الحـــرب الباردة" بين القطبين الشرقي "حلـــف وارســـو" ، والغربـــي "حلـــف الأطلنطـــي" وتخصيصاً بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بما مهد لفتح أبـــواب التـــاريخ على مصراعيه أمام حقبة من النزاعات الكبرى الناجمة عن نزوع الدول العظمـــى ورغبتها الجامحة لإعادة ترتيب الأوضاع الدولية وفق مصالحها الخاصـــة ، وفـــي مقدمة هذه الدول "الولايات المتحدة الأمريكية" – القطب الأوحد على الســـاحة الآن ولمدد أخرى قادمة.

إن سقوط الكتلة الشيوعية كرّس بكل المقاييس انتصـــارات عديـــدة لصـــالح الليبرالية الأمريكية على الرغم من استمرار المقاومات غيـــر المنســـجمة وغيـــر المتسقة مثل المقاومة الإسلامية التقليدية في التمسك بحق الوجود ، وهي مقاومـــة مستمرة باستمرار الوجود لأن إزالة أسباب الصـــراعات الدوليـــة بـــين الليبراليـــة والإمبريالية والرأسمالية وبين الشيوعية الشرقية الاشتراكية لم يتحقق بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي ، بل أدى ذلك بالضرورة إلى إدخال العالم في ديناميكية صراعية مختلفة ومتجددة يغلب عليها طابع النزاعات الحاصلة من داخل النظام الوحيـــد أو هو الموحّد المندمج قهراً في ثقافات جديدة وغريبة في إطار ما يسمى "العولمة".

واتجهت الأمور إلى تعميد التنافس والسباق للســـيطرة أو الســـطو لاســـتغلال الموارد بالمنطق القومي للدول الأقوى .

إن هذا النموذج الجديد الذي يريد تسيير وإدارة وحكم العالم هو في الواقـع لا يحمل حلولاً ممكنة للمشاكل الدولية المتنوعة المتراكمـة والحديثـة المتشـابكة ، وجميعها متفاقمة وكثيرة .

ومن ثم فإن الحرب المعلنة على ما أسمته أمريكا بالإرهاب وقد جعلت منهـا أيديولوجية استراتيجية وسياسية دولية ليست إلا وسيلة نموذجية عصـرية لغـض الطرف عن الأسئلة المصيرية التي تواجه النظام الرأسمالي الليبرالي ، والتداعيات التي يؤدي إليها بتلقائية نحو التدمير المنظم للمجتمعـات والثقافـات والحضـارات والتوازنات الدولية.

ومن ثم فإن الولايات المتحدة أصبح لها نزوعـاً جامحـاً جامعـاً لاسـتغلال الأوضاع الناتجة عن انهيار القطبية الثنائية لتأكيد إقامة القطب الأحادي ، ليصـبح هو [وحيد القرن] الذي يؤكد هيمنته وسيطرته على العالم ، وفي الوقت ذاتـه لـم يتأكد للقطب الأوحد عجزه عن تأكيد هذه الهيمنة بسبب وجود مقومات وصـعوبات فعلية وموضوعية ونظامية وهيكلية تجعل من المستحيل في ظل الظروف السـائدة إخضاع العالم لقوة واحدة ، ومن المستحيل أكثر إخضاعه بالآلة العسكرية أو القوة والهيمنة التسليحية.

ويمكن القول أن المنظومة الدولية الجماعية لن تـتمكن مـن الخـروج مـن الفوضوية والنزاعات ما لم تنجح قواعدها المتعددة والمتنوعة في التفـاهم النسـبي والالتقاء الجزئي من أجل إعادة ترتيب الأوضاع الدولية على أسس تحتـرم هـذا التعدد وتلك المتغيرات ، وتتعامل معها كمصدر استراتيجي من مصـادر الثـروة والغنى لا كونه منبع تنافسي وصراع ونزاع وقتال.

أي أن يتجه العالم بقناعة مطلقة نحو التعددية العالمية على مستويات متنوعـة ومتعددة – من أهمها – "القيادة" ، ثم صياغة السياسات وبلورتها من أجل تقريـب الثقافات والحضارات والتقريب بين ثقافاتها الداخلية.

لقد أصبح الاتجاه الدولي يصير نحو استرضاء "وحيد القرن" وتعليـــق أمـــور العالم في ذمته ، بالإضافة إلى سلوك الدول الصناعية الكبرى المـــؤثرة بـــالمفهوم الكلاسيكي السائد لذات المسلك تبعاً لما يقولون بأنه المصلحة القومية العليا ، والتي تشير إلى عدم الاكتراث بالمصير العالمي وتسليمها دفة أمورها للولايات المتحدة – أي للقطب الأوحد القوي – في سبيل فرض مصالحها القومية وتغليبها..

وقد أدى بالضرورة إلى طمس الحاجة إلى مثل هـــذه السياســـات والقيـــادات المرتبطة بها بالإضافة إلى الاتجاه السائد لدى دول النخبة في عالم الجنـــوب ذاتـــه إلى اعتزال السياسة العالمية أو "الاستقالة السياسية" وانهيار معنوياتها بل وتخليهـــا عن مسئولياتها الوطنية والقومية والعالمية معاً.

ولابد من الإقرار والاعتراف بنشوء مجالات للسياســـات العالميـــة المتعـــددة وضرورة مشاركة جميع التكتلات الدولية في صياغة وبلورة تلك السياسة وإنجازها وإخراجها لأن ذلك شرطاً هاماً لاستمرار المنظومة الدولية واستقرارها سواء مـــن حيث كانت منظومات اقتصادية أو أمنيّة ثقافية كانت أو حضارية ..

إلا أنه يبرز ســـؤال هـــام ..

من هو إذاً الذي سيصوغ تلك السياسة العالمية ؟

في ظل غياب صيني عمد وسقوط روسي سريع وخروج مبكر أوروبي مـــن حلبة المنافسة في النزاع والإصرار على القيادة بالإضافة إلى موت عربي بطـــيء. فمن ذا الذي يقوم إذاً بدور فعال في صياغة وبلورة هذه السياسة الدولية المنشـــودة في ظل عالم يقوده [وحيد القرن].

وهو عالم خال من كل عناصر القوة المغايرة وسيظل يفتقر إلى مقومات تلـــك القوة لعشرات السنين القادمة مما هيأ لوضع أول اللبنات في بناء ما يُسمى بالنظـــام العالمي الجديد على أرض الشرق الأوسط في درة العواصم العربية والإســـلامية ، مدينة السلام "بغـــداد" العاصمة العراقية ، مما وضع العالم العربي كله في مهـــب

رياح التغيير التي تهب من أقاصي الغرب بسرعة هائلة ليختلف الناس عليها فمنهم شقي بها ومنهم سعيد معها.

إنها الرياح التي تصحب وحيد القرن في حركاته وسكناته ليصنع صنيعته الاستعمارية والديمغرافية في العالم وفي طليعته منطقة الشرق الأوسط لتكون محور إعادة ترسيم الخرائط الجغرافية والسياسية والسكانية على وجه الأرض.

ويحتل الشرق الأسيوي بعد الشرق الأوسط بؤرة الاهتمامات الأمريكية الأوسط منه أو الأقصى على السواء ، ثم يأتي بمقدار التطلع نحو حصار أوروبا وانحسار دورها ، والهيمنة على إفريقيا وسرقتها ومن ثم إخضاع العالم وإذلاله ليتمكن من إقامة إمبراطوريته المعاصرة التي تشكل ملامح النظام العالمي الجديد في عالم [وحيد القرن ورياح التغيير].

❖ ❖ ❖

الفصل الأول

الباب الأول

الإعـــــــداد

الباب الأول

الإعـــداد

١- المتغـــيرات

أفرزت المتغيرات الجديدة وحيد القرن بعد أن أصـــدرت القيـــادة الســـوفيتية قرارها التاريخي بشأن تجميد كل التفجيرات النووية من جانب واحد والـــذي بـــدأ بالفعل في أغسطس عام ١٩٨٥ ومُدّد غير مرة ، ومع تعنـــت الإدارة الأمريكيـــة اضطر الاتحاد السوفيتي إلى استئناف تجاربه النووية في مصـــلحة الإبقـــاء علـــى التوازن العسكري الاستراتيجي.

وكانت المفاجأة الكبرى عندما عرض الرئيس الســـوفيتي برنامجـــه الخـــاص لإقامة عالم غير نووي وتصفية كل أصناف أسلحة الإبادة الجماعية حتـــى نهايـــة القرن العشرين ، وأصبح ذلك البرنامج محور الاتجاه المركزي للسياسة الخارجيـــة السوفيتية بعد عرضه على اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي(١) وبدورها قد أقرته وصدقت عليه .

وما لبث جورباتشوف أن عرض مسألة نزع السلاح النووي في مبادرته حتى كان مؤتمر [ريكافيك] بين قائدي الدولتين العظميـــين "ميخائيـــل جورباتشـــوف –

---

(١) في ١٩٨٦/١/١٥ "معلومات أساسية" ص : ٢٩.

الرئيس السوفيتي – ، والرئيس الأمريكي آنئذ – "رونالد ريجان" حول تصفية الصواريخ ذات المدى المتوسط والمدى الأقل في ١٩٨٧/١٢/٧[١].

ومع ثورة الشيوعيين في أفغانستان اضطر الاتحاد السوفيتي لتقديم المساعدات للحكومة الأفغانية الشيوعية بقيادة "نجيب الله" الذي دعا الاتحاد السوفيتي للقضاء على الحركة الإسلامية التي تهدد المصالح السوفيتية في المنطقة مما دفع السوفيت إلى غزو أفغانستان واحتلاله عسكرياً.

حينئذ شنت الإمبريالية حرباً غير معلنة ضد السوفييت على الأراضي الأفغانية[٢] ، الأمر الذي أدى إلى إحراج الاتحاد السوفييتي وانسحابه من أفغانستان أمام المقاومة الإسلامية في أقل من عام .

وبعد انحسار الدور السوفيتي وانكسار شوكته في الوحل الأفغاني وقد تزامنت معه ثورات وحركات التحرر ومؤامرات التمرد والعصيان بفضل الغزو الثقافي الوافد إلى الاتحاد السوفيتي من الغرب ، ومع اختراق الدولار الساحر جيوب هؤلاء لم يلبث جورباتشوف أن أعلن تجميد نشاط الحزب الشيوعي السوفيتي والفيدرالي واستقالته من منصبه كسكرتير عام للحزب في ١٩٩١/٨/٢٤م.

ثم جاء الإعلان عن (حل) الارتباط العسكري بين الدول التابعة له في ١٩٩١/١١/٢٥ ثم حل نفسه تماماً في ١٩٩٢/٧/١م وبات في ذمة التاريخ.

وتحلل الاتحاد الفيدرالي السوفيتي وعلى أعقابه تحلل الاتحاد اليوغسلافي ثم التشيكوسلوفاكي ولم يتبق إلا الاتحاد الروسي الذي كان قرار الإبقاء عليه نذير شؤم بالمسلمين إذ أبقى على استمرار حياة المسلمين في الدول الإسلامية داخل البطن الروسي تناضل في سبيل استقلالها استقلالاً فعلياً حتى الآن وعلى أمل حدوث متغيرات أخرى مستقبلية وما أظنها ببعيدة ..

(1) المصدر ذاته ، ص : ٢٩.

(2) انظر كتابنا : المؤامرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ.

٢- المعطيات

شهدت منطقة الخليج العربي منذ مطلع السبعينات نمواً مطرداً في الاكتشافات البترولية كما ضوعفت مشاريع التنقيب عنه ، وأثمرت تلك الجهود عن اكتشاف الحقيقة المؤكدة وهي أن المنطقة تسبح على بحار من البترول ، الأمر الذي سال له لُعاب الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ تأكيد تلك الحقيقة وحتى الآن.

مما شجع على استدعاء تقارير معينة من ذاكرة التاريخ كانت قد ذكرتها شركات البترول العاملة في منطقة الخليج العربي عند منتصف الثلاثينات مفادها أن المنطقة واعدة في مجال النفط وأن من يسيطر على بترول المنطقة يمكن أن يسيطر على العالم.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن الإدارة الأمريكية كانت تحتفظ بعلاقات حميمة مع إيران منذ عصر الشاهات منذ حكم الشاه محمد رضا خان ١٩٢٥ : ١٩٤١ ثم ولده الشاه محمد رضا بهلوي ١٩٤١ : ١٩٧٩[1] ، بينما كانت إيران ومنذ قبيل ذلك الحين تأتي على رأس الدول المصدرة للبترول الذي يذهب معظمه للسوق الأمريكي والأوروبي ،كما أنها كانت منافسة للمملكة العربية السعودية وذلك قبل انضمام دول الخليج العربي وقبل التوسع العراقي في اكتشافاته البترولية.

وبعد أن استخدم العرب للمرة الأولى إنتاجهم النفطي كسلاح أشهروه في وجه أعداءهم المباشرين أو المؤيدين لإسرائيل على السواء[2] عندما قام الجيش المصري بعبور أكبر مانع مائي في التاريخ وعبور حواجز الهزيمة نحو استرداد الكرامة

(1) موجز تاريخ العالم ، ص : ٢٩٤.

(2) طبقاً لقرار وزراء الخارجية العرب المجتمعين في الكويت في نوفمبر ١٩٧٣.

العربية وتحرير الأراضي المحتلة في أكبر معجزة على أي مقياس عسكري في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، مما رفع أسعار البترول إلى معدلات فاقت كل التوقعات مما أضر بالاقتصاد الدولي كله ، الأمر الذي أدى إلى الإضرار المباشر بمجموع الدخول القومية للدول ، وقد أدى هذا بدوره إلى إجبار العديد من الدول العظمى لمراجعة علاقاتها مع إسرائيل وأعلنت أخريات عن قطع علاقاتها بها مما أوجد نوعاً من التوازن في العلاقات الدولية التي صبّت كُلها في مصلحة القضية العربية وفي غير الصالح الإسرائيلي للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨.

عندئذ بدأت الولايات المتحدة في دق "إسفيلات" التوتر وفتح أبواب الصراعات في منطقة الخليج العربي كله عن طريق الزج بإيران إلى افتعال الأزمات في تلك المنطقة فانتزعت قهراً من دولة الإمارات العربية المتحدة حديثة الولادة والمنضمة إلى جامعة الدول العربية مع البحرين وقطر وعُمان في ١٩٧١م جزر "أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى" ومازالت تحتل تلك الجزر حتى الآن ومنذ منتصف السبعينات.

ثم تحرشت إيران الملتصقة "بأمريكا وإسرائيل" والمخلصة لهما والراعية لمصالحهما بالقطر العراقي من أجل إخضاعه للسيطرة الفارسية وفرض هيمنتها عليه ، وسلكت القيادة الإيرانية في ذلك مسلكين :

الأول : تقديم الدعم المادي والمعنوي والعسكري لإقليم الشمال العراقي معقل الأكراد وتشجيعهم على التمرد والانفصال عن الحكومة المركزية في بغداد وإقامة دولتهم المستقلة.

الثاني : اعتداء الجيش الإيراني على الأراضي العراقية من وقت لآخر لتحويل اهتمامات العالم ودول الخليج عن احتلال إيران للجزر المذكورة ولإنهاك العراق واستنزافه على أمل إخضاعه للحكم الشاهنشاهي ، وتحييده عن الصراع العربي الإسرائيلي.

وقد نتج عن الموقف الإيراني غير السوي أن وجد العراق نفسه مضطراً لقبول الوساطة الجزائرية ، ففي عام 1975 وعلى هامش قمة أعمال الأوبك وقع صدام حسين اتفاقاً يقضي بتنازل العراق عن السيادة العراقية على شط العرب لإيران في مقابل أن يوقف شاه إيران دعمه للأكراد وأن تكُف قواته عن الاعتداءات على الأراضي العراقية ، ووقع الاتفاق عن الجانب الإيراني "الشاه محمد رضا بهلوي" وعن الجانب العراقي "صدام حسين" بصفته رئيس للوزراء ونائب لرئيس الجمهورية العراقية "أحمد حَسَنْ البكر (1968 : 1979). وهو الاتفاق الذي أدى إلى كوارث في أوقات لاحقة حيث أصابت الدهشة العرَب من قرار العراق الذي ناضل طويلاً من أجل تأكيد سيادته على شط العرب وقد تنازل عنه بهذه السهولة ، كما أصابهم بخيبة الأمل لأن هذا الاتفاق لم يحقق الأمن في الخليج العربي كما كان يقال عنه أو ما كان متوقعاً منه.

ويمكن القول بأنه الاتفاق الذي يعتبر بحق السبب الجوهري في اندلاع حرب الخليج الأولى منذ 1980/9/22م إلى 1988/8/20 وقد كانت الحجة المُعلنة للقيادة العراقية الجديدة برئاسة "صدام حسين" الذي تولى السلطة في 1979م هي السعي لاسترداد السيادة على شط العرب.

وعلى الرغم من رحيل عصر الشاهات بعد الإطاحة بالشاه "بهلوي" على أيدي الثورة الإسلامية ووصول آية الله "روح الله الخميني" على رأس السلطة الدينية السياسية الحاكمة في إيران عام 1979 إلا أنه لم يطرأ أي تحسن يُذكر على مستوى العلاقات الإيرانية العراقية .

بل بدأت الثورة الإسلامية مرحلة جديدة من الصراعات مع العراق ، ففي 1980/9/4 قصفت المدفعية الإيرانية المدن العراقية المتاخمة للحدود الإيرانية والتزم العراق بتنفيذ واحترام اتفاقية 1975 المبرمة في الجزائر ، وتكررت الاعتداءات مما اعتبره العراق بداية الحرب ..

١٩٨٠/٩/١٠ .. أعلن العراق إلغاء اتفاقية عام ١٩٧٥ الموقعة في الجزائر.

٩/٢٢ .. أغار العراق على قاعدة جوية استراتيجية إيرانية .

٩/٢٣.. هاجمت إيران أهدافاً عسكرية واقتصادية عراقية ، وكانت القوات العراقية قد تمكنت منذ اندلاع العمليات العسكرية من التوغل في الأراضي الإيرانية واستطاعت أن تحتل فعلياً شريطاً من القرى والنواحي الإيرانية وأغلب سكانها من العربستانيين هي [المحمرّة – الأهواز – عبدان – الخفاجية – ديزفول].

وخاض البلدان حرباً دامية دامت ثماني سنوات ولم تتوقف إلا بقبول إيران وقف إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن رقم ٥٩٨ في ١٩٨٨/٨/٨م ، وقد انتهت رسمياً في ١٩٨٨/٨/٢٠م.

وقُدرت أعداد ضحايا الحرب على الجانب الإيراني من جانب طهران بنحو عشرة آلاف قتيل إيراني وإصابة زهاء الخمسين ألفاً بالأسلحة الكيماوية العراقية[1] خلال الحرب بين البلدين وفقاً للإحصائيات الإيرانية.

أما إجمالي قتلى الحرب بين الجانبين فقد تحدثت الأرقام عن مقتل مائتي ألف عسكري إجمالاً.

والجدير بالذكر أن مأساة بشرية أخرى نتجت عن اتفاق الجزائر بالنسبة لآلاف الأكراد في شمال العراق سيرد الكلام عنها في حينها – إن شاء الله تعالى – وكان الأكراد قد تعرضوا لها في ظل قيادتهم السياسية الجديدة.

وكان صدام حسين قد تم انتخابه بالإجماع رئيساً للجمهورية العراقية من قِبل أعضاء المجلس الوطني البرلماني في ١٩٨٠/٣/١٨م .

وهكذا فقد نجحت السياسة الأمريكية في إشعال نار الجحيم في منطقة الخليج العربي التي أنضجت ثماراً متنوعة ومتعددة من أهمها :

---

(1) تقارير للأمم المتحدة نشرتها وأذاعتها بعد انتهاء الحرب.

- تحقيق مبيعات الأسلحة الأمريكية لأعلى عوائدها خلال فترة الحرب بسبب الزيادة على طلب الأسلحة في منطقة الخليج العربي كله.
- حققت أمريكا رغبتها في الثأر من الإيرانيين بسبب موضوع أزمة الرهائن وفشل الحملة الأمريكية العسكرية المحدودة في إطلاق سراحهم مما أجبر الإدارة الأمريكية إلى توقيع اتفاق سري مع إيران في ١٩٨١/١/١٨م يؤدي إلى الإفراج عنهم .
- توريط العراق في حرب لا طائل منها بسبب رفضه الاعتراف بإسرائيل تجره إلى فقدان جيل كامل من أبناءه لتضمن أمريكا تحييده عن الصراع العربي الإسرائيلي إلى حين.
- تجربة بعض أنواع الأسلحة الأمريكية الحديثة لأول مرة في بيان عملي.
- أناب المسلمون أنفسهم عن الأمريكيين في قتل أنفسهم وتقتيل بعضهم في أطول حرب عرفها التاريخ الإنساني والتي أودت بحياة ربع مليون إيراني وأصابت بالعاهات الدائمة ربع مليون آخر ونفس الأرقام أو تزيد في العراق طبقاً لما أعلنته المنظمات الدولية.
- تمكنت أمريكا من تحطيم اقتصاد الدولتين حيث تحدثت الأرقام عن الجانب العراقي على النحو التالي: الطاقة الإنتاجية القصوى لإنتاج النفط عندما بدأت الحرب العراقية الإيرانية كانت تبلغ ٣,٣٠ مليون برميل يومياً أي حوالي ٣٣ مليون دولار يومياً .
- بسبب الحرب انخفض الإنتاج والتصدير إلى حوالي ٧٢% عن إنتاج عام ١٩٨٠ ، وانخفض العائد النفطي أثناء الحرب إلى حوالي ١,٠٤ بليون دولار عن عام ١٩٨١ مما أثر بشكل واضح على معظم الأنشطة الاقتصادية وسبب ارتفاعاً حاداً في الواردات .

- ارتفع حجم الواردات من ٤,٢ بليون دولار في عام ١٩٧٨م إلى ١٢,٦ بليون دولار عام ١٩٨٢ بنسبة ٤١٤%.
- بلغ الإيراد النفطي عام ١٩٨٦ حوالي ٦,٩ بليون دولار تقريباً بعدما كان ٢٦,٣ بليون دولار عام ١٩٨٠ ، وخسر العراق تقريباً ١٢٠ مليار دولار نتيجة لتوقف النفط خلال سنوات الحرب[1].
- بلغ حجم التسلح العسكري ١٩,٨ بليون دولار عام ١٩٨٠ وارتفع إلى ٢٥,٩%، ٣٨,٨% ، ٥٤,٤% وذلك للأعوام ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٦ على التوالي من إجمالي الناتج المحلي.
- بالنسبة للإيرادات أو الدخل النفطي فقد وصل إلى ٣٧,٩% ، ٧٥% ، ٢٧٦% على التوالي عن ذات الأعوام.
- بلغت تكلفة الحرب العراقية الإيرانية حوالي ١١١٧ بليون دولار.
- بلغ حجم الأصول العراقية التي دمرتها الحرب حوالي ٦٧ بليون دولار.
- بلغ حجم التعويضات التي تطالب بها إيران العراق حوالي ٩٧ بليون دولار.

أما على الجانب الإيراني فقد تعذر عليَّ رصد خسارته الاقتصادية لنُدرة المعلومات المتوافرة إما بسبب محاولة النظام الإيراني عدم الخوض في مثل هذه الأرقام في حينها وإما بسبب العُزلة السياسية التي كان يعاني منها النظام الإيراني.

ملحوظة :

جاء قرار السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي "ميخائيل جورباتشوف" بإعلان تفكيك الاتحاد السوفيتي وحق دوله في الانفصال في أعقاب الحرب الإيرانية العراقية رسمياً في ١٩٨٨/٨/٢٠م.

---

(1) المصدر : موقع لرئاسة الجمهورية العراقية ، وموقع محمد سعيد الصحاف على شبكة الإنترنت.

٣ – الطعن في الظَّهر

ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بدأت القيادة العراقية في تصفية ملف اتهامها للكويت ، حيث ادعى العراقيون بأن حكومة الكويت سرقت عمداً النفط العراقي في منطقة الجنوب في ظل انشغال العراقيين في حربهم الطويلة ، وذكروا أن لديهم وثائق تُدين حكومة الكويت فيما هو منسوب إليها من اتهامات ، وأقام العراقيون حجتهم على ما قام به الكويتيون من بيع البترول العراقي المنهوب بأسعار تقل عن أسعار "أوبك" في الوقت الذي يعاني فيه العراقيون من ندرة الإيرادات البترولية بسبب حرب الناقلات المتصاعدة في الخليج العربي بالإضافة لقيام السوريين بإغلاق أنابيب النفط أمام صادرات العراق استجابة للضغوط الإيرانية .

وقد اعتبر النظام العراقي السلوك الكويتي سلوكاً عدائياً لا يدل على حسن الجوار في الوقت الذي كان فيه العراق ينوب عن دول الخليج العربي مجتمعة في التصدي للأطماع الفارسية الرامية إلى بسط نفوذها وفرض هيمنتها على المشرق العربي كله إحياءً لأمجاد الإمبراطورية الفارسية التي عفا عليها الزمن والذي عمل على تحقيقها الشاه "بهلوي" وتبعه عن غير قصد آية الله "الخميني".

فالأول كان ينشد الإمبراطورية الفارسية العظمى التي سحق جيشها القائد الإسلامي "النعمان بن مقرن" عام ٦٤٢م (٢١هـ) في معركة نهاوند التي تُعرف باسم "فتح الفتوح" ..

والأخير كان يأمل مد نفوذ الخلافة الآياتية الشيعية على أم قصر والنجف وكربلاء والبصرة ، أي بسط النفوذ الإيراني على المناطق السكانية الشيعية في العراق ولا بأس إن سقطت بغداد مبكراً فيسقط العراق ومن ثم يتتابع سقوط دول الخليج العربي وإخضاعها للنفوذ الفارسي الشيعي ، وتلك هي الخطيئة التاريخية التي لن يغفرها التاريخ للمتشددين في نظام الحكم الإسلامي في إيران الذي سار

على درب سلفه عن غير قصد في إنهاك بلاده ودول الجوار العربي في أزمات طاحنة تنفيذاً لمخططات خارجية تستهدف المنطقة وتتحين الفرصة وتتذرع بالأسباب لوضع إحدى قدميها في مياه الخليج الدافئة التي تعوم على بحار من البترول ثم تأتي بالقدم الأخرى لاحقاً .

ويبدو أن الفرس لم يستوعبوا الأحداث جيداً ولم يفهموا حقيقة التاريخ ولا شواهده .. لقد نسى هؤلاء أو تناسوا الهزيمة الساحقة التي حلت بهم في معركة "جلولاء" بالعراق سنة ٦٣٧م (١٦هـ) على أيدي جيش الفتح الإسلامي ، وهي بداية انحسار دولة الفرس ، ثم معركة "فتح الفتوح – نهاوند" التي أبيد فيها جيشاً فارسياً ضخماً يُقدر بـ "١٥٠ ألف جندي" ، ثم تمكن المسلمون العرب من فتح همذان ، والري ، وقومس ، وجرجان ، وأذربيجان ، والباب في عام ٦٤٣م (٢٢هـ) ثم تمكن الأحنف بن قيس من فتح خراسان(١).

والملاحظ أن المسلمين الأُول استطاعوا إتمام تلك الفتوحات وضم أراضي الفرس والروم إلى الدولة الإسلامية عندما كانوا جميعاً تحت إمرة رجل واحد وهم يقاتلون تحت راية [لا إله إلا الله] ..

أما الآن فالمسلمون العرب تحت أنظمة حكم لا تتفق إلا في وحدة لغتها ولا تتفق على الحد الأدنى من مصالحها وقد صاروا شعوباً تحت رايات حمراء وسمراء وخضراء وزرقاء لا يخيفون عدواً ولا يحركون ساكناً وقد سلموا أمورهم مشيئة غيرهم ..

عموماً .. اعتبرت القيادة العراقية ما ظنته في حكومة الكويت عملاً عدائياً وطعناً في الظهر بخنجر مسموم فتجهزت لغزو الكويت واحتلاله خاصة بعد تأكيد السفيرة الأمريكية في بغداد بأن الولايات المتحدة سوف لا تتحرك إذا ما أقدم العراق على عمل عسكري تجاه الكويت لأنه شأن لا يهم الإدارة الأمريكية في

(1) موجز تاريخ العالم ، ص : ٨٢ ، ٨٤.

شيء – مما اعتبره المراقبون ضوءاً أخضر للعراق بغزو الكويت فابتلع صدام حسين الطعم الأمريكي الذي عاد بالعراقيين دهوراً إلى الماضي بعد وقت قليل – [كما سيأتي بيانه] ..

أمر صدام قوات الحرس الجمهوري والجيش العراقي بالزحف صوب الجنوب إلى حدود بلاده الجنوبية المتاخمة للحدود الشمالية للكويت ، ولاحت في الأفق نذر حرب جديدة في منطقة الخليج العربي ، ودقت طبول الحرب مدوية منذرة من الخطر القادم ومحذرة من أهواله.

فطار الرئيس المصري "محمد حسني مبارك" إلى العراق في مهمة عاجلة يحتمها الضمير الوطني والواجب القومي والأخلاقي لدعوة الرئيس العراقي لتغليب المصلحة العليا للوطن العربي كله واللجوء إلى الحل السلمي كأداة عملية لفض المنازعات والتخلي عن التهديد والامتناع عن دخول الكويت.

وجاء الرد العراقي مُطَمئناً ورد صدام حسين بأن تواجد قوات الحرس الجمهوري في الجنوب هو مجرد مهمة روتينية لا أكثر ..

كما قامت الجامعة العربية بجهود حثيثة في ذات الاتجاه وكذلك فَعَل بعضُ القادة العرب للحيلولة دون قيام حرب عربية عربية في منطقة تقع في محط أنظار الاستعمار الحديث.

وفي الساعة الثانية صباحاً بتوقيت بغداد بدأت القوات العراقية هجومها على الأراضي الكويتية فوصلت العاصمة الكويتية في حوالي الساعة الرابعة قبل شروق شمس يوم ١٩٩٠/٨/٢.

وتلك كانت بداية فتح باب الخليج العربي على مصراعيه أمام النفوذ الأجنبي.

وصدر بيان وزارة الدفاع الكويتية يفيد بأنه حوالي الساعة الثانية من فجر هذا اليوم عبرت القوات العراقية الحدود الشمالية واستولت على عدة مواقع استراتيجية داخل الأراضي الكويتية.

وصدر بيان عن مجلس قيادة الثورة العراقية جاء فيه .. إن العراق استجاب لطلب "حكومة الكويت الحرة" بالتعاون معها ضد أي تدخل من الخارج في شئون الكويت على أن تنسحب القوات العراقية حال استقرار الأوضاع.

وأصدرت ما يسمى بحكومة الكويت الحرة المؤقتة أربعة بيانات :

الأول : أن القوى الوطنية قررت تسلم زمام المسئولية والإطاحة بالنظام القائم في الكويت ، وعزل الأمير جابر الأحمد الصباح وسعد العبد الله من مناصبهما، وحل مجلس الأمة ، وإعلان تشكيل "حكومة الكويت الحرة المؤقتة".

الثاني: قررت الحكومة إغلاق كافة الحدود البرية والبحرية .

الثالث : ناشدت الحكومة العراق بمساعدتها وقد لبّى العراق هذا الطلب.

الرابع: قررت الحكومة مصادرة كل أموال جابر الأحمد ، وسعد العبد الله الصباح وأحمد جابر ، ومحمد خليفة عزبي ، ونواف احمد الجابر وحذرت البنوك الأجنبية من أي تلاعب بهذه الأموال ..

إزاء تلك التطورات السريعة المتلاحقة عقد مجلس الأمن جلسة طارئة وأصدر القرار ٦٦٠[1] في ١٩٩٠/٨/٦ الذي أدان بأغلبية ١٤ صوتاً ضد لا شيء الغزو العراقي للكويت وطالب العراق بسحب قواته فوراً دون قيد أو شرط ودعا الطرفين إلى التفاوض لحل خلافاتهما ، كما أيد جميع الجهود المبذولة وبوجه

(1) اغتيال صدام ، ص : ٧٥.

خاص جهود جامعة الدول العربية ، وقد قرر المجلس الاجتماع مرة أخرى لبحث الخطوات اللازم اتخاذها من أجل ضمان تنفيذ هذا القرار.

وأصدر مجلس جامعة الدول العربية في دورته غير العادية قراراً يدين العدوان على الكويت ويطالب العراق بالانسحاب الفوري ويطالب بعقد اجتماع قمة طارئ لمناقشة العدوان ويؤكد تمسكه بالسيادة والسلامة الإقليمية لجميع الدول الأعضاء ، وبعدم اللجوء إلى القوة لفض النزاعات ، كما يرفض أي تدخل أو محاولة تدخل أجنبي في الشئون العربية ، ويكلف الأمين العام بمتابعة تنفيذ القرار المذكور ويعتبر دورته في حالة انعقاد مستمر.

وأعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش "الأول" بأن أي توسع للقوات العراقية في اتجاه السعودية أو أي دولة بترولية أخرى لن يكون مقبولاً ، كما أعلن بأن الحكومة السعودية قد طلبت "مساعدات معينة" وأن الولايات المتحدة ملتزمة بأمن وسلامة السعودية وهي دولة مهمة جداً بالنسبة لنا.

وجاءت دعوة الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية للقوات الصديقة للنزول على أرض المملكة لتعزيز دفاعاتها وتصادفت تلك الدعوة مع صدور قرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ بشأن فرض عقوبات اقتصادية على العراق في ١٩٩٠/٨/٦.

وأمر الرئيس الأمريكي "جورج بوش" سرباً من المقاتلات "أف ١٥" بالتوجه إلى قاعدة جوية سعودية إلى جانب الفرقة ٨٢ المحمولة جواً ، ثم تدفقت القوات الأمريكية علناً على القوات السعودية في ١٩٩٠/٨/٧م وتلك كانت البداية ..

ومع تعنت القيادة العراقية ورفضها للمطالب العربية والدولية بانتهاج الخطوات الفعلية لضم الكويت نهائياً إليه وأنها أصبحت المحافظة رقم "١٩" باسم "الكاظمية" في ١٩٩٠/٨/٢٨.

ومع فشل كل المساعي الدولية في إحراز تقدم ولو نسبي لأزمة الرهائن الأجانب في بغداد صدر القرار ٦٧٨ في ١٩٩٠/١١/٢٩ عن الأمم المتحدة يطالب العراق بالاستجابة التامة لقرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ المتعلق بالغزو العراقي للكويت بالإضافة إلى جميع القرارات ذات الصلة "٦٦١ في ١٩٩٠/٨/٧ ، ٦٣٣ في ١٩٩٠/٨/١٨م" والقرار ٦٦٥ الذي تضمن الموافقة على استخدام القوة لتنفيذ الحظر الاقتصادي ، وبدأ فرض أكبر حصار بحري عرفه التاريخ منذ الحرب العالمية الثانية اشتركت فيه أساطيل ١٢ دولة وبقرار من مجلس الأمن لأول مرة تشارك فيه روسيا الصديق التقليدي القديم للعراق.

وأعلنت مصر رفضها بشدة لأي تدخل في شئون الدول الأخرى وطالبت بانسحاب القوات العراقية من الكويت وبذل المساعي وحل الخلافات داخل الأسرة العربية والحيلولة دون تدخل لأي قوات أجنبية.

بينما أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي المجتمعون في القاهرة أدانوا العراق في بيانهم الختامي ودعوا العراق للانسحاب من الكويت ، كما أدان الغزو مجلس التعاون الخليجي.

وأعلن ورثة الاتحاد السوفيتي وقف مبيعات السلاح للعراق.

وطلبت الكويت مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة لوضع حد للاحتلال العراقي لبلاده ، ومنذ تلك اللحظة تحولت القاهرة إلى خلية نحل سياسية ، فقد أجرى الرئيس مبارك اتصالات ومقابلات ومكالمات هاتفية واجتماعات وتبادل رسائل ما بين شفاهية ومكتوبة في محاولة مستميته لرأب الصدع الذي حدث في الجدار العربي.

وفي ٨/٣ حذر مبارك في مؤتمر صحفي عالمي من الأخطار المدمرة التي تحلق في سماء المنطقة بسبب إصرار العراق على عدم الانسحاب ، واستمرار العجز العربي على إيجاد حل سلمي للأزمة المتفاقمة ، فدعا مبارك لعقد قمة عربية

طارئة لحل الأزمة الخطيرة الراهنة ، وبعد ٣٦ ساعة من نداء الــرئيس مبـــارك توافد الملوك والرؤساء العرب ، وانعقدت القمة العربية وسط ظروف بالغة التعقيد، ومخاوف كبيرة من احتمالات تدخل القوى الأجنبية في المنطقة. ووضـــع مبـــارك على رأس الأولويات الحفاظ على القوة العراقية ، ونبّه من إطلاق القوى الأجنبيـــة التي لا تعمل إلا لتحقيق مصالحها.

وانفضت القمة كما بدأت ، وإن اختلف الحضور حول الوجود العسكري فـــي المنطقة ، أما العراق فلم يبدي أي استجابة أو استعداد لمناقشة فكرة الانسحاب.

استمر مبارك في توجيه النداءات للرئيس العراقي وهو يـــرى نـــذر الخطـــر الداهم بعين القائد العسكري المُجرِّب.

وتدخلت مصر إلى جانب التحالف الدولي حتى لا تنفرد القوة الأجنبية بالحـــل وحدها وأرسلت قواتها العسكرية تلبية لمطالب السعودية والإمارات.

وزار مبارك كلا من السعودية وعمان وقطر والإمارات في الأيـــام العشـــر الأخيرة من أكتوبر ١٩٩٠ لشرح أبعاد الموقف وتداعياته ، وتحدثت دول الخلـــيج العربي في نقطتين :

الأولى : حتمية انسحاب العراق غير المشروط من الكويت وعودة الشرعية إليهـــا دون قيد أو شرط.

الثانية : أنَّ أمن المنطقة يجب أن ينبع من دول وشعوب المنطقة العربية ذاتها.

أما الرأي العام الأوروبي والأمريكي فقد بَدَا داعياً إلى حل سلمي وأعلن كـــل من "بوش الأول" ، والرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران" ، والسوفيتي "جورباتشوف" ورئيسة الوزراء البريطانية "مارجريت تاتشر" عن دعوتهم ودعوة بلادهم بضرورة البحث عن حل سلمي للأزمة ، بينما طـــار بيريـــز ديكويـــار إلـــى بغـــداد فـــي ١٩٩١/١/١٢ واجتمع ٩ ساعات مع وزير خارجية العراق .

وقد أصدر مجلس الأمن ثلاثة عشر قراراً منذ ١٩٩٠/٨/٢ وحتى تَدَخُّل قوات التحالف ضد العراق تراوحت كلها بين الإدانة ورفض الغزو وفرض الحصار الاقتصادي والتهديد باستخدام القوة العسكرية التي احتشدت في الخليج.

وبدأ الهجوم في الثالثة صباح ١٩٩١/١/١٧ بألفي (٢٠٠٠) طائرة حلقت فوق سماء بغداد ، شكلت الضربة الجوية الأولى ٨٥٠ طلعة وتم تدمير أغلب مصانع الأسلحة ونظم الدفاع الجوي ومخازن الذخيرة وقاعدتين لإطلاق صواريخ سكود ، وأحد قصور صدام ، وجميعها قد تم تحديدها سلفاً ومنذ وقت قصير.

وتوالت الطلعات الجوية وزادت خسائر العراق ، وحاول صدام توسيع جبهات القتال ليخفف من الضغط الواقع عليه فضرب إسرائيل والرياض ودفع بقواته إلى مدينة الخافجي وباءت محاولاته بالفشل.

وفي ٢١ فبراير ١٩٩١م بدأت الحرب البرية لتحرير الكويت بقيادة وزير الدفاع الأمريكي "ديك تشيني" ورئيس أركانه "كولين باول" بالإضافة إلى "دونالد رامسيفيلد" الذي تولى حقيبة الدفاع في عهد بوش الثاني "الابن" بعد ذلك.

وفي ١٩٩١/٢/٢٧ حرر المصريون قاعدة علي سالم من القوات العراقية ، وفي اليوم الثاني تمكنوا من تحرير السفارة المصرية والقطاع الغربي لمدينة الكويت ، وبعد ٤٢ يوماً من نشوب القتال والقيام بالطلعات الجوية وبعد مائة ساعة فقط من الحرب البرية انتهت الحرب بوقف إطلاق النار الذي قررته الدول المتحالفة وقبل العراق شروطه في ١٩٩١/٣/٣ بعد أن طُرِدت قواته من الكويت التي تم تحريرها بالكامل.

وبلغ حصاد العراق من مساعيه غير المدروسة تدمير ٧٠% من دباباته و٦٠% من قطع مدفعيته ، وتم تدمير كافة منشآته الحيوية ، فضلاً عن خسارة مادية تقدر بنحو مائتي مليار دولار .

ومنذ ذلك الحين وقد وطدت الولايات المتحدة أقدامها في منطقة الخليج العربي وعملت على ترسيخها لمدد طويلة تنفيذاً لمخططها القديم الذي وضعه رئيسها آنذاك "ريتشارد نيكسون" ورئيس مخابراتها السابق إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ "بوش الأول" بالتعاون مع هنري كيسنجر – مهندس السياسة الأمريكية المعاصرة ووزير خارجيتها في عصر نيكسون ، وجيرارد فورد – والهادف إلى تحقيق وجود عسكري أمريكي دائم في المنطقة .. فكان ذلك حقيقة بعد ظن وواقعاً بعد أمل.

ولم يلبث أن تنامى وتعاظم الحصاد الأمريكي بعد أن قدمت الدول العربية الخليجية عن طيب خاطر التسهيلات اللازمة لتحقيق الحلم الأمريكي بإقامة قواعد عسكرية دائمة أو بالتوسع في القواعد القائمة حتى أضحت ولها اثنى عشرة قاعدة عسكرية في المنطقة موزعة كالآتي(١):

قاعدة كامب دوحة – قطر

تتخذ قيادة الجيش الثالث الأمريكي هذه القاعدة مقراً لها ، تتسع القاعدة لاستيعاب أعداد هائلة من القوات البرية ربما تصل إلى حد الألوية ذات التسليح الثقيل الذي يشمل الدبابات ، وهي مُعدة بحيث يمكنها استيعاب أعداد إضافية في حالة نقل المزيد من القوات إليها.

قاعدة أحمد الجابر الجوية بالكويت

وهي قاعدة جوية تقع في الصحراء على بعد ٣٥ ميلاً جنوب غرب مدينة الكويت وتستخدمها الطائرات الأمريكية للقيام بدورياتها فوق منطقة الحظر الجوي بجنوب العراق ، واستخدمت خلال الحرب الأمريكية على أفغانستان من جانب طائرات "أف ١٥".

(1) المصدر : بي بي سي أون لاين – شبكة المعلومات العربية "محيط" – الأنباء الفرنسية.

قيادة الأسطول الأمريكي الخامس في البحرين

تقع في منطقة "الجوفير" بالبحرين وهو المرفأ الأساسي للأسطول الخامس الذي تنطلق منه دورياته في الخليج العربي والمحيط الهندي.

قاعدة الشيخ عيسى الجوية في البحرين

وتقع في منطقة البحرين وقد تم استخدامها في حرب الخليج الثانية كإحدى القواعد الجوية الرئيسية للتحالف الدولي ضد العراق وظلّت إحدى القواعد البارزة التابعة للعسكرية الأمريكية في منطقة الخليج العربي بعد الحرب.

قاعدة العُديّد في قطر

وتقع على بعد ٢٥ ميلاً جنوب العاصمة القطرية "الدوحة" وتحتوي على منشآت وتسهيلات عسكرية كبيرة ومتطورة تكلفت مليارات الدولارات وتشتمل على الممر الأطول من نوعه في المطارات الموجودة في الخليج العربي والذي يصل طوله لخمسة عشر ألف قدم ، وتستخدم القاعدة للطائرات الأمريكية الحربية وشهدت توسعات هائلة في الآونة الأخيرة لتصبح إحدى أبرز وأهم القواعد العسكرية الأمريكية لا في منطقة الخليج فحسب بل في العالم كله.

قاعدة الظفرة الجوية بالإمارات

تبعد حوالي ١٢٠كم بسرعة السيارة من مدينة أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة وتحتوي على طائرات أمريكية خاصة من طراز "KC-15" وكذلك طائرات إعادة التزويد بالوقود جواً.

قاعدة ثمريت الجوية في سلطنة عمان

وتقع في جنوب عمان بالقرب من الحدود اليمنية وتتركز فيها الطائرات من طراز "AC130" ، وكذلك فرق الكوماندوز الأمريكية وتتردد أقاويل حول وجود فرق كوماندوز أمريكية على جزيرة في بحر العرب تبعد ٢٥ ميلاً عن سواحل السلطنة.

مدينة الملك خالد العسكرية بالسعودية

وتقع هذه المدينة في المنطقة الشمالية الشرقية بالقرب من مدينة حفر الباطن وتقع على ملتقى الطرق المؤدية إلى "الرياض – الكويت – الدمام – عمّان" حيث تبعد هذه المدينة حوالي ١٢٠كم عن الكويت إلى جهة الجنوب ، ٢٥٠كم من ميناء رأس مشعاب على الخليج العربي ، ٤٠٠كم عن الرياض العاصمة ، تتسع القاعدة لحوالي ٧٠,٠٠٠ (سبعين ألف) من أفراد الجيش وعائلاتهم ، وتكلفت هذه القاعدة "٧,٥ مليار دولار" وتحتوي هذه المدينة العسكرية على مقر لأركان القوات المسلحة "البحرية – الجوية – البرية" وغرفة عمليات تحت الأرض ومركز للقيادة ومدرسة لسلاح الهندسة ، وتحميها أنظمة صواريخ وأسراب عدة من الطائرات وكانت مركزاً للقوات الأمريكية في حرب الكويت.

مركز القيادة المتقدم لقيادة القوات "المحتلة" عفواً .. "المشتركة"

في "ربش المفجور" بالمنطقة الشرقية بالسعودية ، وهذا المركز مجهز تحت الأرض ومحاصر بأكياس الرمل بالإضافة إلى بعض الخيام ويقع على مساحة ٤٠ كم من مدينة الخافجي.

قاعدة الملك عبد العزيز الجوية بالظهران السعودية

وتُعد هذه القاعدة هي الأم لجميع القواعد العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط ، والرابط الأساسي بين القواعد العسكرية الأمريكية في أوروبا وغرب آسيا ، وقد انتقلت الطائرات الأمريكية منها مع طواقمها إلى قاعدة "الخرج" الجوية بعد الانفجار الذي وقع في مدينة "الخُبر" عام ١٩٩٦م.

قاعدة حفر الباطن الجوية بالسعودية

ويوجد بها قاعدة خاصة بالطائرات "F 111" المتقدمة جداً في أعمال التجسس واستُعملت للطائرات العمودية وطائرات الإسناد الجوي القريب وطائرات التدريب الأمريكية.

قاعدة الأمير سلطان بالسعـــودية

وتقع في منطقة "الخُرج" بالمملكة السعودية وهي قاعدة جوية كبيرة ومعزولة ومُؤمنة جيداً وقد أُنشئت حديثاً مكان قاعدة جوية استخدمت في فترة حرب الخلـــيج الثانية وهي ذات استعدادات عالية وإمكانيات كبيرة ، واستخدمت القاعــدة مطـــاراً لإقلاع وهبوط الطائرات الأمريكية البريطانية التي كانت تقوم بدورياتها في قصف العراق وما كان يُسمى بمراقبة منطقة الحظر الجوي في جنوب العراق[1].

٤- التمـرد

بعد مضي الأسبوع ونصف الأسبوع على تحرير الكويت وما صـــاحبه مـــن هزيمة قاسية للجيش العراقي الذي فقد الكثيرين من رجاله ومـــن عتـــاده وآلياتـــه العسكرية وقبل أن يفيق النظام العراقي من حالة انعدام الوزن التـــي يعانيهـــا فـــي أعقاب هزيمة القوات العراقية أمام قوات التحالف وفي السابع من مـــارس ١٩٩١م وقع تمرد كبير من الأكراد في شمال العراق لتحقيق طموحهم ونيل مـــآربهم فـــي إقامة دولتهم الكردستانية المستقلة في شمال العراق وأعلنوا مدينة "أربيل" عاصـــمة لدولتهم ، وفي مارس وإبريل ١٩٩١م ذهبت القوات العراقية إلى الشـــمال لـــدحر حركة الانفصاليين الأكراد ودارت معارك عنيفة ، وأصدر مجلس الأمن قراره رقم ٦٨٧ في ١٩٩١/٤/٣م مطالباً العراق بما يلي :

١- تعيين لجنة لمراقبة الموقف بين العراق والكويت.
٢- مطالبة العراق بترسيم الحدود بين الدولتين.
٣- طالب القرار العراق بالكشف عن أسلحة الدمار الشـــامل التـــي يملكهـــا وقبول تدميرها.
٤- حظر توريد أية أسلحة ومواد لها صفة عسكرية إلى العراق.
٥- تشكيل لجنة تفتيش خاصة لأسلحة العراق.

(1) المصدر ذاته : شبكة المعلومات العربية "محيط" .

وقد اعتمدت الولايات المتحدة على ذلك القرار لتدخل به من الأبواب الخلفية لتضرب حصاراً على العراق فدعت إلى عقد اجتماع للاتحاد الأوروبي في لوكسمبورج في ١٩٩١/٤/٨ تمت فيه الموافقة على إعلان منطقة الحظر الجوي على الطيران العراقي ، وهي المحاولة التي أرادت بها أمريكا القفز فوق الأحداث واستباق الزمن لتحقيق أهدافها في المنطقة .

ومع استمرار القيادة العراقية في قمع وإجهاض الانفصاليين أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٦٨٨ في ١٩٩١/٥/٥م مطالباً العراق بما يلي :

- إنهاء قمع المدنيين على الفور.
- السماح للمنظمات الإنسانية بتقديم المساعدات الإنسانية للمحتاجين بشكل مباشر.

وقد أدان القرار قمع المدنيين العراقيين والعواقب التي تهدد السلم والأمن الدوليين.

وهكذا وقعت القيادة العراقية محاصرة بين الآثار المترتبة على هزيمته وطرده من الكويت وتداعيات ذلك إقليمياً ودولياً وبين الحركات الانفصالية التي بدأت شمالاً ثم امتدت جنوباً والتي يغزي نارها الغرب وبعض دول الجوار .

وبدأت الولايات المتحدة في افتعال الأزمات ضد النظام العراقي وتصعيدها إلى حد إصدار الأوامر المباشرة للعراقيين بالإذعان لإعلان منطقة للحظر الجوي شمال العراق "معقل الأكراد" والواقعة بين خطي عرض ٣٦ ، ٤٠ شمالاً أي حرمان الطائرات العراقية من التحليق في ثُلث المساحة الكلية للعراق تقريباً بالإضافة إلى إخلاء المنطقة الشمالية المذكورة من أي تواجد أو نشاط عسكري ، وتلك كانت بداية إذلال العراق وفقدانه للسيطرة على أرضه وأجوائه.

والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة وبريطانيا قد اتخذتا ذلك القرار مـن دون تفويض من الأمم المتحدة أو علمها .. أي إنه عارٍ تماماً من الصحة والشرعية.

وفي غُرَّة مارس ١٩٩١ اندلعت أحداث الشغب في مدينة البصرة ثم انتشرت بسرعة في مدن أخرى من جنوب العراق ذات الأغلبية الشيعية ، وكـان رد فعـل القيادة العراقية قتل الآلاف منهم وحاول الكثيرون من الشيعة الفرار إلـى إيـران والسعودية ، وتمكن صدام حسين من القضاء على الثورة الانفصالية الشـيعية فـي الجنوب والتي اندلعت بفضل المؤامرات الدولية والإقليمية على السواء.

وصارت تلك ذريعة للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للإعلان عن منطقة للحظر الجوي في الجنوب على غرار ما بات الوضع عليه في الشمال بحجة حماية السكان الشيعة والمتمركزين في الجنوب الواقع بين خطي عرض ٢٨ ، ٣٢ جنوباً وذلك اعتباراً من ١٩٩٢/٨/٢٦م.

وهكذا فقد اجتهدت الولايات المتحدة في إشعال الفتنة وإذكاء نار العداوة بـين النظام الذي لن يرضى بالانفصال وبين دعاة الانفصالية حتـى وإن مـارس ضـد الانفصاليين عمليات الإبادة الجماعية ليتقاتل المسلمون ويهدر بعضـهم دم بعـض بالإضافة إلى شحن نفوس أهل الجنوب بالأحقاد ونار الانتقام ليتم استغلالهم كورقة ضغط ضد النظام العراقي في الوقت المناسب ، ولربما نتج عنه ترحيب الجنوبيين بالقوات الأمريكية إذا ما دخلت العراق في مراحل لاحقة لضمان سرعة انفصـال الجنوب وتحييده بعيداً عن السلطة المركزية بل ولربما ثار هؤلاء ضـد الحكومـة المركزية عندما يحين الوقت ليتوافق ذلك مع المخطط الذي وضع للشمال العراقـي ويتطابق معه.

وهكذا تم تقسيم العراق فعلياً إلى ثلاثة كيانات هي [الشيعة جنوباً – السنة فـي الوسط – الأكراد في الشمال] بحيث يتم حرمان الطائرات العراقية من التحليق فـي منطقتي الحظر الشمالي والجنوبي. على الرغم من سحق حركة التمرد الانفصـالية

في الجنوب وسقوط مدينة أربيل التي أعلنها الأكراد عاصمة لـدولتهم كردسـتان العراق في أيدي القوات العراقية بنهاية ١٩٩٦/٨.

ولا زالت مستقلة فعلياً عن الحكومة المركزية حتى تمت الإطاحة بنظام صدام حسين في ٢٠٠٣/٤/٩.

٥- الإذلال

بدأت الطائرات الأمريكية والبريطانية طلعاتها المستمرة فوق ما أعلنته أمريكا وبريطانيا من جانب واحد مناطق حظر الطيران العراقي في أجوائها لمراقبة تنفيـذ ذلك القرار الأحادي من جانب ، ومن جانب آخر لتصوير كل الأهداف الثابتـة أو المتحركة فوق كل شبر من الأراضي العراقية يرمي إلى التعرف عن كثب علـى إمكانات العراق القتالية (الدفاعية والهجومية) بل والوقائية والاحترازية في الثلاثـة قطاعات (الشمالي ، والأوسط ، والجنوبي) ومن ثَمَّ تحديد الأهداف التي يمكـن أن تقصفها طائرات ما يُسمى بالتحالف.

واستمر الحال بين إصرار أمريكي بريطاني ورفض عراقي وصمت دولـي وصمم عربي.

ولأنه كثيراً ما تضيع الشعرة الفاصلة بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة فقد بدت الأمم المتحدة في كثير من المواقف متبنية مواقف الولايات المتحـدة مدافعـة عنها ثم تتوجه نحو ترجمتها عملياً على أرض الواقع حتى أنه يمكننا القـول فـي كثير من الأحيان بأنها "الأمم المتحدة الأمريكية".

وعلى ذلك المعنى صدر القرار ٧٠٧ في ١٩٩١/٨/١٥ وفيـه :

- شجب القرار انتهاك العراق لقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ وعـدم اسـتجابته للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

- دعوة العراق للتوقف عن أي نشاط نووي مهما كان نوعه ، كما أن الجمعية العامة تنتظر من العراق الإذعان الكامل لهذه القرارات.
- كما أمر القرار العراق بكشف جميع برامج أسلحة الدمار الشامل لديه.
- السماح للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية بالذهاب إلى العراق من دون شروط مسبقة ، وذلك بالسماح للمفتشين الدوليين بالتفتيش في جميع أنحاء الدولة وتأمين المواصلات لهم والرعاية الصحية والتعاون الإيجابي معهم.

والواضح أن هذا القرار يوقف أي محاولة عراقية لإخفاء أسلحة الدمار الشامل أو أية مواد لها علاقة بها.

وفي ١٩٩٢/٩/٢٧م هاجمت القوات الجوية الأمريكية العراق بالصواريخ بعد اتهامه بمحاولة اغتيال الرئيس الأمريكي "بوش الأول" بالكويت حيث اتخذت أمريكا وبريطانيا من الواقعة ذريعة للقضاء على مقومات النظام العراقي وتدمير الآلة العسكرية العراقية وتحطيم البنية التحتية للاقتصاد العراقي خاصة في المنطقة الخاضعة للحكومة المركزية مباشرة "بغداد" وما حولها في وسط العراق ، حيث قامت الباغيتان بغارات جوية على العاصمة العراقية في الفترة من ١٣ : ١٩٩٣/٨/١٨[1] ، وفي ٦/٢٧ أطلقت البوارج الحربية الأمريكية ٢٣ صاروخاً من طراز توماهوك "العابر للقارات" على العاصمة بغداد وحدها مما اضطرت معه القيادة العراقية إلى الموافقة على القرار ٧١٥ في ١٩٩١/١٠/١١ الصادر عن مجلس الأمن بشأن مراقبة الأسلحة العراقية.

حاولت القيادة العراقية احتواء الموقف والعمل على التعامل بجدية مع الخطر الوافد ومعالجة آثار الحصار الاقتصادي والعسكري والجوي المفروض على البلاد فخطت القيادة خُطوتين ..

---

(1) رسالة خاصة من "بيل كلينتون" الرئيس الأمريكي الجديد إلى صدام حسين .

الأولى : "داخلية" بإجراء تعديل في الجبهة الداخلية وتشكيل حكومة جديدة تكون لها القدرة على التعامل مع المعطيات المستجدة. وأصبح فيها صدام حسين رئيساً للوزراء إلى جانب رئاسته للحزب والدولة في ١٩٩٤/٥/٢٩م.

الثانية : "خارجية" وكانت في ١٩٩٤/١١/١٠م عندما اعترفت بغداد بالكويت وبحدودها كدولة جارة تعيش معها في سلام.

وإزاء الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في العراق ، وتداعياتها على الاقتصاد العربي والعالمي فقد طالبت الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وبعض دول الاتحاد الأوروبي برفع الحظر المفروض على العراق أو تخفيفه .. صدر عن الأمم المتحدة القرار رقم ٩٨٦ في ١٩٩٥/٤/١٤ الذي عُرف باسم النفط مقابل الغذاء ولم يوافق عليه العراق حتى ١٩٩٦/٥/٢٠ وقد بدأ تنفيذه فعلاً في ١٩٩٦/١٢م .

ومن الجدير بالذكر أن هذا القرار يمثل أكبر عملية سطو منظم وسرقة منظمة محكمة لأموال العراقيين ، فالبترول العراقي يتم تصديره بالأسعار المعلنة بينما لا ترد للعراق ما نص القرار عليه إذ أن أثمان مبيعاته كان يذهب إلى [تمويل المعارضة العراقية في الخارج + تكلفة طلعات الطيران التي تدك العراق + تعويضات الكويت] ، والذي يفد للعراق مقابل الفُتات لا يسد رَمقاً ولا يشبع جائعاً مثل العطور ومستحضرات التجميل والكاتشاب واللبان وقطع الشيكولاته .. بينما الجوع يحاصر الملايين والمرض يهدد عشرات الآلاف.

إن التغيير الطارئ على الموقف السياسي العراقي لم يؤدي إلى تحول بالضرورة في الموقف الغربي يصل إلى تقريب وجهات النظر وإنهاء المشاكل العالقة سواء في مجلس الأمن أو في إطار الجامعة العربية. إنما سارت الأمور في غير الصالح العراقي وعلى خلاف ما كانت تأمل قيادته .

فقد عمدت الولايات المتحدة على تكريس فكرة الحظر الجوي شمالاً وجنوباً لفصلهما تماماً عن القيادة المركزية في الوسط ، وبذات القوة عملت على اختراق الداخل في النظام العراقي القائم وقد أثمر ذلك عن هروب الجنرال حسين كامل وعائلته إلى الأردن في أغسطس ١٩٩٥م وقد منحهم الأردن حق اللجوء السياسي، وترددت أنباء كبيرة ومؤكدة أن الفريق حسين كامل سلم للمخابرات الأمريكية فور هروبه ملفاً كاملاً عن البرنامج النووي العراقي ومجهودات العراق لإحياء المفاعل النووي الذي دمرته إسرائيل بطائراتها الحربية في ١٩٨١/٧/٧م ، وكذلك ملفاً كاملاً عن الأسلحة الكيماوية والجرثومية والبيولوجية العراقية.

وأثمرت كذلك عن محاولات تكريس انفصال الأكراد بشمال العراق بدعم إيراني وتركي يهدف إلى إضعاف العراق داخلياً وخارجياً عن طريق توريطه في إبادة الأكراد الذين دأبوا على المجاهرة المتعددة بالانفصال كما يهدف إلى تصفية الأكراد وكسر شوكتهم للتوقف عن المطالبة بدولتهم الكردية المستقلة في إيران وتركيا وسوريا بالإضافة إلى العراق.

ووقعت مصادمات دامية بين القوات الكردية المدعومة من الخارج بقيادة "جلال طالباني" من جهة والأكراد الموالين لحكومة بغداد بقيادة "مسعود البرزاني".

وما أن أُعيد انتخاب صدام حسين رئيساً للبلاد في ١٩٩٥/١٠/١٥م لفترة رئاسية جديدة مدتها ٧ سنوات حتى بدأ في مراسلة الفريق حسين كامل وزوجته "ابنة صدام" وأصدر قراراً جمهورياً بالعفو عنهم وقد وصلوا إلى بغداد في ١٩٩٦/٢/٢٠ وبتاريخ ١٩٩٦/٢/٢٣ تم تصفيتهم جسدياً جميعاً.

فما كان للولايات المتحدة أن تتمسك بل وتقاتل في الأمم المتحدة سياسياً وفي العراق عسكرياً إلا من خلال المعلومات المقدمة لها من الخائن العراقي للبحث عن كل صغيرة وكبيرة داخل العراق لإزالة ما قدمته الخيانة وأكدت عليه.

اعتبرت أمريكا ذلك التصرف بمثابة استفزاز لها فصعدت من حملاتها الجوية التي تستهدف الاستمرار في مسلسل القضاء البطيء على النظام العراقي وتخريب العراق ، فضلاً عن مزاولة فرق التفتيش لأعمالها في العراق والتي تصور كل شيء وترسل تقارير عن كل شيء حتى استشعر العراقيون خطر الجاسوسية التي يمارسها بعض أفراد المفتشين الدوليين ، وحدثت الأزمة بين العراق والأمم المتحدة فصدر القرار ١٥٠١ في ١٩٩٦/٣/٢٧ وقد طالب القرار العراق بكتابة تقرير حول شحن أية مواد ثنائية الاستخدام ولها علاقة بأسلحة الدمار الشامل والذي سيقدم للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية ، كما طالب العراق كذلك بالتعاون مع مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة والسماح لهم بالدخول والتجول غير المشروط .. والعراق لا يزال مشغولاً بمداواة جراحه الداخلية ، ففي الوقت الذي احتدمت فيه المعارك بين فصائل الأكراد دخلت القوات العراقية إلى مدينة أربيل داخل منطقة الحظر شمال العراق بناء على استغاثة من زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني "مسعود البرزاني" في ١٩٩٦/٨/٣١م فجاء العدوان الأمريكي على بغداد في ١٩٩٦ انتقاماً لمقتل حسين كامل وعقاباً لدخول القوات العراقية منطقة الحظر الشمالي.

أدانت مصر العدوان ووقفت في مجلس الأمن تدعو لرفع المعاناة عن الشعب العراقي طالما كان العراق ملتزماً بتنفيذ القرارات الدولية خاصة فيما يتعلق بالقرار ٩٦٨ المعروف باسم النفط مقابل الغذاء.

وصدر القرار ١٠٦٠ عن الأمم المتحدة الأمريكية في ١٩٩٦/٦/١٢ والذي لم يُقِمْ وزناً للمطالب العراقية أو العربية أو الإقليمية إلا تنفيذ البرنامج الأمريكي بشأن العراق دون غيره

وقد استنكر القرار رفض العراق السماح لمفتشي الأمم المتحدة بالتجول ، والانتهاك الواضح لقرارات مجلس الأمن ، كما طالب القرار العراق بالتعاون مع

مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة والسماح لهم بالدخول والتجول غير المشروط.

ومع استمرار الضغوط الأمريكية المبلورة في صورة قرارات دولية صادرة عن مجلس الأمن اضطر العراق للسماح للمفتشين الدوليين بممارسة أعمال التفتيش حتى جاء ١٩٩٧/١١/١٣ حيث تصاعدت حدة الخلافات بين العراق المغلوب على أمره والخاضع لمراقبة فرق التجسس التي تحدد الأهداف لطائرات ما يُسمى بالتحالف فتقصفها وبين الولايات المتحدة التي تُصيغ للأمم المتحدة قراراتها وتحدد لها أولوياتها.

فصدرت القــرارات ..

١١١٥ في ١٩٩٧/٦/٢١م

١١٣٤ في ١٩٩٧/١٠/٢٣م

١١٣٧ في مطلع ١٩٩٧/١١م

١١٥٤ في ١٩٩٨/٣/٢م

١١٩٤ في ١٩٩٨/٩/٩م

١٢٠٥ في ١٩٩٨/١١/٥م

والعراق على موقفه الرافض لفكرة عودة المفتشين من حيث المبدأ وقد علق التعاون معهم .

ولاحت نُذر حرب جديدة أخرى على بغداد خاصة بعد الاتهام العراقي المباشر لكبير المفتشين الدوليين "ريتشارد باتلر" الاسترالي الجنسية بأنه يمارس أعمال التجسس لصالح أمريكا وبريطانيا وإسرائيل.

وللأمانة التاريخية فإن ذلك الرجل كان قد تناسى مهمته الأصلية وأخذ يختلق الأسباب للإبقاء على العقوبات المفروضة على العراق إلى ما لا نهاية مما يقدم لنا تبريراً للموقف العراقي ، ومن العجيب والمثير للدهشة أن "باتلر" اعترف فيما بعد بالفعل وعلى شاشات الفضائيات عقب استقالته من منصبه بأنه مارس أعمال التجسس ضد العراق لصالح جهات معينة لم يذكرها.

وفي الفترة من ١٨ : ١٩٩٧/١١/٢٠ عرضت موسكو على بغداد خطة للخروج من الأزمة الراهنة تقضي بتنوع الخبراء من بلدان العالم وإشراك مفتشين من دول عربية وإقصاء "ريتشار باتلر" من مهمته لأن الأحداث أثبتت أنه يقود مجموعة من الجواسيس دخلت إلى العراق تحت مظلة الشرعية الدولية بموجب القرارات ذات الصلة ، وعلق العراق تعاونه في ١٩٩٨/١٠/٣١[1] ، ولأن الأمور كانت تسير في اتجاه تدمير القواعد والمنشآت والمصانع والمواقع التي رشحها باتلر ورجاله للقصف فقد سوّقت الإدارة الأمريكية إعلامياً بأن العراق قام بطرد المفتشين الدوليين فيما يُعد خرقاً منه لقرارات الأمم المتحدة وتحدياً للإرادة الدولية، بينما حقيقة الأمر أنها هي التي أمرت بسحب المفتشين من العراق حفاظاً عليهم لأن النية تتجه إلى شيء ما فكانت تلك هي عملية

"ثعلب الصحراء"

في المدة من ١٦ : ١٩ ديسمبر ١٩٩٨م

وهي العملية التي استهدفت بها أمريكا وبريطانيا تدمير ما تبقى من الأسلحة العراقية[2] بالإضافة إلى المواقع التي حددها "باتلر" عندما كان مجلس الأمن يناقش تقرير "باتلر" حول التزامات العراق ، وذلك في محاولة لإيجاد مبرر لاستمرار

---

(1) مع لجنة نزع الأسلحة "يونيسكوم" .

(2) تحويل أنظار العالم إلى العراق بعيداً عن فضائح كلينتون الجنسية مع مونيكا لتخفيف الضغط الإعلامي عليه .

تواجدها في منطقة الخليج حماية لمصالحها ومصالح إسرائيل وتقليم ما تبقى من أظافر الرئيس العراقي .

وظل العراق رافضاً لتواجد فرق التفتيش على أرضه لأسباب ودوافع منطقية منها تفتيش وإعادة تفتيش المواقع العسكرية والمصانع المدنية والصناعات الثنائية "المزدوجة الأغراض" مصانع الأغذية بما فيها مصانع ألبان الأطفال ، ومصانع المنظفات والجامعات والمعاهد التعليمية والجهات البحثية ومصانع الأسلحة ومصانع الأسمدة بل وصوامع الغلال ودور العرض السينمائي ودورات الـ... .

ثم طالبت فرق التفتيش بإخضاع القصور الرئاسية لأعمال التفتيش إمعاناً في إذلال العراقيين .. وقد كان لهم ، ثم ادعى "باتلر" إن النظام العراقي يخفي أسلحة الدمار الشامل بين أفواه العلماء ما بين حناجرهم وألسنتهم وطلب البحث فيها ورَضَخَ العراق وقبل استجواب علمائه ، ثم قالوا أن الأسلحة داخل بيوت المواطنين وقام المفتشون بتفتيش عينات عشوائية من منازل المواطنين ، ولما لم يجدوا شيئاً قالوا بأنها مدفونة في المقابر .. أي والله .. هكذا أراد "باتلر" ورجاله البحث في بطون الموتى وفي رفاة عظامهم البالية .. وانتهاءاً قال "باتلر" إن العراق يخفي أسلحته تحت جذوع النخيل ، لقد أراد هؤلاء البحث تحت أشجار العراق ، وقد اعترف "باتلر" قبيل انتهاء عام ١٩٩٨ بأن قضية التفتيش عن الأسلحة المثارة لا تستهدف إلا إذلال العراق والتجسس عليه .

فمن ذا الذي كان يقبل بتلك المهانات وهذه الإذلالات وطلب العراق من الأمم المتحدة في ١٩٩٩/١/٤ استبدال موظفيها في العراق من الجنسية الأمريكية والبريطانية بجنسيات أخرى .. ودام الحال على حاله حتى صدر القرار

١٢٨٤ في ١٩٩٩/١٢/١٧م

[بشأن تعليق العقوبات بشرط تعاون العراق غير المشروط]

ولقد علم مصدروا القرار سلفاً أن العراق لن يفتح أبوابه لفرق الجواسيس ولن يلبي رغباتهم في تفتيش "صدور السيدات" في ظل "وعد مجرد" برفع جزئي للعقوبات ، وأصر العراق على موقفه الرافض للتعاون مع هذه السياسة الظالمة وعلى رفضه استقبال المفتشين الدوليين إلا برفع كامل للعقوبات.

حاولت الإدارة الأمريكية إثارة النظام العراقي لتكيل له الاتهامات وتتزايد عليه الأخطاء وتتراكم ضده الحسابات لتصب عليه الويلات ولتظهره أمام العالم أنه الرافض لدعوة السلام والمتمرد على المجتمع الدولي في سبيل رفع المعاناة عن شعبه ، وليرى العالم أنها "أمريكا" أكثر رحمة بالعراقيين من حكومتهم وأنها أشد حرصاً من العراق على سلامة جيرانه الذي بات يهددهم .

وأحدث العراق هزة عنيفة في سوق النفط بعد أن أعلن وقف تصدير بتروله لمدة ٣٠ يوماً تضامناً مع الانتفاضة الفلسطينية اعتباراً من يناير ٢٠٠٢ مما أحدث ارتفاعاً مؤقتاً في الأسعار العالمية للبترول. وعرضت كل من الكويت والسعودية زيادة إنتاجهما من النفط لتعويض النقص الناتج عن الموقف العراقي.

وقد نجحت السياسة العراقية في إحداث نوع من التغيير في الموقف الأمريكي إلى الحد الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتقدم في مايو ٢٠٠٢ بمشروع قرار جديد إلى مجلس الأمن الذي تبنى بدوره المشروع الأمريكي الداعي إلى إعادة النظر في شأن العقوبات ، واستبدالها بالعقوبات الذكية التي تتواءم مع المستجدات التي فرضها الموقف العراقي.

واحتج "محمد الدوري" مندوب العراق الدائم في الأمم المتحدة على مشروع القرار الخبيث ، وقد أيدته المجموعة العربية والعضو العربي في مجلس الأمن بالإضافة إلى روسيا التي لها مصالح استراتيجية في العراق ، ولاحت في الأفق نذر الحرب وأعلنت أمريكا عن نياتها صراحة لاستهداف العراق.

إنقاذاً لما يمكن إنقاذه في العراق وتفادياً لحرب جديدة غير متكافئة أعلن العراق موافقته على عودة المفتشين ، وقدم دعوة لرئيس لجان التفتيش الدولية لزيارة العراق والتفاوض بشأن عودة المفتشين إلى ممارسة مهامهم .. جاء ذلك في رسالة نصية بعث بها العراق إلى الأمين العام للأمم المتحدة "كوفي عنان" وهذا نصها ..

السيد الأمين العام

يشرفني أن أشير في رسالتي هذه إلى المناقشات التي جرت بين الأمم المتحدة وحكومة الجمهورية العراقية بشأن الحلول التي تم التوصل إليها في قضية العراق والتي جرت في نيويورك يومي ٧ مارس (آذار) ، ٢ مايو (آيار) ، وفي فيينا يوم ٤ يونيو (حزيران) ٢٠٠٢ بالإضافة إلى المحادثات التي جرت في مقر الأمم المتحدة في نيويورك يومي ١٤ ، ١٥ سبتمبر (أيلول) في أن أعلمكم بشأن القرار الذي اتخذته حكومة العراق والذي يقضي بالسماح بالعودة غير المشروطة للمفتشين الدوليين وقد ارتكزت الحكومة العراقية في قرارها هذا على رغبتها في استكمال جميع قرارات مجلس الأمن وإزالة جميع الشكوك في امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل ، وللمضي نحو حل شامل يتضمن رفع جميع العقوبات المفروضة على العراق ، والحكومة العراقية الآن مستعدة لمناقشة جميع الترتيبات العملية الضرورية لعودة مفتشي الأسلحة.

في سياق الكلام تؤكد الحكومة العراقية على أهمية تعهد جميع أعضاء مجلس الأمن باحترام سيادة العراق وحقوقه الدولية .. وسأكون شاكر إذا تم عرض هذه الرسالة على مجلس الأمن.

وتفضلوا بقبول فائق احترامي ،،،

د. ناجي صبري
وزير الخارجية
الجمهورية العراقية

١٧/سبتمبر – أيلول ٢٠٠٢

لاقت الرسالة ترحيباً من الأمين العام وبعض الأعضاء الدائمين في المجلس وكادت تؤتي ثمارها لولا تدخل الولايات المتحدة المباشر في عدم وضعها موضع التنفيذ حتى تتمكن من الحصول على تنازلات أخرى جديدة من جانب العراق لإذلاله وضمان إذعانه إذعاناً تاماً للمطالب الأمريكية فتجمدت الرسالة في الثلاجة الامريكية ، حتى خرج الرئيس الأمريكي الجديد "جورج بوش" ابن الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش الأول" والذي دخل مؤخراً إلى البيت الأبيض بموجب حكم قضائي حيث خاطب "بوش الثاني" الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠٠٢/٩/٢٢ مطالباً زعماء العالم بمجابهة ما أسماه "هو" الخطر العراقي.

استشعر العراقيون الخطر الداهم الذي يحدق بهم واستمعوا لنصائح الناصحين سواء من المخلصين أو المتآمرين في الخفاء من أصحاب المصالح وذوي الصلات الحميمة والعلاقات الاستراتيجية بالولايات المتحدة وأُعلِن في أكتوبر ٢٠٠٢ عن موافقته على عودة المفتشين الدوليين .

فأوحى "بوش" إلى "أنان" أن امنح العراقيين فرصة أخيرة – فأذن مؤذن في العراقيين إن مولاكم قد منحكم الفرصة الأخيرة.

فخرج النذير إلى العالم مبلغاً وللعراق نذيراً في ٢٠٠٢/١١/٨ ليُعلن عن القرار ١٤٤١ .. وفيه :

- منح العراق فرصة أخيرة للامتثال لإلتزاماته المتعلقة بنزع أسلحته بموجب قرارات المجلس ذات الصلة .
- يُشكل تقديم العراق بيانات زائفة أو إغفاله بعض الأمور في البيانات المقدمة وامتناعه في أي وقت عن التعاون الكامل في تنفيذه خرقاً جوهرياً.
- مطالبة العراق بتوفير إمكانية الوصول إلى المرافق والمعدات ومقابلة الأشخاص الذين تود الأنموفيك والوكالة الدولية للطاقة الذرية مقابلتهم.

- يتمتع المفتشون الدوليون بالحق في تزويدهم بأسماء جميع الأشخاص الذين لهم علاقة حالياً وسابقاً ببرامج العراق الكيميائية والبيولوجية.
- يتمتع المفتشون الدوليون بحق إزالة أو تـدمير أو تعطيـل جميـع الأسـلحة المحظورة.

وعاد خبراء الأمم المتحدة لاستئناف أعمالهم بموجـب القـرار ١٤٤١ فـي ٢٠٠٢/١١/٢٧

حاولت إدارة بوش إجبار العراق على أن يبدو أمام العالم وقد أحـدث خرقـاً جوهرياً للقرار السابق يستوجب التوجه لضربه..

عارضت [فرنسا وألمانيا وروسيا والصين] الرؤيـة الأمريكيـة وتفسـيراتها وأصروا في مواجهة أمريكا على وجوب استصدار قرار جديد عن مجلس الأمـن يُفوض باستخدام القوة ضد العراق لخلو القرار ١٤٤١ من نص في هذا الشأن بينما تُصر أمريكا على أن المادة الثانية في القرار تُخول للولايات المتحدة حق اسـتخدام القوة ضد العراق سواء ضمن تحالف دولي أو بشكل منفرد.

وحسماً للنزاع وعلى أمل إنهاء الحصار الاقتصادي المفروض على البلاد قدّم العراقيون في ٢٠٠٢/١٢/٢ تقريراً مُفصَّلاً من اثنتي عشر ألف صفحة (١٢٠٠٠) للأمم المتحدة يشرح فيه الصغيرة والكبيـرة عـن برامجـه النوويـة والكيماويـة والبيولوجية ونظم تسليحه.

قفزت الولايات المتحدة فوق الأمم المتحدة وأعضاء مجلس الأمـن الـدائمين والمؤقتين وقامت بعملية سطو على التقرير العراقي فاستولت على النسخة الأصلية وقدمت بعد ذلك للأعضاء صوراً من التقرير وتقدم العضو العربي فـي المجلـس "سوريا" باحتجاج ولكن من يقرأ ومن يسمع هذه النكتة المثيرة..!

عملياً .. فالتقرير العراقي يحتاج إلى عدة شهور لقراءته وعدة سنوات لتحليله إلا أنه مع ذلك يترجم رغبة عراقية صادقة لحسم الخلاف وإنهاء النزاع والإثبات بجدية مطلقة صحة موقفه وصدق روايته.

وحاول صدام الظهور بمظهر جديد فاعتذر للشعب الكويتي عن غزو بلادهم في ٢٠٠٢/١٢/٧ .

أما نظرياً .. فإن الولايات المتحدة اعتبرت التقرير وسيلة لكسب الوقت وطرح الأحداث للأمام باكتساب عنصر الوقت وتمييع الموقف الدولي وإن العراقيين يهدفون إلى شق صف الأمم المتحدة خاصة مع تبني بعض الدول لمواقف العراق والدفاع عن تلك المواقف.

وبعد مداولات ومشاورات وصلت طلائع المفتشين الدوليين إلى بغداد في ديسمبر ٢٠٠٢ وبدأت تلك الفرق على الفور أعمالها وقد زادت أعدادهم تباعاً حتى قبل وبعد وصول كل من "د. هانز بليكس رئيس لجنة التفتيش" ، والسيد محمد البرادعي مدير الهيئة الدولية للطاقة الذرية ، وقد تنوعت جنسيات المفتشين من كل حدب وصوب ما عدا البلاد العربية تلبية للنهم [الأمريكي – البريطاني] الهادف إلى سرعة اكتشاف أية معلومة عن تلك الأسلحة يمكن لأمريكا استخدامها ذريعة للسطو على العراق واحتلاله .

ومن جانبه تعاون العراق لأول مرة بشكل جدّي وأسلوب مختلف لدرجة قبوله بتحليق طائرات التجسس "V-2" في أجوائه كما سمح بفتح القصور الرئاسية لفرق التفتيش وتنازل عن الكثير مما رفضه سابقاً تفادياً لثورة وحيد القرن الهائج.

وفي ٢٠٠٣/١/٢٧ انعقد مجلس الأمن وقدم بليكس والبرادعي تقريرهما وقالا بوجود ثغرات في التقرير العراقي [بعد فحصه] وطالب العراق بزيادة التعاون ، ولم يثبت التقرير أن العراق يمتلك أسلحة محظورة.

تعالت الأصوات المعتدلة المطالبة برفع العقوبات على العراق واحترام القرار ١٤٤١ والتأكيد على أنه لا يعطي لأمريكا حق استخدام القوة دون الرجوع إلى مجلس الأمن.

حاول وحيد القرن اختلاق سبب آخر لشن حربه على العراق طالما جاء التقرير على غير ما يهوى ، فطالب "بوش الثاني" مجلس الأمن بعقد جلسة طارئة في ٢٠٠٣/١/٢٩ يقدم فيها "كولن باول" وزير الخارجية الأمريكي "معلومات استخباراتية" ضد العراق وكانت المفاجئة القذرة في الادعاء الباطل حيث قدم باول تسجيلاً صوتياً بأن للعراق اتصالات بتنظيم القاعدة وذلك من دون إشارة إلى أنه صوت أحد القادة العراقيين – أم صوت رجل أو أنثى – صغير أم كبير ، وهل عملية التسجيل تمت ليلاً أم نهاراً ؟ ومن هو العراقي الذي تم تسجيل صوته .. إنها فرية قد كان باء بها في ثوب يوسف من قبل دم كذب.

٦- المكوك

إزاء التطورات المتدنية المتلاحقة في الأوضاع الحرجة المأساوية التي تهدد العراق والآثار الكارثية التي تنتظر المنطقة العربية من جراء إصرار الولايات المتحدة على شن حرب على العراق سواء بموافقة مجلس الأمن الدولي أو بعمل عسكري منفرد طالما أعدت نفسها له.

وفي إطار جهودها لحشد الآراء المؤيدة لها فقد قام "باول" بجولة مكوكية يحمل معه الوعد والوعيد وقد شملت من العالم العربي "السعودية – الأردن – مصر – ولبنان ودول الخليج العربي" وبعض دول شرق آسيا ومنها باكستان التي تنازلت لها أمريكا عن جملة الديون المستحقة عليها بعد أن حدث تحول خطير في سياستها تجاه الأزمة العراقية وتخلت عن أوليات مبادئها وأيدت الموقف الأمريكي في نيته المتجهة لشن حرب على العراق وذلك في ٢٠٠٣/٣/١٥.

كما شملت بعض الدول الأوروبية الشرقية والغربية على السواء وقد عاد من عالمنا العربي وهو يحمل معه رفضاً عربياً قاطعاً لمشروع بلاده في شن الحـــرب على العراق وأراءً متباينة من دول أخرى.

ومع التطورات المتلاحقة وتداعياتها دعا الرئيس المصري مبارك لعقد قمـــة عربية طارئة في فبراير ٢٠٠٣ لبحث التداعيات التي تمر بها المنطقة واحتمالاتها السيئة على المنطقة بأسرها . وقد تحدّد له غير موعد حتى تم طرحه إلى الموعـــد الدوري لانعقاد القمة في ٢٠٠٣/٣/١ وانعقد في مصر بدلاً من الإمارات العربيـــة نظراً للظروف السياسية الطارئة في منطقة الخليج.

وكعادة بعض العرب [الفُرقة وقـــت الشـــدائد والشـــماتة فـــي المصـــائب ، والاختلاف وقت الاجتماع وإفساد كل جميل] .. ففي الوقت الذي تجد العرب فـــي مسيس الحاجة لوحدة الهدف حتى لو لم تكن هناك وحدة الصف ، تلاسن الـــرئيس الليبي "معمر القذافي" والأمير "عبد الله" ولي عهد السعودية في صورة مألوفة عنـــد اجتماع القادة العرب ، ثم تكرر شبيه ذلك في قطر أثناء اجتماع منظمـــة المـــؤتمر الإسلامي بين الوفد الكويتي والعراقي بعد أقل من ٧٢ ساعة على اجتمـــاع القمـــة العربية.

وقد حاول رئيس الوفد الكويتي إضافة إدانة العـــراق إلـــى البيـــان الختـــامي الصادر عن المؤتمر إلا أنه فشل بينما ادعى المندوب القطري فور عودتـــه إلـــى بلاده أن مصر رفضت عرض مشروع قطري بشأن العراق على الجامعة العربية. فسارعت الخارجية المصرية وجامعة الدول العربية بنفـــي الإدعـــاءات القطريـــة وأكدوا على أن الوفد القطري لم يطلب الكلام في ما ذهب إلى الإدعاء بـــه بُهتانـــاً على مصر والجامعة العربية.

وعند اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي في قطر عرض رئيس الوفد القطري مشروع بلاده والذي يطالب صدام حسين بالتنحي عن الســـلطة ومغـــادرة الـــبلاد

فحدثت العاصفة مع الوفد العراقي. وانفض المؤتمر كسلفه بإقرار التوصيات الرافضة للاعتداء على العراق أو تقسيمه أو النّيل من سلامة شعبه ووحدة أراضيه، ووجّه المجتمعون نداء إلى القيادة العراقية بالتعاون الجاد مع فرق التفتيش لتفادي العدوان الأمريكي المحدق على العراق ، وتعريض أمن المنطقة كلها للخطر والإضرار بالمصالح العليا والمساس بالأمن العربي .

وفي إطار سعيه الدؤوب طار "مبارك" إلى كل من ألمانيا وفرنسا اللتان تتبنيان الموقف المعتدل تجاه العراق ، ويطرحان جانباً فكرة ضرب العراق . وقد أوفد وزير الخارجية المصري السيد أحمد ماهر إلى بعض العواصم العربية والأوروبية وبذلت القاهرة سعياً كبيراً وجهداً وافراً على أمل تجنيب المنطقة للآثار الكارثية المرتقبة وحماية الشعب العراقي من هلاك محقق.

ولكن هيهات هيهات .. فلا الاتحاد الأوروبي ولا مجلس الأمن الدولي ولا الاتحاد السوفيتي أو حركة عدم الانحياز ولا المنظمة الإسلامية أو الجامعة العربية أو الهيئات والمنظمات الإقليمية أو الدولية الأخرى .. كل هؤلاء فرادى أو مجتمعين لا يمكنهم فعل أي شيء ..!

فمن ذا الذي يتحدى وحيد القرن أو يمنعه ؟!.. وهو وحده الذي يُسيّر الأمور وفق مشيئته والدنيا تقف وتقعد نزولاً على رغبته ..

وفي السابع من مارس ٢٠٠٣ أعلن محمد البرادعي أمام مجلس الأمن أن مفتشي الوكالة الدولية لم يجدوا أي دليل على امتلاك العراق لأية أسلحة نووية ، ويؤكد مع هانز بليكس أن العراق يتعاون بشكل جيد ويطلبان مزيداً من الوقت وينفيان الادعاءات الأمريكية بأن العراق استورد كميات كبيرة من اليورانيوم من النيجر .



الباب الثاني

الحشد والتعبئة

الباب الثاني

الحشد والتعبئة

١- التباينـــات

بَدَا مجلس الأمن الدولي منقسماً على نفسه في وجهتي نظـــر مختلفتـــين بـــين فريق داع إلى منح فرق التفتيش مزيداً من الوقت لنزع أسلحة العراق خاصة فـــي ظل إعلان "البرادعي وبليكس" من تعاون العراق بشكل مُرضٍ فضلاً عـــن عـــدم استطاعة فِرَقِهِم العثور على أثر لعين لما يسمى بأسلحة الدمار الشامل المزعومـــة بالإضافة إلى تقديم العراق طواعية لملف صواريخه التقليدية طـــراز "صـــمود ٢ ، الفتح" حيث تجاوز الصاروخ صمود ٢ المدى المقرر به بمسافة ٣٣كم بينما المقرر له ١٥٠كم ، وبلغ صاروخ الفتح مدى ١٦١كم بزيادة مقدارها ١١ كم عن المـــدى المسموح به وهو كذلك ١٥٠ كم ، وبدأ العراقيون في تدمير تلك الصواريخ بنـــاء على طلب رئيس لجنة نزع الأسلحة "هانز بليكس" ، يتزعم هذا الفريـــق [روســـيا والصين وألمانيا وفرنسا].

وفريق آخر يؤيد سرعة ضرب العراق حجتهم في ذلك الإسراع فـــي نـــزع الأسلحة الفتاكة لدى العراق والإطاحة بالرئيس العراقي "صدام حسين" باعتبـــار أن العراق مُنح كثيراً من الفرص لم يستغل إحداها ، يتزعم هـــذا الفريـــق [الولايـــات المتحدة وبريطانيا واستراليا وأسبانيا وبولندا].

ومع إصرار الإدارة الأمريكية على ضرب العراق سارت عجلة الحرب نحو الاندفاع السريع بحيث لا يتمكن أحد من الوقوف أمام دورانها الجارف ، مما يعطي دلالة أكيدة على أن قرار الحرب على العراق قد تم اتخاذه واعتماده منذ فترة.

وبدأ صدام حسين في التعبئة العامة والاستعداد الجيد لخوض الحرب القادمة. فاجتمع بحكومته وبقيادة قواته المسلحة من الجيش النظامي والحرس الجمهوري ، والحرس الجمهوري الخاص "فدائيي صدام" ومقاتلي حزب البعث العربي الاشتراكي "الحاكم" وتم الاتفاق على الاستراتيجية العسكرية الدفاعية القاضية بتقسيم ساحة المعارك في العراق إلى أربع مناطق عسكرية على النحو التالي :

المنطقة الشمالية: الموصل – كركوك – تكريت ، برئاسة عِزَّه إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية.

المنطقة الوسطى : برئاسة قصي صدام حسين.

المنطقة الجنوبية : مركز قيادتها البصرة برئاسة علي حسن المجيد ابن عم صدام حسين.

منطقة الفرات الأوسط : بقيادة مزبان خضر هادي بينما يتم توزيع تلك القوات على المناطق الرئيسية والمدن الكبرى في كل القطاعات بما يعني أن مساحة كبيرة من الأراضي العراقية ستكون مكشوفة وبلا وجود أي دفاعات أو قوات عراقية ، والجدير بالذكر أن مساحة العراق الكلية تبلغ ٤٣٨ ألف كيلومتر مربع.

أما القوات العراقية فقوامها بعدما تبقى لها من حرب الخليج الأولى والثانية كالآتي :

أ) القوات البرية : سبعة عشر (١٧) فرقة منها :

١٣ فرقة مشاه راكبة على عربات

٤ فرق مشاه راكبة على دبابات

بالإضافة إلى ٦ فرق مدرعة.

ب) السلاح الجوي: ١٦٠ طائرة هيلوكبتر – ١٣٠ طائرة هجوم أرضي – ١٨٠ مقاتلة.

ج) ٢٦٠٠ دبابة – ٢١٠٠ قطعة مدفعية

بينما يبلغ تعداد أفراد الجيش العراقي ٤٠٠٠٠٠ "أربعمائة ألـف" مقاتـل تـم توزيعهم على خمسة جيوش قوامها ٢٣ فرقة قوام كل جيش من ٤ : ٥ فرق بحيث يتم توزيع الأربعة جيوش على الأربع مناطق طبقاً للتوزيعات المـذكورة بحيـث تختص "تكريت" مسقط رأس الرئيس العراقي و"بغداد" العاصمة العراقيـة بجـيش خاص بكل منهما.

وقد أمر صدام حسين بتعيين وزير الدفاع العراقي "سلطان هاشم أحمد" نائبـاً لرئيس الجمهورية لضمان ولائه.

أما الحرس الجمهوري وهو بمثابة قوة خاصة يقف أفراده العاملين بين ألويته ضمن ٣ فرق مدرعة ، و٥٠٠ قطعة مدفعية وحوالي ٨٠٠ دبابة سوفيتية الصنع و ١١٠٠ مدرعة.

وهم يقفون خطاً للدفاع الأول والأخير عن بغداد ، هذا بخلاف قوات الحـرس الجمهوري الخاص المعروفة باسم "فدائيو صدام" وهي تضم ما بين ٢٠ : ٢٥ ألف مقاتل مكلفين بحماية بغداد وتكريت ومدربين جيداً على حرب المدن.

وقد تم تقسيم الحرس الجمهوري العراقي إلى ٦ فرق مع تقسيم العراق إلى ٤ مناطق . واستلزم ذلك حدوث نوع من تغيير تمركز قوات الحـرس الجمهـوري وخروجها من معسكراتها وبقيت واحدة في جنوب بغداد حيث "القاعدة الدائمة".

وتوجهت فرقة إلى تكريت وما حولها ، أما الأربع فرق الباقية فقامت بعمـل سياج أو دائرة حول بغداد .

أما وقد تم توزيع الجيش العراقي والحرس الجمهوري طبقاً لما تقدم ذكره في مرحلة هي الأدق وظروف هي الأخطر وأيام هي الأصعب لا على العراق فحسب بل على المنطقة العربية كلها ومنطقة الشرق الأوسط. بل وتَسْبق الحاضر إلى درجة تحديد ملامح أجيال أخرى قادمة لعشرات السنين في العالم كله.

لذا أرى أنه من الضروري بمقدار تسليط الضوء على القيادات العراقية التي تتولى إدارة العراق في هذه المرحلة الحرجة والدقيقة والخطيرة لأن التاريخ سيذكر الأحداث في صفحاته كما أنه لا زال يذكر سقوط بغداد على يد التتار في ١٢٥٨م بقيادة "هولاكو" الذي احتل بغداد ودمر حضارتها الزاهرة وقضى على الخلافة العباسية وذبح أكثر من مليون مسلم في أكبر مذبحة عرفها التاريخ كما أنه لازال يذكر كذلك احتلال الغازي التركي المغولي "تيمورلنك" لبغداد عام ١٤٠١م(١).

صدام حسين التكريتي

رئيس الجمهورية منذ ١٩٧٩/٧/١٦ ورئيس الوزراء منذ مايو ١٩٩٤.

قصي صدام حسين "مواليد ١٩٦٦"

المشرف على الحرس الجمهوري والحرس الجمهوري الخاص ورئيس منظمة الأمن الخاص العراقية ورئيس حزب البعث الحاكم اعتباراً من مايو ٢٠٠١ .

الفريق أول سلطان هاشم أحمد

وزير الدفاع منذ عام ١٩٩٥ ، شارك في الحرب مع إيران منذ عام ٨٠ : ١٩٨٨ وحرب الخليج الثانية عام ٩١ كما وقع على وقف إطلاق النار الذي أوقف الحرب وهو ضابط مخابرات عسكرية.

الفريق علي حسن عبد المجيد

عضو مجلس قيادة الثورة العراقية ، أحد اقرب مستشاري صدام ويعتمد عليه صدام في حل المشاكل وهو المُنفذ الرئيسي لتعليمات الرئيس وسياساته ، ثم أُطلق عليه

---

(١) موجز تاريخ العالم ، ص : ١١١ ، ١١٤.

اسم "علي الكيماوي" بسبب مسئولياته عن قمع الأكراد بالأسلحة الكيماوية عام ١٩٨٨ والتي راح فيها أكثر من مائة ألف كردي ، صار مُحافظاً للكويت أثناء احتلالها عام ١٩٩١/٩٠ ويعمل محافظاً لجنوب العراق حتى اللحظات الأخيرة.

طه ياسين رمضان

نائب الرئيس العراقي ساعد في تخطيط وتنفيذ انقلاب ١٩٦٨ الذي وضع صدام على رأس السلطة ، وينتمي إلى الأكراد وقد نجا من عدة محاولات لاغتياله.

عزّة إبراهيم

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ، وُلِدَ في ١٩٤٢ ، أحد أقرب مستشاري صدام حسين ، ساعد على تخطيط وتنفيذ انقلاب ١٩٦٨ الذي جعل صدام سكرتيراً ونائباً لرئيس العراق بالوكالة في مجلس قيادة الثورة وهو الانقلاب الذي جعل صدام على رأس السلطة عام ١٩٧٩م.

وهكذا أمست القيادة العراقية وقد أتمت استعداداتها للدفاع عن التراب الوطني العراقي قدر المستطاع وحتى النفس الأخير.

وعلى ضوء التطورات الإقليمية والدولية الأخيرة باتت المنطقة على شفا بركان يغلي يوشك أن ينفجر فيطيح بمَن فوقه ومَن حوله ويهدد بآثاره أجيالاً أخرى قادمة ، خاصة مع اجتماع قمة الحرب في إحدى الجزر الصغيرة المنعزلة بعيداً عن العالم الرافض لفكرة الحرب. فقد اجتمع الثلاثة [رئيس الوزراء الأسباني "خوزيه ماريا أزنار" ، ورئيس الوزراء البريطاني "توني بلير" ، والرئيس الأمريكي "بوش الثاني"] داخل قاعدة عسكرية أمريكية في جزر "الأزور" البلغارية في ٢٠٠٢/٣/١٧ وقد اعتمد الثلاثة خطة الحرب المُعَدة سلفاً وكذلك ساعة الصفر لبدء المرحلة الافتتاحية للعمليات العسكرية ضد العراق . ثم عادوا إلى مَراتعهم .

وفور عودته إلى أمريكا خاطب بوش شعبه والعالم وأعلن أنه والحلفاء يُمهلون العراق والأمم المتحدة مهلة أقصاها ٤٨ ساعة للإعلان عن فشل الجهود

الدبلوماسية ، وأضاف أن ساعة الحقيقة قد اقتربت كما أعلن عن إمهال صـــدام ٤٨ ساعة للتنحي عن السلطة ومغادرة العراق .

جاء ذلك في الوقت الذي تواصل فيه أمريكا حشد قواتها وتحريكهـــا لإعـــادة انتشارها في الخليج .

وجاء الرد العراقي برفض صدام حسين لإنذار بوش فور سماعه فجر الثلاثاء ٢٠٠٣/٣/١٨ وعقد اجتماعاً عسكرياً برئاسته في وجود ابنه قصي لدراســـة سُـــبل مواجهة العدوان الأمريكي الوشيك.

٢- الاختلاط

اختلطت الأوراق وتباينت المواقف وتعددت الآراء واختلفــت الأهــواء فـــي التعامل مع الأوضاع الشائكة الراهنة ، فبريطانيا وأمريكـــا تَرَاجَعَتـــا عـــن تقـــديم مشروع قرار جديد لمجلس الأمن يسمح باستخدام القوة ضد العراق خشية استخدام فرنسا وروسيا "حق النقض – الفيتو" تفادياً لحدوث انقسام في مجلس الأمن خلافـــاً للفشل الأمريكي الرامي للحصول على تأييد الحد الأدنى اللازم لمشروعهما.

وقد دعت الخارجية البريطانية رعاياها لمغادرة العراق والكويت معاً.

وفي فرنسا أعلن الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" عن تقديم مشـــروع يُعطـــي العراق مهلة ٣٠ يوماً للتخلص من أسلحته ، بينما البعثات الدبلوماسية فـــي بغـــداد والكويت بدأت في غلق أبوابها ومغادرة العراق بالسيارات إلى الأردن عدا فريـــق الأسلحة الموجود في العراق فقد ظل حتى اللحظة الأخيرة يواصل تحطيم صواريخ الصمود ٢.

وكانت المفاجئة التي دوّت في بريطانياً وحركت ضمير الأحرار في العـــالم ، وجاءت بإعلان وزير شئون البرلمان البريطاني "روبين كوك" استقالته من حكومة "بلير" احتجاجاً على التبعية العمياء لأمريكا.

محمد البرادعي يُعلن عن تلقيه أمراً مُباشراً من الحكومة الأمريكية بسحب المفتشين الدوليين من العراق ويقول أنه أخطر على الفور مجلس الأمن والأمين العام للأمم المتحدة.

أما الأمين العام للأمم المتحدة فقد طلب سحب المفتشين الدوليين القائمين بنزع أسلحة الدمار الشامل والموظفين الدوليين وقوات المراقبة الدولية على الحدود بين العراق والكويت.

وعلى الجانب الآخر فإن القوات الأمريكية والبريطانية ترفع درجة الاستعداد القصوى في الكويت ومنطقة الخليج.

وعلى المحيط العراقي أعلنت القيادة الكردستانية في شمال العراق أن أمريكا أنزلت قوات لها في شمال العراق الذي لا يخضع لسيطرة الحكومة المركزية في بغداد وأن ثلاثة مطارات قد تحولت إلى قواعد عسكرية مكثفة بعد أن واصل الأمريكيون نقل العتاد العسكري من قاعدة الإسكندرونة التركية إلى شمال العراق.

وفي تركيا فقد أعلن المتحدث باسم الرئاسة التركية أن تركيا ستُقدم على تقديم التسهيلات المطلوبة للولايات المتحدة حرصاً على مصالح تركيا الوطنية العليا وستفعل كل ما هو ضروري لتحقيق ذلك ، وقد طار وزير الدفاع التركي إلى أمريكا للمساومة على نشر قوات أمريكية في تركيا.

وقد تسربت أنباء عن اتجاه نيّة الأتراك دخول قواتهم إلى شمال العراق مما دعا بوش إلى إرسال رسالة عاجلة إلى "رجب طيب أرطوغان" رئيس الوزراء التركي يحذره فيها من أن دخول القوات التركية إلى شمال العراق من غير مشاركة أمريكا فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى صدام مسلح بين أمريكا وتركيا.

وفي طهران أعلنت القيادة الإيرانية عن الإفراج عن ٤٠٠ أسير عراقي على معبر حدودي يربط بين البلدين ، والعراق يُفرج عن ٣٠٠ أسير إيراني.

وبينما القوات الأنجلوأمريكية في الخليج تحزم أمتعتها ومعداتها وتُجري اللمسات الأخيرة استعداداً للحرب قامت إسرائيل بتكثيف حشودها العسكرية على حدود لبنان فيما يُعد رسالة تحذير إلى دول الجوار وفي مقدمتهم سوريا ولبنان وللحيلولة دون وقوع هجوم محتمل يمكن أن يقوم به رجال المقاومة وحزب الله الشيعي انطلاقاً من معقلهم في الجنوب اللبناني.

وفي سبيل تأمين مخاوفها أقامت إسرائيل محطات الإنذار المبكر لمراقبة لبنان بينما تقوم طائراتها بطلعات في الأجواء اللبنانية.

أما لبنان فرفض طلباً أمريكياً بترحيل دبلوماسيين عراقيين قالت أمريكا أنهم يعملون جواسيس.

ولما تكشفت النيّة الأمريكية على انعقادها لغزو العراق صرح وزير الخارجية الروسي "إيجور إيفانوف" أن القرار لم يعطِ لأحد حق استخدام القوة من دون الرجوع للأمم المتحدة.

بينما أعلن رئيس وزراء الصين أن بلاده لن تتخلى عن الجهود الدبلوماسية لحل الأزمة العراقية.

وأُعلن في أوروبا عن اجتماع طارئ لوزراء خارجية الاتحاد الأوروبي في محاولة لتطويع الظروف الراهنة وتوظيفها.

وأعلنت بولندا أنها لن تسحب بعثتها الدبلوماسية من بغداد حتى وإن اندلعت الحرب على الرغم من كون بولندا ضمن ما يُسمى بدول التحالف بينما طردت إستراليا البعثة الدبلوماسية العراقية المعتمدة لديها من أراضيها.

وتنفيذاً لقرار "عنان" انسحبت قوات المراقبة الدولية العاملة على الحدود الكويتية العراقية وهو قرار غير مسئول لأنه يُعد تخلياً من الأمم المتحدة عن العراق.

وبدأت الدفعة الأخيرة من المفتشين الدوليين مغـادرة العـراق إلـى مطـار "لارناكا" بقبرص مساء الثلاثاء ١٨/٣/٢٠٠٣.

وفي ذات يوم الإنذار الأمريكي الأخير بإمهال صدام بالمهلة المذكورة وبعـد عودة "توني بلير" رئيس الوزراء البريطاني يقف أمام مجلس العمـوم البريطـاني ليُعلن أن الحرب القادمة ستحدد ملامح العلاقات الدولية للجيل القادم والطريقة التي ستتعامل بها لندن وواشنطن مع القضايا الأمنية الرئيسية وناشد مجلس العموم دعم موقفه تجاه العراق.

وقد صرح "روبين كوك" الوزير المستقيل أن بريطانيا لا يمكنها الدخول فـي حرب بدون موافقة المجلس. هذا وقد تقدم وزير الداخلية البريطانيـة باسـتقالته ، وتَبِعَهُ وزير الصحة البريطاني احتجاجاً على سياسة "بلير" تجاه العراق.

إلا أن "بلير" نجح في انتزاع موافقة مجلس العموم على المشاركة في الحرب المحتملة ضد العراق ، وفي النهاية أكد "بلير" على أن الإطاحة بنظام صدام حسين هي أحد أهداف الحرب الأمريكية البريطانية على العراق ، وأضاف أنه كان مـن الممكن تفادي استخدام القوة في حال قبوله مغادرة العراق طواعية ولكن حيث أنـه لم يفعل ذلك فعليه أن يتحمل العواقب ، وأضاف "بلير" أن عوائد البتـرول سـتعود بالكامل للشعب العراقي كما ستتم إعادة بناء العراق لتحقيق سلام ورخـاء الشـعب العراقي وأكد التزام بلاده وواشنطن بتحقيق السلام في المنطقة.

وفي واشنطن وعقب مباحثات وزير الدفاع التركي مع المسئولين الأمـريكيين تم الإعلان عن مساعدة أمريكية عاجلة لتركيا إذا ما وافقـت علـى نشـر قـوات أمريكية على اراضيها ، وأعلن باول عن أمله في موافقة البرلمان التركـي علـى ذلك ، ومن فوره أعلنت الحكومة التركية أنها تبحث اليـوم قـراراً جديـداً يجيـز السماح لأمريكا باستخدام أراضيها.

وتلك كانت بداية الموقف التركي "المُحيّر" وغير الواضح تجاه العراق ، وأمام الدولار الأمريكي الذي يدان له بالفضل في تسييس المواقف وتطويع الإرادات ، وهو ما سوف نتبينه خلال الموضوعات القادمة.

وفي بكين أجرى الرئيس الصيني الجديد اتصالات بالرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" والفرنسي "شيراك" ثم قال في تصريح مُقْتضب "ليس من حق أحد أن يغلق أبواب السلام".

وأُعلن في مُوسكو أن البرلمان الروسي أرجأ التوقيع على اتفاقية خفض الأسلحة النووية الموقعة مع أمريكا بسبب المتغيرات السياسية.

وفي إيطاليا أعلن الفاتيكان أن أمريكا ومؤيديها مسئولون أمام الله.

وفي القاهرة كان الإعلان عن إلغاء الأمين العام للجامعة العربية لزيارته للعراق.

وفي وسط المعترك القائم والتيارات المتلاحقة كرر صدام حسين رفضه للإنذار الأمريكي وأضاف "عُدَيّ صدام" ابنه الأكبر بعد رفضه للإنذار بأن العراق سيخوض حرباً دامية ضد الولايات المتحدة.

وأعلن المتحدث باسم البيت الأبيض "إيري فلايشر" بوصف رفض صدام لإنذار بوش بأنه الخطأ الأخير ، مكرراً بذلك قول بوش في وقت سابق ، إلا أن فلايشر أكد على أن القوات الأمريكية ستدخل العراق حتى لو رحل صدام إذعاناً لإنذار بوش.

وفي سباق مع الزمن غادرت بغداد الدفعة الأخيرة من المفتشين الدوليين والصحفيين والموظفين الأجانب إلى قبرص بالإضافة إلى ٥ طائرات "هيل" غادرت العراق (كانت تتبع الأمم المتحدة).

٣- التحولات

تأكد للجميع اعتلاء الولايات المتحدة فوق الأمم المتحدة ، ضاربة بذلك القوانين والأعراف والمواثيق الدولية ، وقد تثبت الجميع من أنها ماضية في سبيلها نحو احتلال العراق والسيطرة على حقول نفطه الغزيرة ومن ثم إعادة ترتيب الأوراق الدولية والأوضاع الشرق أوسطية خاصة مع وضع يدها فعلياً على ثلثي احتياط البترول العالمي بالسطو على العراق وبالاتفاق مع دول الخليج سداداً لفواتير الحرب الأمريكية المستحقة منذ حرب الخليج الأولى.

فليس الآن من باب أمام الدول الصناعية الكبرى وأصحاب المصالح سوى نفض أيديهم من اللعبة ، ثم العمل من جديد على تسييس المواقف وتليين الأفكار بقصد الإبقاء على مصالحهم واستمرار وجودهم من أجل محاولة الاندماج والتعايش السلمي في إمبراطورية "وحيد القرن" بعد فشل العالم أجمع في إقناع أمريكا بالتخلي عن قرار الحرب أو منعها عند قيامها أو رفع آثارها بعد وقوعها.

وقد أفلح السفير الفرنسي لدى واشنطن بقوله إن استخدام العراق لأسلحة كيماوية سيقلب تماماً موقف فرنسا المناهض للحرب وأنها مستعدة للمشاركة في الحرب ضده.

وعلى ذات الإيقاع لعب الرئيس الروسي "بوتين" حيث اتفق مع نظيره الأمريكي على الإبقاء على العلاقات الثنائية بين بلديهما رغم الخلاف بشأن العراق.

وفي أسبانيا ونزولاً على رغبات المواطنين المشاركين في المظاهرات الحاشدة أعلن رئيس الوزراء الأسباني أن بلاده لن تشارك في الحرب المرتقبة على الرغم من تأييد حكومته التي تلاقي معارضة جماهيرية تبلغ ٩٤% من مجموع الأسبان.

وفي استراليا استمرت الحكومة برئاسة "جون هارد" في السير علـــى الـــنهج البريطاني بالأصالة ، الأمريكي بالتبعية متحدياً بذلك رغبة شعبه.

وفي مصر أعلن المستشار الاقتصادي لرئيس الوزراء أن خسائر مصر مـــن ضرب العراق تتراوح بين ٨ : ١٥ مليار دولار بينما طار وفد اقتصادي مصـــري إلى واشنطن في وقت سابق لعرض مطالب مصـــر وتعويضـــها عـــن الأضـــرار الاقتصادية الواقعة عليها من جراء الحرب المتوقعة وقد تم الإعلان عبـــر وســـائل الإعلام الرسمية في كل من مصر وواشنطن بأن مصر قد تسلمت ما قيمتـــه ٣,٢ مليار دولار كجزء من قيمة التعويضات ، وكذلك كان مع الأردن ولم نتمكن مـــن الحصول على حقيقة أرقام المبالغ التي تسلمتها الأردن. وفيمـــا يخـــص تعـــويض الأتراك فقد شهد مراحل من الجذب والطرد في حدود ما أعلنته أمريكا سابقاً وهـــو مبلغ ٦ مليارات دولار نظير التعاون بشكل كامل يضمن فـــتح الأجـــواء التركيـــة واستخدام موانيها والمرور بأراضيها ، ونشر قوات أمريكية عليهـــا بينمـــا تصـــر الحكومة التركية على مبلغ ٢٤ ملياراً من الدولارات.

وفي وارسو حيث الحكومة البولندية لم تسحب بعثاتها الدبلوماسية من العراق فأتت عُجاباً بإرسال جنودها للاعتداء على العراق ضمن ما أسموه قوات التحالف. ولا أرى ذلك إلا تحقيقاً لبعض الأهداف وإصابة بعض المصالح من أهمها :

الأول : لقاء حفنة من الدولارات لمساندة الاقتصاد المتردي.

الثاني: رداً لجميل الولايات المتحدة التي ساعدت حزب العمال البولندي المعارض بقيادة "لث فاونسا" على التمرد ضد الحكم الشيوعي حتى استقلت بولنـــدا بمســـاندة أمريكية صريحة عسكرية وسياسية واقتصادية ودبلوماسية في المحافل الدولية.

الثالث : توفير فُرص عمل للبلاد التي تعاني مشاكل اقتصادية ضمن مـــا يســـمى بإعادة الإعمار المزعوم.

وفي السويد أعلن وزير خارجيتها أن إنذار بوش لصدام خروج على الشرعية الدولية .

أما طوكيو فإن التأييد الياباني المطلق للموقف الأمريكي البريطاني فيرجع إلى شدة حاجة الحكومة اليابانية إلى المساندة الأمريكية في مواجهة المشكلة الكورية وقنبلتها النووية وليس نتاج قناعة.

أما بعض دول أوروبا الشرقية فإن قياداتها الضعيفة التي لا قيمة مادية أو سياسية أو عسكرية لها قد وضعت نفسها في تعارض مع الجغرافية الأوروبية الأمر الذي سيضعها أمام مصادمات سياسية في أول انتخابات قادمة مع الناخبين والمعارضة لاسيما وأن قطاعاً كبيراً من الرأي العام في أغلب تلك الدول يقف مع الجبهة الرافضة للحرب.

وفي طهران حدث تحول كبير مُرْضٍ في علاقاتها مع العرب بدأ بزيارة وزير الخارجية الإيراني للعاصمة السعودية الثانية "جدة" لمناقشة الأوضاع الراهنة.

بوينج يانج : حذرت كوريا الشمالية من الحرب على العراق ومن زيادة التوتر في شبه الجزيرة الكورية .

وفي واشنطن : البيت الأبيض يعلن أنه لا مؤشرات لرحيل صدام خلال المهلة الممنوحة لهُ والتي ستنتهي بعد غد الخميس.

وسيول الصحفيين والدبلوماسيين والرعايا الأجانب تغادر العراق والعاملون بالسفارة الفرنسية في بغداد يتوجهون بالسيارات إلى الأردن هرباً من العراق.

الإدارة الأمريكية تُحمل فرنسا مسئولية الانقسام الذي حدث في مجلس الأمن. ورد السفير الفرنسي لديهم مكرراً تصريحه السابق وقد اتضح عندئذ أن الدبلوماسية الفرنسية تتحدث بلسانها الفرنسي وبالإنجليزية الأمريكية ولسان عربي مختلف ومتباين فهي واقعة بين نارين .. مصالحها عند العرب وخاصة في العراق

ومسايرة الحليف الاستراتيجي والعضو الأقوى في حلف الناتو والعضو الزميل الدائم في مجلس الأمن وقائد مسيرة النظام العالمي الجديد (نظام اللانظام) القائم على الديكتاتورية والهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على العالم.

وفي أم الأحداث .. د. ناجي صبري وزير الخارجية العراقي – من بغداد – ينتقد قرار الأمم المتحدة بسحب المفتشين الدوليين ويشن هجوماً عنيفاً على الولايات المتحدة قائلاً : "إن مخطط واشنطن هو الاستيلاء على نفط العراق ونفط المنطقة كي تتحكم بمصير العالم .. كي تتحكم في تقدم أوروبا وتقدم اليابان وآسيا واقتصاديات العالم بأسره وكي تخدم إسرائيل.

والجدير بالذكر أنه من أهم نتائج إنذار الرئيس الأمريكي بوش الثاني فجر الثلاثاء ٢٠٠٣/٣/١٨ للرئيس العراقي صدام حسين بالتنحي عن السلطة ومغادرة العراق إلى حيث شاء خلال مدة أقصاها ٤٨ ساعة أنه وحد المشاعر الدولية على مستوى المواطنين ووحد أهدافهم وقد عبروا عنها جدياً وعملياً وجلياً من خلال المظاهرات العارمة التي ما فترت تهدأ في العالم كله من أمريكا إلى استراليا ومن جنوب أفريقيا إلى شمال أوروبا.

٤- الساعات الأخيرة

وتندفع عجلة الحرب بسرعة مجنونة نحو المجهول ولم يتبق على انقضاء المهلة سوى أقل من أربع وعشرين ساعة ..

والموقف الدولي يزداد تراجعاً وتخاذلاً بينما يتم الأمريكيون استعداداتهم للحرب المرتقبة التي من أجلها عقد بوش اجتماعاً مع كبار مساعديه في البيت الأبيض فيما يُعد اجتماعاً لمجلس الحرب .. إنه اجتماع الخارجين على القانون ، وأرسل بوش فور انتهائه إلى الكونجرس برسالة يؤكد فيها أن المساعي الدبلوماسية لن تحمي أمريكا وأعلنهم فيها عن فشل الجهود الدبلوماسية بما يعني صراحة

إعلان الحرب وفقاً للقانون الأمريكي الذي أقرّهُ الكونجرس في أكتوبر ٢٠٠٢ والذي يُخوّل للرئيس سلطة إعلان الحرب شريطة إخطار الكونجرس بفشل المساعي الدبلوماسية.

وفي إسرائيل .. الجيش الأمريكي يُحكم قبضته على المدن الفلسطينية مستغلاً في ذلك الأوضاع الراهنة ..

وفي قاعدة "فيرفورد" الجوية البريطانية بدأ تجهيز طائرات "بي ٥٢ – قاذفات القنابل الثقيلة".

وانعقد مجلس الأمن في جلسة طارئة يمكن أن نطلق عليها جلسة "الوقت الضائع" أو "حفظ ماء الوجه" والتي انتهت كما بدأت فلم تسفر عن شيء ولم تنته إلى آخر ، وقد قاطع تلك الجلسة "كولين باول" ، ووزير الخارجية البريطاني "جاك سترو" لانعدام الجدوى منها بحسب تصريح باول.

ومن أهم النتائج التي تم التأكيد عليها بأسلوب غير مباشر أنه تم الإعلان عن أن الأمم المتحدة هي المرجع المعطل والمنتهي عمله بموجب الأوضاع الراهنة خاصة في ظل اعتلاء الولايات المتحدة فوق الأمم المتحدة وفوق القانون الدولي وخروجها على الشرعية بإصرارها على الاعتداء على العراق في الوقت الذي يُصر العالم كله على وجود تلك الشرعية واحترامها وإنهاء الأزمة العراقية داخل مظلة الأمم المتحدة وفي إطار من الشرعية والقانون.

وقد تصاعدت الحرب الإعلامية التي بدأت مبكراً بين الطرفين وهو مسلك من مسالك الحرب النفسية وفي إطارها ادعى ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة أن العراق وزع الأسلحة المحرمة دولياً على الحرس الجمهوري مما أدى إلى الإعلان عن استعداد الموقف الفرنسي للتراجع عن مواقفه المعلنة بشأن رفض ضرب العراق لرغبة فرنسا في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع أمريكا.

وفي تلك الجلسة فشلت أمريكا في الحصول على موافقة الأمم المتحدة في الحرب على العراق لعدم تمكنها من الحصول على موافقة تسعة أصوات من الخمسة عشر صوتاً المطلوبين ، مما جعلها تتراجع عن "مشروع بديل" لمجلس الأمن وتُقرر الذهاب لغزو العراق منفردة أو ضمن تحالف خارج الأمم المتحدة ودون الحاجة إليها ، وهو ما يُعد دليلاً آخر على فشل الإدارة الأمريكية في جوانب شتى من بينها العجز والتقاعس عن إنهاء النزاع العربي الإسرائيلي وهذا بدوره يؤكد على فشل ذريع في السياسة الأمريكية بسبب الحسابات الخاطئة.

وقد تحدث "هانز بليكس" فأعرب عن أسفه لعدم تمكن المفتشين الدوليين من استكمال مهامهم في العراق مشيراً للتقدم الذي تم إحرازه في مجال نزع أسلحة العراق وأشاد بتعاون العراق مع المفتشين الدوليين مؤكداً ضرورة الاعتراف بتلك الخطوة من جانب العراق إلا أنه أعلن في الوقت نفسه أنه بعد ثلاثة أشهر من التفتيش في العراق لا يمكن تحديد ما إذا كان العراق يمتلك أسلحة دمار شامل أو أسلحة بيولوجية.

ثم قدم ممثل المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية "مندوباً" عن السيد محمد البرادعي تقرير الوكالة إلى مجلس الأمن حول عمليات التفتيش في العراق.

أما وزير الخارجية الألماني فقد أكد على أنه من الممكن نزع أسلحة العراق بالطرق السلمية مؤكداً كذلك رفض بلاده بإصرار للحرب ضد العراق ، وكرر "فيشر" أن الأمم المتحدة هي الإطار الوحيد القادر على نزع أسلحة العراق مؤكداً أهمية تقديم المعونات الإنسانية للشعب العراقي.

وأعلن وزير الخارجية الفرنسية أن الحرب في العراق ستؤدي إلى تفاقم الإرهاب في الشرق الأوسط وأن الوقت الحالي يستوجب تماسك المجتمع الدولي لمعالجة الاحتياجات الإنسانية للعراق.

أما وزير الخارجية الروسي "إيجور إيفانوف" فقد أعلن أن مجلس الأمن حال موافقته بالإجماع على القرار ١٤٤١ يكون قد تحمل مسئولية جسيمة بالاستمرار في عملية نزع سلاح العراق ، وأن تقرير "البرادعي وبليكس" يوضح بجلاء أن المفتشين الدوليين قد نجحوا في تحقيق نتائج ملموسة في العراق وأضاف إيفانوف أن الأمم المتحدة "لم تُقر" إطلاقاً شن حرب للإطاحة بحكومة العراق.

وتحدث وزير الخارجية السوري "فاروق الشرع" فقال : أن بلاده ترفض الحرب على العراق وترفض كل الدعوات التي تشجع على شن تلك الحرب مؤكداً أنه لا يوجد مبرر لها وأعلن الشرع أن المهلة التي قدمها الرئيس بوش للعراق هي مخالفة للشرعية الدولية مؤكداً أن الهدف من الحرب هو احتلال العراق.

وقال وزير خارجية باكستان أن المساعي الدبلوماسية لا ينتهي وقتها أبداً حتى مع استخدام القوة مؤكداً أن مجلس الأمن والأمم المتحدة وظيفتها الأساسية هي تحقيق السلام.

أما وزير خارجية المكسيك فقد أكد على أن بلاده تؤمن بضرورة وجود الأمم المتحدة لأنها تمثل أمل العالم في تحقيق السلام والاستقرار للشعوب.

وتحدث كوفي عنان – أو – "أنان" فقال أن الحرب الوشيكة على العراق خَيّبت آمال ملايين الأشخاص عبر العالم وأضاف أنه بموجب القانون الدولي يتعين على الولايات المتحدة وبريطانيا حماية المدنيين العراقيين خلال الحرب.

وفي إطار الحرب الإعلامية والنفسية المتبادلة بين الطرفين أعلنت وسائل الإعلام الغربية عن هروب طارق عزيز نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي وخمسة عشر جندي من الجيش العراقي إلى المنطقة الكردية الشمالية ، وقد ظهر عزيز في التليفزيون العراقي فور تصدير تلك الإشاعة نافياً بذلك الادعاءات الأمريكية الهادفة إلى النيل من وحدة الصف العراقي وإثارة البلبلة وإشاعة الفوضى وحدوث الانقسامات بين القادة العراقيين ، وقد اعتُبرت تلك الكذبة بمثابة افتضاح

للإعلام الغربي كله الذي لعب أقذر الأدوار على إطلاقها ومارس أخس أشكال التضليل والخداع بما سوف يرد في حينه .

٤- محور الشرق

لا يجب إغفال القضية المحورية في أزمة الشرق الأوسط التي شارفت على القرن من الزمان ومنذ بدايات تدفق الهجرات اليهودية علناً إلى فلسطين قبيل الحرب العالمية الأولى منذ مطلع القرن العشرين.

ففي وسط الأحداث الساخنة في المنطقة يجب التذكير بهذه القضية خشية السقوط المؤقت أو المرحلي طبقاً لتحديد الأولويات وبروز الاهتمامات خاصة أنه من بين الأهداف الرئيسية غير المعلنة للحرب على العراق حماية أمن إسرائيل ، وذلك عن طريق تدمير العراق وتحييده ، وإخراجه من دائرة الصراع العربي الفلسطيني ، ثم يأتي بعد ذلك مباشرة الضغط على سوريا بالتهديد والوعيد لإجبارها على تقديم أقصى التنازلات لصالح الكيان الصهيوني "إسرائيل" ، خاصة أن ما سيحدث للعراق سيقع على أعين القيادة السورية التي عليها حينئذ أن تختار ما بين المصير العراقي أو التسليم بالمطالب الأمريكية لصالح الدولة الإسرائيلية.

ولن أتعرض تفصيلياً للمشكلة الفلسطينية التي سبق تغطية أحداثها ، إنما أوجز قدر المستطاع حتى لا تسقط منا على حين غفلة ونحن مشتغلون بموضوع الساعة "الأزمة العراقية".

فمنذ بداية الانتفاضة الفلسطينية في سبتمبر ٢٠٠٠ حتى نهاية فبراير ٢٠٠٣ بلغ عدد شهداء الانتفاضة[1] ٢٨٣٦ شهيداً من بينهم ٥٤٤ طفل دون الثانية عشرة و١٦٦ امرأة و٩٨ مريضاً توفوا أو استشهدوا على الحواجز الأمنية قبل وصولهم إلى المستشفيات ، وبلغ عدد الجرحى ٤٣٤٠٠ جريحاً ، بالإضافة إلى تدمير

(1) مسئول فلسطيني في حديث لبرنامج "صامدون" – قناة النيل للأخبار – قبيل الحرب.

١١٦٠ منزل بواسطة البلدوزرات واللوادر الإسرائيلية وأصبحت ٨٠٠ أسرة بلا مأوى ، إلى جانب تدمير ونهب ١٥٨ مشغل ومتجر صغير ومحلات لصغار التجار .

وفي يناير وفبراير فقط من العام الحالي "٢٠٠٣" هدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي ٢٠٠ مائتي منزل ..!

فما هي إذاً الحصيلة المتوقعة بالأرقام حال شن الحرب على العراق ؟

أما في مارس ٢٠٠٣ وحتى العشرين منه فقد وقع من الفلسطينيين ٨٢ شهيداً بعد تصعيد شارون لحملات اعتقالاته وتنشيط فرق اغتيالاته ، وأصيب مئات الفلسطينيين من القصف العشوائي للقوات الإسرائيلية التي اعتقلت "حسام خضر" عضو المجلس التشريعي الفلسطيني . الأمر الذي جعل د. صائب عريقات رئيس المجلس يطالب المجتمع الدولي بضرورة توفير مراقبين دوليين وبشكل فوري على الأراضي الفلسطينية.

هذا إلى جانب الضغوط الأمريكية الإسرائيلية على الصعيد السياسي الرامية إلى تقليص سلطات الرئيس الفلسطيني "ياسر عرفات" ونزولاً على رغبة شارون بعدم التفاوض مع عرفات عن طريق استحداث منصب رئيس وزراء للسلطة الفلسطينية علماً بأن هذه الفكرة ستشهد كثيراً من أشكال الجذب والطرد على الصعيد الفلسطيني بما يسمح لإسرائيل بكسب مزيد من الوقت لتفعيل مخططاتها والتهام المزيد من الأراضي الفلسطينية وإفساح المجال أمام المناورات على المستويات الثلاث [الداخلية – العربية – الدولية].

وكانت السلطة الفلسطينية قد حددت العشرين من يناير ١٩٩٦ لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي للمرة الأولى ورئيس السلطة الفلسطينية انتخاباً حراً مباشراً من قبل فلسطينيي الضفة والقطاع والقدس الشرقية.

ويتألف المجلس التشريعي من ٨٨ عضواً بالإضافة إلى رئيس السلطة التنفيذية ، ويختص المجلس بالمهام التشريعية والرقابية كما يلعب بعض الأدوار السياسية بحسب تطورات الأوضاع وبلغ عدد الناخبين مليوناً وثلاثة عشر ألفاً ومائتي ناخب بنسبة تصويت ٧٩% أما مجلس وزراء السلطة الفلسطينية فيعتبر بمثابة الحكومة ، وهو الأداة التنفيذية لما يتخذ من قرارات وما يتم الاتفاق عليه من اتفاقيات تختص بأمور تسيير الحكم الذاتي في أمور السلطة.

هذا ويتكون مجلس وزراء السلطة الفلسطينية من ياسر عرفات رئيساً ووزيراً للداخلية ومعه ٢٧ وزيراً ، ولم يتحدث أحد لا في الداخل الفلسطيني ولا في المحيط العربي عن فكرة استحداث منصب رئيس وزراء فلسطيني.

إن هي إلا فكرة شارونية وصناعة أمريكية خالصة تعرض بسببها الفلسطينيون إلى ضغوط دولية هائلة خاصة الأمريكية منها حتى تم تعديل نظام السلطة الفلسطينية للنص على تعيين رئيس لوزراء السلطة ويبقى عرفات رئيساً للسلطة ، وقد تسابقت القيادات العربية وجَدَّت واجتهدت في حث عرفات على الرضوخ لمطلب شارون فتم ترشيح "محمود عباس" الشهير بـ "ابو مازن" لهذا المنصب الجديد وباعتباره أول رئيس وزراء للسلطة الفلسطينية في هذه المرحلة الدقيقة من كفاح الشعب الفلسطيني وعلى مدى تاريخه منذ وقوعه تحت الانتداب البريطاني منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الآن.

لذا وجب إلقاء الضوء على شخصيته وتاريخه خاصة كونه يُمثل تلبية المطلب (الإسرائيلي / الأمريكي) الدولي للتفاوض معه على قيام الدولة الفلسطينية في ظل الرفض الإسرائيلي للتفاوض مع عرفات.

أبو مازن .. هو وجه الساعة على الساحة الفلسطينية ، رئيس الوزراء الفلسطيني الجديد ، من أبرز القيادات الفلسطينية خاصة وأنه كان يتولى أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قبل تكليفه بمهام منصبه الجديد. كما أنه

معروف جيداً لدى الأوساط العربية والإسرائيلية لما قام بـه مـن دور مهـم فـي المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية ، وبعد شد وجـذب اسـتمر لشـهور عديدة رشحه عرفات للمنصب ، وهو من مواليد ١٩٣٥ من لاجئـي عـام ١٩٤٨ الذين تم ترحيلهم إلى سوريا وقد رأس أبو مازن إدارة شـئون التفـاوض التابعـة للمنظمة منذ نشأتها عام ١٩٩٤ كما عمل رئيساً للعلاقات الدولية في المنظمة وعاد إلى فلسطين عام ١٩٩٥ وتأتي خطة ترشيح أبو مازن لهذا المنصب بعد تعـرض عرفات لعدة ضغوط أمريكية وإسرائيلية ودولية شديدة لإجراء ما أصـرت عليـه إسرائيل وأسمته بالإصلاحات السياسية في السلطة التنفيذية وتسليم شئون السـلطة اليومية إلى رئيس الوزراء ، ووفقاً للدستور الفلسطيني فإنه يجـب أن ينـال هـذا الترشيح موافقة المركزين التنفيذي والتشريعي الفلسطيني حتى يصبح أبـو مـازن بعدها أول من يشغل هذا المنصب في التاريخ الفلسطيني الحديث.

ويأتي تعيين أبو مازن كإحدى الخطوات التي طالبت بها جهات دولية عديـدة ومنها الاتحاد الأوروبي واللجنة الرباعية المنبثقة عن الأمم المتحـدة ، وجمـيعهم يطالبون بإصلاحات الأجهزة الأمنية وتعيين وزير للمالية وإيعـاد "محمـد رشـيد" المستشار المالي للسلطة التنفيذية ، وكلها خطوات توالى حدوثها بالفعـل لاقتنـاع السلطة بغيبة السند وانعدام البديل.

واختلف الفلسطينيون فيما بينهم بين مؤيد للإصلاحات ، وبين قائل أنه تـرف وأن الاشتغال بالصراع وإدارته أولى من إحداث هذه المناصب واستحداثها.

استجاب عرفات والمجلسان التشريعي والتنفيذي لتعيين أبو مازن الذي يلقـى قبولاً من الجبهة الداخلية والمجتمع الدولي ، ويحظى بالرضا الإسرائيلي خاصة لما قام به من دور فعال في المفاوضات السرية مع إسرائيل عام ١٩٩١ : ١٩٩٢ .

من هنا يمكن القول بأنه رجل المرحلة القادمة وإلى أجل قريـب تحـدد فيـه إسرائيل انتهاء صلاحيته وصلاحياته ، ثم استبعاده ، خاصة في ظل مـا تروجـه

إسرائيل بأن عصر عرفات قد انتهى ، والذي ترمي من خلاله إلى أن يدب الخلاف بين القيادات والفصائل الفلسطينية ما بين مؤيد لعرفات وتاريخه الطويل ، وبين أصحاب المذاهب الإصلاحية من بين أصحاب الكرافتات الشيك.

إلا أنه من الضروري بمقدار التأكيد على أن عرفات في حاجة لأبي مازن والعكس حفاظاً على المفاهيم الراسخة للوحدة الوطنية وعدم شق الصف وإذا كان "أبو مازن" هو مهندس اتفاقية "أوسلو" إلى جانب تاريخه الطويل كقيادي في حركة فتح ذات الثقل في المنطقة إلا أنه بدأ منصبه الجديد وأمامه عقبات كؤد منها الاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع واستمراره ، وأكثر من ٩٠٠٠ معتقل فلسطيني بالإضافة إلى ميراثه الثقيل المتمثل في قضية "اللاجئين والقدس" بالإضافة إلى محاولة التوفيق والجمع بين حركتي "الجهاد وحماس" ورعاية أبناء الشهداء والمعاقين.

بينما تعلق إسرائيل على تعيين أبو مازن آمالاً كبيرة كان قد صرح بها وزير الخارجية الإسرائيلي "سيلفان شالوم" عند قوله أن إسرائيل ستضع أبو مازن في المختبر للتعرف على ما إذا كان مستعداً لمحاربة الإرهاب .. أي القضاء على الجهاد الفلسطيني المستعر والقضاء على منفذي العمليات الاستشهادية التي يسميها الإسرائيليون "الانتحارية" أو "الإرهابية" ثم اعتقال جميع أعضاء حركتي الجهاد وحماس ، وتغيير المناهج التعليمية لتساير الأوضاع الجديدة ووقف التحريض داخل وسائل الإعلام الفلسطيني ضد إسرائيل.

وفي مقدمة الأهداف الإسرائيلية يأتي التعرف بجدية على حقيقة المُمْسك بزمام الأمور في فلسطين من الأهمية بمقدار لتحديد الخطوات التالية للتحضير ضد هذا أو التغليب على ذلك خاصة أن أبو مازن كشف أوراقه التفاوضية والسياسية مبكراً عندما أدلى بتصريح لوسائل الإعلام العالمية أنه سوف ينزع أسلحة حركة الجهاد الإسلامي "حماس" وكذلك "كتائب شهداء الأقصى" وهو الأمر الذي جعل بوش يُثني عليه ويمتدحه بأنه "رجل سلام"..

وسوف نتناول المستجدات أولاً بأول ضمن موضوعاتنا لأنه لا يمكن الفصل بين ما يجري في الشرق الأوسط على أرض عالمنا العربي من إبادة للفلسطينيين وتهديدات باحتلال العراق.

٥- إسرائيل

جاءت الأساطيل وأبحرت البوارج قاطعة آلاف الأميال من أقاصي الغرب "الولايات المتحدة" ومن أوروبا الشرقية والغربية ومن أقاصي الشرق من "استراليا" وكوريا الجنوبية ، كلهم مجتمعون تحت راية واحدة لتحقيق مصلحة واحدة هي القضاء على العالم الإسلامي بعد أن نجحت الدعاية الصهيونية السامة في ربطه بالإرهاب والربط بين الإرهابيين والإسلام خاصة مع عجز الإعلام العربي والإسلامي عموماً بتصحيح ما أفرخته الحملات الدعائية المعادية من ارتباط الجهاد بالإرهاب وتصوير ممارسة حق الدفاع عن الوجود والحياة والدين بأنه عمل تخريبي إرهابي إلى الحد الذي جعل الرئيس الأمريكي بوش يطالب العالم العربي في العام الماضي باستبدال كلمة "شهيد" إلى "إرهابي" عند الحديث عن العمليات الفدائية التي يُنفذها الفلسطينيون ..

لقد تداعت علينا الأمم في هذه الفترة من حياة العالم العربي والأمة الإسلامية لتحقيق بعض الأهداف المعلنة وغير المعلنة بينما تفتح الأخيرة باب الاجتهادات والإرهاصات أمام الباحثين والمحللين وأصحاب الفكر.

ويأتي حماية أمن إسرائيل وضمان سيادتها وتفوقها النوعي على العرب على رأس تلك الأهداف غير المعلنة وكذلك فإنه يتقدم أولويات المصالح الملحة باعتبار تشابك المصالح (الأمريكية / الإسرائيلية) وأطماعهما المشتركة عاملاً أساسياً جعل الولايات المتحدة تقوم بالحرب على العراق نيابة عن إسرائيل أو على الأقل دفاعاً استراتيجياً عن مصالحها وأمنها ..

وعلى صعيد التعاون الأمريكي الإسرائيلي أفادت وكالة "رويترز" ونقلت قناة الجزيرة "أن القوات الإسرائيلية الأمريكية بدأت مناورات مشتركة في ٢٠٠٣/١/١٧ على مستوى قوات الدفاع الجوي في صحراء النقب جنوب إسرائيل للتأكد من جاهزية القوات الإسرائيلية للتعامل مع أي صواريخ عراقية قد تتعرض لها إسرائيل خلال الحرب على العراق" ، وقال شارون إن إسرائيل اتخذت كل الاحتياطات الضرورية لحماية مواطني إسرائيل ودولة إسرائيل – على حد تعبيره– كما أكد على أن الرئيس العراقي كذب على الأمم المتحدة عندما ادعى أنه لا يملك أسلحة دمار شامل.

بينما أكد وزير الدفاع الإسرائيلي "شاؤول موفاز" على أن تلك المناورات هي جزء من دورة تدريبية عادية تهدف إلى التأكيد من قدرة كل النظامين الدفاعيين للبلدين على استخدام معدات النظام الآخر.

بينما تشير تلك التصريحات وتؤكد تلك التدريبات على إمكانية تورط إسرائيل في عمل ما ضد العراق حال اندلاع الحرب عليها.

ومن جانب آخر بدأت أجهزة الدفاع المدني الإسرائيلي توزيع الأقنعة الواقية على الإسرائيليين.

كما بدأت القوات الإسرائيلية المدربة جيداً على حرب المدن في تدريب القوات الأمريكية على حرب المدن وذلك استعداداً لخوض حرب الشوارع حال غزو العراق واقتضاء الضرورة عند دخول العاصمة "بغداد" والمدن الرئيسية الأخرى .. وذلك بحسب ما أفادت الأنباء الواردة والتي كشفت عنها وكالات الأنباء بعد ذلك ، هذا بالإضافة إلى العديد من الأدوار الخفية والمساعي السرية الرامية إلى سحق العراق والعراقيين طبقاً لما اعترف به الإسرائيليون أنفسهم.

فقد أذاع التليفزيون الإسرائيلي أنباء عن أن إسرائيل لعبت دوراً أساسياً في دفع الإدارة الأمريكية إلى شن حرب على العراق وفي تحديد أهدافها ، وقد ذكر

ذلك كل من مراسل القناة الأولى للتليفزيون الإسرائيلي "كيـرن نـويبخ" ، وكبيـر المعلقين بالقناة الأولى "أمنون أبرا موفيتش" وقد أجمع الثلاثة في روايات متقاربـة على أن مشروع الحرب من "وضع" ثلاثة هم من غلاة اليهود الأمريكيين ["ريتشار بيرل" كبير مستشاري وزارة الدفاع الأمريكية ، و"بول وولفوفيتز" نائـب وزيـر الدفاع الأمريكي ، و"دوجلاس فايت"].

طبقاً للروايات فإنهم الثلاثة الذين صاغوا أهداف الحرب وقاموا بالدور الكبير في حث الإدارة الأمريكية على شنها ، والمعروف أن "بيرل - فايـت" محسـوبان على الخط الليكودي الإسرائيلي بزعامة شارون ويعملان لحسابه ..

أما "وولفوفيتز" فهو يقف إلى يمين الليكود الأكثر تشدداً من شارون.

وأجمع الثلاثة العاملون في التليفزيون الإسرائيلي على أن اليهود الأمـريكيين الثلاثة عكفوا بعد شهر من تدمير مركز التجارة العـالمي فـي نيويـورك علـى الاجتماع بكل من "إفرايم هلايفي" الذي كان وقتذاك رئيساً للموساد ثم تولى لاحقـاً منصب مدير مجلس الأمن القومي الإسرائيلي ، وشارك في تلك الاجتماعات رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية "عاموس مالكا" وخلفه "أهـارون زئيفـي فركش" إلى جانب رئيس قسم الأبحاث في كل من الموساد وجهـاز الاسـتخبارات العسكرية الإسرائيلية بإسرائيل ، وكان هدف الاجتماعات هـو صـياغة أهـداف الحرب الميدانية والاستراتيجية.

وقد اتفق الجانبان على تشكيل لجنة أخـرى للتنسـيق العسـكري الأمريكـي الإسرائيلي المشترك تقوم إسرائيل خلالها بتقديم كل ما يتطلبه الجهد الأمريكي وقت الحاجة.

وبالتوازي مع الاجتماعات واللقاءات التي تمت بين الجانبين فقد شُكِّلت لجنـة أخرى للتنسيق السياسي يقف على رأسها من الجانب الأمريكـي بشـكل خـاص

المستشارة لشئون الأمن القومي "كونداليزا رايس" ومن الجانب الإسرائيلي "دوف فايسغلاس" مدير مكتب شارون وبعض كبار موظفي وزارة الخارجية الإسرائيلية.

وقد تعاملت هذه اللجنة بالذات في خلق الظروف السياسية على الحرب وتهيئة المسرح العالمي وتخدير الزعامات العربية ، وكان على رأسها خطة "خارطة الطريق" التي لا تزيد بحال عن لعبة الأطفال "دوخيني يا لمونة".

من الملاحظات المهمة في هذا الصدد أن اللجنة العسكرية المشكّلة ضمت جنرالات في هيئة أركان الجيش الأمريكي في طليعتهم "تومي فرانكس" قائد المنطقة الوسطى في الجيش الأمريكي الذي أنيطت به مهمة قيادة الحرب على العراق.

ومن ناحية أخرى كشف برنامج "بوبوليتيكا" الذي بثته القناة الإسرائيلية في ٢٠٠٣/٣/١٨ عن أن نائب الرئيس الأمريكي "ديك تشيني" عقد خلال الشهرين السابقين للحرب لقاءات مع ٧٠ خبير إسرائيلي في مختلف المجالات لمناقشتهم خلالها في كيفية حسم المواجهة مع العراق.

وأشار العديد من المعلقين الصهاينة إلى أن "تشيني" مبهور بهيمنة الخبراء الصهاينة.

وفي لقاء أجرته مقدمة البرنامج "دان مرجريت" مع البروفيسور "عماتسيام برعام" يهودي من أصل عراقي وهو مؤرخ مختص بالتاريخ العراقي ، قال الرجل إنه اجتمع لمدة ٣ ساعات مع "تشيني" في ملجأ بالبيت الأبيض أجاب خلالها على قائمة طويلة من الأسئلة التي طرحها عليه ، ولكنه رفض التطرق إلى طبيعة الأسئلة أو إجابته عليها.

ويرى "داني جليرمان" رئيس اتحاد الغرف التجارية الإسرائيلية أن النصر في الحرب سيجلب العديد من الفوائد الاقتصادية لإسرائيل وأهمها ثلاث :

١- تراجع المخاطر الأمنية التي تهدد إسرائيل مما سيؤدي إلى تقليص النفقات الأمنية وإنعاش الاقتصاد الإسرائيلي.

٢- حصول إسرائيل على النفط العراقي الذي سيكون تحت إشراف أمريكي بأسعار مخفضة.

٣- فتح السوق العراقي أمام المنتجات الإسرائيلية.

وقد نقل "بارون ديكل" مراسل القناة الأولى في التليفزيون الإسرائيلي بعضاً مما ورد في الاجتماع الذي عقده "بوش الثاني" مع رئيس المنظمات اليهودية في أمريكا "مورتيمور متسوكرمان" في ٢٠٠٣/١/٨ حيث طلب الأخير من الأول اتخاذ موقف من النظام السعودي بعد أن قدم إليه تقارير استخباراتية إسرائيلية تشير إلى أن المساعدات التي تقدمها المملكة السعودية للفلسطينيين في أثناء الانتفاضة تساعدهم على مواصلة عملياتهم الإرهابية[1].

إن حماس الإسرائيليين الشديد للحرب وحرصهم على إشعال نارها وإصرارهم على مواصلة الانتصار فيها له دوافع عدّة عبر عنها وزير الدفاع الإسرائيلي في محاضرة في مركز "حرتسلي" متعدد الاتجاه في فبراير ٢٠٠٣ وهو أعرق وأهم مركز في الدولة العبرية قال فيها "إن النصر في الحرب يعني إخراج العراق من دائرة العداء لإسرائيل ، والضغط على سوريا لإخراج المنظمات الفلسطينية من دمشق ولوقف حمايتها لحزب الله في لبنان ، الأمر الذي يؤدي إلى تخفيض مصادر المقاومة الفلسطينية في الضفة والقطاع" .. هذه هي أهداف إسرائيل وتلك مبادئها .. هذا بالإضافة إلى تمكين الإسرائيليين من شراء الأراضي العراقية ولو بأسماء غير إسرائيلية لإقامة مشروعاتهم الاقتصادية والسكانية والاستعمارية عليها ليتحقق لهم حلم طال انتظاره وأمل دام ترقبه.

❖ ❖ ❖

---

(1) إسرائيل في قلب الحرب : - أ - فهمي هويدي ، الأهرام ٢٠٠٣/٤/١٢.

الباب الثالث

الحرب على العـــراق

الباب الثالث

الحرب على العراق

١- الدوافـــــع

ما أن وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١/٩/١١ حتى رفعت الولايات المتحدة شعار محاربة ما أسمته بالإرهاب وهو شعار من حيث الشكل يحظى بالقبول والتأييد الدولي على مستوى الشعوب والحكومات ، إلا أنه يخفي بين ثناياه رغبة أمريكية محمومة في الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط عموماً والمنطقة البترولية العربية على سبيل التخصيص ، ثم يأتي العبور إلى أسيا الشرقية والشمالية مع مراعاة الانطلاق جنوباً إلى القارة السمراء.

وتشير الشواهد إلى أن إفريقيا ستكون هدفاً تالياً وربما يكون مؤخراً في بؤرة اهتمامات الاستراتيجية الأمريكية للسيطرة على العالم ، حيث أن القارة الإفريقية تعتبر مصدر الثروات والغنى الخام التي لم تستغل بعد حتى الآن.

فالخطر الذي يهدد الأفارقة خطر حقيقي ، فقد حاولت أمريكا السعي المبكر إلى غزوها سياسياً وثقافياً واقتصادياً منذ ما يسبق زيارة الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" لـ ٦ دول إفريقية قبل أن تطيح به الانتخابات الأمريكية الأخيرة بشهور.

إن الطموح الأمريكي الجامح والمتطرف نحو أفريقيا انطلق من غير ضـــابط نحو مرحلة اختراق الشرعية الدولية المبكر عن طريق مسمى محاربة الإرهـــاب ، فالمستهدفون هم الضعفاء والفقراء والمديونين والجياع .. وبالتالي فإن كثيراً مـــن الدول العربية ومعظم دول إفريقيا تأتي في الصف الأول تتقدمهم الدول ذات الكثافة السكانية العالية مثل العراق وسوريا والسودان والسعودية ونيجيريا وساحل العـــاج ومصر.

المؤامرة الكبرى

زعيم حركة يهودية يكشف تفاصيل خطة ((شارون – بوش))



إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وإقامة إسرائيل الكبرى

الأخبار القاهرية : ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٢ – ع – ٢٩٩٨

وقد اتخذت الإدارة الأمريكية الجديدة مجموعة من التدابير العاجلة التي تعتمد على عدة عناصر في طليعتها :

١- تعرض هؤلاء للأزمات الشديدة فرادى أو جماعات بتزامن الأحـداث أو باختلافها.

٢- محاولة استبدال النظم الحاكمة وإحداث تغييرات في أسلوب الممارسة السياسية للشعوب عن طريق التحول المفاجئ كما حدث في أفغانستان والشيشان وما يدور الآن ضد العراق وما يتم تـدبيره فـي الخفـاء لسوريا والسعودية وإيران واليمن ومصر.

٣- فرض الإرادة الأمريكية بالوعد تارة أو بالوعيد تارة أخرى أو بإغداق القروض وما يسمى بالمنح الاقتصادية التي تتدفق أو تتوقف ، وتمنـع أو تمنح وفق معطيات الأحداث وبراهين المتطلبات.

٤- منع حق الاختيار عن هذه الشعوب عن طريق فرض سياسات بعينها على حكومات تلك الشعوب.

من هنا تبرز أهمية كشف الحقائق الخاصة في دوافع القـوى الكبـرى فـي تعاملها مع دول العالم الثالث المسمى بـ "الجنوب" وبخاصة مع الدول الإفريقيـة ، وكذلك الرصد الجيد لتصفية الشرعية الدولية وانعكاساتها على دول العـالم الثالـث على السواء ثم العالم بأسره في مراحل لاحقة ومتقدمة.

وفي طليعة هذه المخططات تأتي الحرب الأمريكية البريطانية الوشيكة علـى العراق لتمثل بيت القصيد في كشف العدوان السافر والانتهاك الصـارخ للمواثيـق والأعراف والقوانين الدولية بما يقضي بحتمية أن تصـبح الأمـم المتحـدة هـي المسؤولة عن إدارة العلاقات الدولية بدلاً من العودة إلى شـرعية القـوة ومنطـق الغاب في عالم [وحيد القرن] الذي تفرضه الولايات المتحدة وتعمل بل وتقاتـل لأن تقود العالم إليه وتدفعه في قلبه.

لقد تعرضت الأمم المتحدة لهزات عنيفة أفقدتها وجودها وحياتها مما تتعرض له الآن تحت ما يُسمى "مكافحة الإرهاب" مما يقضي بحتمية تصدي حكومات وشعوب العالم إلى الدعوات الرامية لمكافحة الإرهاب باعتبارها كلمة حق أُرِيدَ بها باطل ، كما يجب أن تتولى الأمم المتحدة زمام المبادرات والمعاهدات والمواثيق وإصدار التشريعات الخاصة بمكافحة الإرهاب الدولي لا من خلال هذه الدولة أو تلك ، وبخاصة مع ابتكار واستحداث فكرة الحرب الوقائية "الاستباقية" من داخل الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة أطلقها المستشار السياسي للرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش" أو هو "بوش الأول" أثناء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وهو "ريتشار بيرل" المستشار السياسي لوزارة الدفاع الأمريكية في حرب الخليج الثانية عام ٢٠٠٣ أثناء ولاية "جورج بوش" الثاني ابن "بوش الأول" وهو أي "بيرل" الرأس المدبر لتطبيق تلك النظرية فعلياً في العراق.

وقد ذكر المراقبون في أكثر من مصدر أن بوش الثاني عندما تحدث عن الإرهاب في خطاب الاتحاد في يناير ٢٠٠٢ وتحدث بشكل واضح عن العراق ، إنما كان وليد أفكار "أمير الظلام – ريتشار بيرل" الذي يرى أنه لابد من أن تكون هناك هيمنة أمريكية على العالم.

بينما لن تتم تلك الهيمنة الأمريكية إلا من خلال السيطرة على مقاليد اقتصاديات العالم التي يديرها البترول وخاصة البترول العربي .

لذلك يأتي البترول على رأس الأهداف الأمريكية ضد العراق ودول الخليج منذ حرب أكتوبر ٧٣ وقد زاد النهم الأمريكي عليه منذ مطلع التسعينات.

وقد ذكر "جورج تنيت" مدير المخابرات الأمريكية السابق في تقرير من ٧ صفحات نشرته مجلة "تايم" أن قرار غزو العراق وُضِع بالفعل عام ١٩٩٢ عندما كان "ديك تشني" نائب الرئيس الأمريكي الحالي "بوش الثاني" وزيراً للدفاع

الأمريكي وقائداً على عملية عاصفة الصحراء ، حيث قد طلب منه وضع الاستراتيجية الجديدة لأمريكا في القرن القادم (٢١) "الحادي والعشرين".

وكان وزير الخارجية الأسبق "جيمس بيكر" عام ١٩٩١ قد ناصح الأمريكيين بالاهتمام بالمنطقة وعبّر عن رأيه في المستقبل الأمريكي وقال "البترول – البترول – البترول" ، وقد عمل "تشيني" على تحقيق أقصى استفادة ممكنة من تلك المناصحة.

غزو العراق .. لماذا ؟

بعد العملية العسكرية التي وقعت ضد العراق في ١٩٩٨م والتي عُرفت "ثعلب الصحراء" أصدر "صدام حسين" قراره بوقف إنتاج وتصدير البترول العراقي مما رفع سعر برميل البترول إلى ٣٨ دولار لأول مرة منذ حرب ١٩٧٣ ، الأمر الذي جعل الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" يصدر أوامره باستخدام الاحتياطي الاستراتيجي البالغ ٥٦٨ مليون برميل فقط وهي كمية لا تكاد تكفي باحتياجات الولايات المتحدة ١٠ سنوات على أبلغ التقديرات مما أصاب الاقتصاد الأمريكي بضربة موجعة.

ثم جاءت مناصحة "أمير الظلام" مؤخراً لبوش الثاني بحل المشكلة البترولية للولايات المتحدة من خلال الاستيلاء على العراق ، والجدير بالذكر أن أمريكا تستورد ثُلثي احتياجاتها من البترول بينما الثُلث الأخير فإنها تستوفيه من إنتاجها المحلي الباهظ التكاليف حيث تبلغ تكلفة إنتاج برميل البترول الأمريكي أكثر من ثلاثة عشر دولار بينما لا تتعدى تكلفة برميل البترول العراقي دولاراً واحداً على أقصى تقدير ، وذلك مما زاد من شراهة وشراسة المؤامرات ضد العراق وبخاصة إذا ما تأكد أن العراق يسبح على بحيرة من البترول تحتوي على ٣٣% من بترول العالم وهي كمية تكفي احتياجات الولايات المتحدة لمدة ٣٦٢ عام بحسب تقدير الخبراء حال ثبات معدلات الإنتاج الحالية ، وإذا زادت أمريكا من الإنتاج إلى

الضعف مثلاً فإن مدة التزاوج الأمريكي غير الشرعي "اغتصاب العراق" يمكن أن يستمر مدة ١٨١ عام على أدنى تقدير.

وقد أفادت الاستكشافات البترولية مؤخراً بأن العراق يمتلك ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم بعد السعودية مع توقع ارتفاع تلك الأرقام مستقبلاً.

والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد اتخذت قرار غزو العراق مدفوعة بالعديد من الدوافع المُعلنة وغير المُعلنة من بينها :

١- القضاء نهائياً على مشاكل أسعار النفط التي تحدث بين الحين والآخر.

٢- تحييد العراق وإخراجه من دائرة العداء لإسرائيل.

٣- ضرب الحصار النفسي وتضييق الخناق على سوريا وتهديدها للحصول على أكبر قدر من التنازلات لصالح إسرائيل وهو ما يضمن تحقيق بعض المكاسب في عملية واحدة :

أ) إخراج المقاومة الفلسطينية من سوريا.

ب) التخلي عن دعم حزب الله اللبناني وحركة أمل في الجنوب اللبناني.

ج) إخراج الجيش السوري من لبنان وتفكيك منصات الصواريخ السورية في لبنان.

د) قطع العلاقات السورية الإيرانية وعدم تطويرها.

ه) مساومة السوريين على إيجاد صيغة مقبولة لمشكلة الجولان .

و) إجبار السوريين على الدخول في اتفاق سلام مع إسرائيل يطابق النموذج الأردني.

ز) سهولة التحكم في منطقة الهلال الخصيب لإعادة تشكيل المنطقة سياسياً وجغرافياً وثقافياً طبقاً لرؤية وحيد القرن.

٤- ضرب اقتصاد الشرق الأسيوي بضرب مصالحه البترولية في العراق.

٥- حصار دول الاتحاد الروسي وإصابة اقتصادياتها بالدمار بعد أن سبق القضاء على تلك المصالح في الوسط الأسيوي بعد احتلال أفغانستان.

٦- حصار الجمهورية الإيرانية ووقوعها بين طرفي كماشة أمريكية غرباً في العراق وشرقاً في أفغانستان.

٧- محاربة الاتحاد الأوروبي وحصاره جغرافياً فيما يعتبر تأكيداً على الصدام الكائن بين العلمانية والحضارات ومؤشراً على تطلع الأمريكيين لتسيُّد العالم.

٨- تحويل العراق إلى ثكنة عسكرية أمريكية تنطلق منها إلى البطن الروسي الضعيف (الدول الإسلامية التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي سابقاً) لفتح الطريق أمام جمعيات التبشير في هذه الدول من جانب ومن جانب آخر لإيقاف توسع الاتحاد الأوروبي جهة الشرق ضماناً لتبعية أوروبا وروسيا للهيمنة الأمريكية.

٩- تحقيق حلم بوش بإقامة الإمبراطورية الأمريكية العظمى التي تُخضِع العالم وتتسيده طبقاً لدستور الحرب التوراتي المتآمر الذي يمثل عقيدة اليمين المسيحي المتشدد "المتصهين" الذي ينتمي إليه الرئيس الأمريكي الحالي "جورج بوش الابن" .

١٠- فقدان العراق لجيلين جديدين على الأقل من أبناءه.

١١- التأكيد على أمن إسرائيل وتحقيق المزيد من التوسع والاحتلال.

١٢- تصوير آلاف الأطنان من الصواريخ والقنابل والذخيرة التي تتساقط على العراق فتحوله إلى نار جهنم وإعادة بث تلك الصور عبر

الفضائيات لردع كل من تسول له نفسه الخروج على الطاعة الأمريكية وخاصة دول المنطقة.

١٣- يأتي التدخل الإسرائيلي في الحرب ضد العراق إعداداً وتنفيذاً وإخراجاً في إطار الثأر القديم من العراق عندما جاء الملك "نبوخذ نصر" على عرش بابل في العراق (٥٦٢ : ٦٠٥) قبل الميلاد وقد حاصر أورشليم خلال فترة مُلكِه وقضى على "يهوذا" وأدمجها في التنظيم الإداري للإمبراطورية البابلية وانتهت على يديه عصر المملكة الإسرائيلية بقسميها الشمالي والجنوبي (أورشليم ، يهوذا) [(١)].

وقد دمر "بنوخذ نصر" هيكل أورشليم ونقل اليهود إلى بابل ليعيشوا في المنفى فيما يُعرف باسم "عصر السبي البابلي"[(٢)] وكذلك للثأر من الجيش العراقي الذي كان على مسافة ٢٤ كم من حيفا في حرب ١٩٤٨ والتي انتهت بهزيمة الجيوش العربية مجتمعة ، وقبول العرب التوقيع على قرار وقف إطلاق النار في ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بجزيرة "رودس" وكذلك قبول الهدنة التي فرضتها عصبة الأمم المتحدة ، بينما كان الموقف التكتيكي لليهود يتحسن عقب كل هدنة.

١٤- الحصول على قواعد عسكرية مجانية في العراق لتحل محل القواعد التركية باهظة التكاليف أو لدعم تلك القواعد.

١٥- تحجيم وتقليص العلماء العراقيين النوابغ في مختلف الميادين البحثية والعلمية المدنية والعسكرية على السواء سواء بالإغراء أو الهجرة إلى أمريكا أو مطاردتهم وتهديدهم بالتصفية الجسدية والحبس من خلال

(1) تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر وسوريا ، ص ١٢٤ ، أحمد أمين سليم..

(2) موجز تاريخ العالم ، ص : ٧٦.

محاكمتهم صورياً بمحاكم وهمية فيما يُعرف أكبر عملية سطو على العقول عبر التاريخين الحديث والمعاصر.

١٦- التنفيس عن الحقد المرير الكامن ضد حضارات العالم وشعوبه ذوات الأصول الطاعنة في بطن التاريخ حيث الثابت واقعياً أن الولايات المتحدة الأمريكية هي مدنية زائفة بلا حضارة راسخة ، حيث أن "جورج واشنطن" استطاع أن يوحد الشمال والجنوب الأمريكي في دولة واحدة خرج بها إلى العالم للمرة الأولى منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وبعد أن حررها "واشنطن"[١] في الفترة ما بين ١٧٨٩ إلى ١٧٩٧".

والذي يؤكد على الموقف الأمريكي الحاقد ما قاله "أيوجين روستو" رئيس قسم التخطيط ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ حيث قال :

"يجب أن نُدرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصورة مختلفة ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي .. – وتابع كلامه – إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي في فلسفته وعقيدته ونظامه[٢] ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وعقيدتها"..

---

(1) المصدر السابق ، ص : ٢٨٧.

(2) المؤامرة ومعركة المصير ، ص ٨٧ ، ٩٤.

وبهذا يتبين للجميع ويتضح أن "روستو" يحدد أن هدف الاستعمار في الشـــرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وإن قيام إسرائيل الكبرى هو جزء من هذا المخطط وأن ذلك كله ليس إلا استمراراً للحملات الصليبية .

وقد عبر كذلك المبشر "وليم جيفورد بالكراف" ليؤكد على ما قالـــه "روســـتو" وما ذهبت إليه في ظني بأهداف الحرب المرتقبة ، حيث قال : "متى توارى القُرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتـــدرج فـــي الحضـــارة الغربية بعيداً عن مُحمد وكتابه"..

ومما زاد من إسراع خطى الأعداء في هجمتهم المسعورة على عالمنا العربي والإسلامي أن القوة الاقتصادية التي برزت لدول النفط قد أقضت مضاجع العـــالم الغَرْبي حيث أعلن البنك الدولي في تقرير له عند منتصف السبعينات بأن السعودية وحدها سوف تمتلك عام ١٩٨٠ نصف النقد المتداول في العالم ..!

أليس في ذل خطراً واضحاً عليهم أيها الســـادة ..؟!

٢- الدلائـــل

معطيات وفيرة وردود كثيرة على دعاة التطبيع القائمين على إتمام ولادته ..

إلى الداعين إلى المشاركة والمنادين بالذوبان في العولمة على وجه المعمورة المقاتلين في سبيل الاسترزاق من رخـــيص الأرزاق المنتمـــين إلـــى مـــا يُســـمى بجماعات أو جمعيات السلام .. والسلام الآن .

أيها الناس .. لا تغُرنكم الألفاظ البراقة ولا الوعود المغرية ولا تبهركم المدينة الزائفة المجملة بأدوات التجميل ومستحضرات التزيين ، إن هي إلا سموم وضعت على الجلود لتخترق مسام الجلود ببطء شديد فتأتي بالموت على مهل فلا تترك أثراً يُدين الجاني على فعلته.

أيها المخدوعين بشعاراتهم البراقة [الحرية – الإخاء – المساواة] لقد قالوا هم عنها أنها جلبت إلى صفوفنا فرقة كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المُغفلين وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة[1].

وإليكم أيها السادة أسوق أدلة وحوادث تاريخية تؤكد في ظاهرها وباطنها على أن الولايات المتحدة الأمريكية هي دولة استعمارية من طراز فريد وبالأدلة الدامغة من خلال العرض الأمين لتاريخ التدخلات الأمريكية وغزوها للدول في شتى بقاع الأرض ..

١٨٣٣ قامت القوات الأمريكية بغزو نيكاراجوا ثم بيرو ١٨٣٥.

١٨٦٤ احتلت تلك القوات أيضاً أرضاً طالبت بها المكسيك وهي تُعرف الآن بولاية تكساس ولهذا قامت الحرب المكسيكية الشهيرة ، وبعد انتصار أمريكا ١٨٨٤ ضمّت الولايات المتحدة إليها تلك الأراضي نهائياً وضمّت إليها كالفورنيا ونيومكسيكو.

١٨٥٤ دمر المارينز الأمريكي ميناء "جراي تاون" في نيكاراجوا انتقاماً من إبعاد الوزير الأمريكي الذي كان في تلك البلاد ثم غزت بعد ذلك أورجواي ثم قناة بنما.

١٨٥٧ تدخلت المارينز في نيكاراجوا لإفشال محاولات "وليم روكز" وهو مغامر من "تنيسي" حاول تحرير نيكاراجوا من الحكومة العميلة وتولى القيادة الوطنية مهام السلطة.

١٨٧٣ غزت القوات الأمريكية "كولومبيا" بعد إنزالات عسكرية تتابعت في أعوام ١٨٨٥ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ ثم تجددت تلك الاعتداءات عامي ١٨٩٨ ، ١٨٩٩.

(1) تبصير الأذهان ، ص : ٦.

١٨٨٨ تدخلت عسكرياً ضد "هاييتي" لفرض السيطرة والهيمنة عليها.

١٨٩١ اعتدت على شيلي.

١٨٩٤ عاودت المارينز التدخل في نيكاراجوا.

١٨٩٨ وقعت الحرب الأمريكية الأسبانية حيث افتعلت أمريكا حادثة "كوبــا" وقــد حاصر على أثرها الأسطول الأمريكي الموانى الكوبية بينما قــام الجــيش والمتطوعون بما فيهم "تيودور روزفلت" بسحق القــوات الأســبانية علــى الشواطئ ، وقد اصبح "روزفلت" رئيساً للولايات المتحدة بعــد ذلــك فــي الفترة من ١٩٠١ : ١٩٠٩.

١٩٠١ وفي مطلع حكم "روزفلت" جعلت أمريكا من كوبا وكراً للقمار كما ضمنت الحق في قاعدة بحرية في خليج "جوانتنامو" ومازالت تحتفظ بها حتى الآن.

١٩٠١ ، ١٩٠٢ معاودة التدخل في كولومبيا.

١٩٠٢ التدخل العسكري المباشر في هندوراس.

١٩٠٦ خلال الحرب الأهلية في كوبا تدخل الجيش الأمريكي علناً بحجــة تهدئــة الكوبيين لاستعادة النظام وإقامة حكومة مستقلة خلال ٣ سنوات.

١٩٠٧ تدخلت للمرة الثانية في هندوراس واستولت على ٦ مدن رئيسية فيها.

١٩١٤ دخل المارينز الأمريكيون إلى "هاييتي" في عملية إنزال حيث سرقوا البنك المركزي ، فيما قالوا أنه استرداد لأحد الديون ، وبناء على أمر الــرئيس "وودرو ويلسون" احتلت "فيركروز".

١٩١٥ قامت بغزو "هاييتي" واحتلالها كاملة حتى عام ١٩٣٤.

١٩١٦ تدفقت القوات الأمريكية إلى الدومينيكان لتهزم الثوار وتسيطر على الــبلاد بحكومة عسكرية حتى عام ١٩٢٤.

١٩٣٢ تدخلت القوات الأمريكية في السلفادور بمساعدة السفن الكندية.

١٩٥٤ أطاحت الولايات المتحدة بحكومة "جواتيمالا" الشرعية ونصبت حكومة عميلة.

١٩٦١ فرض "جون كنيدي" حصاراً جوياً وبحرياً على كوبا لإجبار السوفييت على إبعاد صواريخهم الذرية من الجزيرة .

١٩٦٧ ساعدت CIA عسكر بوليفيا على "جيفارا" في بوليفيا وفي الوقت ذاته كانت هناك تدخلات أمريكية في فيتنام وكوبا.

١٩٦٧ أمدت الكيان الصهيوني بالمال والعتاد والسلاح ونتج عن ذلك هزيمة العرب فيما عُرفت بنكسة ١٩٦٧.

١٩٧٣ زعزعت الولايات المتحدة الاستقرار في شيلي مما هيأ الطريق أمام ديكتاتورية عسكرية ، وفي العام ذاته تدخلت عن طريق وزير خارجيتها "هنري كيسنجر" وأوقفت مد النصر العربي في حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣.

١٩٨٠ كوماندوز أمريكي في مهمة لإنقاذ ٥٣ أمريكي محتجزين في السفارة الأمريكية في طهران وقد فقدوا جميعاً في الصحراء ومقتل ٨ أمريكيين في حادث اصطدام طائرة هليوكوبتر بطائرة حاملة للدبابات وفشلت المهمة.

١٩٨٢/٨١ تعزيز قواتها في الخليج ونشر صواريخها في أوروبا .

٨٣/١٠ انفجار سيارة ملغومة في ثكنات المارينز في بيروت التي أرسلها الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان" كجزء من قوة حفظ سلام دولية ومقتل ٢٤١ من المارينز والبحارة في الهجوم ، الأمر الذي أدى إلى انسحاب القوات الأمريكية من لبنان.

١٩٨٦/٤ قامت القوات الأمريكية بمهاجمة قواعد ساحلية في ليبيا انتقاماً مما يُزعم أنها هجمات إرهابية دبرتها ليبيا ضد أهداف أمريكية ومقتل طيارين

أمريكيين بعد إسقاط البطاريات الليبية لطائرتهما من طــراز "F111 B" المتقدمة جداً .

٨٩/١٢ بناء على أوامر الرئيس الأمريكي "جورج بــوش" الأول قامــت القــوات الأمريكية بشن ضربة قوية ضد بنما لمساندة القوات الأمريكية التي تتخــذ من بنما مقراً لها في محاولة للإطاحة بالزعيم البنمي "مانويــل نورييجــا" واعتقاله وقد تم اعتقاله بالفعل في يناير ١٩٩٠ وسُجن في أمريكا بتهمــة تتعلق بالمخدرات كما زعموا.

١٩٩٠/٨ أمر "بوش الأب" بحشد عسكري في السعودية بعد غزو العراق للكويــت وبناء على طلب من المملكة السعودية ومجلس التعاون الخليجي.

١٩٩١/١ حشدت أمريكا قواتها مع بعض القوات من الدول الأخرى وبدأت قــوات التحالف بقصف مكثف للعراق الذي انسحب من الكويت ، وانسحبت معظم الدول بعد ذلك عدا أمريكا وتابعها "بريطانيا" إذ مازالت طائراتهمــا تقــوم بشن طلعات جوية شمال وجنوب العراق لمراقبة ما أسموه مناطق الحظــر الجوي ونسف القوات والمواقع والمصالح العراقية بين الحين والحين.

١٩٩٣/٤ بدأ حلف شمال الأطلنطي دوريات قتال لتنفيذ الحظر المفروض من الأمم المتحدة على الحظر المفروض من الأمم المتحدة على الرحلات الجوية من وإلى العراق.

٩٢ : ٩٤ الولايات المتحدة ترسل ما يصل إلى ٢٨ ألفاً من قواتها إلى الصــومال ومقتل ١٨ من الأمريكيين العسكريين في ٨٣/١٠ مما دفع أمريكــا إلــى سحب قواتها في أوائل ١٩٩٤.

٩٤/٩ قوات متعددة الجنسيات تقودها أمريكا تحتل "هاييتي" لاستعادة مــا أســمته أمريكا "الديمقراطية" ، والقادة الأمريكيون يســلمون قيــادة الــبلاد للأمــم المتحدة في يناير ١٩٩٥.

٩٤/٢ : ١٩٩٥/٩ الولايات المتحدة تشن هجوماً بالصواريخ العابرة كروز على أهداف في أفغانستان وعلى مصنع للأدوية في السودان مدعية أن لهما علاقة بهجمتي تفجير استهدفتا سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا وقد أسفرتا عن مقتل أكثر من مائتي شخص .

١٩٩٩/٣/٢٤ الطائرات والسفن الأمريكية تقود قوات حلف الأطلسي في شن هجمات على جمهورية الصرب لإرغام بلجراد على الموافقة على خطة السلام الدولية لإنهاء الحرب في كوسوفو وتنتهي الحملة في ١٩٩٩/٦/١٠ بعد انسحاب القوات الصربية من كوسوفو والسماح لقوات حفظ السلام الدولية التابعة لحلف الأطلسي بدخول الإقليم ، وذلك بعد أن تقطعت أوصال دولة البوسنة والهرسك السُنيّة في الوسط الأوروبي "التي طحنتها الحرب" .

٢٠٠١/١٠/٧ الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان أول هجمات جوية ضد أفغانستان في عصر الرئيس الأمريكي "جورج بوش الثاني" الذي أعلن أن العملية هي بداية لحملة مستمرة وشاملة ضد الإرهاب في أعقاب الهجمات الإرهابية على واشنطن ونيويورك في ٢٠٠١/٩/١١ والتي أسفرت عن مقتل ٥٠٠٠ شخص(١).

٢٠٠٢/٦/١ واشنطن تدرس اتخاذ إجراءات ضد "فيجي" للإطاحة بالانقلاب الذي قاده "سبايت" زعيم المتمردين لتمكين وتأكيد سيطرة السكان الأصليين للبلاد على الحكومة بعد الإطاحة بنظام حكم "باينيماراما" الموالي لأمريكا.

---

(١) المصدر : شبكة المعلومات العربية "محيط" ، والبي بي سي نيوز في موقعهما على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت".

وفي ٢٠٠٢/١٠/٢٣ "بوش الثاني" يُعلن .. صبرنا بدأ ينفذ في إشارة لمدى تـذمره من رفض أعضاء مجلس الأمن الدولي ومعارضـتهم لصـيغة المسـودة الجديدة التي عرضتها واشنطن حول أزمة العراق.

وفي ٢٠٠٢/١٠/٢٤ أعلن المتحدث باسم البيت الأبيض "إيري فلايشـر" أن أمـام الأمم المتحدة وقت قصير للموافقـة علـى العـرض المـدعُوم أمريكيـاً وبريطانياً لإرغام العراق على التخلص من أسـلحة الـدمار الشـامل أو مواجهة حرب محتملة.

ومنذ ذلك الحين وقد بدأت منطقة الخليج العربي في استقبال القوات الأمريكية والبريطانية وأذنابهم من الاستراليين والبولنديين الذين تدفقوا على المنطقة استعداداً لغزو وشيك للعراق.

٣- القـــوات

تحتاج الحروب بمفهومها النمطي أو الحديث إلى مجموعة من العناصر التـي لا غنى عن إحداها في منظومة الجيوش القتالية من بين تلك العناصر.

الجندي : وهو الفرد المقاتل

الآلة : ويقصد بها الأسلحة التقليدية والمتطورة.

الخطة : وهي إدارة عمل القوات خلال فترة العمليات.

القيادة : الواعية الواثقة الحازمة التي تنفذ المهام المنوطة بها.

يضاف إلى ذلك عدد من العوامل المساعدة المـؤثرة فـي سـير العمليـات وتطورها مثل الإعلام ، التمويه ، المناورة ، إيمان الفرد المقاتل بعدالـة القضـية التي يحارب في سبيلها. بالإضافة إلى غير ذلك من الرعايـة المعنويـة للأفـراد وتهيئتهم بدنياً ونفسياً لاستيعاب الجديد من الأسلحة من خلال التدريبات والمناورات

التي تضم مختلف الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة لتحقيق أعلى الكفاءات القتاليــة وللوقوف على مستوى الجاهزية للقوات المسلحة على مختلف قطاعاتها وأســلحتها بما يضمن لها تحقيق النصر وإنجاز المهام الموكلة إليها في أسرع وقت مع تفادي الخسائر بما لا يسمح بتجاوز الحد الأقصى المقرر من نسبة الخسائر بالقياس إلــى الإنجازات مع الالتزام بالأداء المطلوب فرادى وجماعات.

كل ذلك لا يتسنى إلا بتحقيق انسجام الفرد المقاتل مع الخطط العسكرية التــي لا تنفصل عن ضرورة صياغة الحقوق والواجبات بين القادة والأفراد ضماناً لعــدم حدوث التمرد والعصيان ومن ثم الانقلابات العســكرية والاضــطرابات ولتحقيــق أعلى مردود من النتائج النفسية الطيبة لدى الجنود مــع ضـــمان تــوفير الرعايــة الصحية والاجتماعية لهم.

فكيف الحال إذاً عند تلك الدولة التي تبلغ ميزانية دفاعها ٤٠٠ مليــار دولار سنوياً قابلة للزيادة ، إن هذا المبلغ الفلكي تنفقه الولايات المتحدة على تسليح جيشها فقط ، حيث تتوافر لها ميزانية خاصة لبرامج الأبحاث العسكرية وتطويرها ، الأمر الذي جعل القوات الأمريكية هي الأقوى والأحدث بين مثيلاتها على مستوى العالم.

كما أن الحليف القوي بريطانيا تتمتع كذلك بقدرات عسكرية كبيــرة لا تقــل بحال عن مثيلاتها الأمريكية في مجال التكنولوجيا والتعقيد وإن كانت أقــل عــدداً بالقياس على الجيش الأمريكي عدداً وعتاداً .

تلك هي حالة القوات المعتدية على العراق والتي جاءت بأحدث الأسلحة والتي سيتم استخدامها للمرة الأولى ضد الشعب العراقي وعلى أرضه.

وقد استعرضنا سابقاً حجم القوات العراقيــة وتســليحها وطبيعــة انتشــارها وقياداتها الأمر الذي يفرض علينا من باب الأمانة التاريخية أن نتناول كذلك حجــم القوات الأنجلو أمريكية "المعتدية" الغازية للقطر العربي "العراق" وهي على النحــو التالي:

٢٤٠٠٠٠ مائتان وأربعون ألفاً من الجنود والضباط ، منهم ..

١٧٠٠٠٠ مائة وسبعون ألفاً من الجنود الأمريكيين

٣٠٠٠٠ ثلاثون ألفاً من الجنود البريطانيين

جميعهم موزعين على ١٠ دول في المنطقة منها ٦ دول في المشرق العربي هـي دول مجلس التعاون الخليجي بالإضافة إلى الأردن.

بالإضافة إلى أربعين ألفاً (٤٠٠٠٠) من جنود الدولتين موجـودين علـى مـتن ٥ حاملات طائرات ، ثلاث منها في الخليج واثنتان في بحر العرب.

بيـان المعـدات والآلات :

١٠٠٠ ألف طائرة من مختلف الأنواع وأشدها تطوراً وتقنيـة بواقـع ٢٣٠ طائرة في كل حاملة طائرات.

ولا وجه للمقارنة بين ما بحوزة العراقيين من الأسلحة التي نجت من أعمـال القصف المستمر طيلة اثنتي عشرة سنة والتي تعاني من نقص خطير فـي قطـع الغيار وأعمال الصيانة في ظل رضـوخ العـراق تحـت الحصـار الاقتصـادي والعسكري المفروض عليه منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي.

فلا وجه ولا مجال للمقارنة مع حديث الأسلحة وجديد المؤامرة ومن أمثلتهـا "صواريخ كروز الأمريكية".

وتبقى هي الحدث المثير للجدل كونها السلاح التقليدي المعتاد في أي حـرب على العراق وقد بدأ استخدامها منذ ما يقرب من ٣٠ عاماً ، ويمكن وصـفها فـي كلمات:

١- هي أسلحة ذاتية الدفع تحلق في الجو مثل الطـائرات العاديـة فـي معظـم رحلاتها نحو الهدف.

٢- يتكلف الصاروخ الواحد حوالي ٦٠٠ ألف دولار تقريباً ، إلا أنه يعتبر الأرخص بالمقاييس العسكرية.

٣- تتمتع بسهولة النصب ويمكن إطلاقها من مدافع من البحر والجو والبر على السواء.

ويتباين مدى الصاروخ باختلاف نوعه ، فالنوع البسيط الذي طورته الصين يبلغ مداه ١٠٠كم ، أما في الترسانة الأمريكية فإنها تستخدم صواريخ يبلغ مداها ٣٠٠٠كم وهي تُصيب أهدافها بدقة ، ويزعم أن مقدار الخطأ فيها لا يتجاوز بضعة أمتار على الأكثر ، ويحمل الصاروخ رؤوساً نووية يبلغ الواحد منها ١٠٠٠ رطل ويتم تسييره بواسطة توجيهات الأقمار الصناعية من ٣ : ٤ أقمار وذلك عن طريق خريطة ثلاثية الأبعاد مُثبتة في مقدمة الصاروخ ، وترسم الأقمار الصناعية على الهدف المستهدف قصفه صورة متطابقة تماماً مع الخريطة المثبتة بالصاروخ فيتوجه الصاروخ نحو الهدف بالاستشعار فيحدث الارتطام والانفجار.

الطائرة الأباتشي ..

تعتبر الطائرة المروحية "الأباتشي" مروحية القتال الرئيسية للقوات الأمريكية، وقد تم تصميمها كي تتمكن من اقتحام مواقع العدو وضرب أهدافه من على مسافة قصيرة قبل أن تنسحب بسرعة أقصاها ٣٦٢كم/ساعة.

أطلقت الأباتشي أول طلقة لها عام ١٩٧٥م ، وهي تضم طاقماً مؤلفاً من شخصين ومسلحة تسليحاً قوياً يُمكّنها من تحمل إطلاق النار من على مسافة قصيرة كما أنها مهيأة للاستخدام القتالي الليلي والنهاري ، وتحمل الأباتشي عدة أنواع من الأسلحة يمكنها من ضرب أهداف مختلفة متزامنة ، إذ يمكنها حمل ١٥ صاروخاً مضاداً للدبابات يمكن إطلاقه من على بعد ٨كم ، لذلك سُميّت صائد الدبابات كما أن طاقم الطائرة بوسعه اللجوء إلى القاذفات والمدافع الآلية عيار ٣٠مم الذي يمكنه إطلاق ١٢٠٠طلقة/دقيقة تصويب في حالة القتال عن قرب ، ويستخدم طاقم

الأباتشي صور فيديو عادية وأخرى ملتقطة عن طريق الاستشعار الحراري لتحديد أهدافها ، لكن العسكرية الأمريكية تعترف بأن نظام التعرف الحراري له حـــدود ، وقد تم تطوير نوعاً جديداً من الأباتشي يطلق عليه "لونج باو" وقد تم تزويده بنظـــام رادار للتحكم في إطلاق النار ، والنظام الحديث من مقاتلات الأباتشي مصمم بهدف تحسين قدرة طاقم الطائرة على تحديد الأهداف والتغلب على متاعب التصويب التي قد تنجم عن سوء حالة الجو وأي عوامل أخرى ، كذلك تم تزويـــد هـــذا الطـــراز الجديد لتقاسم معلومات المعركة مع الطائرات الأخـــرى والقـــادة العـــاملين علـــى الأرض.

وقد لعبت الأباتشي دوراً هاماً في عملية عاصفة الصحراء عام ١٩٩١م حيث دمرت أكثر من ٥٠٠ دبابة عراقية ومئات الشاحنات والعربات.

الدبابـــة تشالينجر ..

وهي الرئيسية القتالية في الجيش البريطاني وقد أُدخلت عليها بعض التعديلات في نظم التقنية لجعلها أكثر ملائمة للحرب في المناطق الحارة ومنها بلدان الخلـــيج الأمريكي "العربي سابقاً"..

الطائرة تورنيـــدو ..

يتم إنتاج الطائرة تورنيدو كمشروع مشترك بين ألمانيا وإيطاليا وبريطانيـــا ، وقد أضحت هذه الطائرة عماد القوة الملكية البريطانية منذ دخولها الخدمـــة للمـــرة الأولى عام ١٩٨٠م ، وتستخدم أساساً في المهمات الجوية ، وهناك نماذج منها تـــم تطويرها لأغراض الاستطلاع الجوي ، وقد استخدمت في حرب الخليج الثانية في عدد من المهمات الخطرة التي تقتضي التحليق على ارتفاعـــات منخفضـــة جـــداً ، ولكن الطائرة خضعت لتحسينات منذ ذلك الوقت مما يتيح لها الآن تأديـــة مهامهـــا على ارتفاعات شاهقة .

تورنيدو طائرة بمحركين نفاثين تبلغ سرعتهما القصوى ٩٩٠ ميلاً في الساعة ويبلغ مداها القتالي ٨٦٣ ميلاً ، وتبلغ حمولتها من العتاد والقنابل زهاء ١٨ ألـف رطل تبعاً لطبيعة المهمة التي تقوم بها وهي مزودة بصـواريخ مضـادة للـرادار وقنابـل "PAV & WAY" المسـيرة بأشـعة الليـزر ، وصـواريخ "SOAEAGLE" المضادة للسفن ، إضافة إلى صواريخ جو – جو مـن طـراز "S9DEW9NDEH" كما تحمل الطائرة مدفعين من عيار ٢٧مم .

قاذفة القنابل B52 "حانـوت الدبابات" ..

دخلت هذه الطائرة خدمة القوات الأمريكية الجوية عام ١٩٥٥ وقد صـممت بالأساس كقاذفة بعيدة المدى للقنابل النووية ، لكن الولايات المتحدة استعانت بها في عدة صراعات في إسقاط قنابل تقليدية.

وفي حرب الخليج الثانية أسقطت طائرات B52 نحو ٤٠% من قنابل قـوات التحالف الدولي على الأهداف العراقية ، واستهلت الحملة العسكرية ضـد القـوات اليوغسلافية في حرب كوسوفو بإطلاق صواريخ كروز من الجو بواسطتها.

يبلغ طول الطائرة نحو ٤٩ متراً وعرضها ٥٦ متراً ، ويحمـل كـل جنـاح أربعة محركات نفاثة ولا تتجاوز السرعة القصوى للطائرة ١٠١٤كم/ساعة ، لكنها قادرة على التحليق لمسافة ١٢٨٧٠كم دون التزود بالوقود وهي تحمل ٤٥,٣٦ طناً من الذخيرة ويمكنها التحليق على ارتفاع يصل إلـى ٥٠ ألـف قـدم .. أي نحـو ١٥٢٤٠ متراً ويمكن للطائرة بي ٥٢ الطيران على ارتفاع منخفض بفضل نظـام راداري يكشف عن تضاريس الأرض حتى مسافة ١٠ أميال للأمام ، لكن الطائرة لم تعد تكلف بمهام تتطلب الطيران المنخفض.

ويتم تزويد قائدي الطائرات بمناظير للرؤية الليليــة تمكــنهم مــن الإقــلاع والطيران والهبوط في الظلام ، وقد كان طاقم الطائرة في السابق يتكــون مــن ٦ أفراد يجلسون في قمرتين لكن عددهم أصبح الآن ٥ أفراد فقط وهم قائد الطــائرة ، مساعد الطيار ، ضابط الحرب الإليكترونية ، الملاح ، ضابط الرادار .. والأخيــر هو المسئول عن إسقاط القنابل.

وتحمل بي ٥٢ على متنها كميات ضــخمة وأنــواع متعــددة مــن القنابــل والصواريخ فهي قادرة على حمل ٥١ قنبلة وزن كل منها ٥٠٠ رطــل أي نحــو ٢٢٧ كجم إضافة إلى ثلاثين قنبلة عنقودية أو عشرين صاروخ كروز.

قذائف الأبخرة الحارقــة ..

تعمل قذائف الأبخرة الحارقة على الاستفادة من التأثيرات التي يحدثها انفجــار الوقود المتبخر في الهواء ، ويحدث الانفجار بإشعال خليط من الوقود والهواء ممــا يُحدث كرة نارية وموجة انفجار سريعة الاتساع يفوق انفجارها المتفجرات التقليدية بمرات كثيرة ، وتشبه آثار الانفجار تلك التي تحدثها القنابل النووية الصغيرة ولكن دون إشعاع وقد استخدم الأمريكيون أبخرة الوقود الحارقة في فيتنام وألقوا أكثر من ٢٠٠ قنبلة في حرب الخليج الثانية ، كمــا اســتخدمها الــروس فــي أفغانســتان والشيشان.

أم القنــابل ..

والتي تم استخدامها للتجربة العملية وللمرة الأولى في تاريخ البشرية ، يبلــغ وزنها في المعتاد حوالي ٩,٥٠٠ طناً من المتفجرات ، وهناك نماذج منها تتجــاوز ٢١ ألف كجم ، ويتم إسقاطها من القاذفات العملاقة بــي ٥٢ وتوجيهها بواســطة الأقمار الصناعية ، ويتم إرشادها باستخدام أجهزة الليزر أو الوسائل الكهروضوئية

أو أخرى تعمل بالأشعة تحت الحمراء أو بنظام تحديد إحداثيات المواقع في العـــالم GPS .

المطارات العائمـــة ..

(١) تيــودور روزفلت

هي إحدى حاملات الطائرات في الأسطول الأمريكي وهي عبارة عن مطـــار عائم قادر على إطلاق أربع طائرات حربية كل دقيقة وتشكل هذه المنشأة الضخمة إلى جانب شقيقاتها السبع الأخريات العاملات بالطاقـــة النوويـــة عصـــب التفـــوق الأمريكي في المجال العسكري التقليدي ، وخلال العمليات تبحر هـــذه الحـــاملات وسط مجموعة من السفن الحربية الميدانية التي تحتوي علـــى منصـــات لإطـــلاق الصواريخ الموجهة بأشعة الليـــزر ، ومـــدمرات وفرقاطـــات وســـفن إمـــدادات وغواصات بقصد حمايتها.

يبلغ طول هذه الحاملة أكثر من ٣٣٠ متراً ووزنها قرابة ٢٠٠ ألف رطـــل ، وهي قادرة على حمل ٨٥ طائرة بداخلها وخمسة آلاف عنصر من الطاقم الجـــوي والبحري ، وتتولى أربعة مصاعد رفع الطائرات إلى منصة الإقلاع حيث تســـاعد أجهزة دفع بخارية – من اكتشاف بريطاني – في إطلاق الطائرات بسرعة تصـــل إلى نحو ١٨٠كم في ما يقل عن ثلاث ثوان.

وهذه الحاملة مزودة بأجهزة للدفاع الذاتي تتضمن صواريخ وفوهات وتـــدابير للإيقاع بالعدو.

وتعمل الحاملات من طراز "نيميتز" بمفاعلين نـــوويين يمكناهـــا مـــن تلبيـــة احتياجاتها واحتياجات طاقمها من الطاقة وقد صممت للعمل لمدة ٥٠ عام.

وكانت حاملة الطائرات تيودور روزفلت أحد مفاتيح القـــوة البحريـــة بحلـــف شمال الأطلسي "الناتو" في نزاع كوسوفوا عام ١٩٩٠م.

(٢) آرك رويـــال ..

النموذج البريطاني وهي إحدى حاملات الطائرات البريطانية إلا أنهـــا تعتبـــر الرئيسية في الأسطول الملكي البريطاني ، ويمكنها أن تحمل مروحيات إلى جانـــب الطائرات القاذفة النفاثة "هاريور" إضافة إلى الطائرات القاذفة مـــن طـــراز "ســـي هاريور – SE2" وطائرات "هاريور C970" التابعة للسلاح الملكـــي البريطـــاني وطائرات من طراز "CK" ، يعمل طاقم الحاملة المؤلف من ٦٨٦ فرداً مع ٣٦٦ عنصر في القوة الجوية للحفاظ على السفينة وطائراتها وضمان عملها بكفاءة وقـــد تم تعزيز ظهر السفينة التي تنطلق منها الطلعات الجوية لاستيعاب طائرات جديـــدة من طراز هليكوبتر المضادة للغواصات ، وقد أطلقت الملكة إليزابيـــث الأم ســـفينة "آرك رويـــال" عام ١٩٧٨ ، كما تلعب تلك الحاملة البالغ وزنها ٢٠ ألـــف طـــن وطولها حوالي ٢١٠ متراً دوراً رئيسياً في الاستراتيجية الدفاعية الحديثـــة بحيـــث تتيح أمر الاستطلاع المبكر وإنزال القوات الخاصة والهجوم من الجو على مواقـــع برية.

تحمل آرك رويال سرية رئيسية جديدة وأنظمة قتالية جديدة في إطار عمليـــة تجديد وتحديث استمرت مدة عامين وقد تم الانتهاء منها عام ٢٠٠١ ، ولديها مهبط أكثر انحداراً لمساعدة الطائرات على الإقلاع وهي رابع سفينة تحمل هـــذا الاســـم البارز في القرن العشـــرين..

• • • • •

وما ذكرناه قصراً لا حصراً على سبيل الاستدلال على حداثة الآلة العســـكرية للقوات الأنجلو أمريكية في مواجهة السلاح العراقي البائد والبالي . وقد عرضنا له بحياد تام لأهميته التاريخية حتى تتفهم الأجيال القادمة حقيقة الأحداث فيستوعبونها ويستفيدون منها فيتداركوا كُنه الأحداث ولُبِّها بحيث لا يقعوا فيما وقعنا نحن فيه .

٤- التحضــير

سبق القول في أهمية التطلع الأمريكي لاحــتلال العــراق ، وقــد اســتعانت الولايات المتحدة بالصبر الطويل وتوقفت طويلاً تتريث وتتروى في قراراتها بشأن شن الحرب على العراق وتحديد موعدها فشرعت تدرس وتخطط وتُعدل وتُضــيف وتحذف من دون عجلة من الأمر .. وذلك لأنها تعلم جيداً قدرات المقاتل العراقــي صاحب الخبرة القتالية الطاعنة في التاريخ منذ ما قبل عصر الأشوريين والبــابليين حتى حرب السنوات الثماني ، وقد أكسبته تلك الحروب رباطة الجــأش وصــلابة الموقف ووحدة الهدف وحسن التوقع فضلاً عن الهجوم المــنظم والــدفاع القــوي المحكم بالإضافة إلى الكثير من غير ذلك ، وهو ما يشكل في مجموعه المكاســب الكبيرة التي تشكل العقلية العسكرية والتركيبة الثقافية للعراقيين ..

من هنا جاءت الخطوات الأمريكية الهادئة ، والتي بدأت مع فــرض الحظــر الاقتصادي والعسكري على العراق في ١٩٩٠/٨/٦ بالقرار رقم ٦٦١ ، ثم قــادت الولايات المتحدة تحالفاً دولياً شاركت فيــه دول عربيــة لضــرب العــراق فــي ١٩٩١/١/١٧.

وبعد انسحاب معظم دول التحالف بعد تحريــر الكويــت أصــرت أمريكــا وبريطانيا على البقاء في الخليج العربي لتحقيق الحلم الأمريكي القــديم بالســيطرة على بترول المنطقة بعد أن واتتها الفرصة الذهبية وعلى طبق من ذهب ..

ثم كان تقسيم العراق فعلياً إلى ثلاثة قطاعات بدأت بفرض الحظــر الجــوي على ثُلث مساحة العراق من الشمال الواقع بين خطي عرض ٣٦ ، ٤٠ ثم أُجبــر العراقيون على إخلاء تلك المنطقة من كل القوات البرية ، ثم فُرِضَ عليه حظــراً جوياً في ثُلث المساحة الثاني للعراق وهي منطقة الجنوب الواقعة بين خطي عرض ٢٨ ، ٣٢ .

بهذا تمكنت القوات الأمريكية المرابطة في تركيا من اصـطياد أيـة أهـداف عراقية ثابتة أو متحركة في منطقة الحظر الشـمالي بينمـا تمـارس الطـائرات الأمريكية البريطانية المرابطة في قاعدة الأمير سلطان بالسـعودية مهامهـا فـي طلعات جوية روتينية فوق مناطق الحظر الجنوبي ولا يقل دورها عما تقـوم بـه الطائرات في الشمال.

أما العاصمة "بغـداد" والواقعة فعلياً تحت السلطة الشرعية في الثُلث الأوسط من العراق فقد كانت هدفاً دائماً للصواريخ العابرة والمنطلقة مـن البحـر والجـو بالإضافة إلى طلعات الطائرات التي تقصف المواقع والأهداف العراقية التي حددتها سلفاً فرق التفتيش العاملة في بغداد وفي مقدمة تلك العمليات ضرب بغداد بواسـطة ٢٣ صاروخاً من طراز توماهوك العابر للقارات في ١٩٩٣/٦/٢٧م.

بينما كثفت أمريكا من نشاطاتها المؤيدة للأكراد والداعمة لموقفهم الانفصـالي في سبيل إقامة دولتهم المستقلة وذلك بقصد إثارة القلاقل والمتاعب للنظام العراقـي عملاً على زيادة حدة الانقسامات الداخلية ولتجنيد الرأي العام العالمي ضد صـدام حسين ونظامه خاصة إذا ما همَّ صدام لقمع الانفصاليين شمالاً وجنوباً ، ومـن ثـم الحصول على الدعم المعنوي لموقفها المتجه لغزو العراق ولو بعمل أحادي منفرد ولتخفيف حدة الأصوات الرافضة للاعتداءات الأنجلو أمريكيـة المتواصـلة علـى العراق.

وأحسن الأكراد استغلال الدعم الأمريكي المجاني الهائل فـأعلنوا انفصـالهم بالإقليم الشمالي في أعقاب هزيمة العراق أمام قوات التحالف في ١٩٩١م وأعلنـوا "أربيل" عاصمة لدولتهم "كردستان" حتى ١٩٩٦/٨ حيث سقطت المدينة في أيـدي القوات العراقية والتي استمرت بالشمال العراقي ممـا جعلهـا هـدفاً للطـائرات الأمريكية حتى الحرب القادمـة.

ثم وقعت ثورة الشيعة في الجنوب كإحدى النتائج المباشرة لإثارة الداخل العراقي وتقليبه على حكومة بغداد ، واستطاع صدام القضاء على الثورة الشيعية الكبرى عام ١٩٩٢م ، بينما تعمل الولايات المتحدة في خط آخر لا يقل أهمية عن ما سبق ذكره ، حيث باتت تعمل على رعاية المعارضة العراقية في الخارج وتأهيلها وتدريب كوادرها وتلميعهم فجاءت دعوة البيت الأبيض لأول مرة لـ ٦ جماعات عراقية معارضة لإجراء محادثات في واشنطن في الوقت الذي قرر فيه المعارضون العراقيون تأجيل حكومة المنفى في ٢٠٠٢/٢/٢٧م.

وأشارت التقارير الصحفية عقب الاجتماع إلى أن فصائل المعارضة العراقية بصدد الإعلان عن حكومة بديلة لنظام صدام حسين خاصة مع تزايد التكهنات بأن الرئيس الأمريكي "بوش" يخطط لهجوم عسكري على العراق الذي يتهمه بتطوير أسلحة الدمار الشامل.

أما الفصائل المدعوة لحضور الاجتماع فهي (المؤتمر الوطني العراقي – زعماء الحزبين الكرديين الرئيسيين – جماعة المجلس الإسلامي الأعلى التي تتخذ من إيران مقراً لها بقيادة محمد باقر الحكيم – جماعة الوفاق الوطني العراقي).

وتم إذلال الشعب العراقي الذي يحاصره الجوع والفقر والمرض في الداخل خاصة مع القصف العمد من قبل الطائرات الأنجلو أمريكية للبنية التحتية الاستراتيجية كمياه الشرب والصرف الصحي ، وتردي الخدمات والمتطلبات التحتية للمواطن العراقي حتى يُصبح من الممكن إثارته واستثماره وتقليبه على حكومة بلاده وقت اللزوم.

وفوق كل ذلك وبأهمية بالغة يأتي تجهيز المسرح العربي شعوباً وحكومات بالتأكيد على الطرح الوهمي الأمريكي الجديد المسمى "خارطة الطريق" بقصد مشاغلتهم ومغازلتهم وتحويل اهتماماتهم إلى قضيتهم المحورية التي شارفت على إتمام القرن الأول منذ التدفق العلني للهجرات الصهيونية إلى فلسطين منذ الحرب

العالمية الأولى في القرن الماضي وكذلك لعدم الاعتراض أو الممانعة حال غـزو العراق بحجة الإطاحة بنظام صدام حسين الديكتاتوري الذي هـاجم جيرانـه مـن العرب ومن غير العرب وتسبب في تجويع شعبه ومرضـه – حسـب التصـور الأمريكي- .

وقد تردد "كولين باول" في رحلات مكوكية بين الـدول العربيـة وإسـرائيل وبلاده مروجاً الإصرار الأمريكي المبطن على إنهاء مشكلة الشرق الأوسط جذرياً بعد أن تتم الإطاحة بصدام حسين وذلك من خلال المشروع الأمريكـي الـوهمي للسلام الذي أعلنه "بوش" والمعروف باسم "خارطة الطريق" ..

وعلى الجانب التكتيكي الآخر فقد أثار الأمريكيون المشكلة النووية الكوريـة لتعويمها على سطح الأحداث للتغطية على الأحداث التي يتم الإعداد لها في الشرق الأوسط وهي مشكلة قد حُسِمت سلفاً إلا أن الإدارات الأمريكية تعلم تمامـاً متـى تستدعيها من المستودعات ومتى تُحيلها إلى الاستيداع وفق رؤى معينة في أوقـات محددة.

إذ أن دواعي المشكلة الكورية لا تزيد عن أنهـا ورقـة يُجيـد الأمريكيـون استخدامها لإثارة مخاوف اليابان وكوريا الجنوبية من المشروع النـووي الكـوري الشمالي المعلومة دوافعه والمدروسة نتائجه لاستثماره في وقت الحاجة واسـتغلاله عند الضرورة كما هو الحال الآن ..

وقد عمدت الإدارة الأمريكية إلى التأثير على الـرأي المحلـي ، واسـتقطابه وتحضيره بالترويج عن الخطر العراقي القادم الذي بات يهدد الداخل الأمريكي وأن إدارة "بوش" لن تنتظر حتى مجيء الخطر العراقي إلى البلاد بل أن "بـوش" هـو الذي سيذهب إلى العراق للقضاء على ذلك الخطر في معقله والإطاحة بنظام صدام حسين الديكتاتوري مُعلنة تلك الإدارة بذلك عن إقرار "بوش" لرؤية "أمير الظـلام"

فيما يُعرف باسم "الحرب الاستباقية" وإعلاناً منه بولادة نوع جديد من الحروب تضاف إلى الرصيد البشري.

٥- الإدارة

أجمع المراقبون والمحللون السياسيون والمفكرون على أن الإدارة الأمريكية سواء داخل البيت الأبيض أو تلك التي أعدت ورسمت ونفذت عملية الغزو العراقي للكويت وتوريطه في المشاكل الجمة التي أسفرت عن عملية الغزو هي جماعة صهيونية بالتمام ، ليكودية العقيدة وتعمل لحسابها وبإيعاز منها وبإخلاص لها.

ولا عجب في أن تكون الإدارة الأمريكية الحالية المعنية بخوض الحرب على العراق هي ذاتها الإدارة التي قادت حرب تحرير الكويت المعروفة باسم "عاصفة الصحراء" وهي ذاتها التي قصفت بغداد في عملية ثعلب الصحراء.

كما أنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون الذين صاغوا فكرة احتلال العراق والسيطرة على نفطه والسطو على مقدراته وتغيير نظامه ، هم أنفسهم الذين عملوا مع "بوش الأول" أثناء حرب الخليج الثانية ، وقد استخدموا في ذلك الوسائل والأدوات الخبيثة التي سبق القول فيها والإشارة إليها.

ويعتبر من أهم عناصر تلك الإدارة وأخطر رجالها ..

"أمير الظلام – ريتشارد بيرل"

هو الرجل الخفي الذي لعب دوراً كبيراً وخطيراً أثناء فترة الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا فقد كان له فضل التأثير على الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان" ٨١ : ١٩٨٩م بأن يصعد سباق التسلح مع الاتحاد السوفيتي مبرهناً بذلك على ما عُرف عنه بكرهه الشديد لكل معاهدات منع انتشار الأسلحة النووية أو نزعها خاصة مع العجز الاقتصادي السوفيتي عن تمويل نفقات ذلك السباق مما قد يؤدي إلى سقوط الاتحاد السوفيتي ذاته تعثراً أو إسقاطه عمداً.

وقد عُرف عن بيرل تشدده الكبير حيال الاتحـاد السـوفيتي وثبتـت صـحة نظريته.

ويحظى اليوم بنفوذ كبير من خلال مجلس السياسة الذي يترأسه فهـو مـدير مركز السياسات بوزارة الدفاع "البنتاجون" كما أنه يعمل مستشاراً خاصـاً لـوزير الدفاع الأمريكي .

وبعد أحداث سبتمبر الشهيرة ٢٠٠١ استطاع السيطرة على الـرئيس "بـوش الثاني" نظراً لأن بوش ليست لده خبرة بالسياسة الدولية حيث لم يقـم بـوش بـأي زيارة خارجية قبل توليه الرئاسة في ٢٠٠١ وحتى قيامه بغزو العـراق باسـتثناء زيارته للمكسيك نظراً لعلاقة تجارية خاصة وشخصية جداً ، كما أن خبرتـه فـي الشئون الخارجية ضعيفة جداً ، ومن هنا وجد "بيرل" المناخ المناسـب والفرصـة المتاحة للسيطرة على بوش.

وفي أحد اجتماعاته مع "بوش" طرح عليه سؤلاً ..

ماذا لو كان لدى أسامة بن لادن أسلحة كيماوية وبيولوجيـة وجرثوميـة .. مـاذا سيكون موقف الإدارة الأمريكيـة ؟

فلم يُجب "بوش" وسأله .. ومن أين لابن لادن بمثل هذه الأسلحة ؟

فأجاب "بيرل" .. من العراق ثم إيران ثم كوريا الشمالية ..

وتلك كانت البداية لما أسماه بوش "محور الشر" ..

وتكمن خطورة "ريتشارد بيرل" أنه هو ذاته الذي أطلق على الاتحاد السوفيتي في السبعينات مصطلح "إمبراطورية الشر" ثم أعاد إلى الوجود مرة أخرى "محـور الشر" على الدول الثلاثة سابقة الذكر.

إنه رجل مهم على الصعيد الاستراتيجي فهو يقود مركز السياسات في وزارة الدفاع الذي يضم ٣٠ خبيراً من أبرزهم مهندس السياسة الأمريكية ووزير الخارجية الأسبق "هنري كيسنجر" فهو يترأس "كيسنجر".

وأكد المراقبون على أن بوش عندما تحدث عن ضرب العراق في يناير ٢٠٠٢ إنما تحدث عن قناعة تامة بأفكار "بيرل" ونظرياته في الحرب الوقائية التي تبناها بوش وعمل بها ضد العراق بعد أن اقتنع تماماً بمناصحته له بحل المشكلة البترولية الأمريكية من خلال الاستيلاء على بترول العراق.

كما ينتمي بيرل إلى التيار الجديد من المحافظين المسيطرين على الإدارة الأمريكية وهو التيار الذي يرى أن القدر قد وضع أمريكا في وضع متميز يمكنها من إعادة رسم خريطة العالم كله وسياسته ، وهو الدور الذي يقل بحال عن الدور الذي لعبته "روما" في العصور القديمة.

وقال بيرل في حديث لجريدة "لوفيجارو" الفرنسية بأنه يأمل قبل مغادرة الجمهوريين البيت الأبيض أن يكون قد تخلص من صدام حسين وأقام ديمقراطية وأن يتبع ذلك تغيير في إيران وأعرب عن توقعه أن يتكفل السعوديون بتغيير السياسات التي أدت إلى اتساع المذهب الوهابي في العالم على حد قوله.

"بول وولفوفيتز"

هو الشخصية القوية التي وجهت الرئيس الأمريكي بوش نحو شن هجوم عسكري موسع على العراق من خلال عمله كنائب لوزير الدفاع الأمريكي ، وهو قائد فريق المحللين في البنتاجون عام ١٩٧٩ مع "دينيس روس" المبعوث الأمريكي الخاص بالسلام في الشرق الأوسط الذي عينه الرئيس الأمريكي الأسبق "بيل كلينتون" حتى عام ٢٠٠١.

كما عمل "بول" مدير السياسات لجيمس بيكر وزيـر الخارجيـة الأمريكـي الأسبق أثناء ولاية "بوش الأول".

وقد كتب عام ١٩٧٩ وثيقة سرية ناقشت احتمالات الغزو العسكري العراقـي للكويت قبل حدوثه بـ ١٢ عاماً والتي ناقشت أيضاً التهديد الذي يشكله هذا الغـزو للمملكة العربية السعودية واحتمالات الرد العسكري من جانب الولايـات المتحـدة وهو السيناريو الذي تجاهلته إدارة الرئيسين السابقين "جيمي كارتر" ٧٧ : ١٩٨١ ، و"دونالد ريجان" ٨١ : ١٩٨٩ ، كما أنه واحد من أعضـاء الحـزب الجمهـوري الحاكم الذي يؤيد بقوة إقامة علاقات مع المعارضة العراقية والاعتماد عليها للقيـام بتحرك سري ضد النظام العراقي.

وفي عام ١٩٩٨ كتب خطاباً مفتوحاً للرئيس الأمريكي وقع عليه وزير الدفاع "رونالد رامسفيلد" أكد فيه أن إزاحة صدام من حكم العراق سوف يؤدي إلى نهايـة مريحة ومرضية للأزمة العراقية.

وقد ذكر "جانين زاخاريا" المحرر في صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية قبل تعيين "بول" نائباً لوزير الدفاع الأمريكي أنه يهودي ، وأحد أعضـاء اللـوبي اليهودي في إدارة بوش والذي سيقفز من الفرحة لو فاز في منصب بينما الشـكوك تحيط باتفاقيات أوسلو من كل جانب ، كما ذكر "زاخاريـا" أن "بـول" هـو أحـد المؤيدين بقوة لاتخاذ إجراء حاسم ضد "صدام حسين" الذي يعتبره خطراً لا يمكـن تجاهله والعفو عنه ، أمّا هجمات سبتمبر ٢٠٠١ فإنه يؤمن إيماناً يقينياً بمبدأ بـوش الذي انبثق من تلك الهجمات القائل "إن الأصدقاء ينبغي حمايتهم وأن الأعداء ينبغي تأديبهم وأن الذين سيرفضون دعم الولايات المتحدة فـي حربهـا ضـد أعـدائها سيأسفون على ذلك" ، كما أنه من أشد الرجال الذين ربطوا بين العراق والهجمـات الإرهابية على مركز التجارة العالمي عام ٩٣ ثم هجمات ٢٠٠١/٩/١١.

"كــولين بــاول"

رئيس أركان الجيش الأمريكي والقائد الفعلي للعمليات العسكرية فـي حـرب الخليج الثانية ، الإفريقي الأصل – وهو وجه عند العرب أشيع عنه خطأ أنه مـن الحمائم في إدارة الصقور الأمريكية ، وهو يعمل الآن وزيراً للخارجية الأمريكيـة ومروجاً لسياستها ومدافعاً عن مصالحها.

من عرف عنه وقرأ له يصيب يقيناً بأنه صقر من الصقور الأمريكيـة التـي تعمل في إدارة واحدة هي "الإدارة الأمريكية" بكل ما عرفناه عنها ، إلا أنه لوجهـه المألوف وربما لسمرة بشرته ظنه البعض حمامة..

أما الحقيقة الماثلة هي أن الإدارة الأمريكية عند توزيع الأدوار تعمـل علـى مراعاة البعد النفسي فهي ترسل وجوهاً في الغالب مألوفـة فـي حـدود القبـول الجغرافي. إذ أن الوجه المألوف في أوروبا للتعبير عن السياسة الأمريكيـة لـيس بالضرورة أن يكون مقبولاً عند العرب والعكس كذلك.

فلو كان "باول" من الحمائم حقاً عقيدة وحقيقة وسلوكاً لما استمر في العمل مع إدارة الصقور الجوارح ، ولأتى ما فعله السيد "روبين كوك" وزير شئون البرلمـان البريطاني الذي استقال احتجاجاً على موقف التابع البريطاني "توني بلير" بما سوف يُعرض المصالح البريطانية للخطر بالإضافة إلى ما يخشاه من عُزلة بريطانيا عن الساحة الأوروبية وانفراد فرنسا وألمانيا بالسيادة والهيمنة على أوروبا.

"دونــالد رامســفيلد"

يعرف رامسفيلد جيداً داخل المنظمات الصهيونية وهـو الأكثـر ولاءً لهـا ، ويتمتع بسمعة كبيرة في الكونجرس بأنه ليبرالي جمهوري متشدد وقد قـاد جهـاز الحد من التسلح في عهد "ريجان" وعمل من ٨٣ : ١٩٨٤ مبعوثاً خاصـاً للشـرق الأوسط وقد أكسبته خبرة ما زال يتمتع بها حتى الآن ، وهو الذي قدم "ديك تشيني"

للرئيس الأمريكي "بوش الأب" ليحمل حقيبة الدفاع أثناء حرب الخليج الثانية ليصبح بعد ذلك نائباً للرئيس في عصر "بوش الابن".

"جي جـــارنر"

سيرد الكلام عنه في حينه ..

أبـــوهم فوق الشجـــرة ..

تشير الشواهد وتؤكد الدلائل على أن البابا "جورج بوش" بابا البيت الأبيض قد وقع قراراً ببدء العمليات العسكرية ضد العراق.

ويأتي هذا في ظل انقسام داخلي على مستوى القيادات صاحبة الرأي والنفـــوذ والتي تتداول على السلطة ومن دون تأمين الرأي العام وحشده خلفه ، حيث عمـــت المظاهرات العارمة الرافضة لسياسة بوش المندفعة للحرب على العراق في الداخل الأمريكي ذاته .

وقد أفادت استطلاعات الرأي بل أكدت الرفض الشعبي للحرب إلا أن النســـبة المعلنة في الاستطلاع المذكور شكك في صحتها الصـــحفي الصـــهيوني "تومـــاس فريدمان" وقال إن نسبة الرافضين للحرب أعلى بكثير مما أظهرته الاستطلاعات.

ومن هنا يمكن القول بأن بوش قد خرج عن القاعدة وسارَ على غير المألوف، حجته في ذلك مناصحة الناصحين بأن المعارضة ضد الحرب ستنتهي مع البدء في العمليات العسكرية بحجة أن الأمة يجب أن تتحد لئلا يؤثر الانقسام في معنويـــات الجنود ، تفادياً لعدم وضع المعارضة في قفص الاتهام بخيانة أمريكـــا فـــي وقـــت الحرب.

ولكن شتان بين وحدة استدعتها روح المؤامرة والابتزاز ، والوحدة الحقيقيـــة القائمة على أساس الاجتماع الوطني ، لأن الفارق سيظهر جلياً بعد انتهاء الحـــرب حيث سيعود الانقسام والشقاق أشد من السابق.

هذا بالإضافة إلى الوضع الخارجي الذي لا يزيد بحال عما هو عليه الحال في الداخل الأمريكي ، إذ أن إدارة البابا "بوش" لم تستطع الحصول على تأييد في روسيا أسيرة الديون الأمريكية على الرغم من عرض "بوش" الذي قدمه لنظيره الروسي "فلاديمير بوتين" باقتسام الكعكة العراقية قبل شهور من اندلاع الحرب على العراق ، كما عجزت أيضاً عن الحصول على تأييد حليفها الاستراتيجي في الشرق الأسيوي "الصين" ، كما أنها فشلت فشلاً ذريعاً في عدم استطاعتها الحصول على الأصوات التسعة في مجلس الأمن رغم الضغوط الهائلة التي مارستها أو الإغراءات التي عرضتها حتى أن الرئيس الأنجولي قال معقباً على اتصال هاتفي تلقاه من مستشارة الأمن الأمريكي "كونداليزا رايس" للحصول على موافقة بلاده وتأييده للحرب على العراق ، وهو الاتصال الأول من نوعه عبر التاريخ الأنجولي الطويل "لقد تذكرت الولايات المتحدة أن هناك بلد اسمه أنجولا"..

بوش عرض على بوتين خطة لحكم العراق بلجنة عسكرية متعددة الأطراف

موسكو - أ.ش.أ: ذكر مصدر دبلوماسي روسي أن الرئيس الامريكي جورج بوش أطلع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الاسبوع الماضي على خطة بشأن تشكيل لجنة احتلال عسكرية متعددة الأطراف في العراق، بعد الإطاحة بنظام الرئيس العراقي صدام حسين.وقال المصدر إن خطة بوش تهدف إلى تشكيل لجنة تقودها الولايات المتحدة تشمل روسيا، وبريطانيا، والمانيا، وفرنسا للإشراف على حكم عسكرى دولى مشترك فى العراق، على غرار ما حدث فى اليابان عقب الحرب العالمية الثانية، إلى حين تسليمه إلى حكم مدنى دولى.

"جريدة الأهرام القاهرية ، ص ١ ، في ٢٠٠٢/١١/٢٩

وعلى الجانب الآخر فإن التجمع المضاد المسمى بالتحالف الدولي بشأن العراق فإنه مصاب بالعجز والكسل والهزال كماً وكيفاً في ظل معارضة دولية ضخمة يدعمها رأي عام عالمي شبه جماعي وشبه متفق على رفض فكرة الحرب والتلويح بها.

أما النشاذ البريطاني بالتبعية العمياء لأمريكا والمصاحب بتأييد مطلق من جانب الحكومة الأسبانية بقيادة "خوزيه ماريا أزنار" الذي تحدى شعبه فإنه نشاذ لا يجب الاعتداد به لأنه تحالف خرج إلى الحياة يحتضره الموت بسبب المعارضة الشديدة لـ "توني بلير" حتى من داخل حزبه الحاكم ، أما "أزنار" فقد اضطر إلى الإعلان عن أن بلاده لن تشارك في الحرب بجنودها رغم التأييد الحكومي العلني حيث يواجه "أزنار" معارضة داخلية وصلت إلى أكثر من ٩٤% ، وهو الموقف المتطابق مع رئيس الوزراء الاسترالي "جون هوارد" حيث يواجه معارضة وإحراج داخلي شديدين.

إن فشل الإدارة الأمريكية أو ضعفها في تقوية حجتها التي تعزز دعواها بشأن إعلان الحرب على الرغم من جهودها المضنية لتقديم قضية قوية قد أدى بها إلى تزوير بعض الوثائق والمعلومات وازدادت رغبتها في سبيل البرهنة على صحة ادعاءاتها إلى حد الاعتماد على وثائق مزورة كانت قد قُدّمت لها.

وقد اعترفت الولايات المتحدة بأن ما في يدها من أوراق مزورة خاصة تلك التي تختص بكمية الـ "٥٠٠ طن" يورانيوم التي قيل أن العراق اشتراها من النيجر وقد جعلت "أمريكا" تبحث عن الدولة الثالثة التي دست عليها تلك الأوراق المزورة ، وفي هذه الحادثة مؤشر كبير على بطلان الإدعاءات الأمريكية بشأن دعاوى الحرب وفساد مبرراتها خاصة إذا ما علمنا أن الدولة الثالثة التي تبحث عنها أمريكا هي وكيلها في الشرق الأوسط والدول التي تعمل لصالح هذا الوكيل

وعلى الرغم من ذلك فإن إدارة "بوش" لم تستطع إقناع أحد خاصة بعد تقرير "بليكس – البرادعي" المقدم في الجلسة العلنية لمجلس الأمن حيث جاء في غير مصلحة الادعاءات الأمريكية ، مما شكل قناعة مرضية لدى الأطراف الرافضة للحرب أن عودة لجان التفتيش ستحقق النتيجة المنشودة بحيث تصبح المطالبة باستخدام القوة دعوة في غير محلها.

إن الإدارة البابوية في البيت الأبيض شكلت شذوذاً صارخاً حتى بمقياس الإدارات الأمريكية السابقة ، مما يجعلنا عاجزين عن تفسير ذلك الموقف الجديد بحيث لا يمكن تفسيره إلا من خلال محاولة التعرف على الطبيعة النفسية والأيديولوجية للفريق العامل مع بوش ، حيث أنه الفريق المسئول عن القرار الأمريكي وصياغته لدفع الأمور لا إلى درجة الحرب فحسب بل والإعلان ببدئها، وهو ذاته الفريق الذي لا يعرف لغة إلا لغة العضلات والقوة العسكرية في العلاقات الدولية وفي مقدمة هؤلاء "دونالد رامسفيلد" ، "ديك تشيني" بالإضافة إلى طرف يهودي صهيوني للنخاع يحمل في رأسه وصدره ودمه أهداف المشروع الصهيوني "إسرائيلياً وعالمياً" وطرف ثالث مسيحي توراتي متصهين عارضته غالبية الكنائس المسيحية داخل أمريكا وكل الكنائس المسيحية خارجها من أهم رموز هذا الطرف "جون شكروفت" وزير العدل الأمريكي وعلى رأسهم البابا "جورج بوش الثاني" المنتمي للعقيدة المسيحية التوراتية المتصهينة.

من هنا يمكن القول أن الإدارة الأمريكية تتشكل من تركيبة متطرفة متصهينة على طول الخط تحمل في ضميرها هدفين أساسيين ، يتعلق الأول بالمشروع الصهيوني الإسرائيلي مما يجعل من احتلال العراق ضمن الثورة الاستراتيجية المتطورة للمشروع الصهيوني رغبة محمومة إلى حد تجاهل ما عداها من

الأولويات الأخرى ، والثاني .. استخدام العراق ونفطه كـأداة لإخضـاع الـدول الكبرى وبناء نظام عالمي جديد.

هذان الأمران يشكلان قاعدة الانطلاق المدمجة للأهـداف المزعومـة التـي ستنطلق خطوتها الأولى نحو احتلال العـراق ..

٦- العد التنازلي

بوش يبحث مع أعضاء مجلس الأمـن القـومي (الأربعـاء : ٢٠٠٣/٣/١٩) تحديد الوقت المناسب لبدء الحرب في الوقت الذي تشير فيه الأنباء الـواردة مـن أمريكا أن الضربة الأولى ضمن العملية الافتتاحية للعمليات العسكرية ضد العـراق ستكون خلال الساعات القليلة القادمة وإنه سيلقي بياناً إلى الأمـة فجـر الخمـيس بالتوقيت المحلي لبغداد.

وإلى أنقرة وصلت ٧ مستشفيات متنقلة و٧ مراكز طبية إلى مدينة "ديار بكر" التركية استعداداً للحرب المتوقعة ، بينما يُعلن وزير الخارجية التركي أن البـاب لا يزال مفتوحاً لتقديم مساعدات أوسع للولايات المتحدة في حربها على العراق .

وفي بغداد ، طارق عزيز يظهر على شاشات التليفزيون العراقي في حـوار مباشر نافياً بذلك الأنباء التي أوردها الإعلام الكاذب عن هروبه وتسليم نفسه إلـى الأكراد في الشمال ، وقد بدأت القوات العراقية بزراعة المناطق المجاورة لمنطقـة كركوك البترولية بالألغام.

وفي برلين المستشار الألماني "جيرهارد شرودر" يؤكد أن القـوات الألمانيـة الموجودة بالكويت ضمن التحالف السابق لن تشارك في الحرب على العراق.

وفي لندن ، يتم تجهيز قاذفات بي ٥٢ العملاقة في قاعدة فيرفـورد اسـتعداداً لضرب العراق.

وفي الكويت وقطر ، المسئولون العسكريون الأمريكيون والإسرائيليون الموجودون سراً يُبلغون البنتاجون ، والبنتاجون بدوره يُبلغ بوش بإتمام استعدادات القوات في الخليج والكويت وقطر والبحر الأحمر وبحر العرب لإنجاز المهام الموكلة إليها .

وفي العراق ، جدد المجلس الوطني العراقي في جلسته الطارئة رفضه بالإجماع للإنذار الأمريكي للرئيس العراقي وأكد النواب العراقيون استعدادهم للدفاع عن بلادهم ومواجهة أي عدوان. وقد عقد الرئيس العراقي اجتماعات متعددة استعداداً للحرب القادمة ، وشملت الاجتماعات مجلس قيادة الثورة ، قيادات حزب البعث العربي الاشتراكي "الحاكم" ، مجلس الوزراء وأتبعه صدام باجتماع مع وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وعدد آخر من قيادات الجيش ناقش خلاله العديد من القضايا مثل الموضوعات السياسية الحالية وإدانة الخطاب الأمريكي وبحث واستعراض خطة الطوارئ القادمة.

وفي جلسته الطارئة أعلن البرلمان العراقي رفضه وإدانته وشجبه للحرب القادمة وتضامنه ووقوفه بالإجماع صفاً واحداً خلف الرئيس العراقي.

وزير الخارجية العراقي يندد بالإجراءات التي اتخذها "عنان" بشأن سحب مفتشي الأمم المتحدة والقائمين على برنامج النفط مقابل الغذاء والعاملين المدنيين التابعين للأمم المتحدة ، والمراقبين الدوليين على الحدود مع الكويت ، وأضاف بأن ذلك انحياز واضح لصالح أمريكا وخرق لقرارات مجلس الأمن.

فتوني بلير يشن هجوماً عنيفاً على فرنسا وحملها مسئولية عدم قدرة مجلس الأمن على التوصل إلى قرار ثان بشأن العراق كان كفيلاً بتغيير الموقف برمته عما هو عليه الآن ، وفي تلك الجلسة تقدمت "آن كامفل" عضو مجلس العموم

البريطاني باستقالتها كسكرتيرة برلمانية خاصة لوزير الدولة البريطانيــة للتجــارة والصناعة لتلحق بركب الشرفاء المستقيلين احتجاجاً على سياسة "توني".

الطائرات الأمريكية تقصف وحدات المدفعية العراقيــة المضــادة للطــائرات ومنصات الصواريخ فيما قيل أنه ضمن مهامها وطلعاتها الروتينية على العراق.

ترقب دولي .. عجز عربي .. صمت إسلامي .. وهياج شعبي عارم رافض للحرب في جميع دول العالم ، والشعب العراقي اطمأن على مخزونه السلعي الذي وفرته الحكومة ليفي باحتياجات المواطنين مدة ستة شهور على الأقل.

يأتي هذا في ظل اندفاع قطار الحرب بسرعته المجنونة نحو بغــداد متخطيــاً لأية حواجز دبلوماسية ، والعالم الآن ما بين أطراف دافعة لحرب اســتباقية ضــد العراق ، وأخرى لا يسعها سوى الشعور بالحزن والإحباط لما آلت إليــه النافــذة الدبلوماسية الموشكة على الانغلاق بينما الحرب يتعالى نفيرها.

وتتسارع الوتيرة .. فلم يتبق إلا ساعات قليلة وتنتهي المهلة التي حددها بوش لصدام لينكشف بعدها وجه التاريخ الجديد ويقع الصِدام مع "صَدّام" في حرب غيــر متكافئة.

ويبدو أنها ستكون المعركة الأخيرة للعراق إلى حين من الدهر .

❋ ❋ ❋

الباب الرابع

الانفجــــــار

الباب الرابع

الانفجـــار

١- عنـد الفجـر ..

تمام الثانية والنصف ليلاً .. وقُبَيل فجر الخميس ٢٠/٣/٢٠٠٣م الموافــق ١٧ محرم ١٤٢٤هـ بالتوقيت المحلي لمدينة بغداد عاصمة العباســيين فــي العصــر الذهبي للحكم الإسلامي وعاصمة العراق الحديث.

توقيت لا ينسى ، ساعة لا تنسى ، ليلة حفرتها الأحداث بخطوط بــارزة فــي ذاكرة التاريخ ليزداد التاريخ العربي مرارة مع الأحداث الجسام إلى جانب ســقوط بغداد بيد التتار في ١٢٥٨م على يد هولاكو الذي دمر حضارتها الزاهــرة وذبــح أكثر من مليون مسلم في أكبر مذبحة عرفها التاريخ(١).

وعلى صفحات التاريخ يُطالعنا كذلك سقوط بغداد عام ١٣٩٣م بيد "تيمورلنك" وقد أشاع الخراب والدمار في كل المناطق التي عبرها جيشه ، ولا يزال التــاريخ يذكر سقوط غرناطه للأسبان المسيحيين في ٢٥/١١/١٤٩١م وكذلك يــذكر اليــوم الحزين في تاريخ أمتنا عندما دخلت القوات الأراجونية والقشتالية بقيادة "فردينانــد وإيزابيلا" إلى "غرناطة" آخر المعاقــل العربيــة الإســلامية فــي الأنــدلس فــي ٣/١/١٤٩٢ الموافق ٢ ربيع الأول ٨٩٧هـ(٢).

---

(1) موجز تاريخ العالم ، ص : ٨٨.
(2) المصدر السابق ، ص : ١١٦.

ولا تزال على صفحات التاريخ مأساة دخول العثمانيين إلى القاهرة في صبيحة ١٥١٧/١/٢٣م وكيف انتصر العثمانيون بقيادة "سليم الأول" على جيش المماليك بقيادة "طومان باي" مما أدى إلى فرار "طومان" هارباً إلى أن تم إلقاء القبض عليه بعد ذلك ثم إعدامه ، حتى جاء الخامس والعشرين من يناير ١٥١٧م حيث أمر سليم بنقل معسكره من الريدانية إلى بولاق وأُحضِرت له مفاتيح القلعة واتخذ من بولاق مركزاً لقيادته وأعماله الحربية ، وهكذا انتهت الإمبراطورية المملوكية في مصر وفقدت مصر استقلالها وسيادتها وأصبحت ولاية عثمانية[1].

إنها الأحداث الأكثر سواداً في صفحات تاريخنا الذي لابد من تَجرُّع ملوحته ومرارته حتى نتذوق حلاوة شهده.

ثُم تمخَّض التاريخ الأسود مع سواد الليل قبيل فجر الخميس لِيَلِدَ في درة الشرق "بغداد" أحداثاً أشد سواداً ستغير مجرى التاريخ وتحول مسار الشعوب بالسلب أو الإيجاب وتؤكد سيادة شعب آخر على الكرة الأرضية باعتبارهم الشعب السامي دون سواهم فهم كما قالوا .. وقال الله تعالى : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه﴾ (المائدة : ١٨) ، إنهم القائلون بأنهم الساميون فوق الأمم الذين سيقودون الشعوب كما يسوق رعاة البقر (Cow Boy) قطعان الماشية إلى المجهول المظلم.

ومن هذا المنطلق وقف الراعي الأكبر ليُعلن في واشنطن عن انتهاء المهلة الممنوحة للرئيس العراقي بالتنحي عن السلطة ومغادرة العراق. وكانت تلك بمثابة "الشفرة" المتفق عليها سلفاً بين القيادة السياسية في البيت الأبيض والبنتاجون وقيادة القوات الأمريكية في قطر للبدء في العمليات العسكرية التي قال عنها بوش أنها تستهدف (حرية العراق) .. وهو مسمى جديد تجاوز به بوش الأهداف المُعلنة سلفاً وقد سوقت لها الإدارة الأمريكية سياسياً وإعلامياً ورددها المغفلون أنها لنزع

---

(١) مصر في عصر المماليك والعثمانيين ومصادر أخرى كثيرة.

أسلحة الدمار الشامل العراقية .. ثم قيل أنها تستهدف الإطاحـــة "بصـــدام حســـين" ونظامه ، وجاءت الأخيرة "حرية العراق" وليس غريباً أن تتدخل القوات الأمريكية للإطاحة بنظام حكم غير مُوالٍ لهـــا[1].

"إنها حقاً حرية العـراق"

إلا أنها هي المرة الأولى فـــي العـــالم العربي والحادثة الثانيـــة فـــي العـــالم الإسلامي خلال العقد الأول من القـــرن الأول في الألفية الثالثـــة ولـــيس مـــن الكياسة أن نتساءل .. ماذا لـــم تعمـــل أمريكا على تحرير الفلسطينيين من الذل والهوان والاستعباد ..؟ ولماذا لم يتحرك لهم ساكن أمام القمع والقهر والبطش والقتل البارد والساخن الذي ترتكبـــه القـــوات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل ؟

ومن السذاجة كذلك أن نقف أمام التصرف الأمريكي والدولي عندما قصـــفت حركة طالبان الحاكمة في افغانستان تماثيل الإله المزعوم "بوذا" بحجة أنها تـــراث وميراث حضارة إنسانية حتى جاءت أحداث سبتمبر فأطاحـــت أمريكـــا بالحركـــة الطلابية الإسلامية الحاكمة في أفغانستان وعينت حاكماً موالٍ لها.

وليس لنا أن نتساءل عن سياسة غض الطرف الأمريكي حيال المستصـــرخين تحت الأنقاض بعد أن هدمت الجرافات الإسرائيلية والبلـــدوزرات منـــازلهم علـــى رؤوسهم في صورة دامية بشعة متكررة على مدار اليوم وحتى الغد ، فضلاً عـــن وقوع أكثر من ٩٠٠٠ فلسطيني أسرى في سجون الإسرائيليين ومعتقلاتهم.

عمـــوماً .. لقد أصدر البابا "بوش الثاني" أوامره ببدء العمليات العسكرية ، فقد استيقظت بغداد على موجات متتابعة من القصف الجوي والصاروخي الشـــديد

(1) راجع تاريخ التدخلات الأمريكية في بلدان العالم في صدر الكتاب.

والكثيف بما لم تشهد بغداد عبر تاريخها الطويل مستهدفة إعداد مسرح العمليات لدخول القوات البرية ، وقد استهدف القصف أهدافاً بعينها سبق رصدها والتعرف عليها ورسم خرائطها والتي كانت من مهام فرق التفتيش العاملة في العراق. وذلك ما أكدته التصريحات التي صدرت على لسان "ريتشارد باتلر" رئيس لجان التفتيش السابق في العراق بما يؤكد على أن تلك الفرق كانت سَرِيّة استطلاع تُحدِد الأهداف وترسم الخرائط وتحدد المواقع وتنزع الأسلحة حتى الأظافر لتجعل من العراق هدفاً سهلاً للقاذفات الأمريكية بينما العراق يستمر في تدمير صواريخه وعن غير اقتناع حتى اللحظة الأخيرة.

حتى اطمأن الأمريكيون وحلفاؤهم والمجتمع الدولي المُحيرة مواقفه والإدارة البابوية في البيت الأبيض أن العراق أصبح فريسة يمكن افتراسها ، انقضوا عليه في هجمة شرسة ليعودوا به إلى العصر الحجري القديم بعد تدمير حضارته ونسف مقدراته واستنزاف خيراته ، وانتزاع ثرواته من خلال إجباره على الدخول في حرب غير مستعد لها ومن ثم يكون احتلاله .

وعلى ذلك فليس بصحيح أن نقول "الحرب ضد العراق" ولا أن نقول "حرب الخليج الثالثة" إنما الصحيح هو "الحرب على العراق" لأن الحرب في المفهوم السائد هو التقاء جيشين في ساحة قتال وجهاً لوجه ، أما في الحالة التي نحن بصددها فإنها قوى البغي والعدوان بكل ما لها من أسلحة متقدمة ووسائل تكنولوجية يمكنها أن تصيب أهدافها بدقة من مسافة تبلغ ٣٠٠٠ كم ، و٥٠٠ كم على أدنى تقدير لبعض أنواع الأسلحة . جاءت هذه القوى لتعتدي على العراق في عقر داره وهو لا يملك إلا سلاح الإيمان بالله وعدالة قضيته وما تبقى له من أسلحة تخلفت عن الحربين السابقتين وهي متخلفة كثيراً عن الأسلحة الموجهة إليه والمهدد بها ، فضلاً عما تم تدميره من الدفاعات العراقية منذ فرض الحظر الجوي الشمالي والجنوبي في العراق وحتى الآن.

وجاء في كلمة بوش إلى الشعب الأمريكي فجر الخميس المذكور مـــع بدايـــة الغارات الجوية والصاروخية المكثفة على العراق تذكيراً لشعبه أنه سيكون هنـــاك خسائر وضحايا من المدنيين العراقيين بالطبع. ويمكن أن تكـــون علـــى مســـتوى الأمريكيين كذلك لأن الأهداف العسكرية العراقية هي داخل المدن ووسط المـــدنيين وذكر صراحة أنها لن تكون حرباً سهلة ولا قصيرة.

وهو تصريح لا يتعدى كونه تبريراً للأخطاء المحتملة بل المؤكد وقوعهـــا ، وتمهيداً للرأي العام الأمريكي الرافض للحرب لتحمل الخسائر وقبول التضـــحيات وعدم الانزعاج من الضحايا العراقيين خاصة مع توقع الخبراء أن ينتج عن هـــذه الحرب استشهاد نحو مليون عراقي ، وخمسة ملايين مصاب من جـــراء اســـتخدام نوعيات الأسلحة الحديثة التي تستخدم ولأول مرة نوعيات القذائف المحرمة دولياً ، وقد أعلنت أمريكا أنها ستستخدم اليورانيوم المنضب وهو من أخطر أسلحة الـــدمار الشامل فيما يُضرب العراق بادعاء امتلاكه له.

لقد حاول بوش في خطابه أن يبحث عن شكل من أشكال تقنين الجريمة فـــي المجتمع الأمريكي ، وأكد على أنه إذا لم يخرج صدام حسين إذعاناً للإنذار فسوف يضرب العراق ولن يُثنى عن قراره بدخول العراق.

٢- تعليقـــات

- مع بدء القوات الأمريكية شن غاراتها الجوية على العـــراق صـــرح "صـــدام حسين" باتهام بوش بارتكاب جريمة ضد الإنســـانية وأعلـــن تحديـــه للهجـــوم الأمريكي على العراق.
- وفي بكين ، القيادة الصينية الجديدة تدعو لوقف الحرب.
- فرنسا تدعو للوقف الفوري للحرب على العراق.

- لندن ، "بلير" يعقد اجتماعاً لمجلس الحرب البريطاني خلال ساعات علماً بأن بوش لم يخطره بموعد بدء العمليات.
- موسكو ، الحرب على العراق عدوان على الشرعية الدولية وتجاهل لقرارات الأمم المتحدة ، وهي ليست تهديداً لاستقرار المنطقة فحسب بل ولمنظمة الأمم المتحدة مجتمعة ، ومجلس النواب الروسي "الدوما" يجتمع ويحتدم الجدل بين الإصلاحيين والمحافظين حول أهمية إصدار قرار حازم يدين الحرب على العراق ، وطالب كثير من ممثلي الأحزاب في مجلس "الدوما" بعدم التصديق على معاهدة تقليص الأسلحة النووية التي سبق ووقعها "بوش وبوتن" العام الماضي.
- هذا وقد بدأت القوات الأمريكية في عمليات وحملات عسكرية موسعة في الجنوب الأفغاني على مقربة من الحدود الباكستانية في عمل غير مسبوق منذ تشكيل الحكومة الأفغانية بمعرفة الأمريكيين ، فيما استهدفت الإدارة الأمريكية من وراء تلك العمليات تحقيق مجموعة من المكاسب من أهمها :
    - خلق بؤرة ساخنة للتوترات لاستقطاب أنظار العالم نحوها بعيداً عن أحداث الخليج.
    - إرباك القوتين الإسلاميتين "إيران والباكستان" في متابعة ما يدور في أفغانستان.
    - إجبار قيادات طالبان والقاعدة على مغادرة الأراضي الأفغانية والدخول "الفرار" إلى الجوار المباشر "إيران ، باكستان" لاستخدامهم ورقة ضغط على حكومتي البلدين وقت اللزوم.
    - مشاغلة تنظيم القاعدة وتحويل اهتماماتهم إلى مصيرهم للقضاء المبكر على فكرة إرسال متطوعين إلى العراق.

- الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى : هذا يوم حزين لكـــل العـــرب أن يتعرض بلد من بلادهم وشعباً من شعوبهم لضربة عسكرية لا تبقي ولا تذر ، وطالب مجلس الأمن بالاضطلاع بمسئولياته وعمل اللازم لوقـــف العـــدوان ، وأعلن أنه يتشاور مع الوزراء العرب.

- أنقرة ، الإعلان عن تحرك قوافل كبيرة من الدبابات الأمريكية في تركيا باتجاه الجنوب ، صَوْبَ شمال العراق ، وقد أفادت الأنباء عن أن تلك القوات وفرت غطاء لدخول خبراء عسكريين في مجال الدفاع الجوي الإســـرائيلي لاختبـــار الأنظمة الإسرائيلية الجديدة في شـــمال وغـــرب العـــراق ولتـــتمكن القـــوات الإسرائيلية التي تسللت إلى العراق من نصب بطاريات الصـــواريخ المضـــادة للصواريخ والمعروفة باسم "باتريوت" بالإضافة إلى الصواريخ الإسرائيلية في ذات المجال بغرض التعامل مع صواريخ سكود العراقية حالة اطلاقها.

- طائرات التحالف تقصف البصرة جنوب العراق وتركز قصـــفها علـــى آبـــار البترول والقيادة المشتركة لقُوى البغي تروج لأن العراق قد أشعل آبار الـــنفط .. والعراق ينفي.

- بدأ التراشق المدفعي بين القوات الكويتية والعراقية في بداية المرحلة الافتتاحية للعمليات ، ونفوس الكويتيين تتوق للثأر .

- الفرقة الثالثة مشاة الأمريكية الموجودة بشمال الكويت تتحرك صوب الحـــدود العراقية مما يُعد مؤشراً على قرب الغزو البري للعـــراق فعليـــاً مـــن جهـــة الجنوب.

- المظاهرات الضخمة أصواتها تهز العالم مطالبة بالوقف الفوري للحرب.

- مطار القاهرة يستقبل ٣٠٠٠ مصرياً من العاملين بالكويـــت فـــي ١١ رحلـــة طيران.

- تنفيذاً لتوجيهات الرئيس "مبارك" وتحت إشراف وزارة الخارجية تم إيفاد ثلاث بعثات قنصلية للعمل في نقاط حدود "الكرامة ، الرويشد ، العقبة" لتأمين عـودة المصريين العائدين من العراق ودول الخليج.
- صواريخ كروز العابرة تتساقط على بغداد متزامنة مع القصف الجوي باتجـاه القصور الرئاسية ووزارة التخطيط ومبنى الإذاعة والتليفزيون.

أما "بوش" فقد أعلن عن مصادرة ١٠٠ مليار دولار ملك الحكومة العراقية في البنوك الأمريكية واستثنى من ذلك الأموال المسماه بالدبلوماسية وأصدرت أمريكـا أوامرها بإغلاق ١٣ سفارة وقنصلية في بلدان العالم.

وقبل البدء في العمليات العسكرية القذرة على العراق انطلقت حرباً هي الأشد قزارة عبر سنوات التاريخ الإنساني كله – تلك ما عرفت بـ

الحرب الإعلاميـــــة ..

لعبت الحرب المعلوماتية والإعلامية دوراً مهماً وكبيراً في الحرب الأمريكية على العراق وقد اعتمدت عليها القيادة العسكرية الأمريكية كأداة رئيسية للعمل إلى جانب الأعمال العسكرية.

ولقد كانت هناك محطات تحجب أخباراً وأخرى تبرز أخباراً بشكل مبالغ فيـه ويرجع ذلك إلى أنها تكون مؤيدة بشكل أو بآخر لبعض الأطراف المشـاركة فـي العمليات ، بالإضافة إلى تنوع مصادر المعلومـات وغزارتهـا بحيـث لا تكـون الضحية الأولى للتضاربات الإعلامية سوى الحقيقة.

وقد بدأت الحرب المعلوماتية أولى شائعاتها المضللة المغرضة بالإعلان عـن هروب "طارق عزيز" إلى الأكراد ثم جاء عقبه الإعلان عن فرار ١٥ جندي إلـى الشمال ، وقد ثبت بطلان تلك الإدعاءات المضللة حتى مُنذ قبـل بدايـة الحـرب العسكرية.

وبعد مرور حوالي ٨ ساعات فقط على اندلاع الحرب أعلنت القيادة المشتركة في قطر نبأ سقوط "أم قصر" في أيدي القوات البريطانية ثم تطايرت أنباء أخـــرى عن سقوط المدينة كاملة وإحكام السيطرة عليها ، وقد أذاعت قنـــوات التليفزيـــون العربي صوراً للدبابات والجنود الأمريكيين والبريطانيين وهم يصولون ويجولـــون في شوارع أم قصر وكانت هذه ثاني أكبر كذبة بعدما أذيع عن هروب "عزيز".

فالثابت تاريخياً أن أم قصر الحدودية قد تم تقسيمها بـــين الكويـــت والعـــراق وخضعت بعضها للسيادة الكويتية بعد قبول العراق لمقررات الأمم المتحدة بشـــأن ترسيم الحدود بين الدولتين إثر هزيمة العراق أمام قوات التحالف في حرب ١٩٩١ وهي المنطقة التي تم فيها تصوير القـــوات الأنجلـــو أمريكيـــة وترويجهـــا عبـــر الفضائيات ، أما أم قصر العراقية فلا زالت محررة وبيد أصحابها العراقيين ، وقد اعترف الكاذبون بعد ذلك.

يأتي ذلك في الوقت الذي تُسقِط فيه الطائرات المعادية عشـــرات الآلاف مـــن المنشورات الداعية إلى التمرد على القادة العراقيين والثـــورة ضـــد حكـــم صـــدام والاستسلام للقوات الغازية ، هذا وقد أذاعت القنوات العربية نقلاً عن "سي إن إن" و"فوكس نيوز" نبأ استيلاء قوات التحالف على مدينة الناصرية وآخر عن الاستيلاء على الموجة التي تبث الفضائية العراقية.

وقد اعترف الكاذبون بعدم الاستيلاء على الناصرية أو أم قصر بعد أن فضح أكاذيب "علوج[1] الاستعمار – الأوغاد" وزير الإعـــلام العراقـــي "محمـــد ســـعيد الصحاف".

وانطلقت من أقاصي الشرق دعوة أندونيسيا لعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن لبحث الهجوم الأمريكي على بغداد.

---

(1) العِلجُ : كل جافٍ شديدٍ من الرجال (ج) عُلُوج ، أعلاجٌ.

.. لمـــــــاذا ؟

كان التقسيم الذي قسم العراق فعلياً إلى ثلاثة قطاعات [الجنوبي ، الأوسـط ، الشمالي] هل تم ذلك لتوفير الحماية فعلياً للشيعة في الجنوب وحماية الأكـراد فـي الشمال طبقاً لما أعلنه مصدرو القرار القائمون على تنفيذه.

إنما الهدف الحقيقي هو الذي كشفت عنه الأحداث الفعلية مع بدأ العدوان على العراق وهو ما نبينه فيما يلي :

يتركب العراق من خليط من التركيبات العرقية والقوميـة والطائفيـة حيـث يتمركز السُنة في وسطه والشيعه في جنوبه أما الشمال فهـو خلـيط مـن السُـنة والأكراد والكلدانيين والأشوريين واليزيديين والصائبة والاسـماعيلية ومجموعـات أخرى من أهمهم التركمان ويبلغ عددهم جميعاً حوالي الخمسة ملايين مواطن.

أولاً – بغـــداد

يضعها الأمريكيون والبريطانيون نصب أعينهم للاستيلاء عليها فهي العاصمة والمدينة الأم في العراق.

كما أنها المركز الإداري والسياسي والحكومي والتعليمي في العراق ، ويشهد لها تاريخها بأنها كانت مصدراً لإشعاع العلم والمعرفة بمختلف فروعها ومجالاتها في العصر الذهبي للخلافة العباسية عام ٧٦٢م.

تلك المدينة التي أنشأها الخليفة العباسي "أبو جعفر المنصور"(١) على ضـفاف نهر دجلة لتكون مدينة للسلام ، وكانت بغداد أحد مراكز الحضارة وظلت عاصمة دولة الخلافة الإسلامية في العصر العباسي حتى عـام ١٢٥٨م عنـدما اقتحمهـا جحافل التتار بقيادة "هولاكو" فدمروها وحرقوها وخلفوا ورائهم قدراً هـائلاً مـن

---

(1) نظرات حول العصر العباسي الأول ، ص ٧٨.

الكوارث والخراب والدمار[1]، وقد عبرت تلك الجحافل نهر دجلة على جسر مـــن كتب دار الحكمة التي كانت مقصداً لطلاب العلم الذين يفدون إليها من كـــل حـــدب وصوب لينهلوا من علمها في وقت كانت تعيش فيه شعوب كثيرة من العـــالم فـــي غياهب العصور الوسطى وفي مؤخرتهم كانت أمريكا وقتها تقع غائبة في "رحـــم التاريخ".

ومنذ بنائها حتى الآن تعرضت المدينة العريقة لأحـــداث خطيـــرة ، فنظـــراً لأهميتها الاستراتيجية كانت ساحة قتال بين الفرس والعُثمانيين ، إلـــى أن دخلـــت بريطانيا حلبة المنافسة حتى خضعت العراق للاستعمار البريطاني طوال الفترة من ١٩١٧ : ١٩٣٢.

بعد ذلك دخلت بغداد مرحلة جديدة من إعادة البناء والإعمار والتطوير شـــمل كافة مناحي الحياة ، على أن التطور الأبرز كان خلال السبعينات ، كما أن بغـــداد تحتفظ بمكانة كبيرة في قلوب العرب حتى أن وزير الخارجية الســـعودي وصـــفها ذات مرة بأنها زهرة الحضارة العربية والإسلامية .

وخلال حرب ٩١ دمرت طائرات ما يُسمى بالتحالف الدولي معظـــم مبـــاني ومعالم والبنية التحتية للعاصمة العراقية "بغداد" ، وظلت أعمال القصـــف تتـــوالى بصفة روتينية ودورية حتى استيقظت مدينة "بغداد" تحت وطأة أعنف قصف فـــي تاريخها يهدف حسب زعم الأمريكيين إلى إسقاط نظام صدام حســـين ، وأطلقـــت أمريكا وبريطانيا ٣٠٠ صاروخاً عابراً أضائت ليل المدينة وروعت خمسة ملايين نسمة هم سكانها.

ورفض المواطنون العراقيون النزول إلى الملاجئ خلال الغارات الجوية لأن عقولهم لازالت تذكر ما كان في الثالث عشر من فبراير ١٩٩١ مع بدايـــة حـــرب الخليج الثانية عندما قصفت الطائرات الأمريكية ملجأ العامرية بقنبلـــة اليورانيـــوم

---

(1) الكامل والبداية ، ج٨ ، ص : ١٤٠.

المنضب زنة ٦٣٨ ألف رطل في أول تجربة عملية لهذا السلاح الجديد والمخصص لتدمير الملاجئ وقد نجحت التجربة فقتلت ٣٠٠ شخص وأصابت آخرين.

وقد هرع المواطنون في القصف الأخير للاحتماء بجاه الله مكبرين مهللين في بيوت الله في أرضه .. وباتت بغداد تحت القصف المدمر وإلى حين ..

ثانياً – البصـرة

تقع البصرة جنوبي بغداد بالقرب من الحدود الكويتية على بعد ٥٤٩كم ، تبلغ مساحتها "١٩٠٧٠ كم٢" ويسكنها حوالي ٦٣٠ ألف نسمة ، وجاءت تسميتها من كون العرب يطلقون هذا الاسم على الأرض التي فيها الحصا والحجارة المختلطة التي فيها سواد وبياض.

وتُعد البصرة أول مدينة عربية أسسها العرب في ظل الإسلام ومؤسسها "عقبة بن غزوان" عام ٦٣٥م في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" وسميت بهذا الاسم لإنشائها على مقربة قرية "البُصَيْرَةُ" وقد تعرضت المدينة للدمار والخراب بالكامل في القرن الرابع عشر على يد التتار ، وتم بناؤها بعد ذلك حتى استعادت رونقها وأصبحت مدينة حديثة عام ١٩١٤ لكنها تعرضت مرة أخرى للتدمير عام ٨٠ ، ١٩٨١ حيث دارت بها أعنف المعارك العسكرية خلال الحرب على العراق في أعقاب غزوة للكويت ، وتقع مدينة البصرة على شط العرب على رأس الخليج العربي ، وَوُصِفت بأنها ثغر العراق وهي المَنْفَذُ الوحيد له للاتصال بالعالم الخارجي عبر ثلاثة خطوط ملاحية عن طريق ميناء أم قصر وميناء الفاو وترتبط جواً بدول العالم عن طريق مينائها الجوي الحديث.

وعلى مدى قرون طويلة كانت البصرة قبلة العلماء والفلاسفة والمفكرين خاصة في عهد الخلافة العباسية وبها حوالي ٦٣٥ نهراً صغيراً متصلة اتصالاً

مباشراً بشط العرب من جانبيه الشرقي والغربي ومن أبرز معالم المدينـــة متحـــف الآثار القديمة ، والإسلامية ، ومنارة المسجد الجامع ، ومدفن "مرقد" الزبيـــر بـــن العوام.

وقد لعبت البصرة ثاني أكبر المدن العراقية دوراً محورياً في اقتصاد العـــراق في العصر الحديث باعتبارها مفتاح الحقول النفطية في الخليج وواجهـــة العـــراق البحرية .

رغم أن قوات التحالف الأنجلو أمريكية راهنت قبل البداية على سرعة سقوط المدينة التي تسكنها أغلبية شيعية إلا أن المقاومة فاقت كل التوقعات وتغلب الانتماء للوطن على أية اعتبارات أخرى ، وقد أصدرت قوات التحالف بيانات وتصريحات أعلنوا فيها سقوط البصرة بينما كان الوقت مبكراً على ذلك ، إذ أن واقع المقاومـــة العراقية الشرسة كذّب عملياً تلك الافتراءات وفضحها ومـــع اســـتمرار القصـــف المتواصل لمدينة البصرة ، يعيش أبناء المدينة حياتهم مع أجواء الحـــرب فمعظـــم السكان يتعاملون مع القصف على أنه أمر عادي لاعتيادهم على مشاهدة القصـــف منذ حرب الخليج الأولى.

ويطلق البصريون على مدينتهم اسم "المدينة الجريحة" حيث لم يتوقف القصف عليها منذ ثمانينات القرن الماضي حتى الآن فقد عاشت المدينة أجواء الحرب مـــع إيران ، وتم قصفها أثناء حرب الخليج الثانية واستمر قصفها بعـــد انتهـــاء حـــرب الخليج الثانية في ظل ما أطلقت عليه القوات الأمريكية والبريطانية "منطقة حظـــر جوي".

أما منطقة التنومة بالبصرة القريبة من شط العرب ومـــن الحـــدود الإيرانيـــة والتي لا توجد بها كثافة سكانية كبيرة وهي بالتالي لا تمثل عمقاً استراتيجياً للقوات

العراقية إنما الغرض من قصفها هو إصابة الاقتصاد العراقي في مقتل كونها تشتهر ببساتين النخيل الكثيفة وبالتالي فإنها تساهم بقدر كبير في إنتاج "التمر – الصوف – الحبوب" وهذه من أهم عناصر الاقتصاد في البصرة إلى جانب البترول والمواد الكيماوية .

ويدافع البصريون عن مدينتهم ضد قوات الغزو والذي سيعود بهم إلى عصر التتار ولتعود عجلة القطار إلى الخلف مسرعة وإلى حين..

ثالثاً – أربيل ..

أطلق عليها الشماليون "عاصمة كردستان" عند إعلان استقلالهم ، وسوف نتناولها بالشرح الوافي والعرض الأمين حال اقتضاء الموضوع ذلك ، خاصة وأن تطورات الأحداث لم تظهر مشكلة الشمال العراقي على سطح الأحداث لأن الولايات المتحدة قد أمنت جانب الشماليين الأكراد لطبيعتهم وتركيبتهم السكانية المعقدة.

٢- أيام التحدي

اليوم الثاني – الجمعة ٢٠٠٣/٣/٢١

- وزير الدفاع الأمريكي "رامسفيلد" يتعهد بأنه سوف يشن حرباً على العراق لا مثيل لها في التاريخ بينما نظيره البريطاني "جاك سترو" يتهم فرنسا بوضع العراقيل أمام تسوية سلمية للأزمة العراقية ، أي بمفهومه "نسف العراق" وإزاحته عن طريق وحيد القرن.
- **والدفاعات العراقية تستمر في توجيه نيرانها نحو القوات الغازية عند الخطوط الأمامية لأم قصر التي أُعلن نبأ سقوطها في وقت سابق عبر قنوات تليفزيونية عميلة.**

- وخرج "محمد سعيد الصحاف" وزير الإعلام العراقي ليُعلن أن الرئيس "صدام حسين" قد نجا من القصف الذي استهدفه أمس أثناء تواجده في أحـــد مراكـــز القيادة ، ونفى الصحاف بشدة نبأ سقوط أم قصر أو الفاو وأكد أن قتالاً ضارياً يدور على الجبهات الجنوبية والمقاومة العنيفة توقف زحف تتار القرن الجديـــد نحو البصرة.

- ولم تستطع قوات التحالف إخفاء مصرع ١٢ جنـــدي أمريكـــي و١٤ جنـــدي بريطاني إثر إصابة المدفعية العراقية لطائر أمريكية كانوا جميعاً على متنها ، إلا أن القيادة في قطر أعلنت أن الحادث نتج عن تعرض الطائرة للقصف مـــن جانب نيران صديقة ، فيما يُعد استمراراً في مسلســـل الكـــذب الأمريكـــي – البريطاني النافي بالكلية لقدرات العراق الدفاعية وإثباتاً لغباء أسلحتهم المســـماة بـــ "الأسلحة الذكية" واعتادوا تواصل الأكاذيب بتكرار جملة "نيران صـــديقة" عند كل عملية حتى الإعلان نهاية العمليات العسكرية الرئيسية.

- وفي ظل السياسة الدفاعية الاستراتيجية التي سحبت القوات العراقية إلى المدن الرئيسية أصبحت الصحراء خالية تماماً وهو الأمر الذي تمكنت بـــه الفرقـــة السابعة المدرعة الأمريكية من التوغل مسافة ١٥٠كم شمالاً داخل الأراضـــي العراقية عبر الصحراء الخالية حتى من مجرد الألغام من دون مقاومة تُـــذكر في طريقهم نحو بغداد.

- وقد شهدت الساعات الأولى من صباح الجمعة عودة ٤٥٥ مصرياً من العاملين في الكويت وقد تقرر ترتيب ٩ رحلات لعودة الراغبين تنتهي آخرهـــا فجـــر السبت ٣/٢٢ .

- القوات البريطانية تتخذ مواقع لها على أطراف شبه جزيـــرة الفـــاو العراقيـــة الاستراتيجية وقد تمكنت من أسر بعض المـــدنيين العـــراقيين العُـــزل الـــذين استسلموا لها مما مكنها من المتاجرة الإعلاميـــة والتـــرويج الـــدعائي عبـــر

الفضائيات ووسائل الإعلام ، والقصف المدفعي والصاروخي والجوي العشوائي ينهمر على البصرة بعد أن فقدت القوات المعتدية أعصابها من جراء المقاومة العراقية الشرسة ، ومدن الشمال "كركوك والموصل" البترولية تتعرضان لقصف مكثف بصواريخ توماهوك وكروز العابرة التي تنطلق من البحر الأحمر وشرق البحر المتوسط ، وتحت غطاء من القصف الجوي المكثف تمكنت القوات البريطانية من تحقيق أول هدف من أهداف العدوان على العراق بالاستيلاء على حقول النفط في جزر الفاو ، وقد تمكنت من أسر بعض العمال المدنيين وبعض أفراد المقاومة العراقية.

- الولايات المتحدة تطرد الدبلوماسيين العراقيين – القائم بالأعمال العراقي ومن معه – من مقرهم بالسفارة الجزائرية في واشنطن بحجة العلاقات المقطوعة منذ ١٠ سنوات .
- الحكومة الماليزية ترفض طلباً أمريكياً بطرد الدبلوماسيين العراقيين من أراضيها.

وأفادت الأنباء الواردة من أكثر من مصدر أن الولايات المتحدة إنما طردت الدبلوماسيين العراقيين من أراضيها ، وتعمل على طرد البعثات الدبلوماسية العراقية من كل بلدان العالم التي لها علاقات سياسية مع العراق بعد أن فشلت في تجنيد تلك البعثات لصالحها وضد بلادهم ورئيسهم "صدام حسين".

- روسيا وفرنسا وألمانيا والصين يدعون للوقف الفوري للحرب ، والمظاهرات العارمة بمشاركة الملايين تجوب شوارع العواصم والمدن الرئيسية الكبرى في العالم احتجاجاً على الحرب ورفضاً لها.
- المقاومة العراقية تتمكن من إسقاط طائرة "F14 TH" وعلى متنها ١٧ من قوات التحالف ، بينما تُعلن قوات التحالف أنها أصيبت بنيران صديقة وتؤكد دخول ٢٠٠٠٠ جندي أمريكي و ٥٠٠٠ دبابة وآلية عسكرية إلى العراق.

- الرئيس العراقي يحذر من تشويش الحقائق لإضعاف الــروح المعنويـــة لـــدى الشعب العراقي.

- وبدأت الألغاز في الموقف التركي المُعلن عبر التصريحات الرســمية وغيــر المُعلن "السري" في الاتفاقات السرية مــع الإدارة الأمريكيـــة ، حيــث أعلــن "رامسفيلد" أنه يحذر تركيا من دخول شمال العراق تنفيذاً لمـــا أعلنتـــه أمـــس الخميس ويُعرب في تصريحه عن سعادته بالمساعدات القيمة التي تقدما القوات الكويتية والبولندية والبريطانية وغيرها من قوات التحالف ويـــدَّعي أن النظـــام العراقي بدأ يفقد سيطرته على الموقف وأن القوات الأمريكية تســيطر علـــى ميناء أم قصر سيطرة كاملة ويحث العراقيين على عدم الاشتباك مـــع الجنـــود الأمريكيين مشيراً إلى أنهم جاءوا لتحريرهم وكرر أوامره بعدم إطاعة الأوامر بحرق آبار البترول ويقول إن قواته أطلقت ١٠٠٠ صاروخ كروز وطائراتـــه قامت بمائة طلعة فوق بغداد وحدها وأضاف أنه يجب علينا أن نقضـــي علـــى أسلحة الدمار الشامل العراقية وعلى قدرتهم الإنتاجية لإنتاج مثل هذه الأســـلحة وتابع قوله إن العمليات العسكرية لها أهداف محددة وهي نهاية حكـــم صـــدام والقضاء على نظامه تماماً والقبض على الإرهابيين في العالم بأسره ، وجمـــع المعلومات التي يجدها مطلوبة والتي تتعلق بالإرهـــابيين فـــي العـــالم بأســـره وتجميع تلك المعلومات ، وزيادة المساعدات الغذائية والدوائية للشعب العراقي وتأمين حقول النفط العراقي التي ستساعد في رخاء الشعب العراقي ، ووحـــدة الأراضي العراقية وإيجاد حكومة عراقية بديلـــة لا تهـــدد الجيـــران ، ونفـــى "رامسفيلد" ما أسماه هو بادعاءات "محمد ســـعيد الصـــحاف" وزيـــر الإعـــلام العراقي بأن الفاو وأم قصر تحت السيطرة العراقية وأكد أنهما تحت الســـيطرة التحالفية الكاملة ، وأضاف أنه يأمل أن تبدأ مرحلة جيدة في العراق كما سجل امتنانه للعمليات العسكرية والمشاركة الاسترالية في العمليات.

- الرئيس الفرنسي : بريطانيا وأمريكا خرقتا القانون الدولي بإعلان الحرب والقفز على الشرعية الدولية وبعدم الرجوع إلى مجلس الأمن وطالب "شيراك" بوقف عجلة الحرب على العراق حيث أن الادعاء بشأن الحرب لتحقيق الديمقراطية في العراق أمراً لم يعُد مقبولاً كما دَعَا لمؤتمر دولي حول الشرق الأوسط.
- وزارة الإعلام العراقية تأمر طاقمي محطتي التليفزيون الأمريكية "فوكس نيوز، وسي إن إن" بمغادرة بغداد لأنهما تحولتا إلى وسائل دعاية تنشر الأكاذيب والشائعات.
- ريتشارد مايرز : رئيس هيئة الأركان لقوات التحالف يُعلن أن العمليات العسكرية التي أطلق عليها اسم "حرية العراق" بدأت تأخذ مرحلة جديدة من خلال عمليات استطلاع بدأت تقوم بها القوات داخل العمق العراقي وادعى أن قواته استولت على شبه جزيرة الفاو وأحكمت قبضتها على ميناء أم قصر.
- وزير الخارجية الروسي "إيجور إيفانوف" : الغزو الأمريكي البريطاني للعراق خطأ تاريخي يجب إدانته ويصفه بأنه احتلال غير مشروع .
- فلاديمير بوتين : يحذر من الأزمة العراقية قائلاً أنها قد تزعزع الاستقرار في مناطق أخرى وقد تمتد إلى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق حيث أن الأزمة خرجت من إطار النزاع المحلي ، وأن قرار شن الحرب ينطوي على عواقب وخيمة يصعب التنبؤ بها.
- عاجل وهام جداً .. وسائل الإعلام تنقل وتؤكد خبر دخول وحدات عسكرية تركية قوامها ١٥٠٠ جندي إلى شمال العراق متحدية بذلك التحذير الأمريكي السابق أمس مما يؤكد على نظرية الألغاز في التصريحات المُعلنة والواقع العملي والاتفاقات الخفية بين البلدين فيما تُعد هذه على أنها تصرفات مناهضة ومعادية للعرب واستمرار لمسلسل الكذب والإعلام المضلل : البنتاجون يُعلن

استسلام عدة آلاف من الفرقة ٥١ العراقية للقوات الأمريكية وأسـر قائـدها ، وأعلن المتحدث باسم البنتاجون عن مقتل "عزّة إبراهيم وطه ياسين رمضـان واللواء علي حسن المجيد" ، يأتي ذلك في إطار الحرب النفسـية والإعلاميـة المضللة التي تهدف إلى خلط الحقائق وقلب الأوراق للنيل من روح المقاومـة العراقية وصلابة الجبهة الداخلية للعراق خاصة مع إذاعـة البيانـات الكاذبـة القائلة أن ٣٠٠ لاجئ عراقي وصلوا إلى إيران و٥٠٠ لاجـئ وصـلوا إلـى الأردن.

- الطائرات الأمريكية B52 تلقي أم القنابل التي يبلـغ وزنهـا ١٠ طـن مـن المتفجرات على بغداد لأول مرة في التاريخ .

في المقاومة من رحم - صورة -
فضح أكثر المعارك الأمريكية قذارة



- إصابة مروحية بريطانية وعلى متنها ٨ بريطـانيين و٤ أمـريكيين ، وقـال الناطق باسم قوات التحالف أنها أصيبت بنيران صديقة ..!
- سنغافورة تعرض خدماتها وتضع إمكانياتها تحت تصرف قوات التحالف فـي العدوان على العراق.

- أمريكا تطلب من سويسرا مصادرة الأموال العراقية وقد صادرتها بالفعل لاحقاً وحولتها إلى الإدارة الأمريكية.
- جريحان في انفجار قنبلة ألقتها طائرة أمريكية على مدينة "عبدان" الإيرانية قبالة البصرة في إطار سياسة التحرش بإيران.
- أنباء عن اجتماعات قريبة تتعلق بتقوية الدفاعات الأوروبية من الناحيتين الجوية والبرية في فترة ما بعد الحرب وبعد تلك الأزمة دون مشاركة بريطانيا في هذا الأمر ، كما انطلقت هذه الدعوة في ألمانيا لتضم معها فرنسا وبلجيكا وبعض الدول المناهضة للحرب.
- الطائرات القاذفة الثقيلة "العملاقة" بي ٥٢ نفذت طلعات جوية قاسمة وأطلقت وابلاً من القذائف يصل إلى ٣٠٠٠ قذيفة دقيقة التصويب وصواريخ من على مسافة ٣٠ : ٥٠٠ كم حسب أنواع الصواريخ.

وفي فلسطين .. رحبت السلطة بدعوة فرنسا لعقد مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط مشددة على ضرورة وضع آليات إلزامية وجداول زمنية محددة لتنفيذ خارطة الطريق ، وقد تظاهر آلاف الفلسطينيين في قطاع غزة وفي القدس وعقب صلاة الجمعة حيث وقعت مواجهات عنيفة بين المصلين وقوات الاحتلال التي أطلقت القنابل المسيلة للدموع واعتقلت العشرات وأطلقت تلك القوات النار بصورة عشوائية مما أدى إلى سقوط عشرات المصابين وازدادت حملات قمع الفلسطينيين وقهرهم. ففي نابلس القديمة دخلتها عشرات الآليات العسكرية مدعومة بطائرات الأباتشي وقامت بحملة مداهمات واعتقلت العديد إضافة إلى تفجير وتدمير عدة منازل وفرضت حظر التجول حتى لشراء المواد الغذائية الضرورية.

وقد شهدت الأراضي الفلسطينية اليوم الجمعة مسيرات حاشدة تعبر عن رفض العدوان الأمريكي على العراق وطالبت الإدارة الأمريكية "بلجم" شارون وردع

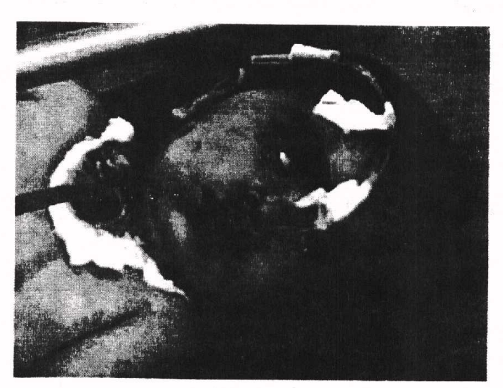
عدوانه المتواصل على الفلسطينيين. وقد نبهت السلطة الفلسطينية العالم إلى محاولة شارون استغلال الانشغال الدولي بأحداث الخليج لتنفيذ المخططات الإسرائيلية الرامية إلى ابتلاع الضفة وغزة خاصة بعد أن دعمت أمريكا إسرائيل بمبلغ ١٠ مليارات دولار أمريكي لتشجيعها على ما يريده شارون.

اليوم الثالث – السبت ٢٠٠٣/٣/٢٢

أكدت القيادة البريطانية في قطر أن قواتها عبرت البصرة وتقدمت شمالاً وأن القوات العراقية غادرت البصرة ما عدا بعض القوات لا تزال تُبدي مقاومة.

يأتي ذلك في إطار الهجوم البري الأنجلو أمريكي المكثف الذي بدأ فجر اليوم من جنوب العراق في اتجاه الشمال واستهدف الوصول إلى آبار النفط في الجنوب وتأمينها وقد سبقه قصف تمهيدي مكثف تمكنت معه القوات المعتدية من الاستيلاء على رصيف في ميناء أم قصر وتم إنزال العَلَم العراقي هناك.

وفي الثانية بعد الظهر بالتوقيت المحلي لبغداد تتعرض العاصمة لقصف جوي مكثف وصاروخي عابر يستهدف مراكز القيادة والسيطرة والاتصالات وقصور رئاسية ومبنى التليفزيون ووزارات التخطيط والإعلام والكهرباء ومركز التصنيع المدني والعكسري ووحدات الحرس الجمهوري على بعد ٣٢٥ كم جنوب بغداد وفي وسط العاصمة وأطرافها ، كما استهدف القصف الصواريخ المتحركة والمدفعية العراقية المضادة للطائرات وقصف كركوك والموصل والبصرة والناصرية والفاو وأم قصر في إطار تشتيت أفكار القيادة العراقية وبث الذعر في قلوب المقاتلين وإرهاب الشعب المطحون تمهيداً للغزو البري الشامل الذي بات وشيكاً ، وقد استخدمت قوات التحالف في هذه العملية ١٠٠٠٠ طن من المتفجرات في إطار ما أعلنته المصادر العسكرية لقوات التحالف التي أطلقت على هذه العملية اسم "فصل الرأس" والتي إذا ما تمت يمكن وقف الحرب خاصة لتضمنها الإطاحة بصدام حسين والقضاء على الصدامية.



"عملية فصل الرأس .. أم فصل الروح"



"فصل المواطن العراقي من حضارته وحياته"



"رفات طفل - بأي ذنب قُتلت ..؟!"



(بـدون تعـــليق)

وفي إطار ذلك أعلنت القوات الأمريكية استيلائها على الناصرية وجسر على نهر الفرات له أهمية حيوية في تقدمها نحو بغداد.

وقد أفادت الأنباء المحايدة عن أن قتالاً ضارياً ومعارك شرسة وعنيفة على الحدود الغربية للبصرة مما جعل قوات التحالف تطلب مساندة جديدة من المدفعية وطائرات الأباتشي لمواجهة المدفعية العراقية التي تُبدي مقاومة شديدة ، وقد اعترفت القوات الأمريكية بأن القوات العراقية أوقفت تقدم القوات المعتدية واشتبكت معها في معركة قرب النجف التي تبعد ١٦٠كم جنوب بغداد أمس الجمعة وقد اعترف "رامسيفيلد" أن اشتباكات عنيفة مع القوات العراقية على ٧٠كم جنوب شرقي النجف مما عرقل تقدم القوات الأمريكية ، كما أعلن أن قواته استولت على مهبطين للطائرات في الصحراء العراقية غربي بغداد(١) ، وقد أفادت الأنباء أن الإدارة الأمريكية قررت فوراً نشر قوات لها شمالي العراق بعد إنزال القوات الأمريكية هناك مستخدمة الأجواء والأراضي التركية.

واستمراراً لمسلسل الألغاز في المحور (الأمريكي – التركي) أعلن البنتاجون تخليه عن إرسال فرقة مدرعة عبر الأراضي التركية وأمر السفن التي تنقل مدرعات ومعدات أخرى لفرقة المشاه الرابعة بالجيش الأمريكي بالتوجه الفوري إلى الخليج ، ويعترف بفاعلية المضادات الأرضية العراقية ، واعترف بفشله في العثور على أثر لأسلحة الدمار الشامل في العراق.

كما أعلن المتحدث باسم البنتاجون أنه تم إطلاق سراح ٢٠٠٠ صاروخ على العراق منها ١٠٠٠ صاروخ عابر على بغداد وحدها خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية.

---

(1) داخل المنطقة التي تسللت إليها القوات الإسرائيلية عبر تركيا.

إطـــلالة "الصحاف" اليومية في تصريحاته الصـــاروخية لوســـائل الإعـــلام العالمي تكشف زيف الادعاءات الأمريكية وبطلان أقـــاويلهم ممـــا أجبـــر قـــوات التحالف على فرض حظر إعلامي على الأنباء الصحفية التي تغطي الحرب.

وفي واشنطن إجراءات أمنية مشددة حول البيـــت الأبـــيض بســـبب الاحتجاجـــات والمظاهرات المتصاعدة ضد الحرب.

- وفي كامب ديفيد ، اجتماع مجلس حرب برئاسة بوش.



"محور الشر في كامب ديفيد"

- **وفي القاهرة اجتماع للجامعة العربية على مستوى المندوبين الدائمين برئاســـة الأمين العام للجامعة الذي قال "لقد أزحنا الخجل" إن ضرب العراق عـــدوان لا يرضى به أي ضمير حي في العالم .**

وتلك بادرة طيبة على أن الخطاب العربي الرسمي بدأ يرقى إلى حد تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية ، وقد أعلن الأمين العام عن مؤتمر للجامعة على مستوى وزراء الخارجية العرب بالقاهرة في الاثنين ٢٠٠٣/٣/٢٤.

اليوم الرابع – الأحد ٣/٢٣

الصاروخ العراقي العابر .. "الصحاف" :



- مع فجر اليوم الجديد اقتحم جندي أمريكي الخيام على زملائه وألقى قنابله اليدوية عليهم فأصاب ١٣ جندياً ، وقتل آخر بينما ست حالات منهم خطيرة ، وذلك هو الحادث الأول من نوعه وقد وقع بين أفراد الفرقة ١٠١ المحمولة جواً والتي تتمتع بسمعة طيبة داخل الجيش الأمريكي ، وقد أدى ذلك إلى ذهول ودهشة كبيرة في واشنطن.
- موجات جديدة من القصف الجوي والصاروخي المتواصل على بغداد مروراً بالأجواء التركية – لأول مرة حسب زعم القيادة الأمريكية – التي قالت أن ١٠ طائرات قاذفة "بي ٥٢" قد عبرت المجال الجوي التركي ، وقد استمر القصف

الجوي والصاروخي على طول المدن العراقية خاصة جبهة الجنـوب ، وقـد تمكنت المضادات العراقية من إسقاط طائرة لقوات التحالف بشـمال الكويـت قالوا أنها أُسقطت بنيران صديقة ..!

- إيران تعلن أن القوات العراقية المرابطة على الحدود معها قد انسـحبت تجـاه البصرة.

- د. ناجي صبري في دمشق دلالة على التحول الإيجابي فـي العلاقـات بـين البلدين ويصل إلى القاهرة لحضور اجتماع الجامعة العربية في ٢٠٠٣/٣/٢٤ وفور وصوله أكد "صبري" على عدم سقوط أي مدينة عراقية في أيدي الغزاة وكذلك نفى تماماً مقتل أي من القيادات العراقية.

صواريـخ الصحـــاف ..

في مؤتمره الصحفي اليومي في العاصمة بغداد وقد أذاعته وتناقلتـه وسـائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بين وزير الإعلام العراقي السـيد "محمـد سعيد الصحاف" كَذَّبَ الافتراءات الإعلامية الغربية المضللة وفَضَحَ أباطيلهم وَفَنَّـدَ ادعاءاتهم ، فقد شرح الصحاف للعالم وبَيَّن للجاهلين بحقيقة التاريخ كيف أن منطقة أم قصر تم تقسيمها مع الكويت أثناء ترسيم الحدود بمعرفة الأمم المتحدة وقد نزلت القوات الأنجلو أمريكية بالمنطقة التي تتبع دولة الكويـت ، وتـدور الآن معـارك ضارية بين القوات العراقية المدافعة عن ميناء أم قصر العراقي التي لازالت ضمن السيادة الوطنية العراقية ولم تسقط بأيدي الغزاة ، وقد دعـا الصـحاف منـدوبي وكالات الأنباء الأجنبية العاملة بالبصرة للقاء قائد الفرقـة ٥١ العراقيـة وإجـراء حوار تليفزيوني معه وبثه مباشرة على الهواء لإثبات بطلان كذب هـؤلاء الـذين أعلنوا أنهم تمكنوا من أسره في وقت سابق.

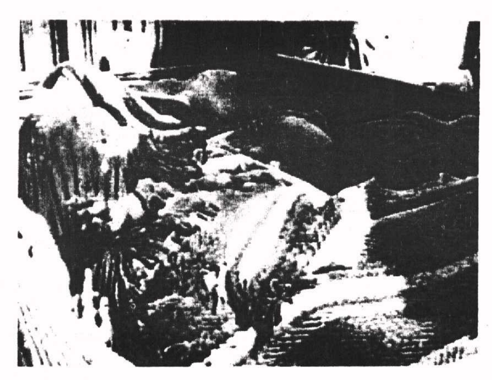
وأفاد الصحاف أن القوات المعتدية التي ذهبت إلى الناصرية علـى الفـرات جنوبي بغداد قد دخلت مستنقعاً ولن نسمح لهم بالخروج منه إلا جثثاً ، كما أكد على

أن القوات المعتدية قد صُدِمت من بسالة المقاومة فراحوا يضربون الأهداف المدنية من شدة الصدمة التي لحقت بهم وسوف ندخلهم الرعب إن شاء الله.

واستطرد قائلاً إن القوات العراقية في أم قصر تقدم نموذجاً على ذلك أفقـدهم صوابهم فهم يلطمونهم على وجوههم وعند انسـحابهم سـوف يضـربونهم علـى "قفاهم"..! ونفى الصحاف سقوط مطارين غربي بغداد تحت أيديهم وأكد علـى أن المخطط الأمريكي/البريطاني/الصهيوني لاستعمار العالم والسيطرة عليـه سـوف تفضحه الإرادة العراقية. وأوضح الصحاف أن عمليات القصف التي وقعت بالأمس أدت إلى :

استشهاد	٧٧	شخصاً في البصرة
وإصابة	٣٦٦	شخصاً في البصرة
إصابة	١٠٦	أشخاص في بغداد
إصابة	٨	أفراد في سمراء
واستشهاد	٤	آخرين في سمراء





"كومة من الجثث المتفحمة"

وأعلن أن الدفاعات العراقية أسقطت طائرتين مقاتلتين أمريكيتين بينما هبط قائد الطائرتين اضطرارياً في بغداد وتم أسرهما ، وقد نفت وزارة الدفاع الأمريكية هذه الأنباء فور إذاعتها ثم اعترفت صاغرة ومكرهة على لسان وزيرها "رامسيفيلد" بالغموض الذي يكتنف إحدى الطائرات وطياريها فيما يُعد اعترافاً متخاذلاً منه بإمكانية أسرهما فعلاً في العراق.

- التليفزيون العراقي يذيع لقاءات مصورة مع الطيارين الذين أُسِرَا بالفعل في بغداد ثم يتبعها بإذاعة صور لصدام حسين وهو يترأس اجتماعاً للقادة العسكريين والحكوميين ، مما حمل المتحدث باسم وزارة الدفاع أن يخرج متنازلاً عن صلفه وغروره ويعترف رغم أنفه بوقوع جنود أمريكيين وبريطانيين في الأسر ويعترف ضمناً بمقتل آخرين.

- بوش يستجدي العراقيين عبر الأقمار الصناعية قائلاً : أتوقع من العراقيين أن يعاملوا الأسرى طبقاً للمعاهدة الدولية كأسرى حرب وأنتظر من السلطات العراقية أن تُحسن الصنيع.
- بعد التحرش البريطاني الأمريكي بإيران ، وزير الداخلية الإيراني : الصاروخ الذي سقط على الأراضي الإيرانية وأصاب ثلاثة إيرانيين هو أمريكي أو بريطاني ويُعلن أن بلاده سترد على أي اختراق لمجالها الجوي المغلق تماماً أمام طائرات التحالف .
- واشنطن تعترف أن القتال في الناصرية هو أعنف قتال في الحرب.
- كندا ترفض طلباً أمريكياً بطرد الدبلوماسيين العراقيين.
- إيطاليا تطرد ٤ دبلوماسيين عراقيين من أراضيها.
- مصر ترفض طلباً أمريكياً وبريطانياً بمصادرة الأموال العراقية.
- استمرار القصف المكثف على مدار الساعة وطائرت "بي ٥٢" في رحلاتها المكوكية بين العراق وقاعدة فيرفورد الجوية في بريطانيا ومقتل أربعة أردنيين في قصف صاروخي على الموصل شمال العراق .
- مظاهرات حاشدة في مصر ولبنان وليبيا وسوريا والبحرين والأردن وروسيا وفرنسا وألمانيا وكندا والمكسيك والأرجنتين والبرازيل وداخل الولايات المتحدة ذاتها وفي ماليزيا وبنجلاديش وباكستان وإيران واستراليا ، والمظاهرات الغاضبة في أندونيسيا تُجبر الولايات المتحدة على طلب مغادرة رعاياها للبلاد فوراً والعالم يغلي.
- الأمين العام للجامعة العربية يدعو لوقف الحرب بأي طريقة .
- نقلت وكالات الأنباء أن المصابين في البصرة هم ضحايا استخدام الأجيال الجديدة من الأسلحة الكيماوية الأمريكية والبريطانية.

- المتحدث العسكري باسم قوات التحالف يعترف :
  - الدفاعات الأرضية العراقية تعمل بشكل جيد.
  - الدفاع الجوي العراقي ووسائله تتصدى لطائرات التحـالف بشـكل جيـد ونحن نمتلك أسلحة تصيب أهدافها بشكل جيد.
  - لا يوجد تفسير حالياً لبيان حال المقاومة العراقية وجديتها.
  - العراقيون صامدون إلى الآن ولن يصمدوا إلى النهاية.
  - هناك استراتيجية محددة نعمل على تنفيذها بكل دقة ، والقوات الأمريكيـة تحقق نجاحاً كبيراً وسريعاً ومبهراً.
- استمراراً لمسلسل الألغاز "التركي / الأمريكي" أعلنت القـوات الأمريكيـة – مجرد إعلان – عن نقل المعدات العسكرية الأمريكية من منطقـة "تصـيبين" جنوب شرق تركياً بالقرب من الحدود التركيـة الإيرانيـة وإعادتهـا لمينـاء الإسكندرونة تمهيداً لمغادرتها تركيا ، أما البشمرجة "القوات المسلحة الكردية" تُعلن من جانبها عن تدفق القوات الأمريكية إلى شمال العراق عبر الأراضـي التركية.
- Storm Shadow "عاصفة الظل" صاروخ بريطاني جديد يتم إطلاقـه مـن طائرات التورنيدو ، وقد تم إنتاجه منذ أسبوعين فقط وهـو خـاص بتفجيـر الخنادق ، وقد نقلته القوات البريطانية لتجربته لأول مرة والتعرف على مـدى كفائته ودقة تصويبه وقدرته التدميرية في بيان عملي وتجربة حية على الشعب العراقي.
- فلسطين المحتلة .. قصفت إسرائيل منازل المواطنين في خان يونس واستمرت في مسلسل الاغتيالات والاعتقالات العشوائية ، كما عملت حكومـة شـارون على إجهاض ما يُسمى "خريطة الطريق" مسبقاً قبل إعلانها ، وشرعت في نقل

السياج الأمني "سيء السمعة" الذي يفصل بين الأراضي الفلسطينية المحتلة "إسرائيل" وبين الضفة الغربية وذلك لمسافة ٢٠كم أخرى داخل أراضي السلطة الفلسطينية لضم المزيد من الأراضي العربية.

اليوم الخامس – الاثنين ٢٠٠٣/٣/٢٤

مع دخول الحرب يومها الخامس لم تطلب الأطراف المتحاربة أو المعارضة للحرب أو المؤيدة لها انعقاد مجلس الأمن أو الجمعية العامة ، ورَكَنَ العالم إلى الاستجمام باستثناء شجب هنا أو رفض من هناك .. عدا وزير الخارجية الكويتي الذي تحرك ساكنه وطلب إلى الجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي ومنظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة إدانة العراق بشأن إطلاقه صواريخ سكود على الأراضي الكويتية .

ومع مطلع اليوم الخامس بدأت الطائرات الأمريكية في قصف مواقع عراقية أمامية قرب "جمجمال" في المنطقة التي يسيطر عليها الأكراد في شمال العراق في أول هجوم على هذه المنطقة منذ بدأ الغزو وقد شاركت في القصف القاذفات الثقيلة "بي ٥٢" والصواريخ العابرة بقصد عزل كركوك عن الموصل وحصارها.

ومن ناحية أخرى احتجت الولايات المتحدة رسمياً وبشدة لدى موسكو بشأن ادعاء بيعها معدات عسكرية حساسة للعراق ستؤثر سلباً على قوات التحالف وإيجاباً لصالح القوات العراقية في محاولة أمريكية خبيثة للتعرف على حقيقة الدور الروسي في العراق ، وإحراجه ، ثم تحييده ، و"إيفانوف" ينفي رسمياً قيام روسيا بتزويد العراق بأي عتاد عسكري خروجاً على عقوبات الأمم المتحدة ويأمل بطرح المسألة العراقية على مجلس الأمن في أقرب وقت ممكن ، بينما "بوتين" يدعو نظيره بوش إلى تجنب كارثة إنسانية في العراق.

اجتمع وزراء الخارجية العرب في بيت العرب "الجامعة العربيـــة" بالقـــاهرة وكما بدأ انتهى إلى بيان ختامي يُدين العدوان على العراق ويطالب القوات الأجنبية بالانسحاب غير المشروط. "وشكـــراً" ..

المُفـــاجأة ..

صدام حسين يُلقي خطاباً إلى الشعب العراقي والعالم عبر التليفزيون العراقـــي ويعد بنصر قريب بينما الطائرات الأنجلو أمريكية تُلقي منشورات لحث العـــراقيين على الاستسلام وعدم المقاومة والتمرد على صدام حسين.

وفور انتهاء صدام من خطابه .. دوي الانفجارات يهز سماء بغداد ويزلـــزل أرضها وموجات من القصف الجوي المكثف في الشمال "الموصـــل ، كركـــوك ، خافقي ، تكريت ، وفي الجنوب والوسط البصرة ، الناصرية ، النجف ، كربلاء".

وجاء خطاب صدام ليصنع فعل السحر على المقاومة العراقية وشراستها ضد قوات الغزاة ، وقد اعترف بها "تومي فرانكس" قائد قوات التحالف حيث قال "نواجه مقاومة عنيفة في مختلف الجبهات" ويضيف .. لدينا ٣٠٠٠ أسير عراقي.

واشتدت شراسة المقاتلين في الجنـــوب فـــاعترف المتحـــدث باســـم القـــوات البريطانية بانسحاب قواته من البصرة لإعادة ترتيـــب أوضـــاعها بعـــد المقاومـــة العراقية الشرسة ، ومن ثم فقد أصيبت القوات الغازية بالهستريا وفقدان الأعصاب فراحت تقصف الأهداف المدنية والمناطق السكنية بما في ذلك وسائل نقل الركاب، وقد أصيبت حافلة ركاب في "الرطبة" جنوبي بغداد راح ضحيتها ستين عراقياً كما قُصِفَت حافلة رُكاب سورية في طريقها إلى دمشق قادمة من بغداد ممـــا أدى إلـــى مقتل ٥ سوريين وإصابة ١٠ آخرين ، وســـوريا تســـتدعي الســـفيرين الأمريكـــي والبريطاني وتحتج لديهما بشدة.

الصحاف يُعلن أن الضحايا حتى الآن ٦٠٠ قتيل وجريح ويؤكد أن الفلاحون في كربلاء أسقطوا طائرتين أمريكيتين من طراز أباتشي وتم أسر الطيارين ، وأكد أن المقاومة العراقية الباسلة تجبر قوات التحالف على تغيير استراتيجيتهم الموضوعة سلفاً "وأفشلتها المقاومة" والتي بُنيت على معلومات وحسابات خاطئة حيث لم يُقابلوا بالورود والزهور كما تخيلوا أو توقعوا.

- التليفزيون العراقي يفضح الكذب الأنجلو أمريكي ويعرض صوراً للأسرى الجدد من بينهم الطيارين.
- بريطانيا والفلبين والأردن قاموا بطرد دبلوماسيين عراقيين وأمريكا تطلب من جنوب إفريقيا بصورة ودية إغلاق السفارة العراقية في بريتوريا.
- وفي الوقت الذي أكد فيه العاهل الأردني عدم عبور طائرات عسكرية أمريكية للأجواء الأردنية في اتجاه العراق مع نفيه القاطع لوجود مخططات عسكرية ضد العراق عبر الأردن ترددت أنباء قوية من جهات أخرى أن منطقة الشمال الشرقي الأردني تحولت إلى منطقة عسكرية مغلقة(١) وأكدت مصادر أخرى نبأ وجود قوات إسرائيلية في غرب العراق بينما عرض التليفزيون العراقي صوراً لصاروخ إسرائيلي تم إسقاطه على بغداد وهو مصمم على شكل سيارة وطوله متران ، مما يؤكد على اشتراك الإسرائيليين في الحرب.
- وفي إطار استهداف المصالح الأمريكية وقع انفجار كبير في البحرين بالقرب من مركز الأسطول الأمريكي الخامس نتيجة لزرع قنبلة. واستمر هؤلاء في مسلسل الكذب ، وقالوا أن الانفجار نتج عن انفجار اسطوانة بوتجاز مهملة انفجرت بالقرب من مركز قيادة الأسطول الخامس وعن غير قصد.

---

(١) أذاعت وسائل الإعلام الأردنية ذات النبأ في وقت سابق صباح اليوم أيضاً.

- ومع استمرار المقاومة الباسلة التي أدت إلى تراجع الغزاة وإسقاط طـــائراتهم وأسْر طياريهم ، أمرت القيادة العسكرية بتوقف القصف الصـــاروخي البـــري والبحري على العراق والاكتفاء بتكثيف طلعات القاذفات الثقيلة "بي ٥٢" التـــي تطلق قذائفها من حوالي ٥٠٠كم في المتوسط وهذا خير دليـــل علـــى فاعليـــة المقاومة العراقية ونجاحها في تحييد الصواريخ وانفجارها بعيداً عـــن أهـــدافها كتلك التي سقطت في إيران وتركيا والكويت والسعودية.
- وفي مصر ، ميناء نويبع يستقبل فجر اليوم ٥٠٠ من العاملين بالخليج وذويهم و٧٥ على المركب السريع ، وقد بلغ عدد العائدين من العراق والخليج حتـــى ظهر اليوم ٢٥٩٠ فرداً عن طريق البر بالإضـــافة إلـــى ١٥ طـــائرة بكامـــل حمولاتها.
- وفي نيجيريا اعتقلت الشرطة هناك ٢٥ مواطناً حاولوا الســـفر إلـــى العـــراق للمشاركة في الحرب.
- وفي أوسلو الحكومة البولندية تعترف بمشاركة قواتها في الحرب.

وفي فلسطين المحتلة صعدت قوات الاحتلال الإسرائيلي من حملاتهـــا علـــى الفلسطينيين فالاجتياحات مستمرة في جنين ونابلس وطولكرم والخليـــل ، وتحكـــم قبضتها على المخيمات وتفرض حظر تجول في طولكرم وتقصف المنازل وتجرف الأراضي. والمستوطنون يُرهبون الفلسطينيين ، وشارون يؤكد رفضـــه لمناقشـــة خارطة الطريق حال طرحها إلا بعد انتهاء الحرب.

ولا يزال الموقف متأججاً في فلسطين والعراق.

وما أن أكدت الخارجية الروسية أن الاتهام الأمريكي بشـــأن إمـــداد العـــراق بأسلحة حديثة هو اتهام لا يمكن إقامة دليل عليه ، عاودت القوات المعتدية قصـــف العراق بالصواريخ العابرة ، وعشرة انفجارات جديدة تهز بغداد ، وفـــي الجنـــوب

قصفت الطائرات الأحياء السكنية بالقنابل العنقودية المحرمة دولياً في البصرة والحصار العسكري الأمريكي البريطاني يمنع وصول الأدوية والأغذية التي استوردها العراقيون بمال العراق ورجعت تحت تهديد القوة إلى الأردن والأخرى إلى دبي ، وعند منتصف الليل أفادت وكالات الأنباء بعبور القوات الأمريكية حدود الناصرية وتقدمها صوب الشمال.

اليوم السادس – الثلاثاء ٢٠٠٣/٣/٢٥

وشهد شاهد من بينهم ..!

في الوقت الذي أعلن فيه قائد بريطاني أن مدينة أم قصر الجنوبية تحت سيطرة قوات التحالف ، أعلنت متحدثة باسم الجيش البريطاني في "لندن" أن القوات البريطانية لم تسيطر بعد على ميناء أم قصر بسبب المقاومة العراقية الشرسة ، وأضافت المتحدثة نبأ وصول مجموعة من المظليين البريطانيين إلى جنوب العراق.

مما يشير إلى محاولة إنزال خلف الخطوط العراقية حيث تقع اشتباكات قوية بين قوات الحرس الجمهوري والجيش العراقي من جانب ضد قوات الاحتلال من جانب آخر ، الأمر الذي أدى إلى إشراك طائرات "الهيل" في معارك الناصرية بقصد خلخلة الدفاعات العراقية وفي سبيل إنجاح هذه النظرية أنزلت القوات الأمريكية قوات لها عند الحدود الفاصلة بين العراق والمنطقة الخاضعة للأكراد مستخدمة المجال الجوي التركي ، بينما ازداد القصف العنيف لبغداد ، والمقاتلون العراقيون من الفرقة ٥١ يخوضون قتالاً شرساً ضد القوات الأنجلو أمريكية ويشنون هجوماً مضاداً على المعتدين وقد اعترف قائد بريطاني لقناة الجزيرة أن معارك كبيرة بالدبابات تدور رحاها الآن جنوب البصرة . وقد جاء هذا التصريح شاهداً على كذبهم السابق باستسلام الفرقة ٥١ وأسر قائدها.

وجاء اعتراف البنتاجون بـ ١٨ قتيل أمريكي و٢٠ بريطاني و٧ أسرى.

والعراق يعلن إسقاط ثلاث مروحيات ، تدمير ٣٠ مُعــدة أمريكيــة وإســقاط طائرة مقاتلة من طراز "F16" بالإضافة إلى قصف بطارية صــواريخ بــاتريوت والبنتاجون يَكذب أيضاً في هذه ويقول أنها بفعــل العاصــفة الترابيــة والنيــران الصديقة..!

أصيبت قيادات قوات التحالف بالصدمة والرعب نتيجة الخلل الذي وقع فيــه جنودهم خاصة مع المقاومة الفعالة والشرسة من جانب القوات العراقية الأمر الذي أدى إلى تغيير الاستراتيجية العسكرية للحرب والتأكد من فشل خططها السابقة.

فالمصادر العسكرية الإيطالية تؤكد .. البنتاجون يُعدل خططه أمام المقاومــة العراقيــة.



وفي قاعدة السيلية اعترفت القيادة المركزية في قطر بوجــود خســائر فــي صفوف قواتها في معارك الناصرية ، وتفرض نوعاً من التعتيم الإعلامــي علــى المعارك في العراق.

جورج بوش بدأ يُدرك أن الوقت أصبح ضده وأن الحرب ستكون وبالاً عليــه وقد عبر عن قلقه وتوتره الذي غلب عليه ولم يســتطع أن يخفيــه فــي مــؤتمره الصحفي الأسبوعي فوقع قوله .. أن القوات الأمريكية تواجه عدواً لا يعــرف أي

قواعد أخلاقية للحرب بينما شرع يدخل من الباب الخلفي لتمهيد الرأي العام لتقبُّل إطالة أمد الحرب من جهة ، ولتهيئة الأمريكيين لتقبل الخسائر من جهة أخرى ، وأضاف أن ميزانية الحرب شملت ٨,٥ مليار دولار قروضاً مباشرة وضمانات لتركيا من بينهم ٦ مليارات مساعدات عاجلة .

وفي لندن اعترف "بلير" بأن الحرب قد تطول نسبياً بسبب المقاومة للشرسة للقوات العراقية.

- باول يعترف بتراجع العمليات العسكرية ويطالب الأمريكيين بالتحلي بالصبر بينما تُعلن الخارجية الأمريكية عن محادثات مع جورجيا لاستخدام قواعدها العسكرية بعد الإعلان عن فشل المحادثات بين أنقرة وواشنطن حول نشر قوات تركية شمال العراق ، وهذا لُغز جديد لأنه مغاير للحقيقة .
- بكين .. وكالة الأنباء الرسمية الصينية عبرت تعبيراً جيداً عن سير العمليات العسكرية في جبهات القتال حين تساءلت .. هل ستواجه أمريكا فيتنام جديدة في العراق ؟

وقد أثرت الأنباء على أسعار النفط بسبب المقاومة العراقية حيث واصلت ارتفاعها ، بينما انخفضت رحلات الطيران إلى المنطقة بنسبة ٤٠%.

وفي محاولة للمعتدين بحفظ ماء الوجه واحتواء الموقف الذي أضحى في غير صالحهم قامت طائراتهم بشن ١٤٠٠ طلعة جوية على العراق تستهدف قوات الحرس الجمهوري على مشارف العاصمة ، والدفاعات العراقية في الأماكن المختلفة .

- الأردن يلغي اتفاقيات مُبرمة مع العراق بموجب اتفاق النفط مقابل الغذاء ويمنع دخول الأغذية والأدوية إلى العراق.
- الرياض .. أُعلن في السعودية أن وزير الخارجية السعودي تقــدم بمشـــروع سعودي لوقف الحرب وأن المملكة تنتظر رد واشنطن وبغداد ولم يذكر متى تم تقديم هذا المشروع وما هي مفرداته أو أفكاره العامة ، بينما واشنطن لم تلتفت إلى هذا المشروع ولم يصدر عنها أي تعليق حتى طباعة هذا الكتاب.
- طهران أعلنت أن الصاروخ الذي سقط على أراضيها يحمل رؤوساً كيماوية ، كما أعلنت أن القوات البريطانية تقوم بنشر قوات لهـــا علـــى حـــدود إيـــران والعراق.
- بوش يطلب من الكونجرس ٧٥ مليار دولار لتمويل الحرب على العراق.
- ميناء نويبع بعد افتتاحه وقد أُغلق لساعات بسبب سوء الأحوال الجوية اســتقبل ٥٠ عائداً على اللانش السريع و ٦٦١ راكباً منهم ٧ مصـــريين قـــادمين مـــن العراق و ٣٦ من الكويت والباقين من جنسيات مختلفة.
- عواصم العالم .. مظاهرات عارمة في ليبيا – النرويج – ســوريا – لبنـــان – السودان – إيطاليا – أسبانيا – لندن – نيويـــورك – واشـــنطن – باكســـتان – بنجلاديش – اليابان – الكوريتين – ماليزيا – أندونيسيا – الأردن – فلســطين المحتلة.
- المجموعة العربية تطلب إلى مجلس الأمن الانعقاد الفوري لمناقشـــة الوضـــع العراقي.

- **منظمة العمل العربية .. ٤٢ مليون عاطل بسبب الحرب على العراق ، وفي واشنطن ٧٠٠٠ حالة فقد وظيفة بسبب الحرب على العراق.**
- سفينة شحن مصرية تحمل أغذية وأدوية لم تستطع دخول العراق وتفريغ شحنتها وعادت إلى أحد الموانئ المصرية وذلك في الوقت الذي يُعلن فيه المعتدون عن أملهم في سرعة إرسال مواد الإغاثة الإنسانية إلى الشعب العراقي.
- نيجيريا تستنكر الضغوط الأمريكية عليها بسبب موقفها المناهض للحرب.
- لندن .. "توني" يُخطر أبو مازن بتأجيل طرح خارطة الطريق إلى ما بعد الحرب ، ود. صائب عريقات يرفض هذا التأجيل وينتقضه ، وهكذا تم إحالة الملف الفلسطيني إلى الاستيداع من جديد لحين صدور إشعار آخر ومن ثم باتت الأراضي الفلسطينية فريسة لرغبات التوسع والالتهام وأضحت كما أمست لا يدافع عنها إلا أصحابها.
- القدس .. السلطة الفلسطينية تتعلق بالأوهام وتسعى وراء السراب وتطلب من أمريكا وبريطانيا سرعة طرح خارطة الطريق والبدء في تنفيذها بحثاً عن طوق النجاة للفلسطينيين حيث اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي القائد المحلي لكتائب شهداء الأقصى وتسعة عشر فلسطينياً ، و"شاؤول موفاز" وزير الدفاع الإسرائيلي يقترح على الحكومة تأكيد نقل "السياج" سيء السمعة الذي تقيمه إسرائيل على طول الحدود مع أراضي السلطة لمسافة ٢٠كم أخرى داخل الأراضي الفلسطينية بقصد استيعاب ٤٠٠٠٠ من المستعمرين الجدد.

اليوم السابـــع – الأربعاء ٢٦/٣/٢٠٠٣

مع أول ضوء من الفجر الجديد استجابت الحكومة الإسرائيلية لاقتراح "موفاز" باستقطاع ٢١٥٥٠ دونم[1] من أراضي الفلسطينيين في مناطق الحكم الذاتي لإقامة السور الجديد وذلك في ظل تغطية ميدانية باجتياح إسرائيلي للضـــفة واعتقـــال ٢٠ فلسطينياً.

- استمرار القصف الجوي والصاروخي المتواصل لمدة ٣٦ ساعة استهدف مبنى التليفزيون العراقي للمرة الأولى إلا أنه عاد لبث إرساله بعد توقف ٣ ســـاعات وقد استخدمت في تلك العمليات ما يُسمى بالقنبلة الإلكترونية التي تُبطل عمـــل الأجهزة الإليكترونية والحواسب الآلية ووسائل الاتصالات وتقضي تماماً على مراكز القيادة والسيطرة الإلكترونية.
- وكالة الأنباء الفرنسية تنقل عن الطيارين الأمريكيين والبريطانيين قولهم عـــن كربلاء "دخلنا عش الدبابير وهربنا بأعجوبة" ، وتضـــيف أن رائحـــة اللحـــم البشري المحترق تملأ بغداد وتؤكد عدم وقوع أي تمرد ضد صدام حسين فـــي البصرة نافية بذلك ما ذكره قادة التحالف أمس.
- "توني" يجتمع بمجلس العموم البريطاني ، وقد تقدم بعض أعضـــاء المجلـــس باقتراح يدعو إلى اجتماع مستشاري الخارجية والدفاع البريطانيين على صيغة تقضي بسرعة سحب القوات من العراق قبل أن تحاصرهم الصحراء ، ثم طار "بلير" إلى واشنطن للاجتماع بالبابا "بوش" في كامب ديفيـــد ، وقـــد أعربـــت مصادر بريطانية أن "بلير" سيطلب من بوش مزيداً من الـــدعم والمســـاعدات المالية.

---

(1) وحدة قياس "عبرية" تعادل الفدان بالمصرية.

- بوش في قاعدة عسكرية في فلوريدا .. فيما يُعد رسالة إلى مجلس الأمن الذي من المقرر أن ينعقد في واشنطن في وقت لاحق من اليوم قال :"الحرب مستمرة ولم تنته وهي تهدف إلى تحقيق السلام والأمن الدوليين" ، وقد صرح مصدر عسكري أمريكي أن الولايات المتحدة سترسل إلى الخليج العربي الفرقة الرابعة مشاة المزودة بمعدات ذات تقنية حديثة وعالية وأن ثلاثين ألفاً من الجنود الأمريكيين سيرحلون إلى الخليج في غضون الساعات القادمة لتعزيز القوات هناك ، بينما تغلق أمريكا سفارتها في البحرين ، ويصرح "باول" للمرة الثانية : "أتوقع أياماً عصيبة في الحرب على العراق" بينما أجبرت التطورات الأخيرة المتلاحقة بوش على طلب دعم إضافي مقداره ٧٥ مليار دولار لتمويل الحرب على العراق.

- وفي واشنطن أعلنت الإدارة الأمريكية تخليها عن منح تركيا ٦ مليارات دولار منحة عاجلة ، ومبلغ ٢٥ مليار كقروض نتيجة لفشل المباحثات حول السماح بانتشار القوات الأمريكية على الأراضي التركية ، وعاد من جديد العزف على أوتار الألغاز واهتزت الراقصة للطبال فسمحت تركيا بفتح مجالها الجوي أمام صواريخ توماهوك التي تصيب العراق بعد مكافأة أنقرة بمبلغ ٣,٥ مليار دولار من الكونجرس الأمريكي بناء على طلب بوش ، بينما أعلن وزير الدفاع التركي أن قواته موجودة بالفعل في شمال العراق.

- في واشنطن أعلنت الولايات المتحدة عن إغلاق سفارتها في البحرين.

- وفي استراليا .. اشتباكات عنيفة بين الشرطة والمتظاهرين في "سيدني" بسبب الحرب على العراق ، وقد رفض "جون هوارد" رئيس الوزراء الاسترالي دعوة بوش لحضور اجتماع مجلس الحرب مع "بلير" و"بوش" خشية إثارة الجماهير.

- البنتاجون يتعرض لحملة انتقادات واسعة تشكك في حجم وفاعلية الحرب على العراق مما صعد من عمليات القصف العشوائي على العراق حتى أعلن قائـد عسكري أمريكي أن قواته قتلت ألفاً من العراقيين فـي النجـف و ٦٥٠ فـي الناصرية بالإضافة إلى إسكات أصوات المصلين في المساجد والكنائس بقصف دور العبادة بقاذفات "بي ٥٢" والصواريخ العابرة ، أما قلب بغـداد وأطرافهـا فيهزها القصف العنيف والمركز ، وغارة صاروخية على سوق شعبي مزدحم في بغداد يؤدي إلى استشهاد ٤٤ عراقياً حسب الإحصائيات الأوليـة وإصـابة العشرات.

- روما .. أعلنت السلطات الإيطالية عن تدمير ٣ ناقلات جنـود فـي هجمـات متفرقة بشمال إيطاليا باستخدام القنابل الحارقة الليلة الماضية.

- واشنطن تُبلغ سوريا أسفها عن قصف الحافلـة التـي راح ضـحيتها خمسـة سوريين وإصابة عشرة آخرين .

- موسكو .. "إيفانوف" موقف روسيا من حرب العراق لا يعني قطع العلاقـات بين موسكو وكل من واشنطن ولندن.

- لندن .. وزير الخارجية البريطاني "جاك سترو" يعترف بازدواجيـة معـايير الغرب في معالجة الأزمة العراقية حيث كان حازماً في العـراق بينمـا كـان متراخياً إلى حد كبير في ما يرتبط بالتزام إسرائيل ، وأكد على التـزام بـلاده بإنشاء دولة فلسطينية ووصف خارطة الطريق – قبل الإعلان عنهـا – بأنهـا خطوة على الطريق نحو حل سلمي.

- بينما يبدأ مجلس الأمن الدولي في مناقشاته حول العـراق منـذ بـدأ الحـرب الأمريكية البريطانية على العراق.

- بغـداد .. "الصحاف" يُعلن تدمير ٢٠٠ منزل على السكان وإصابة ٦٥٠ فـي الناصرية بالأسلحة الكيماوية ، وأعلن الصحاف موقف بـلاده مـن المبـادرة السعودية فقال : "ما يُقال عن مبادرات لحل سلمي يجب أن تكون مبنية علـى انسحاب المعتدين فوراً ، غير هذا فإنها دسـائس" ووصـف [بـوش وبليـر ورامسفيلد] بالثلاثي المرح.

الوطـن أولاً ..

بعد المقاومة الشرسة والروح البطولية للمقاتل العراقي أمـام قـوى البغـي والعدوان والتي أذهلت قيادات العدو وأربكت حساباتهم وأجبـرتهم علـى تعـديل استراتيجياتهم ، وتلبية لنداء الله والوطن ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ (التوبة :١٤) ﴿فإن قاتلوكم فاقتُلُوهم﴾ (البقرة : ١٩١).

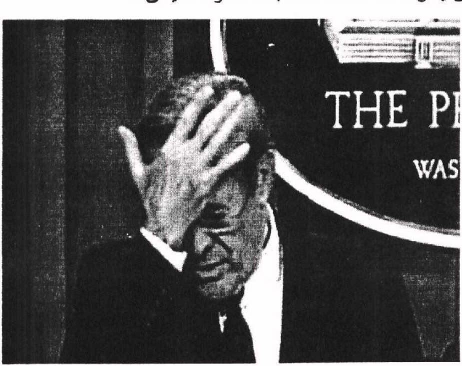
هب الشيعة المسلحون من المعارضين العراقيين الموجودين بإيران من أتبـاع الزعيم الشيعي محمد باقر الحكيم الذي يعيش في المنفى ويقـدر عـددهم بحـوالي ٤٠٠٠٠ مقاتل وتهيئوا لعبور الحدود الإيرانية العراقية للدفاع عن بلادهـم ، إلا أن السلطات الإيرانية منعتهم لظروفها السياسية وإعلاناً منها بالتزام الحياد فـي هـذه الحرب ، ولربما كان ذلك سبباً مباشراً في انتشار القوات البريطانية علـى طـول الحدود مع إيران في وقت سابق بناء على معلومات استخباراتية ، للحيلولـة دون عودتهم لبلادهم .

ثم انشقت المعارضة العراقية الشمالية بين مؤيد للحرب ومعارض لها وانضم المعارضون إلى القوات العراقية.

اليوم الثامن – الخميس ٢٠٠٣/٣/٢٧

الحســابات الخاطئــة ..

البنتاجون يعترف .. "أخطأنا الحسابات" .. ولا تعليــق ..



- في اجتماع قمة الحرب في كامب ديفيد .. "توني" يطلب الثمن من بوش ولـم تتكشف بعد النتائج باستثناء ما تسرب عن خلافات بين الطـرفين بشـأن دور للأمم المتحدة في عراق ما بعد صدام يؤيده "توني" ويرفضه "بوش" بشدة.
- قائد القوات البريطانية المركزية في قطر يُصرح في مؤتمر صحفي أن القوات العراقية في البصرة إذا لم تستسلم سوف نقضي عليها تماماً خاصة أن لنــا – حسب قوله – سيطرة كاملة على أجواء المعركة ولــدينا أســلحة تكنولوجيــة متقدمة . وجاء هذا التصريح ليعكس خيبة أمــل الأوغــاد بعــد أن أصــابت المقاومة العراقية ٣٧ جندياً أمريكياً ورددوا فيهم أغنية "نيران صديقة"..
- البنتاجون يُعلن .. فتح جبهة جديدة شمال العراق لتشتيت اهتمامــات القــوات العراقية وخلخلة دفاعاتها ، وقد أتمت القوات الأمريكية إنزال ١٠٠٠ جنــدي

أمريكي من اللواء ١٧٣ المحمول جواً في منطقة كردية شمال العراق ، وتردد أنهم قد تمكنوا من الاستيلاء على مطار رئيسي في تلك المنطقة التي لم تخضع للسلطة المركزية العراقية في الشمال وهي تقع على بعد ٢٥كم غرب "أربيل".

- مواجهات عنيفة في الناصرية جنوب بغداد ، وقوافل إمدادات جحافل الغزاة تتعرض لمصاعب جمة على طول طريق الإمدادات البالغ طوله ٢٢٠كم من الحدود العراقية الكويتية باعتراف "سي إن إن" التي أوردت النبأ وتحدثت كذلك عن معارك ضارية تخوضها القوات الأنجلو أمريكية.
- الطائرات الأمريكية تقصف "سد دهوك" الاستراتيجي شمال العراق مما ينذر بكارثة إنسانية وبيئية عامة بالشمال بالإضافة إلى قصف المواقع العراقية الشمالية بل وقصف القوات الكردية ذاتها "العميلة للأمريكيين" باستخدام ٥٠ صاروخ عابر مجاملة لتركيا وإزالة لأسباب توترها وتهدئة لمخاوفها من القدرات العسكرية الكردية.
- فقد الغزاة عقولهم من شدة المقاومة فراحوا يقصفون البصرة بالقنابل العنقودية والأسلحة المحرمة دولياً باعتراف الفضائيات وباعتراف "ريتشارد مايرز" في وقت لاحق ، وقد أعلن د. مدحت مبارك وزير الصحة العراقي عن أن الشهداء من جراء استخدام الأسلحة المحرمة بلغ ٣٥٠ شهيداً و٣٦٥٠ مصاباً ومنعت قوات التحالف نقل المصابين إلى المستشفيات وأطلقت الرصاص الحي عليهم ومنعت إجلاء الموتى لدفنهم وخلت بينهم وبين الكلاب تنهش لحومهم وقد منعت قوات التحالف الصحفيين والإعلاميين من دخول المنطقة المنكوبة . وقد أعلن الوزير العراقي عن استهداف الطائرات الأنجلو أمريكية لمستشفيات اليرموك التعليمي ، ومستشفى البصرة ، وقد دمرتها الطائرات تماماً وقد تناقلت الفضائيات صور تلك المأساة الإنسانية البشعة التي يعانيها الشعب العراقي في سبيل تحريره فيما قيل عنها عملية "تحرير العراق" ، وكذلك قد

رأينا كيف وأن طائرات الأباتشي تقصف سـيارات الإسـعاف فـي صـورة مأساوية تتطابق تماماً مع ما تمارسه قوات الاحتلال الإسرائيلي ضـد أبنـاء الشعب الفلسطيني صاحب الحق والأرض والتاريخ .. [إن الكفـر كلـه ملـة واحدة].

- صعوبات في مجلس الأمن وفشل ذريع في اتخاذ قرار بشأن العراق.
- الأب الروحي "أقدم وأكبر" أعضاء البرلمان البريطاني يصف "توني بلير" بأنه مجرم حرب.
- منظمة العفو الدولية تطلب فتح ملف محايد حول الضحايا المدنيين في العراق.
- وزير خارجية الدومينيكان يتقدم باستقالته لرفضه مسـاندة الأمـريكيين فـي الهجوم على العراق ، واحتجاجاً على موقف حكومة بلاده.
- قبل انعقاد الجولة الثانية من قمة الحرب في كامب ديفيد .. بريطانيا تُعلن رفع مخصصات ميزانية الحرب على العراق إلى ٣ مليارات جنيـه اسـترليني ..! أوتدري لماذا ..؟
- صدام حسين يترأس اجتماعاً لكبار العسكريين والحكوميين ، وقصـف جـوي وصاروخي مكثف لبغداد أثناء الاجتماع ، ومعـارك عنيفـة بالـدبابات عنـد البصرة وقصف المدنيين وتصاعد حدة المواجهات علـى طـول الخطـوط ، والأمور تندفع بسرعة نحو المجهول ، ووزير الدفاع العراقي سـلطان هاشـم أحمد يقول إن القوات المعتدية ستتمكن من حصار بغداد خلال مدة تتراوح بين ٥ : ١٠ أيام ، بينما يتحدث البنتاجون عن حرب أطول وأكثـر مـرارة فـي العراق ، ورامسفيلد يُعلن :لن يكون هناك وقف لإطلاق النار .. وأن الحـرب ستستمر لتحقيق النصر .. وسنحقق أهدافنا من حربنا في العراق ..
- باول يؤكد أن واشنطن لن تتنازل عن السيطرة على العراق للأمم المتحدة.

- وزير الخارجية الفرنسي "دومينيك دوفيلبان" يُعلن استعداد بلاده لإصلاح التصدع الذي أصاب علاقاتها بواشنطن .
- وفي فلسطين استشهاد مواطنين وإصابة ١٥ آخرين برصاص قوات الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة فجر اليوم في إطار التصعيد الإسرائيلي ضد الفلسطينيين.. ولا زال العرض مستمراً ..

اليوم التاسع – الجمعة ٢٠٠٣/٣/٢٨

بعد أن بنى حساباته على معلومات استخباراتية غير صحيحة أدت إلى وقوع كبار السياسيين والعسكريين الأمريكيين والبريطانيين ضحايا لأخطائه الهندسية وأوقعت قوات التحالف بجبروتها وقوتها غريزة في الوحل العراقي بفعل المقاومة العراقية البطلة بما جعلها تتراجع لإعادة ترتيب صفوفها ، وقد ازدادت أعداد الخسائر بين قوات التحالف على مستوى الأفراد والمعدات بما فيها إسقاط "معجزة القوة العسكرية الأمريكية" طائرات الفانتوم ، ثم نسف بطاريات الصواريخ المضادة للصواريخ المعروفة باسم "باتريوت" ، وتعرض البنتاجون لحملة انتقادات واسعة من الكونجرس الأمريكي ، وتعرض "بلير" للتوبيخ والإهانة في مجلس العموم.

ولما لم يتحقق صدق تنبؤه في خروج الشيعة العراقيين متمردين على حكومة بلادهم ولا مرحبين بقوات الغزاة ، ولما دخل المعتدون من دون استقبالهم بالورود والزهور كما كان يرسم في مخيلته ويكتب في مخططاته عن غزو العراق ، بعد أن بات طويلاً في الظلام بعيداً عن وسائل الإعلام وكاميرات التليفزيون وتصريحات الصحافة ، جاءت أخطائه لتخرجه من الظلام وتكشفه في النور .. لذلك لقبوه في أمريكا بـ "أمير الظلام" .

إنه "ريتشارد بيرل" .. الذي استقال من منصبه بعد أن تأكدت أخطاء حساباته وفساد تنبؤاته وقد أفشلتها المقاومة العراقية وجعلت المستقبل السياسي لصاحبها في مهب الريح وقد حيرت الأعداء وأرقت مضاجعهم وحطمت مقاعد قاعدتهم.

وقد تبين أن القوات العراقية تحاول الإيقاع بالغزاة في حرب المــدن وإطالــة أمد الحرب حتى وصول الجنرال "حَرّ" الذي لا يطيقونه ، وقد سبق اعتراف "بوش" و"بلير" لشعبيهما بإمكانية إمادة وقت الحرب كرْهاً ..

وقد أدت تلك العوامل على الدفع بأمير الظلام لتقديم استقالته إلى وزير الدفاع الأمريكي ، وقال "بيرل" في خطاب استقالته .. "إنني لا أســتطيع درء الانتقــادات الموجهة إليَّ بسرعة أو بسهولة بسبب أخطاء تتعلق بأنشطتي فإن ما أســتطيع أن أفعله في ظل هذه الظروف هو تقديم استقالتي" .. فيما يُعد دليلاً قوياً علــى تفكــك قوات التحالف وتخبطها .

ومن الجدير بالذكر أن الإعلان عن استقالة أمير الظــلام جــاءت مشــفوعة بأسباب واهية ووهمية وبعيدة عن ذكر الدوافع الحقيقية التــي أدت إلــى اســتقالة الرجل أو إقالته حيث أذاعوا عن كونه تقدم باستقالته بسبب ما يقال عن تورطه في تعاملات مالية مع مجموعة "جلوبال كروسينج" للاتصالات التي قيل أنها أشــهرت إفلاسها ..

وفي محاولاتها لإثبات الذات والتأكيد على أنها الأقوى ومن أجل نفي ما تردد مؤخراً حول العالم عن استقالة "بيرل" ولتصحيح الصورة المقلوبة ، ومن أجــل رد الاعتبار "للأمير" المستقيل أو المُقال شهدت بغداد منذ فجــر اليــوم قصــفاً جويــاً وصاروخياً عنيفاً امتداداً للأيام العصيبة التي تمر بها.

استهدف القصف وسط العاصمة بغداد وأطرافها وكركوك والموصل ودمرت الطائرات والصواريخ القصر الرئاسي الرئيسي ووزارتي الإعــلام والتخطــيط ، والكثير من المباني الحكومية وامتد القصف إلى أحياء المأمون والعلوية والجازرية والرشيد ، فضلاً عن استمرار استهداف القصف المتكرر لمبنــى وزارة الإعــلام ومبنى الإذاعة والتليفزيون وقد تعطلــت وســائل الاتصــال بالإنترنــت والبريــد الإلكتروني في محاولة يائسة لقطع سبل الاتصال بين العراق والعالم الخارجي.

من هنا يمكن القول أن الحرب على العراق هي حرب غير نظيفة .. على عكس ما رُوج لها ، فهي تستهدف الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ عن طريق إحداث الدمار الشامل في الأحياء الشعبية وقصف وسائل الحياة اليومية بما فيها الأسواق الشعبية ، كما تهدف كذلك لعزل مدن العراق عن بعضها البعض ولعزل العراق عن العالم كله مستخدمة في ذلك الصواريخ العابرة.

فقد صرحت متحدثة أمريكية بأن البحرية الأمريكية أطلقت ٣٠ صاروخاً عابر على العراق خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ، وقد سقط إحداها فوق الأراضي التركية وسقط آخر فوق سوق شعبي ببغداد أدى إلى استشهاد ٦٢ مدنياً وإصابة العشرات من الأبرياء(١).

وطائرات "بي ٥٢" تُسقط على بغداد قنبلتين زنة الواحدة ٢٠٦٨ كجم على موقع اتصال رئيسي في وسط بغداد بالإضافة إلى ١٠٠٠ قنبلة على أهداف عراقية أصابتها بإصابات دقيقة في وسط بغداد – بحسب تصريح ريتشارد مايرز – .

ولكن .. المقاومة العراقية الباسلة نالت احترام الأعداء وسط صمت الأقرباء وغيبة الأصدقاء..

ففي إسرائيل أجرت صحيفة اسرائيلية استطلاعاً للرأي أمس الخميس أشار إلى توقع ٦٢% من عينة الاستطلاع إلى تورط الولايات المتحدة في حرب طويلة مع العراق .

- "رومانو برودي" رئيس المفوضية الأوروبية يقول : "العراقيون شعب يجب احترام إرادته والأفضل حل الأزمة سلمياً.
- وصول رفاة القتلى الأمريكيين من ضحايا العدوان على العراق إلى الولايات المتحدة وسط تكتم وتعتيم إعلامي كبير.

---

(1) مراسلة قناة النيل للأخبار من بغداد – "ميسون الموسوي".

- وفي بلغاريا رفضت الحكومة هناك طلباً أمريكياً بإغلاق السفارة العراقية فـــي بلغاريا.

وفي المقابل المقاومة العراقية تخوض قتالاً عنيفاً وشرساً ضد القوات الغازية في النجف وكربلاء والبصرة وأم قصر والفاو ، وتوقف تقدم المعتدين في الجنوب وتمنعهم من الزحف على المدن الكبرى على الرغم من القصف الجوي المتواصل.

وتشير المقاومة في البصرة وتنذر بأن بغداد ستكون أكثر صموداً – نقلاً عـــن وكالات الأنباء – ..

هذه المقاومة العنيفة أصابت العدو بالهستيريا التي قـد تقـود الأعـداء إلـى ارتكاب حماقات أشد خطورة خاصة مع تصريحات القـادة العسـكريين للقـوات الغازية بإمكانية استخدام نماذج معينة من الأسلحة النووية على غرار ما حدث في أفغانستان.

وقد اعترفت قوات ما يُسمى بالتحالف بفاعلية المقاومة العراقية التي أسـفرت حسب قولهم عن إسقاط طائرة بلا طيار فوق بغـداد وسـقوط ٢٦ جـريح مـن الأمريكيين ، بالإضافة لفقدان ٤ جنود مـن المـارينز فـي معـارك الناصـرية والبنتاجون يعترف بالمفقودين فقط .

- "الصحاف" يُعلن تدمير ٣٣ دبابة وعربة مدرعة ومقتل ٤ خلال معارك أمس. وعلى الجانب العراقي ارتفع عدد الشهداء فـي البصـرة إلـى ١١٦ شـهيداً وأضاف أن قصف المواقع المدنية دليل على إفلاس قوات التحالف.
- قافلة عسكرية أمريكية من ١٢٠ ألف جندي تعبر الحدود الكويتية إلى العراق.

اليوم العاشر – السبت ٢٠٠٣/٣/٢٩

بغداد تتعرض لقصف جوي منذ الصباح الباكر استخدمت فيه للمرة الأولى في تاريخ الحياة الإنسانية على الأرض في تجربة حية على الشعب العراقي ما يُسـمى

"القنابل الإشعاعية" التي تسبب العمى بالإضافة إلى الأسلحة المحرمة دولياً والمقاتلات الأمريكية تقصف موقعين لإطلاق صواريخ أرض-جو شمال العراق ، ومبنى بوسط بغداد كان يتواجد به ٢٠٠ مسئول عراقي بالإضافة إلى مجمع رئاسي وسط بغداد والدواوين الحكومية ووزارة الخارجية ، وفي البصرة قصف المعتدون مستودعاً لتخزين المواد الغذائية ، وسيارة إسعاف بقنبلة عنقودية في النجف واتجهت إلى تصعيد قصف الأهداف المدنية.

وتدفق الآلاف من المتطوعين العرب والمسلمين من غير العرب على بغداد للدفاع عن العراق بعد أن تخلت عنه الحكومات العربية والعالمية على السواء ..

وتحدث بوش قائلاً .. "المعارك في العراق ضارية ، وأضاف أننا نواجه الآن الوحدات الأكثر تصميماً في الجيش العراقي ، والمعارك اشتدت ضراوتها ولا يمكن التنبؤ بمدتها إلا أن نتيجتها معروفة حيث سيتم نزع أسلحة النظام العراقي" وأضاف .. لقد تقدمت القوات الأمريكية وأصبحت على بعد ٧٥كم من بغداد.

وعلقت الواشنطن بوست على تصريحاته فقالت "إدارة بوش" كانت متفائلة أكثر من اللازم بشأن حرب قصيرة في العراق ، وهي الآن تدافع عن استراتيجيتها في إدارة الحرب.

- مع وصول أول ١٠ جثث من القتلى البريطانيين في حرب العراق إلى بريطانيا زادت حدة الانتقادات التي يتعرض لها "بلير" الذي عبر بدوره عن الصعوبات التي تتعرض لها قوات التحالف في بغداد.
- واعترف قائد القوات الأمريكية في الخليج .."نواجه عدواً غير الذي تدربنا على قتاله قبل الحرب"..
- الخليج العربي .. وصول طلائع الأعداد الإضافية من مشاة البحرية الأمريكية "المارينز" استعداداً للتوجه إلى العراق تعزيزاً للقوات التي ستحتل العراق ومن المنتظر أن يصل تعداد تلك القوات الإضافية إلى ١٢٠ ألف جندي أمريكي

بينما تضاربت الأنباء عن توقف القتال على مشارف بغداد مـدة ٤ : ٥ أيـام لحين وصول الإمدادات وأنباء أخرى أن الحرب البرية على بغداد لن تبدأ قبل منتصف أبريل القادم ، وقد نقلت "الأسوشيتدبرس" نقلاً عـن مراسـليها فـي العراق نبأ توقف تقدم قوات التحالف أمام المقاومة العراقية غير المتوقعة لحين وصول مساعدات عسكرية والقيادة الأمريكية المركزية في قطر تنفي وقف أي تقدم شمالاً صوب بغداد.

- السعودية تقدمت باحتجاج رسمي للولايات المتحدة بشأن سقوط أربعة صواريخ توماهوك على أراضيها ، والبنتاجون يعترف وأمريكا تعتذر وتقول أنها أوقفت إطلاقها من البحر الأحمر مروراً بالأجواء السعودية.
- هانز بليكس .. أمريكا تضيق ذرعاً بمهمة فرق التفتيش الدولية في العـراق إذ كانت تسعى إلى قرار من الأمم المتحدة يعطي شرعية لحربها ضد العـراق ، وأعن بليكس عن عزمه التقاعد في يونيو القادم.
- المقاومة العراقية أسقطت طائرتين أباتشي بوسط العـراق وتـدفع بتعزيـزات كبيرة على المدن الوسطى والجنوبية في النجف وكربلاء والناصرية لمنع تقدم القوات المعتدية.
- نقلت بعض وكالات الأنباء أنباء وأكدتها أخرى مفادهـا أن القـوات الأنجلـو أمريكية أحكمت سيطرتها على مطار البصرة وحولته إلى قاعدة عسكرية تابعة لها وأنها ستستخدمه لخدمة الطائرات التابعة لها بالإضافة إلى فـرق الإنقـاذ والتأمين.
- الصحاف يعلن تدمير ٧٤ دبابة و٥ حاملات لنقل الدبابات ، ٣٥ حاملـة جنـد مدرعة وأعلن عن استيلاء رجال المقاومة على عدد من المدرعات سليم تماماً وصالح للاستعمال بعد أن تركها الجنود المرتزقة وهربوا ، كما أعلن عن مقتل مئات من قوات التحالف منذ بدأ الحرب ، وأن المضادات العراقية أسـقطت ٥

مقاتلات و ٤ هيلكوبتر حربية إحداها سليمة تماماً و٦ طائرات تجسس بدون طيار ، وهذه الخسائر دفعت الإدارة الأمريكية لإرسال تعزيزات بناء على طلب ونداءات من قياداتهم في الميدان بالمساعدة ، وأعلن الصحاف استشهاد ١٤٠ مدنياً عراقياً وإصابة ٣٥١ خلال الأمس فقط.

- الولايات المتحدة تفتعل أزمة مع سوريا بتكرار ادعائها أن سوريا تقدم دعماً عسكرياً للعراق يمكن أن يؤثر على سير العمليات.

اليوم الحادي عشر – الأحد ٢٠٠٣/٣/٣٠

أصبحت بغداد على ما أمست عليه من القصف الجوي المكثف والعنيف على مدار الساعة وبفارق ٥ دقائق بين كل طلعة طيران أو صاروخ ينفجر وسط بغداد أو في جنوب العراق أو شماله شرقه أو غربه .. وفي كركوك تتصاعد سحب الدخان في سماء المدينة ودوي انفجارات هائلة شرقي بغداد شوهدت بعدها كتلة كبيرة من النيران فيما ترافقت أصوات القصف الجوي مع إطلاق نيران المضادات الأرضية العراقية ، والبصرة تتعرض لموجة جديدة من القصف الجوي صحبتها انفجارات هائلة في منطقة "أبو الخصيب" والمضادات الأرضية تفتح نيرانها باتجاه طائرات التحالف وقصف مدفعي مكثف بين القوات المتحاربة في منطقة "جسر الزبير" ، وقرب الناصرية جنوبي العراق اشتباكات قوية بمختلف أنواع الأسلحة امتلأت على أثرها سماء المدينة بأعمدة الدخان وألسنة اللهب تندفع إلى السماء بعد قصف طائرات الهيلوكبتر من طراز "كوبرى" لأهداف مدنية من دون تمييز وقد تسببت في وقوع العديد من الانفجارات والانهيارات والحرائق والإصابات كما قُصفت منطقة الزعفرانية الصناعية بجنوب بغداد مما أدى إلى استشهاد ٦ أفراد وإصابة ٥ آخرين.

كما شوهدت في الشمال طائرات "بي ٥٢" تحلق في سماء الموصـــل شـــمال العراق وتصاعدت سحب الدخان الكثيف من المواقع التي تعرضت للقصف بالقرب من خط التماس بين مناطق القوات الكردية "البشمرجة" بالقرب من الموصل.

وزير الدفاع الأمريكي .. **لا وقفة في الحرب** والقوات الأمريكية والبريطانيـــة سوف تخوض أشرس المعارك خطورة وضراوة خلال زحفهـــا علـــى العاصـــمة "بغداد" وأضاف أن الخطة التي وضعتها وزارة الدفاع سوف تؤدي بكل تأكيد إلـــى النصر.

ريتشارد مايرز في حديث لإحدى شبكات التليفزيون الأمريكي .. لا نتعجـــل مهاجمة بغداد وذلك بعد تعرضه لانتقادات لاذعة وقاسية من البنتاجون.

وزير الدفاع البريطاني .. إن طول أمد المعركة في العراق سيؤدي إلى تبديل القوات البريطانية المشاركة في الحرب بقوات أخرى وأضاف في تصـــريح بثتـــه القناة الرابعة للتليفزيون البريطاني أنه بمجرد انتقال الصراع إلى مرحلة جديدة فإنه سيتعين مراجعة عمليات انتشار القوات البريطانية في المنطقة والبالغ عـــددها ٤٥ ألف ، وأكد على أن القوات تحقق تقدماً ملموساً في الأراضي العراقية وأن هزيمـــة تلك القوات غير واردة ، وأكد الوزير أن الحرب ســـوف تكـــون صـــعبة وأنهـــا ستستغرق وقتاً ، مُعبراً عن ثقته الكاملة في الاستراتيجية العسكرية لقوات التحالف.

١٥ ألف شخص يتظاهرون في الهند مطالبين بوقف الحرب ، وفي قبـــرص وقعت مصادمات بين المتظاهرين والشرطة وعشرات الآلاف في مسيرات مطالبة بالوقف الفوري للحرب في المغرب والباكستان ومصر ولبنان وفلسطين وامريكـــا وكندا والمكسيك واستراليا ، وبنجلاديش وماليزيا والإمـــارات وليبيـــا والجزائـــر والصومال ومدن العالم يتجدد غليانها احتجاجاً على الحرب.

وكالة رويترز .. الرئيس العراقي لازال يحكم سيطرته على البصـــرة رغـــم حصارها من قبل قوات التحالف.

طهران .. أعلن وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي أن طهران لن تعترف بأي حكومة تُفرض على العراق ما لم تكن تحت إشراف الأمم المتحـدة وباختيـار الشعب العراقي نفسه بعد فترة الحرب.

البنتاجون يعترف بتحطم طائرة مروحية تابعة للبحرية الأمريكية في جنـوب العراق وموت طاقمها المكون من ثلاثة جنود.

وزارة الدفاع البريطانية .. مقتل جندي بريطـاني وإصـابة آخـرين قـرب البصرة.

الكويت .. شاحنة تداهم جنوداً أمريكيين فتصيب ما بين ١٠ : ١٥ أمريكياً.

كشفت صحيفة الإندبندنت البريطانية أن مراسلها في بغداد الصحفي المعروف "روبرت فيسك" عاين بنفسه حطام الصاروخ الأمريكي الذي أصاب سوق النصـر بحي الشعلة غرب بغداد قبل عدة أيام وخلف أكثر من ٦٢ شهيداً .. الأمـر الـذي فضح المزاعم الأمريكية والبريطانية بأن صاروخاً عراقياً هو المسئول عـن تلـك المجزرة.

وفي فلسطين أصبح الفلسطينيون منذ الصباح الباكر على تصـعيد إسـرائيلي خطير وحصار كبير وفرض لحظر التجول ، يأتي ذلك في احتفـال الفلسـطينيين بذكرى يوم الأرض وقد بدأ الفلسطينيون الاحتفال بعملية استشهادية أسـفرت عـن إصابة العشرات من بينهم ٥ في حالة خطيرة ، وأحد افراد حركة الجهاد الإسلامي يطعن أحد الجنود الإسرائيليين بالسلاح الأبيض ثم هاجم فدائي ثان دورية إسرائيلية أدت إلى مقتل أحد أفرادها.

والسلطة الفلسطينية تدين تلك العمليات ..

فجَّر فلسطيني نفسه في مقهى لندن في بلدة نتانيا الساحلية وقد اسفرت العملية الاستشهادية عن إصابة ٦٢ إسرائيلياً على الأقل وقالت الشـرطة الإسـرائيلية أن

الانفجار وقع على الرغم من تحذيرات من وقوع أعمال إرهابية في ذكـرى يـوم الأرض.



"فانظر .. ماذا ترى ؟!.."

وكانت أعمال العنف المستمرة قد خفت حدتها من الجانب الفلسطيني منذ بـدء الحرب ثم اشتعلت من جديد مع ذكرى الأرض.

أسـاتذة الكـذب ..!

اعتاد المسئولون من القادة العسكريين للقوات الأنجلو أمريكيـة فـي منطقـة الخليج أن يدلوا بدلوهم في الحرب الإعلامية الكاذبة التي تسير موازيـة أو ربمـا تسبق في كثير من الأحيان الحرب العسكرية الميدانية. ولقد اعتدنا الحديث الكـاذب والمتطور في تصريحاتهم المدوية التي لا تقل أثراً عن دوي انفجـارات أسـلحتهم الفتاكة لتزداد الحرب على العراق قذارة فوق قذارتها ويتطور الكذب فيها ولها من جانب واحد يوماً بعد يوم.

والعجاب ما دأبت عليه القيادات السياسية لقوات التحالف في تصريحاتها وبعد التورط في الحرب التي تدور رحاها بل ومنذ الإعداد لها والتي بـدأت بـالترويج لمزاعم وادعاءات باطلة كانت بدايتها ما عُرف بنزع أسلحة الدمار الشامل مـروراً

بما أسموه "حرية العراق" وانتهاء بطلبهم من الأمم المتحدة الاعتراف بهم قوة احتلال والجديد من أشهر الأمثلة للتدليل على الأستاذية في الكذب ما صرح به رئيس الوزراء البريطاني "توني بلير" بأن القوات العراقية أعدمت جنديين بريطانيين في مغايرة صريحة لحقيقة الأحداث التي يقصد بها "توني" إلى استدرار عطف البريطانيين وحشد تأييدهم خلفه للحد من حملة الانتقادات التي يتعرض لها داخل مجلس العموم والتي أتهم فيها بأنه مجرم حرب بينما طالبه آخرون بالاستقالة والرحيل.

وقد صرح المتحدث الرسمي البريطاني في الخليج بمقتل الجنديين في المعارك على مشارف البصرة ، فسارع وزير الدولة البريطاني للاعتذار رسمياً أمام مجلس العموم .. "شكراً توني"..

وكانت المبالغة في حجم المعونات الإنسانية التي تم شحنها إلى البصرة حيث روى شهود العيان "الصحفيون" أن نصف حمولة السفينة الوحيدة التي وصلت كانت عبارة عن أسلحة وذخائر ، بينما منعت قوات المعتدين المعونات العاجلة الإنسانية والطبية الواردة للعراق وأعادتها إلى حيث جاءت دون إفراغ حمولاتها وفي مقدمتهم السفينة المصرية وقد ذكرناها سابقاً.

وكانت أشد الافتراءات وأغربها ما عمل القادة العسكريين على تأكيده فترة ما قبل الحرب عند إعداد أفرادهم نفسياً وتأهيلهم للإقدام على غزو العراق حيث أفهموهم بأن العراقيين سوف يستقبلونهم بالورود والزهور وسيخرجون إليهم مرحبين. وحينما سأل الجنود في أرض المعركة عن الورود والزهور والمستقبلين قال لهم قادتهم إن هذا الترحاب قد تأجل ..! وهكذا يُحارب الأبناء وهم متأكدون من أنها حرب لا طائل منها أما آبائهم "قادتهم" فإنهم مازالوا يبحثون لها عن مبرر.

- الرويشد .. غادر ميناء الرويشد على الحدود الأردنية العراقية متوجهاً إلى داخل العراق وفد طبي جزائري برئاسة "د. جمال ولد عباس" ويعتبر هو أول

وفد طبي عربي يصل إلى العراق منذ بدأ الحرب ، بينما لـم تسـمح القـوات الأمريكية بدخول الوفد الطبي المصري ولا بدخول الأدوية المصـرية وعـاد الوفد إلى القاهرة.

- اشتعال حرب أخرى قاسية وضارية عبر الإنترنت.
- الواشنطن بوست في تحقيق صحفي لها اليوم أكدت أن الحرب الدائرة الآن في العراق ليست إلا سوى جزءاً صغيراً في حرب سياسية تخوضـها الولايـات المتحدة وتتسم بأنها أطول وأوسع نطاقاً بل ويصعب التكهن بها وبنتائجهـا إذا ما قورنت بالمعركة العسكرية ، وأضافت الجريدة أن الحرب لها جوانب عـدة غير الجانب العسكري مثل الجوانب الدبلوماسية والاقتصادية والإعلامية فضلاً عن الجانب المتعلق بالأمن الداخلي إلا أن الجانب الأسوء على الإطلاق لهـذه الحملة هي الحرب التي تشنها ضد قلوب وعقول ٢٥٠ مليون عربي ، وتشير الصحيفة أن هناك مخاطر كبيرة تتعرض لها في الآونة الأخيرة وتتمثـل فـي أنها قد تتمكن من تحقيق نصر عسكري على العراق ولكنها قـد تخسـر فـي الوقت نفسه تلك الحرب السياسية الأوسع نطاقـاً والأكثـر أهميـة ، ونقلـت الصحيفة عن محام سعودي بارز حجم المخاطر التي تواجهها الولايات المتحدة في الأيام المقبلة ، وقال فيها .. لقد تحولت أمريكا إلى ما يشبه الثـور الهـائج ولذا فإننا نشعر برضا عن أي شخص يبدي مقاومة للمشـروع الاسـتعماري حتى لو كان هذا الشخص هو صدام حسين نفسه.

اليوم الثاني عشر – الاثنين ٢٠٠٣/٣/٣١

أصبحت بغداد على قصف متطور وأعنف مما أمست عليه البارحة أدى إلـى إصابة أحد القصور الرئاسية ووزارة الإعلام التي أخلتها السلطات العراقية تمامـاً بعد اشتعال النيران في أجزاء كبيرة منها وبعد تعرض المنطقة التـي توجـد بهـا للقصف الشديد.

ولا يقل الحال في البصرة عن بغداد ، والمعارك تشتد ضراوة عند النجف ومعارك جديدة بالدبابات عند كربلاء ، وتجدد القصف على الموصل شمال العراق بعد أن فتحت تركيا مجالها الجوي أمام ١٧٨ طائرة أمريكية للقيام بأعمال عسكرية في شمال العراق.

- البنتاجون يُعلن إسقاط ٨٧٠٠ قنبلة وصاروخ على العراق حتى الآن.
- متحدث عسكري أمريكي في قطر يعترف بسقوط دبابة أمريكية في الفرات ومقتل جنودها الأربعة.
- طوكيو .. أعلنت اليابان أنها طلبت إلى فريقها الطبي الموجود على الحدود السورية العراقية العودة إلى البلاد بعد أن منعتهم قوات الغزاة من دخول العراق.
- باول في كلمته التي ألقاها فجر اليوم بتوقيت القاهرة أمام لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية أعلن عن التزام بلاده بالعمل على تحقيق أمن إسرائيل وبإقصاء صدام حسين عن السلطة. واعتبر "باول" أن النظام العراقي هو أحد الأنظمة الإرهابية التي تسعى لامتلاك أسلحة دمار شامل – على حد قوله – ، وقال أن سوريا تواجه خياراً حاسماً بشأن تأييدها للعراق والجماعات الإرهابية –يعني– "المنظمات الفلسطينية" ، وأضاف أنها ستدفع ثمن مساعدتها للرئيس العراقي ، وجدد باول اتهاماته لإيران وقال إن عليها أن تكف عن السعي للحصول على أسلحة دمار شامل وقال "باول" إن السلام في الشرق الأوسط لا يزال ممكناً رغم الحرب الدائرة في العراق.
- وأعرب الأمين العام للجامعة العربية عن قلقه إزاء الاتهامات الأمريكية لسوريا بتقديم إمدادات عسكرية للعراق لمساعدته للدفاع عن نفسه ، وأضاف أن مثل هذه الاتهامات لن يكون من شأنها إلا المزيد من إشعال الوضع في المنطقة.

- لبنان يطالب بتحرك دولي عاجل لمعالجة الوضع المتـردي والمتفجـر فـي العراق.
- رئيس الوزراء الاسترالي .. الأيام القادمة هي الأصعب منذ اندلاع الحرب.
- الخارجية السورية .. سوريا اختارت أن تكون إلى جانب الشعب العراقي ضد العدوان الأمريكي البريطاني.
- قبرص .. مواطن قبرصي يُلقي بقنبلة حارقة على سفارة أمريكا في قبرص.
- لندن .. أعلن "جيفري هون" لا تمرد حتى الآن من القيادات العراقية على حكم صدام حسين ويستبعد إرسال مزيد من القوات البريطانية إلى العراق.
- أدلى الصحفي الأمريكي الشهير "بيتر آرنيت" بحديث إلى التليفزيون العراقـي قال فيه إن خطة الحرب الأولى فشلت أمام المقاومة العراقية .. ثم تم عزله من وظيفته في وقت لاحق جزاء على صدق قوله.
- المتطوعون العرب والمسلمون بدءوا التدفق على العراق للقتال ضـد قـوات الغزو ، وقال متحدث باسم وزارة الدفاع العراقية أن المتطوعين جاءوا من كل الدول العربية بلا استثناء.
- المتحدث باسم رئيس الوزراء البريطاني يقول .. "الأهداف لم تتحقق بعد فـي العراق" وأضاف أنه لا هدنة والقتال مستمرة ..
- جاء ذلك أثناء استقبال ١٤ جندي بريطاني من مصابي العمليات العسكرية في أحد القواعد العسكرية البريطانية ، بينما تم نقل المصابين الأمريكيين من تركيا إلى بلادهم وآخرين إلى ألمانيا ..

وتبقى العلامة شاهدة ..

- في ساعة واحدة ١١ طفلاً و٧ سيارات و٩ رجال قتلى عراقيين .

- إصابة طيار أمريكي داخل طائرته المحلقة على ارتفاع منخفض برصاص جندي عراقي.

اليوم الثالث عشر – الثلاثاء ٢٠٠٣/٤/١

استمراراً لحرب الإبادة التي تحصد أرواح الأبرياء الذين طحنهم الجوع وحاصرهم الفقر منذ ثمانينات القرن الماضي في الحرب التي تسحق ثاني أكبر قوة عربية وسط بيات عربي وصمت دولي ..

- "الصحاف" يُعلن استشهاد ٣٣ عراقياً بينهم أطفال رُضع في بغداد أمس ، وإصابة ٣١٠ آخرين في قصف جوي بمدينة "الحلة" ، واستشهاد ١٨ شهيداً وأكثر من مائة جريح في أحدث غارة جوية أمريكية على بغداد. واستشهاد ١٥ من عائلة واحدة إثر تعرض سيارتهم لقصف صاروخي من طائرة أباتشي أمريكية قرب الحلة واستشهاد ٧ مدنيين عراقيين استهدفهم الغزاة عند نقاط التفتيش.
- طائرة مقاتلة أمريكية تقصف حافلتي ركاب "أتوبيسين" على طريق عمّان/بغداد كانا يقلان دروعاً بشرية أمريكية لحماية المدنيين في العراق مما أدى إلى إصابتهم جميعاً.
- باول يقوم بزيارة خاطفة لأنقرة وبروكسل لبحث الحرب على العراق والاتحاد الأوروبي لا يتوقع أن تسفر زيارة باول لبروكسل عن قرارات حاسمة.
- كوفي آنان يدافع عن فشله وفشل الجهاز الذي يترأسه بقوله .. "الأمم المتحدة تركز حاليا على جهود الإغاثة الإنسانية بالعراق".
- الرئيس مبارك في اتصال هاتفي مع رئيس الورراء الكندي "جـان كيرتيـان" يستعرضان نتائج وانعكاسات الحرب على العراق وآثارها الدولية والإقليمية.

- وكالة موفوسيتي الروسية .. التحرك السريع للاستيلاء على بغــداد يمكــن أن ينتهي بمأساة للغزاة.
- فرنسي يتقمص شخصية الرجل العنكبوت ويتسلق ناطحة سحاب فــي بــاريس احتجاجاً على الحرب.
- استراليا تُخفض عدد قواتها المشاركة في الحرب بعد أن ارتفعت أعداد ضحايا قوات التحالف.
- ورسيا تستدعي السفير الأمريكي في موسكو وتسلمه احتجاجاً رسمياً بعد سقوط قنابل في محيط سفارتها في بغداد.
- صحيفة الجارديان البريطانية تتساءل .. هل يمثل الإمبراطور جــورج بــوش الولايات المتحدة حقاً ..!
- البحرين تطرد القائم بالأعمال العراقي لتورطه في أعمال لا تتناسب ووظيفتــه الدبلوماسية – بحسب المصادر البحرينية – .
- القوات العراقية تخلي ليلاً منطقة "لاجان" على طريق أربيل/الموصل.
- صحيفة أمريكية .. قوات أمريكية خاصة فجرت أنبوبة النفط العراقي لسوريا.
- شاؤول موفاز .. الحرب على العرق ستستمر ٩ أشهر .
- القوات الأنجلو أمريكية تطلق النار بعشوائية عند نقاط التفتــيش وذعــر مــن العمليات الاستشهادية.
- واشنطن تُعلن في أحد أدوات الحرب النفسية والإعلامية ضد النظام والشــعب العراقي عن تشكيل حكومة جديدة للعراق من ٢٣ وزيــراً أمريكيــاً برئاســة الجنرال متقاعد "جي جارنر" ، ويتسلم كل وزير مهامه بحسب المناطق التــي يتم انتزاعها.

- CNN قوات التحالف تستخدم صواريخ أرض أرض في ملاحقة فدائي صدام قرب النجف.
- وزير الخارجية البلجيكي ينتقد عجز أوروبا عن منع الحرب .
- عمرو موسى .. أي عمل عسكري ضد سوريا وإيران سيُحدث فوضى في المنطقة.
- المظاهرات العارمة الرافضة للحرب ولوجوده في تركيا تستقبل "باول" لدى وصوله إلى أنقرة وسط إجراءات أمنية مشددة ويطالبونه بمغادرة تركيا فوراً اعتراضاً على الحرب الظالمة التي تشنها بلاده وبريطانيا على العراق بينما يهدف باول من زيارته لتركيا لفتح الجبهة الشمالية للعراق بعد الفشل في إحراز تقدم في الجنوب.
- طه يس رمضان يُعلن رفض بلاده لدعوة السعودية بتنحي صدام عن السلطة ، وطارق عزيز يُعرب عن ثقته في النصر على قوات التحالف في ظهور علني بالتليفزيون قاطعاً بذلك كل الألسنة التي تحدثت عن هروبه خارج البلاد ، وصدام حسين يَحُثُّ شعبه على قتال الأوغاد ويعدهم بالنصر في كلمة ألقاها نيابة عنه "الصحاف" ، وقد علق البيت الأبيض فقال إن غياب صدام يُثير التساؤلات.
- وكالات الأنباء الأردنية .. التليفزيون العراقي أعلن أن الحكومة المصرية قررت طرد السكرتير الأول بالسفارة العراقية في القاهرة "رياض جبير العاني" وقالت الوكالة أن العراق يُدين هذا القرار .. ومصر تنفي بشدة.
- منظمات حقوق الإنسان العالمية تُدين استخدام القوات الأمريكية القنابل العنقودية وقتل المدنيين في الحرب على العراق.

- المتحدث باسم رئاسة الحكومة البريطانية .. سنزحف على بغداد عندما نكـــون مستعدين.
- عمرو موسى يطالب بإعادة النظر في النظام العربي برمته لمواجهة التحديات التي تواجه العرب بعد النكبة الكبرى التي حدثت في العراق.

اليوم الرابع عشر – الأربعاء ٢/٤/٢٠٠٣

وحدات أمريكية ثقيلة تحتشد على مشارف النجف استعداداً للهجـــوم الحاســـم على بغداد خلال أسبوع ومعارك عنيفة حول الناصـــرية ، وتعزيـــزات ضـــخمة وعاجلة تصل إلى الكويت من بينها ٥٠٠٠ جندي.

والمدن العراقية التي كانت تتطلع إلى مستقبل مشرف بعد السنوات العجـــاف المريرة تجاوزت العقدين من الزمان ويزيد ، أضحت هذه المدن بعد دخول قـــوات التحالف مقفرة شاحبة الوجه لا تسر صديقاً ولا تغيظ عدواً وتحولت جميعهـــا إلـــى جبهات قتال فعلية تشهد هذه الأيام معارك هي الأشد ضراوة منذ بدأ العدوان لاسيما جبهة النجف الأشرف حيث استبسل ابناؤه أروع استبسال للدفاع عن ضريح الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – الذي تربطهم به رابطة روحيـــة مقدســـة ، كما شهدت كذلك "الهندية – السماوة – البصرة – الناصرية – القادسية" ولم يقتصر القتال على البر ، فقد التهبت سماء بغداد ومدن العراق الأخرى بألسنة النيران مـــن صواريخ وقنابل الأنجلوأمريكيين التي اســـتهدفت القصـــور الرئاســـية والحـــرس الجمهوري والحرس الخاص "فدائي صدام ، حزب البعث" .

بغداد قبلة العلماء وأم الفقهاء وصانعة الأمجاد منذ تـــاريخ الأجـــداد .. فخـــر العرب والإسلام .. جميلة الجميلات المدللة ، لم يغرها الجمال ولم يفسدها الـــدلال ولكن خربها الدمار الشامل الزاحف إليها بسرعة جنونية ، ولا أحد يـــدري متـــى وأين وكيف يتوقف ..؟ ولكننا ندري إلى أين هي تمضي ..!

الصحاف يدعو العرب والمسلمين السنة والشيعة في العالم كله والأصدقاء والأحرار من أجل اتخاذ ما يرونه مناسباً مع هؤلاء الأوغاد الذين يستهدفون السنة والشيعة على السواء ..

- مصادر عسكرية أمريكية تعترف بأنها استخدمت ولأول مرة في التاريخ القنابل العنقودية الذكية على طابور للمدرعات العراقية ، وتتميز هذه القنابل بتغلبها على الرياح والظروف الجوية الصعبة وتصيب أهدافها بدقة من خلال إسقاطها بواسطة طائرات "بي ٥٢".
- الجرحى الأمريكيون في ألمانيا يعترفون بضراوة المقاومة.
- البابا "جورج بوش الثاني" بابا البيت الأبيض يقول أنه يتلقى من الرب وأنه يحارب بأمر من الرب ، وإن الرب يبارك الحرب وأنه "بوش" مأمور بها ، مما دفع بالرئيس الألماني أن يوجه إليه انتقادات لاذعة قائلاً أن البابا – وهو الأب الروحي للعالم المسيحي – رفض هذه الحرب ولم يباركها .. ثم كيف وأنت وحدك الذي يتلقى عن الرب !.. وما هي طبيعة هذا التلقي ؟ ومتى وكيف ؟
- واستعداداً لفتح جبهة قتال في شمال العراق عززت القوات الأمريكية من مواقعها بعد أن فرضت سيطرتها على المطار الاستراتيجي في مدينة أربيل الشمالية ، جاءت زيارة "باول" لتركيا الذي عقد اجتماعاً فور وصوله مع وزير الخارجية التركي "عبد الله جول" ، وسيجتمع كذلك مع رئيس الجمهورية "أحمد نجدت سيزار" و"رجب طيب أرطوغان" رئيس الوزراء التركي ، ورئيس الأركان التركي ، وتتركز المباحثات حول الوضع الراهن في العراق ومحاولة إقناع تركيا بعدم إرسال قوات لشمال العراق وعلى عدد من المطالب الأمريكية من تركيا لدعم الولايات المتحدة في حربها ، وقد أكد "باول" في تصريحاته للصحفيين لدى وصوله إلى أنقرة على استبعاد أي دور للأمم المتحدة في

العراق بعد الإطاحة بصدام حسين وقد وعد "باول" الأتراك بدور فعال وكبيـــر في إعمار الكويت بعد الحرب .. ونجح في زيارته.

- مجلس الأمة الكويتي يصنف سوريا ضمن "دول الضد".
- جورجيا تُعلن استعدادها لتقديم المساعدات لأمريكا بأي شكل في حربها علـــى العراق.
- إسرائيل تواصل اعتقالات ضخمة ضد الفلسطينيين.

اليوم الخامس عشر – الخميس ٢٠٠٣/٤/٣

- "الصحاف" .. نحن نستنزفهم ونتعبهم وننهكهم بحيث نتقـدم ونتـأخر بحسـب مقتضيات التكتيكات بحيث يتم الإجهاز على الغزاة حتـى يـتم تطهيـر أرض العراق من قذارتهم وقاذوراتهم وإن شاء الله قريب .. ، ونفى الصـحاف مـا تردد عن اقتراب قوات التحالف من البصرة وقال .. "هم حاولوا الاقتراب لعدة مرات قابلتهم قوات اللواء ٤٢٢ فدمرت عدداً من الدبابات وقتلت عـدداً مـن الغزاة وانسحبوا ، لذلك ما يدَّعوه وحاولوا أن يطلبوه منذ الصباح الباكر اليـوم هو لتغطية الخيبة وعجز هؤلاء المرتزقة ، وأعلن الصحاف عن تدمير عـدد من ناقلات الجنود ودباباتهم وقتل عدد من جنودهم ، وأضاف أنه تـم إسـقاط طائرة "F18" وطائرة أباتشي وطائرة شينوك كما أعلـن أن قـوات الغـزاة قصفت اليوم معملاً للنسيج في الديوانية وآخر في حي "نادر" بالحلة "محافظـة بابل" ، وشركة لإنتاج مقاعد السيارات والمجمع السكني للعمال في الإسكندرية ، وفي بغداد ١٤٠ جريح و٥ شهداء ، وفي الدورة ٦٦ جريح و١٤ شهيد وفي قضاء المحمودية ٥٩ جريح و ٥ شهداء ، وقد بلغ عدد المصابين فـي بغـداد اليوم من جراء القنابل العنقودية فقط ١٩٣ مصـاباً و ٢٧ شـهيداً.. وسـوف يندمون هم وأجيالهم القادمة على جرائم الحرب هذه.

- أما وزير التموين العراقي فقد صرح في ذات المؤتمر باستيلاء القوات الغازية على مخازن الأغذية في الناصرية ، كما أنها تهجم على المحلات وتنهب ما فيها بعد أن نفذ طعامهم وتوقفت عنهم الإمدادات وتسولوا الطعام في البصرة .
- وزير الخارجية العراقي .. الضحايا العراقيون وصل عددهم ١٢٥٠ شهيداً وما يزيد على ٥٠٠٠ جريح منذ بدأ الحرب حتى اليوم بالإضافة لمقتل عشرات المدنيين والعسكريين في قصف أمريكي لإحدى القرى قرب مطار صدام لم نعلم عددهم حتى الآن.
- صدام حسين يرسل برسالة إلى جلال طالباني الزعيم الكردي المنشق الموالي لأمريكا يدعوه إلى العودة لأحضان الوطن الأم وتدارك الخطب الجلل قبل فوات الأوان ، ويُعلنه بأن هذه الرسالة هي شهادة أمام الله والتاريخ ، وأشاد صدام بالمقاومة الباسلة العراقي ودعاهم إلى الجهاد.
- في الولايات المتحدة تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه بين "باول" والقادة الأتراك ، الإدارة الأمريكية تدعوا الكونجرس إلى إقرار مساعدة مالية عاجلة لتركيا قدرها مليار دولار.
- رامسفيلد يدعو القادة العراقيين للاستسلام أو الانقلاب على صدام ، ويكرر اتهاماته لسوريا بأنها مازالت تدعم القوات العراقية بإرسال شحنات من بينها أجهزة رؤية ليلية واصفاً الأمر بأنه عمل عدائي ضد بلاده.
- باول في بروكسل للاجتماع بوزراء خارجية الاتحاد الأوروبي ويشيد بحدوث التقارب مع الحلفاء الأوروبيين خاصة بعد تغيير لهجة روسيا وألمانيا.
- القوات الأمريكية تقطع طريق بغداد / عمان وتقصف كل المارين عليه للحيلولة دون عودة العراقيين إلى بلادهم وقطع طريق كافة أشكال المساعدات عبر الأردن إلى العراق بينما المسيرات الشعبية في الأردن تحرك الدم الراكد

في قيادتها حيث استدعى ملك الأردن السفير الأمريكي لدى بلاده وأبلغه استياء الأردن ورفضه وشجبه للعدوان على العراق وطالب بوقفه فوراً.

- المجموعة العربية في مجلس الأمن تُجري مشاورات لعقد اجتمـاع للجمعيـة العامة للأمم المتحدة في إطار الجهود الرامية لحل الأزمة العراقيـة بـالطرق السلمية !..
- بعد تصاعد موجات العداء للأمريكيين .. السفارة الأمريكية في بيروت تشـجع رعاياها على مغادرة لبنان.
- سويسرا ترفض طلباً أمريكياً بـإغلاق السـفارة العراقيـة لـديها أو طـرد دبلوماسيين عراقيين.
- قوات التحالف .. مقتل ٥٠٠ جندي عراقي جنوب بغداد ، وبغداد تنفي ، وفيما يعبر عن يأسها قامت الطائرات الأمريكية بقصف يهدف إلى إحراق بغداد فـي قصف جوي هو الأشد من نوعه منذ بدء الحرب الأمريكية البريطانيـة علـى العراق فيما يبدو أنه نوع من اليأس أصاب القوات المعتدية دفعها إلى قصـف بغداد بشكل عشوائي ومكثف ، هذا وتتصاعد ألسنة اللهب وأعمدة الدخان مـن كل مكان ويبدو المشهد وكأن بغداد تحترق.
- وبعد الفشل في الجنوب قوات التحالف "الغازية" تسعى لفتح جبهة في الشمال ، بينما يؤكد "جيفري هون" وزير الدفاع البريطاني أن القـوات علـى مشـارف بغداد.
- واعترافاً بفاعلية المقاومة التي كشفت إلى حد كبير أخطاء الحسابات الأنجلـو أمريكية .. قنوات فضائية أوروبية تشكو من قيود أمريكية على تغطية أنبـاء الحرب على العراق.

- وفي نبأ درامي طيرته الفضائيات والإنترنت .. شركات عالمية تتنافس علـــى الفوز بعقود لإعادة إعمار العراق بعد الحرب .
- القيادة المشتركة للغزاة تشيع أن علماء الدين في العراق أصدروا فتاوى تحـــرم قتال القوات التي جاءت لتحرير العراق ، وآية الله "علي السستاني" أحد أكبـــر مراجع الشيعة في النجف ينفي أي فتوى تحض على عـــدم مقاومـــة العـــدوان الأمريكي البريطاني على البلاد.

تهديد مصر في "الرابعـــة"

طالعتنا صباح اليوم إذاعة BBC/عربي علـــى موقعهـــا بالإنترنـــت وقنـــاة المعلومات العربية "محيط" بالنبأ العظيم .. حيث أعلن مدير المخابرات الأمريكيـــة السابق "جيمس ويلسي" خلال فترة رئاسة الـــرئيس الأمريكـــي "بـــل كلينتـــون" أن الولايات المتحدة تخوض الآن الحرب العالمية الرابعة وتوقع أن تستمر طـــويلاً .. جاءت تصريحات "ويلسي" المرشح لدور في مرحلة إعادة الإعمار في لقاء له مـــع طلبة بعض الجامعات الأمريكية الأربعاء ٢٠٠٣/٤/٢.

وقال "ويلسي" خلال اللقاء أن الحرب العالمية الثالثة كانت الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وأعرب عن اعتقاده بأن الحرب الرابعة ستدوم لفتـــرة أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية ، آملاً أن لا تستغرق ما يزيـــد علـــى الأربعة عقود مثلما كان الحال مع الحرب الباردة.

وأضاف في لقاءه الذي حضره ٣٠٠٠ طالباً إن الحروب الجديدة موجهة ضد القيادات الدينية في إيران والفاشيين في سوريا والعراق والإســـلاميين المتطـــرفين مثل تنظيم القاعدة.

واتهم "ويلسي" المجموعات الثلاثة "الدينيين – المتطرفين – الفاشـــيين" بشـــن حرب ضد الولايات المتحدة لفترة طويلة ، لكن واشنطن لم تلاحظ ذلك إلا مـــؤخراً وتنبأ "ويلسي" بزيادة حدة القلق لدى الكثيرين بينما نتحرك في اتجاه آخر نحو شرق

أوسط جديد خلال السنوات والعقود القادمة ، وأضاف أن دعم أمريكـا للحركـات الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط هو الذي سيؤدي لإثارة حالة القلق تلك.

وتحدث "ويلسي" عن الرئيس المصري "مبـارك" وقـادة المملكـة العربيـة السعودية قائلاً .. "نريدكم أن تشعروا بالقلق ، ونريدكم أن تعلموا وللمرة الرابعـة خلال مئات السنين أن هذا البلد – الولايات المتحدة – وحلفاؤها يتحركون وأننا مع الجانب الذي تخشونه أنتم وشعوبكم" ..

الـدور على إيـران

أكدت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية أن مسئولين أمريكيين يقـدرون تماماً أن إيران قد تمتلك أسلحة نووية خلال سنتين فقط ، وأن بلاده ستهتم بالشـأن الإيراني بعد انتهاء الحرب على العراق فيما يبدو أنه تهديد صريح بشن حرب على إيران بعد أن أعلنت أمريكا في وقت سابق أنها ضمن محور الشر.

فضيحة أمريكية جـديدة

أكدت مصادر باكستانية أن الأمريكيين أعدوا مشرحة لجنـودهم فـي قاعـدة "يعقوب أباد" الباكستانية التي يستخدمونها في إطار الحرب على ما تسميه واشنطن بالإرهاب وذلك تعليقاً على تقرير بثته وكالة باكستانية مفاده أن جثث ٥٠٠ أمريكي موجودة في تلك المشرحة ولا يتم نقلها إلى الولايات المتحـدة تفاديـاً للأضـرار بمعنويات الجيش الأمريكي في هذه المرحلة الصعبة والحرجة.

اليوم السادس عشر – الجمعة ٢٠٠٣/٤/٤

العاصمة العراقية تبيت في ظلام دامس إثر انقطاع الكهربـاء عنهـا نتيجـة قصف قوات التحالف لمحطات الكهرباء وقد استمرت طائراتهم في قصف القصور الرئاسية والوزارات الهامة والمواقع الحيوية بالقنابل العنقودية المحرمة التي بررها وزير الدفاع البريطاني بقوله "إنها سلاح قانوني ولها دور عسكري مشروع" وقـد انقطعت مياه الشرب النظيفة عن مختلف أحياء العراق نظراً لانقطـاع الكهربـاء

وبالتالي توقف البث الإذاعي والإرسال التليفزيوني طوال ليلة كاملة للمرة الأولى منذ بدء العدوان.

وقد استشهد ٨٣ مدنياً وأصيب المئات أثناء القصف الليلي لقرية الفرات القريبة من مطار صدام الدولي أثناء محاولة القوات الأمريكية السيطرة عليه ، وقد أعلن متحدث عسكري أمريكي مقتل ٣٢٠ جندياً عراقياً في تلك المعركة.

وقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية AFB نبأ استيلاء تلك القوات على المطار ، بينما أعلن ضابط أمريكي أن ٨٠% من المطار بات تحت السيطرة الأمريكية الكاملة ، ووزير البريطاني يتوقع أن تكون القوات العراقية ربما تقهقرت من المطار لإعادة تجميع صفوفها في بغداد ، ويزعم بأسر ٩٠٠٠ عراقياً.

- قيادة القوات المركزية في قطر تُعلن إتمام القيام بثلاث وعشرين ألف طلعة طيران ناجحة منذ بدأ العمليات حتى فجر اليوم ويُعلن استسلام ٢٥٠٠ عسكرياً عراقياً لقوات التحالف.

- مجلس الشيوخ يوافق على تخصيص مبلغ ٨٠ مليار دولار لتمويل الحرب ومكافحة الإرهاب ومكافأة الأصدقاء والحلفاء الرئيسيين ويعتمد ٦٠ مليار دولار من ميزانية الإنفاق الطارئة.

- الرئيس الإيراني "محمد خاتمي رافسنجاني" يحذر الأمريكيين والبريطانيين من أنهم أثاروا في نفوس سكان العراق والشرق الأوسط الحقد والعنف حيالهم ، وقال إن الذين يطلقون اليوم قنابلهم وصواريخهم على العراق لن يحصدوا سوى الدمار ، واتهم "خاتمي" الولايات المتحدة بالسعي إلى السيطرة على العالم والاستهانة بسلطة الأمم المتحدة ، كما وجه تحذيراً شديد اللهجة للبيت الأبيض وبريطانيا من المساس بالعتبات المقدسة في مدينة النجف الأشرف المقدسة عن الشيعة مؤكداً أنهم سينتقمون لذلك.

- عمرو موسى .. إن معارضة الحرب ليست انحيازاً ضد الكويت مضـــيفاً أنـــه كما وقفنا ضد احتلال الكويت نقف اليوم بنفس القدر ضـــد احـــتلال العـــراق محذراً من تداعيات الحرب وما سيحدث خلالها وبعدها كما حذر مـــن آثـــار الحرب مشيراً إلى أنها سَتَطَالُ الجميع.

- التليفزيون العراقي يُعيد بثه مرة أخرى للعالم في وقت قياسي ، وقد تمكن مـــن إذاعة المؤتمر الصحفي لوزير الإعلام العراقي الذي توعد فيه قوات التحـــالف التي رابطت على حواشي "جوانب" المطار بمصير غير تقليدي ، ودعـــا مـــن بداخل المطار من القوات الأجنبية إلى الاستسلام أو الموت ، وأضاف إنه مـــن المفيد العمل في الظلام مع هؤلاء المرتزقة ولـــيس الحـــرب معهـــم بطريقـــة الجيوش مضيفاً أنه من الصعب أن تخرج القوات الأمريكية المطوقة في مطار صدام فسيكون درساً لا يُنسى في تاريخ الحروب.

- وقد نقلت شاشات تليفزيون العراق وتليفزيونات عربية أخرى صـــوراً علـــى الهواء مباشرة للرئيس العراقي وهو يتجول في شوارع بغداد مرتـــدياً الـــزي العسكري من داخل سيارته المكشوفة وبرفقته مجموعة من الأشـــخاص بينمـــا كان يتفقد المناطق التي دمرها القصف في الناحية الغربية للعاصـــمة بغـــداد ، وبثت قنوات LBC اللبنانية والجزيرة القطرية وقناة أبو ظبي الإماراتية تلـــك الصور نقلاً عن التليفزيون العراقي وظهر صدام وهو يتوســـط حشـــوداً مـــن الناس والعسكريين بصدد تقبيل يديه بعد أن ترجل من مركبته ، وتحدث صدام مبشراً العراقيين بالنصر ودعاهم إلى الجهاد وضرب العدو بكل ما هو متـــاح لديهم ، فيما اعتبر المراقبون والمحللون أن ظهور صدام يُعد خطاباً إلى أهالي بغداد لحثهم على الجهاد حتى طرد الغزاة.

وقد بدا صدام حسين وكأن شعبه يحتفل به حتى وهو مهزوم بما أعـاد إلـى الأذهان إجماع المصريين على التمسك بالرئيس "جمال عبد الناصر" عنـد تنحيـه عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧.

الاعـتراف بالفشـل

وعلى الفور من انتهاء احتفال البغداديين بصدام حسـين سـارع البنتـاجون بالإعلان عن فشله في وقف بث التليفزيون العراقي ، حيث أعلن المتحدث الرسمي باسم وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون بفشـل القـوات الأمريكيـة والبريطانيـة الموجودة بالعراق في وقف بث التليفزيون العراقي ، وقال المتحدث إن تلك القوات مازالت غير قادرة على تدمير نهائي للتليفزيون العراقي ، وأضـاف أن أسـلوب الدعاية مازال قوياً من جانب التليفزيون العراقي ، ويأتي تصـريح "ماركريسـتال" بعد قليل من بث التليفزيون العراقي مع قنوات عربية أخرى إرسالاً حيـاً للـرئيس العراقي وهو يتجول في أرجاء العاصمة العراقية بغداد.

حقيقـة الموقف الألماني

أكد "فولف جانج ايشنجر" سفير ألمانيا لدى الولايات المتحدة أنه على الـرغم من أن بلاده تعارض الحرب على العراق إلا أنها مازالت تقدم مساعدات تفوق مـا يقدمه كثير من أعضاء الائتلاف الذي تقوده أمريكا للإطاحة بنظام صـدام حسـين رغم أننا دولة لا تؤيد الحرب وليست عضواً في هذا الائتلاف إلا أننا نعمل معكـم ولكم بشكل أكبر من معظم أعضاء هذا الائتلاف ، مضيفاً أن على الولايات المتحدة أن تتعاون بشكل أوثق مع حلفائها لتحديد أهدافها الاستراتيجية ومع الأمم المتحـدة بدلاً من القيام بأعمال منفردة.

الأخطاء الأمريكية من رؤية فرنسية

في مقابلة له مع التليفزيون الفرنسي صباح اليوم قال رئيس الوزراء الفرنسي "جون بيار رافاران" إن الولايات المتحدة ارتكبت ثلاثة أخطاء عندما شنت الحـرب

على العراق .. أخطاء أخلاقية وسياسية واستراتيجية .. وأوضح رافاران أن الخطأ الأخلاقي يكمن في أنه كانت هناك بدائل للحرب وكان من الممكـــن نـــزع ســـلاح العراق بصورة أخرى ، أما الخطأ السياسي فهو أن الحـــرب ســـتزيد مـــن حـــدة الصراع العربي الإسرائيلي الذي يمكن أن يزعزع استقرار المنطقة كلهـــا ، أمـــا الخطأ الاستراتيجي هو اعتقادها بأن بمقدور دولة واحدة قيادة العالم ..

بينما تؤمن بلاده "فرنسا" بضرورة وجود عالم متعدد الأقطاب يضمن وجـــود توازن سياسي دولي وهو ما يستلزم أن تلعب أوروبا دوراً أكثر فاعلية.

وأوضح "رافاران" أن فرنسا تنتقد الولايات المتحدة باعتبارها دولة صـــديقة لا دولة تنتمي لمعسكر الطغاة.

الإنـــذار المبكـــر

أعربت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونيسكو" عـــن قلقهـــا على الثروات والآثار القديمة المهددة بسبب الحروب الـــدائرة الآن علـــى الأرض العراقية ، وأبدت مخاوفها من أن يكون بعض هذه الآثار تعرض لأضرار بســـبب عمليات القصف ، وقال عالم الآثار الجزائري "منير بوشناقي" المدير المساعد فـــي قسم الثقافة في اليونيسكو في باريس .. تلقينا معلومات أن متحف تكريـــت مســـقط رأس الرئيس العراقي صدام حسين في شمال البلاد أصـــيب بالقصـــف ، وكـــذلك متحف الموصل وقصر في بغداد يضم قطعاً أثرية تعود إلى عهد الملكية.

كما أعرب بوشناقي عن قلقه من الوضع في البصرة والنجف التي تضم قبـــر "علي بن أبي طالب" وكربلاء التي تضم ضريحي "الحسين" حفيد الرسول ﷺ الـــذي قُتل في القرن السابع الميلادي "عام واحد وستين من الهجرة"[1] وشقيقه العبـــاس ، بالإضافة إلى الأهمية التاريخية للبصرة التي ازدهرت في عصر العباسيين.

---

(1) البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ٦٩٣.

والجدير بالذكر أن عدداً من علماء الآثار والمعاهد التابعين لليونسكو قد نبهوا أمريكا بضرورة تفادي تدمير الآثار التي سبق لها أن تعرضت لأضرار كبيرة في حرب الخليج الثانية ، كما سلمتها اليونسكو لائحة بأربعة آلاف موقع وبناء أثري هي الأكثر أهمية في العراق على أمل أن يتجنبها القصف.

إلا أن العراق اتهم أمريكا بقصف تلك المواقع ومن أهمها متحف بغداد بينما يبرر الأمريكيون القصف بزعم أن القوات العراقية تحتمي بهذه الآثار وبالأماكن الدينية ويخبئون أسلحة داخلها.

وإذا كان متحف بغداد الأثري الذي يضُم مجموعة تنافس في حجمها وقيمتها مجموعة المتحف البريطاني في لندن قد نجا من التدمير والنهب عامي ٩١ ، ٩٨ إلا أنه عانى من نقص الصيانة بسبب الحصار المفروض ولم يتم فتحه من جديد إلا في عام ٢٠٠١ حتى قصفته أمريكا مجدداً في أبريل ٢٠٠٣.

ويقول علماء الآثار أن هناك ٥٠٠ ألف موقع شديد الأهمية يخشى عليه من القصف وقد جرت عمليات التنقيب في ١٥% فقط من مساحة محصورة بين الرافدين التي تعتبر مهد الإنسانية وشبّت على أراضيها الحضارات العريقة "السومرية ، الأكادية ، البابلية ، الأشورية ، الفارسية ، العباسية".(1)

اليوم السابع عشر – السبت ٥/٤/٢٠٠٣

أصبح الوضع كما أمسى وقد بات منذ أكثر منذ أسبوعين على تعرض العاصمة "بغداد" لموجات من القصف الجوي والصاروخي المدمر ، ودوي الانفجارات يهز المدينة بفارق دقيقتين بين كل انفجار ، والطائرات الحربية تحلق في سماء بغداد على مدار الساعة ، ومدن العراق الرئيسية وضواحيها لا يقل وصف حالها سوءاً عن المدينة الأم ، فالمعارك الدامية حول الناصرية والبصرة ،

---

(1) الأنباء الفرنسية AFB بتاريخ اليوم وقناة المعلومات العربية "محيط".

وقتال الشوارع في كربلاء ، ومعارك طاحنة في السامراء وسوق الشيوخ والنجف، والصواريخ العابرة تقصف الموصل وكركوك .. ويبدو العراق وكأنه يحترق.

وفي إطار الحرب النفسية الإعلامية المغرضة ، أعلنت قوات التحـالف عـن مقتل ٦٠٠ متطوع عربي ، وذلك بقصد إرهاب وردع المتطوعين الوافدين علـى العراق ومن تُسوِل له نفسهُ سلوك ذات المسلك.

وقد زعم متحدث أمريكي في العراق اليوم عن قتل ١٠٠٠ عراقـي صـباح اليوم حول بغداد فقط على أيدي قوات التحالف..

ومصادر أمريكية أخرى تؤكد دخول ثماني دبابات أمريكية إلى وسط بغـداد وسط إطلاق نار كثيف ، وتم سحبها بعد ذلك .. مفادها رسالة إلى النظام العراقـي فضلاً عن مهمتها الاستطلاعية .. ووكالات الأنباء تنفي وتؤكـد لا أثـر لوجـود عسكري أمريكي واحد في وسط العراق ..

إخـــــتراق ..

وللإمانة فإنها المرة الأولى التي يصدق فيها متحدث عن القوات الغازيـة .. حقاً لقد اخترقت دبابات أمريكية العاصمة العراقية .. وهو اختراق لا يقل خطـورة عن معنى الحادث الذي يُشير صراحة إلى اختراق النظـام العراقـي ذاتـه بفعـل الخيانة..!

وهو ما ذهبتُ إليه شخصياً في مخيلتي على الرغم من النفي المتكرر للحادثة من قبل المسئولين العراقيين ووكالات الأنباء الدولية ..

إن حادث اختراق بغداد بالدبابات الأمريكية وإعادة سحبها هو أُنبُوب مخبـار أو بالونة اختبار لمدى ولاء والتزام الذين خانوا الدين والوطن بتنفيذ بنود الصـفقة واستحقاقاتها .. وإن الشواهد لقادمة .. وإن الأحداث لآتيـة ..

"بوش" و"بوتين" يؤكدان اليوم على الحاجة لحوار سياسي بين واشنطن وموسكو (وهو تعبير دبلوماسي مهذب يراد به في الباطن "إبرام صفقة") حول الأزمة العراقية ، وقد أفادت المصادر التي أوردت الخبر أن الخارجية الروسية أمرت باستدعاء السفير الروسي في بغداد الذي بدأ بدوره في حزم أمتعته استعداداً لمغادرتها.

ولا أجد في الموقف الروسي إلا تحولاً سريعاً وخطيراً لا يقل بحال عن الموقف الألماني والفرنسي ، وفيه يتجه المؤشر نحو الإتجاه المؤدي إلى تأكيد اختراق فعلي ومؤكد للموقف الروسي الذي أثبتته حقيقة الأحداث والتي بدأت باختراق العاصمة "بغداد" بعد أن أُختُرِق بالتمام النظام العراقي ..

وليس أدل على ذلك مما قيل في مكالمة "بوش" و"بوتين" وما تحدثا فيه عن ضرورة الحوار السياسي بشأن العراق ، أي طمأنت الجانب الروسي على مصالحه في العراق بل وضمان أمريكا سداد الديون العراقية المستحقة على العراق للروس. فالتعبير باستخدام الحوار السياسي أجدر به أن يقال عنه "وضع حلول اقتصادية للمشاكل الروسية" أو إيجاد حل دبلوماسي وصيغة مقبول يتفق عليها الطرفان في مساحة اتفاق تضمن السيطرة على الخلاف الأمريكي الروسي واحتواءه بشأن العراق خاصة إذا ما علمنا أن المعارضة الروسية لغزو العراق سببها الاقتصاد أولاً وأخيراً ..

وقد شهد التاريخ على صدق ما ذهبنا إليه عندما نطق "بوتين" بشهادته للتاريخ وللأجيال القادمة بقوله .. "إن العلاقات الروسية الأمريكية يجب أن تزدهر وتستمر في شتى المجالات فهما أكبر دولتان نوويتان في العالم الآن ، وإنه تقع على عاتقيهما مسئولية الحفاظ على الاستقرار" ..

وأكد بوتين على أن روسيا صاحبة مصلحة في تنمية العلاقات مع واشنطن انطلاقاً من المبادئ المشتركة للسياسة الخارجية الروسية ، وقال إن الولايات

المتحدة الأمريكية هي أكبر شريك اقتصادي لروسيا ، وأضاف أن اقتصاد وعملــة الولايات المتحدة لهما طابع عالمي ، ويتوقف على تنميتها تنميــة الاقتصـــاد فـــي أوروبا وروسيا التي تعوّل كثيراً على المساعدات الاقتصادية الأمريكية.

هذا ويتبين عن استحقاق وجدارة موقف الــرئيس الروســي بعــد أن أكــدت التطورات الأخيرة لدى المراقبين بما لا يدع مجالاً للشك بأن مصير العقود النفطية الروسية في العراق والتي تُقدر إجمالاً بمبلغ ٣٠ مليـــار دولار مرهونـــة بقـــرار واشنطن التي لا تُخفي رغبتها في احتكار السيطرة على الثروات النفطية العراقية.

ولعلنا نحن في عالمنا العربي نستطيع التعامل مع المفاهيم السائدة والمؤكــدة والتي تنطلق بأن المصالح العليا للدول الكبرى ، وتوازنات المعادلات العســكرية ، وأولويات الموارد الاقتصادية هي التي تحدد أحجام الصراعات وأطوارها وأشكالها بل وجغرافيتها ، وهي أيضاً التي تضع الحلول المناسبة وتفرض التحولات الواجبة سلباً أو إيجاباً ، تأجيلاً أو تعجيلاً ، كي ينمو الطرف الأقوى والأكبر على حســاب حياة الأطراف الأصغر والأضعف وهي الأطراف التي يجب أن تحيا مــن أجــل العمل في استخراج المواد الخام ، ومستلزمات الإنتاج باعتبارها أيد عاملة رخيصة أو مجانية للمنتجات الخبيثة للدول الصناعية الكبرى أو قهرهم بالآلات العســكرية وإبادتهم كما هو الحال في أفغانستان وما هو مستهدف للعراق ، أو أن يكون ذلــك من خلال معاهدات الصداقة والشراكة التي تعمل على الغزو الثقافي بما يحتويه من شيوعية أدب الإباحية والجنس والمخدرات وصناعة الســينما ...إلــخ وذلــك لأن الشعوب المقهورة هي أقل مراتب الجنس البشري تصنيفاً وترتيباً فـــي أيديولوجيـــة الأطراف الأقوى التي لا تُقيم وزناً لأي شيء إلا الاقتصاد "المال" وذلك لأن المـــال هو إلهَهُم شديد الطمع.

سياسي أسباني شهير .. "أزنار" إرهابي ويجب محاكمته مع "توني بلير" كمجرمـــي حرب.

محمد سعيد الصحاف .. سحقنا الأرتال الأوغاد الذين تجرأوا على دخول مطار صدام الدولي ، وهو الآن تحت السيطرة التامة للحرس الجمهوري البطل ، والمراسلون والصحفيون يؤكدون أن مطار صدام يقع تحت السيطرة التامة للحرس الجمهوري والقوات العراقية الآن .. بعدما توجهوا إلى المطار ووصلوا إلى أقصى نقطة ممكنة آمنة في غير مرمى المدفعية الأمريكية الموجودة خارج المطار.

وقد أكدت قناة العربية الفضائية وقوع معارك حالياً "عصر اليوم" في منطقة "اليوسفية" التي تبعد ٢٠كم عن المطار حيث يبدوا أن القوات العراقية تحاصر القوات الغازية هناك وتقوم بتكبيدها خسائر كبيرة في الأرواح ، فيما أكد مراسلها مقتل ٣٠٠ جندي أمريكي حول المطار وعدداً مقارباً من البريطانيين.

اليوم الثامن عشر – الأحد ٢٠٠٣/٤/٦

يـوم المغالطـات ..!

بعد الأزوُر وكامب ديفيد تتجه نية قادة الحرب إلى اجتماع مجلس حرب ثالث في غضون الساعات القادمة ..

فقد أعلن البيت الأبيض أن "بوش ، بلير" سيلتقيان في بداية الأسبوع القادم في إيرلندا الشمالية بمدينة "بلفاست" ..

وقد أعلن مسئول أمريكي رفض ذكر اسمه أن المباحثات ستتركز على عملية السلام في إيرلندا الشمالية ، وسيشارك "باول" في المباحثات التي تتزامن مع الذكرى الخامسة لتوقيع "الجمعة العظيمة" لإحلال السلام في إيرلندا الشمالية في العاشر من إبريل الحالي(١).

وهكذا جاء "بوش" من غرب العالم للقاء "بلير" ليحتفل الجميع في بلفاست بإيرلندا الشمالية بذكرى توقيع السلام التاريخي بين "البروتستانت والكاثوليك" والذي

---

(١) وكالات الأنبـاء.

أنهى سنوات من الحرب والدمار والكراهية والمصادمات الدامية ، إنهـم سـيلتقون للاحتفاء وشرب نخب المصالحة ، ثم دراسة الموقـف علـى السـاحة العراقيـة والوقوف على آخر التطورات الدولية بشأن الأزمة والمأزق التـي تتعـرض لـه القوات الأنجلو أمريكية في العراق ، وكذلك لتحديد أسلوب المعالجة الواجبة للوضع الراهن ، وإحكام المؤامرة على المسلمين في العالم العربي وفي غيره.

- وفي اليوم ذاته طارت مستشارة الأمن القومي الأمريكي إلى موسكو فيما أُعلن أن سبب الزيارة إزالة أسباب التوتر في العلاقات بين الدولتين ولـم يُـذع أي بيان عن المباحثات التي دارت بينهما وبين وزير الخارجية الروسي "إيفانوف" وقد أحيطت بسرية تامة ، وأعلن في موسكو عن عدم إمكانية لقاءها بـالرئيس الروسي بينما تسربت أنباء عن إتمام هذا اللقاء الذي تم في منأى عن وسـائل الإعلام. وفي نهاية المطاف وقبيل مغادرتها أعلنت الخارجية الروسية نبأ فشل تلك المباحثات وعدم تحقيق أية نتيجة من هذه الزيارة.

- مغادرة السفير الروسي بغداد عبر دمشق ، وقد تعرض موكبه لقصف أمريكي أثناء رحلته البرية إلى دمشق – وفقاً للأخبار المذاعة – ..

- وفي مقابلته مع صحيفة الحياة العربية اللندنية دعا "كولين باول" لصرف النظر عن تصريحات وزير دفاع بلاده بشأن إيران وسوريا ، وقال إن أحداً في بلاده لم يتحدث عن غزو إيران وسوريا ولكنه كرر السياسـة الرسـمية للولايـات المتحدة والتي مفادها أن إيران وسوريا تُشكلان مشـكلة عبـر تقـديم الـدعم للإرهاب وتطوير أسلحة دمار شامل.

إن هذه التصريحات لا ترمي إلا لتبديد الهواجس في الدول الإسـلامية مـن التحذيرات التي وجهها باول ذاته في الأسـبوع الماضـي إلـى سـوريا وإيـران بالإضافة إلى الاتهامات التي وجهها وزير الدفاع الأمريكي "رامسفيلد" بأن البلـدين

يتدخلان في حرب العراق بما قد يؤثر إيجاباً على موقف العراقيين ، وسلباً على موقف التحالف.

- إسرائيل .. أعلن ناطق إسرائيلي رسمي اليوم ارتياح الدولة العبرية لزوال الخطر الذي كان يشكله العراق وصدام حسين على بلاده ، بعد التقدم الذي حققته قوات التحالف الأمريكي البريطاني في بغداد ، وقال إن العراق "تهديد لنا" وزواله يُسهل الهيمنة الأمريكية على المنطقة ويحرم سوريا من قواعدها الخلفية الاستراتيجية ، وكان "شاؤول موفاز" وزير الدفاع الإسرائيلي قد صرح في وقت سابق بأن الولايات المتحدة تحارب في العراق من أجل سلامة إسرائيل ونيابة عنها ، وأن الحكومة الإسرائيلية تقدر هذا الموقف.

طهران .. استشعاراً للخطر ، وربما درءاً للمخاطر المُقدّم على جلب المنافع ، وكونها جار ملاصق عبر حدود طويلة تمتد من شط العرب جنوباً حتى الحدود الشرقية التركية ، امتداداً لمسرح الأحداث الجارية في العراق ، فضلاً عن كونها تضم على أراضيها شعباً كردياً كما هو الحال في سوريا وتركيا والعراق ، وخشية ارتفاع الأصوات المجاهرة بالانفصال تحقيقاً للحلم والطموح الكردي بإقامة دولتهم المستقلة بالاستفادة من المستجدات الإقليمية والمتغيرات الدولية.

- طار كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني إلى أنقرة لإجراء محادثات مع القادة الأتراك تتناول الحرب في العراق ، وأفادت الأنباء التي أوردت الخبر أن خرازي سيبحث مع نظيره التركي "عبد الله جول" ورئيس الوزراء التركي "رجب طيب أرطوغان" موضوع التدخل التركي في الحرب الدائرة ضد العراق حيث يرى "خرازي" أن المسألة الكردية تُثير قلق سوريا وإيران وتركيا[1].

---

(1) وكالة أنباء الأناضول التركية .

- من ماليزيا أكد "مهاتير محمد" في مقابلة مع قناة الجزيرة الفضائية أن الهـدف الرئيسي من الحرب الحالية هو الحفاظ على أمن إسرائيل والقضـاء علـى أي مصدر يمكن أن يهددها في الشرق الأوسط ، وعبر عن اعتقاده بأن أي حكومة تُفرض على الشعب العراقي من قبل دول أخرى ستواجه بالفشل ، وأنهـا لـن تلقى تعاوناً من قبل الشعب العراقي ، وأضاف أنه في حال نجـاح الولايـات المتحدة في فرض حكومة عراقية من اختيارها فإن دولاً أخرى ستشعر بفقدان الأمن فقد تُستهدف سوريا وباكستان وإيران على أنها دول تهدد أمن الولايـات المتحدة.

حي على الجهاد من شرق آسيا

انطلقت من شرق العالم دعوة الجهاد من ألسنة الشعب الأندونيسـي وقلوبـه إنسجاماً مع ما تتوق إليه نُفُوس الشعوب الإسلامية لا على مستوى العالم العربـي فحسب بل على مستوى المسلمين على وجه المعمورة.

يؤكد ذلك ما كشفت عنه التحقيقات التي أجراها البنتـاجون بشـأن الجنـدي الأمريكي الذي اقتحم الخيام على زملائه وألقاهم بقنابله اليدوية عند بداية الحـرب "في الكويت" من أنه مسلم الديانة "أمريكي الجنسـية" ، وحادثـة إلقـاء السـلطات النيجيرية القبض على ٢٥ شخصاً مسلماً حاولوا الخروج من نيجيريا إلى العـراق للقتال ضد قوات البغي على العراق.

ففي أندونيسيا دعا المتظاهرون في "شيتاجونج" من مختلف الجماعات الدينيـة والسياسية يتقدمهم "محي الدين شودري" الذي دعا إلى الوقف الفـوري للحـرب ، واضاف أننا سندعوا المتطوعين ونرسلهم إلى العراق للمشاركة في الجهـاد ضـد القوات الغازية ، وطالب "شودري" من المواطنين تعليق رايات سوداء على منازلهم طوال العشرة أيام المقبلة احتجاجاً على الحرب ، وقد بلغ عدد المشاركين في هـذه التظاهرة ٥٠ ألف شخص.

وقد استمرت المسيرات الشعبية الغاضبة والرافضة للحرب للأسبوع الثالث على التوالي في مدينتي "كديري – جاكرتا".

وفي باكستان .. خرج المتظاهرون في مظاهرات معادية للحرب على العراق وهتفوا خلالها "الموت لأمريكا" وامتدت المظاهرات حتى لاهور ، وفي "ملتان" ومدينة "بوباكستان" استمرت المظاهرات لليوم الثامن عشر على التوالي بمشاركة ٣٠ ألف شخص.

وفي ساحات العمليات الميدانية فقد استمر القصف الجوي والصاروخي على بغداد واستمرت المعارك الطاحنة حول المدن العراقية وقد استهدف القصف الأحياء السكنية التي تصيب المدنيين مباشرة ، وقد احتدم القتال حول النجف وكربلاء وأم قصر والبصرة وكركوك والموصل.

القوات العراقية تقصف تجمعاً للقوات الأمريكية في الشمال أدى إلى مصرع ١٥ أمريكياً وإصابة نحو ٤٥ آخرين ، وكذلك مصرع ١٢ كردياً من المتحالفين مع المعتدين.

وقد استمر المعتدون في العزف على وتر النيران الصديقة وقد ادعوا هذه المرة أن القصف وقع بطريق الخطأ من طائرة مقاتلة أمريكية.

والقوات الأمريكية تضرب حصاراً على بغداد كان قد توقعه من قبل وزير الدفاع العراقي "سلطان هاشم أحمد" وجاء الحصار في موعده ، يأتي ذلك كدليل قوي على حدوث اختراق ، وللتأكيد على فشل صدام حسين في اختياره كتائب له لضمان ولائه.

اليوم التاسع عشر – الاثنين – ٢٠٠٣/٤/٧

هجوم عراقي مضاد تقوم به القوات العراقية فجر اليوم لاستعادة قصرين رئاسيين في بغداد استولوا عليهما الأمريكيون ، والطائرات الأمريكية تقصف أهدافاً في العاصمة العراقية للاشتباه في وجود صدام حسين بها.

وقد أفادت الأنباء متعددة المصادر عن مقتل وإصابة ١٩ جندياً أمريكياً فـي اشتباكات عنيفة مع المقاومة العراقية ، واستشهاد ٤٠٠ من فدائي صدام في معركة الاستيلاء على كربلاء و١٥ مواطناً في غارة على حـي سـكني ، وقـد أكـدت المصادر سقوط النجف بينما تقع بعض مظاهر المقاومة المتفرقة غيْر المنظمة التي لا تؤثر في سير الأحداث ، والفرقة ١٠١ والفرقة الثالثة مشاه في كربلاء تواجـه مقاومة عنيفة لا تقل عن عنف الهجوم الذي تبدو معه المدينة علـى أنهـا الهـدف التالي بعد سقوط النجف ، وجبهات القتال الأخرى تزداد شراسة مع إصرار قـوات التحالف على دخول بغداد وإصرار العراقيين في الدفاع عن عاصمتهم.

الصحاف ينفي دخول قوات التحالف إلى بغداد .... وانقطـع الإرسـال عـن مؤتمر الصحاف لنرى أمامنا "فوكس" المتحدث باسم القوات الأمريكية في قطر من قاعدة السيلية العسكرية الأمريكية يتحدث عن انتصارات قواته ويعدد أمجادها فـي إحراق بغداد وتدمير العراق .

السرقة القانونيـــة ..!

بعد وصوله إلى مطار بلفاست في وقت سابق من اليوم اجتمع "بـوش" مـع "بلير" في قمة حرب جديدة ، ولتوقيع اتفاق سلام بـين الإيرلنـديين فـي إيرلنـدا الشمالية.

وقد تسربت أنباء أثناء الجولة الأولى للمحادثات أن أمريكا وبريطانيا تنويـان الحصول على تكاليف غزوهما للعراق من خلال اقتطـاع جـزء مـن إيـرادات صادراته البترولية إذا تمكنتا من احتلاله.

تلك هي ملامح الاستراتيجية الاستعمارية للدولتين إزاء العراق ، وهي سـابقة جديدة من نوعها في أن ترصد دولة استعمارية تكاليف غزوها لدولة أخـرى مـن أجل استردادها من البلد الخاضع للاحتلال بشكل مباشر مثلمـا تنـوي الولايـات

المتحدة وبريطانيا أن تفعلا في حملتهما الاستعمارية الراهنة ضد العـراق وشـعبه وثرواته واقتصادياته.

وليس من المستبعد أن تلجأ الدولتان إلى المبالغة في تقدير تكـاليف غزوهمـا من أجل تحميل العراق لتكاليف وهمية لنهب المزيد من ثرواته وبخاصة مع تقـدير "رامسيفيلد" لغزو العراق واحتلاله بنحو ٥٠ مليـار دولار ، فيمـا كـان تقـدير مستشارين البيت الأبيض أن التكلفة سوف تتراوح بين ١٠٠ ، ٢٠٠ مليار دولار ، وقد خرجت أنباء من الإدارة الأمريكية تُشير إلى أن التكلفة تتراوح بين ٧٥ ، ٩٥ مليار دولار[١].

بالإضافة إلى ذلك فإنه حال نجاح أمريكا في احتلال العراق فسـوف تحتكـر شركاتها عمليات إعادة الإعمار بالشروط الملائمة للشركات الأمريكيـة ، وسـوف تكون أسعارها أعلى من الشركات الدولية المناظرة التي يمكـن أن تقـوم بعمليـة الإعمار خاصة الياباني منها والأوروبي.

كما أنه من الطبيعي أن ينتج ذلك تصرفاً أمريكياً أحمق بتمزيق كـل العقـود البترولية المبرمة بين العراق والشركات الفرنسية والروسية والمختصـة بتطـوير حقول النفط العراقية الضخمة والمستندة إلى احتياطي هائل يتجـاوز ١١٢ مليـار برميل ويعتبر ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم وسوف تحـل محلهـا عقـوداً تحتكرها الشركات النفطية الأمريكية.

اللصـوص الأحـرار

ذكرت صحف أمريكيـة وبريطانية أن القوات الأمريكية بدأت في نقل مقاتلين من جماعة عراقية معارضـة إلى جنـوب العراق قادمين من الخـارج ، بقصـد القتال إلى جانب القوات الأمريكية الخاصة ، في حين قال "دان ستونكينج" المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية أنه لا يستطيع تأكيد هذه المعلومات وذكـرت مجلـة

---

(1) الأرقام عن "بي بي سي نيوز" بتاريخ اليوم ٢٠٠٣/٤/٧.

US News في موقعها على شبكة الإنترنت أن مقاتلي العراقيين الأحـــرار علـــى اتصال بالمؤتمر الوطني العراقي وهي مجموعة من المعارضة العراقية التي تضم عراقيين من جنوب ووسط العراق والأكراد في الشـــمال ، وأضـــافت أن القـــوات الأمريكية نقلت ما بين ١٠٠ : ٢٠٠ من مقاتلي العراقيين الأحرار إلـــى الجنـــوب لتقويم مهاراتهم القتالية ، ونقلت المجلة عن مسئول أمريكي قوله إننا نقوم بإعـــادة تمركزهم وتنظيمهم وتشكيلهم.

كما ذكرت صحيفة "صنداي تايمز" أن هذه القـــوات يقودهـــا أحمـــد شـــلبي "الجلبي"[١] الذي توجه على الأرجح جواً إلى مكان سري في جنوب العراق مســـاء أمس الأول ونقلت المجلة عن "شلبي" قوله "إن لحظة التحرير أصبحت قريبة وإننـــا عائدون .. نحن عراقيون وسنُظهر هذا للعالم"[٢].

- عودة إلى مسلسل الألغاز .. تركيا سمحت للقوات الأمريكية باستخدام ســـمائها وأرضها وقواعدها العسكرية في الحرب ضد العراق .
- تومي فرانكس يزور القوات الغازية في ثلاثة مواقع داخل العراق للمرة الأولى منذ بدأ الحرب.
- كونداليزا رايس تغادر موسكو عائدة إلى واشنطن بعد انتهاء زيارتها لروســـيا التي وصلتها أمس وقد ردّدَ الإعلام الروسي ما يفيد بفشل "رايس" في مهمتهـــا التي كانت تهدف إلى تقريب وجهات النظر بين موسكو وبلادها.

اليوم العشرون – الثلاثاء ٢٠٠٣/٤/٨

- بعد أن فضح أكاذيبها وأبطل ادعاءاتها وكشف افتراءاتها .. قـــوات التحـــالف تقصف وزارة الإعلام العراقية والتليفزيون العراقي لتُسكته وتحيّده ثم ادعـــت أنها سيطرت على وزارة الإعلام.

---

(1) يقولها أهل جنوب العراق "الكلبي" .

(2) وكالات الأنباء العالميـــة.

- محمد سعيد الصحاف يظهر في مؤتمر صحفي بفنـاء وزارة الإعـلام نافيـاً الادعاءات الأمريكية ، ووكالات الأنباء الأجنبية "لا وجـود ولا أثـر لقـوات أمريكية داخل بغداد" ومحطة تليفزيون فرنسية تعرض فيلماً تسجيلياً عن تعمـد دبابة أمريكية قصف فندق فلسطين – مقر إقامة الصحفيين والمراسلين الأجانب – في بغداد.
- "اللجوء العكسي" : ٧٠٠٠ عراقي يعودون إلى بلادهم عبر ميناء الرويشـد للدفاع عن بلادهم ضد الغزاة ، بينما جثث ١١ بريطاني إلى لندن.

أنباء محيرة متناقضـة ..!

- القوات الأمريكية تُعلن السيادة الجوية الكاملة على العراق .. بما يعني سـقوط الدفاعات العراقية على إطلاقها ..
- مراسل وكالة رويترز في بغداد .. السماء تمطر قنابل والأمريكيون يقصـفون ما يشاءون في استعراض للقوة.
- القوات الأمريكية تسيطر على بعض المباني الحكومية في بغـداد مـن بينهـا "المجمع الرئاسي بوسط العاصمة" بالإضافة إلى قصرين رئاسيين تم الاستيلاء عليهما في وقت سابق.
- السفير العراقي بالقاهرة .. القوات الأمريكية تستخدم أسـلحة إسـرائيلية فـي حربها على العراق.
- سوريا تؤكد رفضها لأي حكومة في العراق باعتبارها حكومة احتلال.
- "بلير" يغازل العراقيين ويؤكد .. العراقيون يديرون بلادهم بعد الحرب.
- "رامسفيلد" يجدد اتهاماته لسوريا.

- التليفزيون العراقي يُعرض صوراً لصدام وهو يترأس اجتماعاً للقيادة العراقيــة حضره طه ياسين رمضان وقصي صدام وكبار ضـــباط الجــيش العراقـــي ، طارق عزيز ووزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان إبراهيم عبد الستار والمــدير العام بالرئاسة أحمد حسين خضير والقيادي البعثي لطيف نصيف.

- وفي الوقت ذاته صرح "كولين باول" أنه سيتم إرسال فريق إلى العراق خــلال هذا الأسبوع للترتيب لتشكيل الحكومة الانتقالية في العراق .

- أنباء مؤكدة عن وجود دبابة أمريكية في وسط بغداد قصفت فندق فلسطين الذي تقيم فيه فرق الصحفيين والمراسلين العرب والأجانب ممـــا أدى إلـــى مقتـــل وإصابة العديد، من بينهم الأردني "طارق أيوب" مراسل قناة الجزيرة القطرية.



"حرية الصحافة في عملية حرية العراق – جنازة الصحفي الشهيد

- اتحاد الصحفيين العرب والاتحاد الــدولي للصـــحفيين يـــدينون الاعتـــداءات الأمريكية البريطانية على الصحفيين في العراق.

- البابا "بوش الثاني" بعد أن بارك اتفاق سلام الإيرلنديين في بلفاست يعود أدراجه في المقر البابوي الأبيض وسط أنباء مؤكدة عن خلافات بريطانية أمريكية بشأن العراق واتفاق بشأن خارطة الطريقة.

- في فلسطين المحتلة .. جرح ما لا يقل عن ١٥ طالباً فلسطينياً من قرية "جايا" بالقرب من "جنين" إثر وقوع انفجار في أحد المدارس وقتل الجيش الإسرائيلي فلسطينياً وأصاب آخرين في غزة ، وهدمت الجرافات الإسرائيلية ثلاثة منازل للمواطنين في القدس الشرقية ليرتفع عدد المنازل التي هدمتها قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى ٤٧ منزلاً ومبنى حكومي منذ بداية العام الحالي . كما فرض الجيش الإسرائيلي حصاراً محكماً على رام الله ، بالإضافة إلى قصف غزة بصواريخ جو أرض يسفر عن استشهاد ٧ فلسطينيين وإصابة أكثر من ٥٠ آخرين.

كثيراً ما صفقنا للمواقف العربية المعلنة والتي ظاهرها التأييد والمناصرة أو على الأقل إبداء التعاطف مع قضايانا وإن أظهرت الأيام جليًا وبعد حين حقيقة بواطن الأمور ودوافعها.

وجاء الموقف الألماني المُعلن في أحداث العراق الأخيرة ليُبهر عقولنا ويهز وجداننا اغتباطاً وسعادة بوجود من يدافع عن قضايانا ويهتم بمشاكلنا من هذا الغرب الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وتديره وتخطط له الصهيونية العالمية.

لقد ابهرتنا أحاديث "يوشكا فيشر" وزير الخارجية الألماني ، والمستشار "جيرهارد شرويدار" مثلما بُهرنا من قبل بتصريحات "بوتين" و"إيفانوف" و"شيراك" ووزير خارجيته.

ولكن الثابت أن صباغة الحقائق بغير لونها هو زيف وتضليل تُعرّيه أشعة الشمس ، وتنثره الرياح ، وتكشفه الأضواء إذا ما صارت الحقيقة المجملة في مدى الشمس والهواء .

وها هو وزير الخارجية الألماني "يوشكا فيشر" يُعرب عن أمله فـي انهيـار نظام صدام حسين في أسرع وقت ممكن ، وقـال فـي مقابلـة مـع التليفزيـون الإسرائيلي أن النظام العراقي ديكتاتور ظالم ومخيف هاجم جيرانه وإسرائيل عـام ١٩٩١م ، والأكراد بالأسلحة الكيماوية ، وأعرب "فيشر" عن أسفه للمشاجرة التـي وقعت مع أمريكا بشأن ضَرورة مهاجمة العراق وأكد على اقتناعه بأن الوضع مع أمريكا سيعود إلى طبيعته بعد الحرب معتبراً أن العلاقات بين ضـفتي الأطلسـي حاسمة بالنسبة للأوروبيين والأمريكيين.

وأكد "فيشر" على أن بلاده تتعـاون مـع أمريكـا وإسـرائيل فـي مجـال الاستخبارات والمسئولين العسكريين[١].

- أحدث الأنباء وأغربها وأطرفها .. عودة السفير الروسي إلى بغداد للإشـراف على إجلاء الموظفين المدنيين الروس من بغداد .. "مـن سـامي عمـارة – مراسل التليفزيون المصري .. موسكو" ومصادر عديدة .

❖ ❖ ❖

(1) وكالات الأنباء والفضائيات وموقع "يديعوت أحرونوت" على الإنترنت.

الفصـل الثانـي

الباب الأول

إغتيـــال بغـــداد

الباب الأول

اغتيـــال بغـــداد

يوم هو الأغرب في حركة التاريخ والأقسى على نفوس الأحرار ســواء فـــي داخل العراق أو في خارجه وهو الأشد في تحولاته المرحليـــة والمســـتقبلية علـــى السواء.

فعند الفجر استيقظ العراقيون على أصوات المجنـــزرات الأمريكيـــة تصـــول وتجول في شوارع بغداد وأكبر ميادينها ، وجحافل المستعمرين تعج بهم العاصـــمة وهم يعربدون هنا وهناك لإثبات الوجود ، وإرهاب الرافضين لهذا الوجود .. ولكن أي رفض ..؟! ومن يرفض ..؟! ومن يعـــارض ..؟! ، إنهم يدوســـون شـــوارع بغداد التي تم اغتيالها صباح اليوم فقط .. الأربعاء ٢٠٠٣/٤/٩ .

إن القاتل مجهول .. حر طليق هنـــا أو هنـــاك .. أو قُـــل معـــي إن القتلـــة مجهولون. نعم إنهم المتآمرون على بغداد ، عاصمة المسلمين لقرون من الزمان ، وقبلة العلماء ، وهي الأم الشرعية للتاريخ الثقافي والعلمي والحضـــاري ، وهـــي الأقدم من التاريخ الغربي كله إن كان للغرب تاريخ ..

إن علامات الاستفهام كثيرة أمام الخطب الجلل والخسارة الأفدح منذ هزيمـــة الجيوش العربية أمام العصابات الصهيونية في ١٩٤٨ .. إنه الحدث الذي سيتوقف التاريخ طويلاً أمامه بالبحث والدراسة والتحليل فهو يمثل الهزة العنيفـــة الثالثـــة ،

واللطمة القاسية على جباه العرب في أقل من ٦٠ عاماً ، حيث بين كل نكبة والتي تليها مدة تُقارب العشرين عاماً.

إن الأمور تمضي والسنوات تمرُ بالعالم العربي ضمن برنامج منظم يضمن وقوع الزلازل وحلول الكوارث وفقاً لنظام محكم وقواعد مدروسة ..

فما بين نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ = ١٩ عاماً

وما بين نكسة ١٩٦٧ وحصار بيروت ١٩٨٢ = ١٥ عاماً

وما بين حصار بيروت واغتيال بغداد = ٢١ عاماً ..

ولنقرأ التاريخ ..

- في ١٩٥٦/٧/١٩ أعلن وزير الخارجية الأمريكي "جون فوستر دالاس" إلغاء مساهمة حكومته في تمويل مشروع السد العالي وبريطانيا تتبع أمريكا في اتخاذ الخطوة ذاتها.
- ١٩٥٦/١٠/٢٩ قامت أربعة طوابير مدرعة إسرائيلية بغزو سيناء في إطار مؤامرة العدوان الثلاثي على مصر مع بريطانيا وفرنسا ، ولتوفر للأخيرتين ذريعة التدخل بحجة حماية الملاحة في قناة السويس. وقد بدأت الطائرات البريطانية والفرنسية الهجوم على المطارات المصرية في إطار العدوان الثلاثي. والقوات البريطانية الفرنسية "المظلية" بقيادة الجنرال "بوفر" يتم إنزالها في شمال منطقة قناة السويس في ١٩٥٦/١١/٤ وتشتبك مع الجيش المصري والأسطول المشترك يقصف بورسعيد ، وفي فجر ١٩٥٦/١١/٥ حاملات الجنود تقوم بإنزال القوات المشتركة على شاطئ بورسعيد .. فما بين ١٩٤٨ : ١٩٥٦ سوى أقل من ثماني سنوات ، وإلى ١٩٦٧ تسع سنوات (عندما غارت الطائرات الإسرائيلية على المطارات المصرية واجتاحت سيناء والجولان

والضفة الغربية) .. ثم دخول مصر حرب الاستنزاف ضد القوات الإســـرائيلية ١٩٦٨ : ١٩٧٠ ..

- ثم ما أدراك مذابح "أيلول الأسود" في ١٩٧٠ عندما اندلع القتال بـــين الجـــيش الأردني والفلسطينيين ،
- الغزو الليبي للسودان ١٩٧٦ ..
- الحرب العراقية الإيرانية الشهيرة ١٩٨٠ : ١٩٨٨ ..
- الغزو العراقي للكويت ١٩٩٠ : ١٩٩١ ..
- والغزو الإسرائيلي المتكرر للبنان وحصار بيروت في ٨٢ ..
- وتراشق اليمنيين بالدبابات بين أتباع علي صالح ، ونائبه علي ســـالم البـــيض الذي أدى إلى مقتل ٥٠٠٠٠ يمني في القتال ..
- الغزو الليبي لتشاد وتداعياته ..
- استمرار إسرائيل بالاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة عـــام ١٩٦٧ وعجـــز العرب عن الدخول في حرب أو في مفاوضات سلام بعد أن وقعـــت مصـــر اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل ..
- ثم احتلال العراق بسقوط بغداد للانطلاق منها إلى دمشق وطهران والريـــاض .. والبقية تأتي ..

عموماً وقبل انقضاء ساعات قليلة على اغتيال بغداد .. ســـارع "رامســـفيلد" بتكرار اتهاماته لسوريا وتهديدها ، وأشارت الشواهد إلى أنّ دمشق وطهران همـــا في مرمى البصر الأمريكي بعد أن سقطت بغداد في ثاني خطوة كبرى بعد ســـقوط القدس في خطوة سابقة على طريق طويل ينتهي بإقامة إسرائيل الكبرى.

وهم لذلك يفتعلون الحروب ويثيرون الفتن ويصنعون الأزمات .. إنهم يحيكون المؤامرات ونحن نرتديها .. ليتم القضاء على جيل كامل أو جيلين كل عشرة سنوات في بلد عربي على الأقل.

لقد استمرت المقاومة العراقية من بعض الجيوب إعلاناً باستمرارها ورمزاً للأحرار الرافضين للمستعمرين ..

واختفـــــى ..

صوت التحدي العراقي عن مؤتمره الصحفي اليومي الذي كان لنا إطلالة على الإباء والشموخ والتحدي والإرادة والكرامة والقوة والعزة والإباء العربي ..

إن التاريخ لن تطوى صفحاته باغتيال بغداد ، إنها بداية الكتابة في صفحات سجل جديد في عالم جديد هو عالم .. وحـــيد القــرن ..

- أعلنت شبكة CNN الإخبارية الأمريكية من أم قصر أن القوات البريطانية تحتجز ٧٣٠٠ أسيراً عراقياً في معسكر في صحراء الجنوب العراقي ، فيما أعلن مسئول عسكري أن إجراءات الاستماع إليهم ستبدأ قريباً لتحديد مصائرهم ، وأوضح المتحدث أنه تم تجميع الأسرى في عدة مجموعات قرب أم قصر فيما يشبه مدينة صغيرة ، وفي مؤتمر صحفي قال العقيد "جون ديللاجاكونو) أنه سيتم الاحتفاظ بالأسرى في أم قصر إلى حين نهاية الحرب حتى التوصل إلى قرار يتعلق بإجراءات تسليمهم إلى سلطة مؤقتة أو شرعية في العراق ، كما أكد المتحدث أنه لا توجد نية لدى أمريكا لنقل أي من الأسرى إلى معتقل جوانتانامو باعتبارهم أسرى حرب.

واستمرت عمليات الاغتيال وغابت الحقيقة التي كانت هي الضحية الأولى لعملية غزو العراق منذ بدايتها.

اليوم العاشر – الخميس ٤/١٠

- بوش وبلير يخاطبان الشعب العراقي عبر تليفزيون العراق "الحر الجديد" ويقولان : إن الخير لكم والحرية لكم والبترول لكم .. أنتم أيها الأحرار ..
- الأنباء تفيد أن صدام ونجله "قصي" صلَّيا المغرب في مسجد الإمام أبو حنيفة الواقع بحي الأعظمية في بغداد أمس الأربعاء .
- شهود العيان : صدام ونجله يقاتلان بسلاحهما الشخصي الخفيف جنباً إلى جنب مع المقاومة العراقية في حي الأعظمية .
- وعلى الفور القوات الأمريكية قصفت مسجد الإمام أبو حنيفة بصاروخين عابرين دمَّرا المسجد على من فيه .
- استمرار أعمال النهب والسلب والسرقة والسطو ، ووقع اعتداء على مقر الأمم المتحدة ، والسفارتين الفرنسية والصينية ، وذلك في غياب السلطة والدولة والأجهزة ، والقوات الأمريكية تعلن تدخلها للقضاء على أعمال النهب والسلب وإطفاء الحرائق.
- القوات الأمريكية لازالت تَلْقى مقاومة عنيفة عند شمال نهر دجلة أدت إلى مقتل أمريكيين اثنين وإصابة ١٤ ، وفي الدورة مصرع ٢٦ مدني وعسكري عراقي.
- أحد أبرز قادة الشيعة (عبد المجيد الخوئي بن عبد القاسم) تم اغتياله في النجف الأشرف.
- البشمرجة "القوات الكردية المسلحة" تستولى على كركوك وتسبب إزعاجاً لتركيا التي لم تشأ أن تخفي هواجسها ومخاوفها فأبلغت الإدارة الأمريكية ، وجاء رد باول بأن الأكراد سينسحبون منها بعد أن أمرهم جلال طالباني بالانسحاب في موعد غايته ليلة الجمعة ٤/١١.

- محمد الدوري .. مندوب العراق في الأمم المتحدة : "اللعبة انتهت .. أنا لم أعد أمثل العراق ، سأغادر أمريكا طوعاً فأنا الآن موجود على أرض بلد تحتل بلدي احتلالاً عسكرياً" ..

بئر السقوط – الجمعة ١١/٤

طالعنا "إيري فلايشر" المتحدث باسم البيت الأبيض بإعلان سقوط النظام العراقي رسمياً اليوم.

ومن فوره أجرى الرئيس مبارك اتصالاً هاتفياً بالأمين العام للأمم المتحدة أكد فيه الرئيس على أهمية توفير الحماية والاحتياجات للشعب العراقي ، وتناولا كذلك دور الأمم المتحدة في العمل من أجل تنفيذ المبادئ التي أعلنت بشأن سرعة اختيار حكومة عراقية جديدة تتولى إدارة شئون العراق وكذلك الوضع في الأراضي الفلسطينية وأهمية وضع خارطة الطريق بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني.

وسقط العراقيون في أول اختبار حقيقي بعد زوال السلطة الشرعية في البلاد ، وسادت حالة الفوضى التي صاحبت سقوط بغداد حيث تقاتل السنّة والشيعة في شمال شرق بغداد ، وسقطت نقطة الحدود العراقية الأردنية بيد قوة أمريكية وسقط العراق في الأمم المتحدة عندما علق السيد/ محمد الدوري مندوب العراق الدائم لدى الأمم المتحدة على التطورات الأخيرة في بلاده قائلاً "اللعبة انتهت" وأعلن أنه سيغادر واشنطن إلى باريس إلى دمشق في طريق عودته إلى بغداد على أمل أن يجد معلومات عن أسرته وأضاف أنه قد يطلب اللجوء السياسي لإحدى الدول.

- وسقطت الدعاية الأمريكية الهائلة والمروجة لعملية "حرية العراق" والمتشدقة بالمساعدات الإنسانية للشعب العراقي بعودة الوفد الطبي المصري إلى القاهرة بعد أن استمر ٤٨ ساعة على الحدود السورية العراقية ، وقد فشل خلالها من دخول العراق بعد أن منعتهم سلطات الاحتلال الأمريكي التي لم تسمح ولو

بمجرد دخول الأدوية والمساعدات الطبية العاجلة. مما جعل الوفـد المصـري يتركها أمانة لدى نقابة الأطباء السورية لتوصيلها متى سمحت الظروف.

- سقط الطموح الكردي في الاستيلاء على كركوك بعـد أن أجبـرتهم القـوات الأمريكية على إخلائها استجابة للمطلب التركي وتطييباً لخاطر الأتراك بعد أن منعتهم أمريكا من دخول المدينة وقضت على طموحهم في الاستفادة ببتـرول الشمال.

- سقط من أسموهم "مقاتلو المعارضة العراقية" من الشمال والوسط والجنوب في بئر الخيانة بإثارة أعمال السلب والنهب والفوضى والشغب وهم الذين دخلـوا العراق مؤخراً قبيل قدوم أحمد شلبي المختبئ في مكان ما بالعراق.

- وسقطت كركوك والموصل باتفاق سلمي من دون قتال.

- وسقط العراق بأيدي الغزاة واستمرت بعض جيوب المقاومة .

- وتوجه المعتدون صوب تكريت لتدميرها واحتلالها.

- "بوتين – شيراك – شرودر" يجتمعون في سان بطرس بورج لمناقشة الوضـع في العراق.

- روسيا تؤكد على هيامها في الدولار الأمريكي وتسير في الاتجـاه الصـحيح وتعلن أنها قد تؤيد العقوبات ضد كوريا الشمالية الشيوعية لتطويرها الأسـلحة النووية ، وذلك سيراً على خُطى الإدارة الأمريكية التي أعلنت أنهـا سـتتقدم بمشروع إلى مجلس الأمن بفرض عقوبات اقتصادية على كوريا الشمالية.

السـبت ٤/١٢

- القوات الأمريكية تستخدم الأسلحة الكيماوية ضد العراقيين لتليين دفاعاتهم فـي المناطق التي تُبدي مقاومة ولم تستسلم بعد.

- الأكراد يثأرون ويشفُون غليل صدورهم من ضغائن الماضي بطرد العـراقيين من منازلهم أمام أعين القوات الأمريكية ، ومصادمات مسـلحة تسـفر عـن مصرع ١٥ شخصاً وإصابة نحو ٢٠٠ آخرين.
- رئيس فرق التفتيش على الأسلحة في بغداد "هانز بليكس" يقول : إن الاعتـداء على العراق قد تم الإعداد له منذ فترة طويلة وأن ادعـاء الإدارة الأمريكيـة بنزع أسلحة الدمار الشامل هو ادعاء باطل ، فالعراق خال تمامـاً مـن تلـك الأسلحة ، إنما تهدف الولايات المتحدة إلى احتلال العـراق "للسـيطرة علـى بترول العراق" !!.
- وزير الخارجية الفرنسي في القاهرة ومنها إلى دمشق ثم الرياض فـي إطـار جولة له بالشرق الأوسط لم يتم الكشف عن أسبابها.

الزحف نحـو الشمـال

سبق القول في الجنوب العراقي وعاصمتُه "البصرة" ، ووسط العراق والمدينة الأم "بغداد" ، أما الشمال فقد نحيناه جانباً إلى حين الحديث فيـه طبقـاً لمقتضـيات الحال وتداعيات المواقف.

أمَا وقد زحف الأمريكيون نحو الشمال وجب علينا بالأصالة ، وفاء لوعـدنا وإتماماً لعملنا أن نتحدث عنه لحلول الأجل الذي حدّدنا ..

أربيـــــل ..

يُرمز إلى الشمال العراقي بمدينة "أربيـل" التي تقع في أقصى شمال العراق، وقد أعلنها الأكراد عاصمة لهم خلال الفترة من ٩١ : ١٩٩٦.

ويمكن القول أن المشكلة الكردية داخل الشمال العراقي كانت السبب الأول في اندلاع حرب الخليج الأولى ، أما في حرب الخليج الثالثة "غزو العراق" فقـد كـان الأكراد عُنصراً قوياً وفعالاً فيها لا أثناء الحرب على العراق فحسب بل من قبلهـا

بوقت طويل ، وذلك عن طريق محاولاتهم الانفصالية السابقة والتمرد على الحكومة المركزية في بغداد ، والتنديد بها في الخارج ثم التآمر مع القوى الاستعمارية التي ترفع رايات "الحرية – الإخاء – المساواة" مع شعارات براقة أخرى ، وقد تحطمت كلها على صخور الحقيقة في فلسطين ، والصومال ، والبوسنة والهرسك وأفغانستان ، وأخيراً في العراق. وقد اغترّ بها الأكراد فراحوا يتآمرون بين لندن وواشنطن ، وقد استعملتهم لندن وواشنطن ضد بلادهم فحقنت عقولهم بثقافات غربية ثم أعادتهم إلى بلادهم كسفراء يُروجون لدعاوى الديمقراطية ويسوقون للصنيعة الاستعمارية الحديثة جداً "العراق الحر" ..

ويضُم الشمال مجموعة من المدن الرئيسية للأكراد من بينها أغنى مدن العراق عموماً وأغزرها إنتاجاً للنفط "كركوك – الموصل" بالإضافة إلى السليمانية وأربيل على الحدود الإيرانية ، ودهوك على الحدود التركية ، ونيوي على الحدود الغربية مع سوريا وعاصمتها "سنجار" ..

يعود تاريخ "أربيل" إلى نحو ٢٣٠٠ عام قبل الميلاد حيث انشأها السومريون وكانت تسمى وقتها "أوربيلو" كما كانت مركزاً هاماً للتجارة وعبور القوافل ، وفي عام ٣٣١ قبل الميلاد شهدت المدينة واحدة من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ وهي معركة "جواجاميلا" التي انتصر فيها الإمبراطور الروماني "الإسكندر الأكبر" على الملك الفارسي ، وبفضلها تمكنت الإمبراطورية الرومانية من السيطرة على الدولة الفارسية ، وفي عام ٣٤٠م تعرض سكان أربيل لمذابح كبيرة على أيدي الرومان لإرغامهم على ترك دياناتهم المسيحية التي دخلوها حديثاً..

وبدءاً من عام ١١١٩م ، وعلى مدى ٤٠ عاماً أصبحت أربيل عاصمة لدولة مظفر الدين شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي.

وفي عام ١٥١٧م أصبحت المدينة جزءاً من الموصل التي سيطر عليها العثمانيون لتفقد المدينة أهميتها التجارية والإدارية المتميزة.

وفي عام ١٩٧٤ أعلنها الأكراد عاصمة لدولتهم المنشقة كردستان العراقية قبل أن تتعرض لهجوم كاسح من قبل القوات العراقية لإجهاض الحركة الثورية الكردية المنشقة بها.

ثم أعيد إعلان المدينة كعاصمة لدولتهم مرة أخرى في عام ١٩٩١ في أعقاب هزيمة القوات العراقية أمام قوات التحالف الدولي واستمر هذا الوضع حتى نهاية أغسطس ١٩٩٦ حيث سقطت أربيل في أيدي القوات العراقية ، وأُجهضت الدولة الكردية مرة أخرى وهرب أكثر من مليون لاجئ كردي إلى إيران وتركيا وسوريا وتركوا أرضهم وديارهم وأموالهم وتسلقوا قمم الجبال الشاهقة ليواجهوا المجهول بعد أن أبادت القوات العراقية أكثر من مائة ألف من الأكراد باستخدام الأسلحة الكيماوية.

ويعتبر التركمان محور المشكلة الحالية في الشمال ، فعددهم لا يتجاوز ٨٠٠ ألف مواطن كردي يتمركز معظمهم في كركوك وما حولها. بينما تدعي تركيا أن عددهم يداني الخمسة ملايين فرد وهو رقم غير صحيح ، تهدف تركيا من وراء ذلك إلى تصوير كركوك على أنها مدينة يسكنها ويعيش فيها التركمان الذين هم من أصول تركية بما قد يترتب عليه حقوقاً لها هناك.

وليس ثمة خلافات بين الكلدانيين "المسيحيين"[1] وأهل السنة من الأكراد فكلهم متعاونون تعاوناً "متنامياً" ويمارسون جميعاً نشاطات سياسية ضمن أحزاب معلنة ويمارسون نشاطات ثقافية وفكرية واجتماعية داخل جمعيات ثقافية متخصصة ، كما أنهم يصدرون مجلات وصحفاً بلغتهم المحلية ويتمتعون بحرية كاملة.

أما عن لماذا كونهم أزمة مستمرة مع الأكراد فلإنه العداء الذي تغزيه وتصعده الحكومة التركية ، الذي ترمي تركيا من خلاله إلى الحصول على نسبة

(1) انظر في تفصيل ذلك : الحركة الإسلامية في العراق ، بيروت ط أولى ١٩٨٥ ، مؤسسة الجهاد.

الـ ١٠% من بترول كركوك حجتهم في ذلك ما كان معمولاً به في عهد العثمانيين حيث كانت تحصل تركيا على تلك النسبة لسنوات طويلة حتـــى العشـــرينات مـــن القرن الماضي ثم تنازلت عنها أو حرمت منها بموجب الأوضـــاع الجديـــدة التـــي ظهرت على المسرح العالمي بعد الحرب العالمية الأولى وإعلان المملكة العراقيـــة بقيادة "فيصل الأول" من عام ١٩٢١ : ١٩٣٣.

هذا هو الشمال العراقي ، فكما كان بالأمس أصبح اليوم على حاله الداعي إلى الانفصال والاستقلال التام في جمهورية كردستانية مستقلة ، إلا أن بعضاً من أبناء الشمال لا يؤيدون الانفصال ، إنما يطالبون بحكم ذاتي يتوائم وثقافتهم وطبيعتهم في إطار من الفيدرالية مع حكومة مركزية في بغداد ، ولم يجد هؤلاء كثيراً أو قلـــيلاً من الدعم الحكومي لموقفهم ، ثم يأتي التركمان في وسط المشكلة ليتحـــدثوا عـــن العودة للوطن الأم تركيا.

فالأكراد إذن لا يمثلون خطراً من أي نوع يجعل منهم هدفاً ضـــمن أولويـــات العمليات العسكرية ، إنما يمكن استعمالهم كاحتياطي استراتيجي لمقاتلة العـــراقيين بالإنابة عن الأمريكيين في كثير من الأحيان والأدوار خاصة مع الطموح الكـــردي المتنامي في إقامة دولتهم المستقلة بخدعة نموذجية اسمها "المســـاعدة الأمريكيـــة" والحقيقة هي "هيهات هيهات لما توعدون" ..

وقد ثبت أن العسكرية الأمريكية قد أقامت استراتيجيتها على أن الشـــمال لـــن يُقاوم التدخل العسكري الأمريكي باستثناء "تكريت" وما حولها التي تضم العديد من القوى الوطنية وخيرة رُموز المقاومة العراقية الذين يُـــدافعون عـــن مســـقط رأس صدام حسين .. فبدأت القوات البحرية الأمريكية قصفاً صاروخياً مكثفـــاً بـــإطلاق نحو ١٠٠٠ صاروخ كروز وتوماهوك عابر من البحرين المتوســـط والأحمـــر ، وجاء القصف متزامناً مع إسقاط القنابل العنقودية زنة ٦٠٠٠ كجم بغرض مســـاندة

المارينز في شن هجماتهم التحضيرية على المدينة لاقتحامها ، وقد تم الاتفاق بين وجهاء تكريت والقوات الأمريكية على دخول المدينة من غير قتال.

وهكذا استطاعت الولايات المتحدة أن تبسط يدها على شمال العراق كاملاً قبل منتصف إبريل – وسقطت زعيمة العالم الحر في وحل استعمار العراق لتبني قاعدة على الطين للانطلاق من خلالها في حديقة حيوان الإنسان الذي سيقوده وحيد القرن ..

طريق الأكاذيب ..

كما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حربهما على العراق ، وقد اعتديا عليه بخلق الافتراءات وتجميل الأكاذيب ، كذلك فإن الطريق الطويل نحو تلك الحرب منذ فترة الإعداد لها ، كان مفروشاً بالأكاذيب والأباطيل وحواديت التنين والشجاع الأقرع ، وتصوير عراق ما بعد صدام "بشهرزاد ولياليها مع شهريار" فيتسامرا حتى يصيح الديك ويلوح الفجر فينغمسا في لذة النوم الهانئ فيصبحا على فَطيرة الدولارات وكعكة الخيرات ويعيشا في سعادة وهناء ثُم يُحلقا معاً في السماء عندما يأتي المساء.

تلك هي الصورة التي روّج لها الغزاة لمستقبل العراقيين وقد خاطبهم بها "بلير وبوش" في رسالة متلفزة مسجلة لطمأنة العراقيين الباحثين عن طوق النجاة من الغرق في الماء فتعلقوا بأسلاك الكهرباء التي يسري بها التيار .. إنها الأكاذيب التي بدأتها الإدارة الأمريكية برصد الملايين لاغتيال صدام حسين ، وقد حدد لها بوش مبلغ ٢٠٠ مليار دولار لتدريب المعارضة العراقية في الخارج ولتقوية وتدعيم الأجهزة الاستخباراتية بالإضافة إلى اعتماد بوش لخطة غزو العراق التي سبق وضعها في فترة ولاية بوش الأول في يناير ٢٠٠٢ طبقاً لما أوردته الواشنطن بوست في عددها الصادر في الأسبوع الأول من الحرب.

وعملت الأجهزة الاستخباراتية على تهيئة المناخ لغزو العراق ، ولعب الإعلام دوراً هاماً وخطيراً سواء بسواء في أثناء فترة الإعداد وخلال الحرب وفترة ما بعد الحرب خاصة مع تخصيص الإدارة الأمريكية مبلغ ٢٠٠ مليون دولار أخرى لتجميل صورة "وحيد القرن" على أنه بلد السلام الذي يدعو إلى الحق والخير والجمال والحب والسلام ..

لقد لعب الإعلام دوراً لا يُمكن إغفاله أو إنكاره طوال فترة الإعداد اللازمة وإدارتها التي لم تنته بعد ، ويأتي التسويق الإعلامي لخارطة الطريق على رأس الأعمال والأهداف التي يتم الترويج لها منذ قبل الحرب وأثنائها وبعدها ، ذلك لكونهم مُتأكدين من أنها دعوة انطلقت من أفواههم لتهيئة الظروف السياسية للحرب على العراق ..

وما أشبه اليوم بالبارحة .. إن بوش الأول "الأب" دعا إلى مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط بمجرد نجاح قوات التحالف في تحرير الكويت ، وتدمير الآلة العسكرية العراقية وتحييدها لمدد طويلة.

وكذلك لذر الرماد في عيون العرب لمشاغلتهم بأفضل مطالبهم وأعظم أمانيِّهم بإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي لإفساح الطريق نحو تقسيم العراق فعلياً إلى شمال ووسط وجنوب ، وفرض الحظر الجوي والدولي عليه في سابقة هي الأطول والأشد في التاريخ.

وانقضى مؤتمر مدريد وانخفض سقف المباحثات إلى ما قيل عنه "اتفاقية أوسلو" .. ثم ذهبت مع الرياح ثم "واي ريفر" إلى غزة وأريحا ، فإعلان القاهرة ومباحثات طابا ، وأخيراً "مؤتمر شرم الشيخ" في آخر عصر كلينتون وإيهودا باراك .. وجاء شارون ليعلن تخلي إسرائيل وإلغائها لكل الاتفاقيات الموقعة.

وهكذا نجحوا في تدمير العراق وتقسيمه وحصاره ونجحوا كذلك في تحويل اهتمامات العرب بالسعي وراء سراب اسمه السلام لن يأتي إلا بعد أن نتمكن من ربط السحاب في الأوتاد أو تثبيتها بالمسامير ..

مع تبني القادة العرب بالإجماع لدعوة الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي ومشروعه للسلام وأعلنوها جميعاً "المبادرة العربية للسلام" خلال مؤتمر القمة العربية المنعقدة في بيروت ٢٠٠٢ .

بادر شارون بإعلان موقفه وموقف حكومته صراحة وجاء رده على الإجماع العربي بإعادة احتلال الضفة الغربية كاملة – ثم اقتحم غزة في مراحل لاحقة في ظل عجز عربي واضح سمح للأعداء بالتهام العراق لتزداد الآلام في الجسد العربي الدامي الذي يبدو وكأنه يعود إلى منتصف القرن الماضي عما قريب.

واليوم جاء "بوش الثاني" ليُعلن عن أفكاره "مجرد أفكاره" عن مشروعه للسلام في الشرق الأوسط على غرار ما فعل أبوه بالتمام ..

وقد حاول بوش مقايضة العرب أو مساومتهم بالموافقة أو بالتزام الصمت على غزو العراق نظير إنهاء النزاع الفلسطيني الإسرائيلي وهو المشروع الذي لا وجود له على أرض الحقيقة إلا في الحقيبة التآمرية الصهيونية الأمريكية ، ولم يعرض إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي برمته في صيغة حل سلمي لمشكلتي الجولان والجنوب اللبناني – فيما معناه – رغبة الإدارة الأمريكية الحميمة في استمرار أزمة الشرق الأوسط إلى أزمان قادمة بمشاكلها الراهنة بل وزيادة على ذلك احتلال العراق للانقضاض على الشرق الأوسط كله في مراحل لاحقة .. فأوفد وزير خارجيته "باول" إلى المنطقة لعرض تلك الأفكار الخبيثة ، وقد قوبل برفض تام عربي ومن غير العرب الذين زارهم .

الخارطـــة : إبنـــة سفـــاح ..

ليست لها شهادة ميلاد أو أباً فكرياً شرعياً تنتسب إليه – تلك الوليدة الحرام – المسماه "خارطة الطريق" ومن قِبَل التأكيد علـى أفكـاره المسـمومة ومشـروعه الجهنمي لالتهام العراق ، فقد أرسل "بوش" مسودة[1] بتلك الخريطة الفكريـة إلـى أخيه الأكبر "شارون" وإلى المحاصر المغلوب على أمره "عرفات" فرفضـها الأول وتعلق بها الثاني وكاد يُقبِل يد "بوش" كما قبل يد "كارتر" و"مادلين أولبرايت" مـن ذي قبل.

نســـيج الأوهـــام ..

لقد نسج مستشارو بوش ومصمموا أفكاره الخيوط العامة للباس ابنة السـفاح المسماه "خارطة الطريق" فقالوا في مسودتهم التي صاغوها : "إنهـا تقـوم علـى تحقيق هدف إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على مراحل محـددة وأطـر زمنيـة واضحة من خلال تنفيذ عدد من الالتزامات المتبادلة بين الجـانبين تحـت رعايـة اللجنة الرباعية والتي تضم "أمريكا وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة".

المرحلة الأولى : تمتد من بدأ التنفيذ الفعلي وحتـى ٢٠٠٣/٥ : ٢٠٠٣/١٢ يقـوم فيها الفلسطينيون بوقف غير مشروط للعنف ويستأنف الجانبـان التعاون الأمني ويقوم الفلسطينيون بعمل إصلاحات سياسية تمهيداً لإقامة الدولة الفلسطينية.

المرحلة الثانية : وهي المرحلة الانتقالية التي تمتد من يونيـو ٢٠٠٣ : ٢٠٠٣/١٢ يتم الانتقال لها بموافقة اللجنة الرباعية آخذاً في الاعتبار التـزام الطرفين استحقاقات المرحلة الأولى ، وتشهد أهدافاً رئيسية منها:

---

(1) قام بتسليمها لأبي مازن "تيري لارسن ، ميجل موراتيونوس ، أندريه فيدوفين" عصر يـوم ٢٠٠٣/٤/٣٠ ، وقام بتسليمها لشارون "دانيال كيرتزر" الخبير الأمريكي في إسرائيل ذات اليوم..

تعميق التعاون الأمني ، إقرار الدستور الفلسطيني الـديمقراطي ، تعيين رئيس وزراء للسلطة الفلسطينية ..

المرحلة الثالثة : مرحلة الاتفاق النهائي وإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مـن خلال المؤتمر الدولي الثاني الذي يُعقد فـي بدايـة عـام ٢٠٠٤ لإقرار الاتفاق الذي تم التوصل إليه بشأن إقامة الدولة الفلسطينية المؤقتة وإطلاق مفاوضات الوضع النهائي مباشرة.

ولعلنا نلاحظ أن مجرد عرض هذه الأفكار قد جاء من دون آلية لتنفيذها كمـا أنها تخلو من جدول زمني أو توقيتات محددة لتطبيقها وهـي تفتقـر كـذلك إلـى عناصر المراقبة الدوليـة .

بالإضافة إلى ما ذكرنا من قولهم في المرحلة الأولى عن "عمـل إصـلاحات سياسية ، وإقرار الدستور الفلسطيني .. إلخ" فإن ما عرضه بـوش فـي مسـودته يعكس تماماً الصنيعة الأمريكية البريطانية الخالصة والتي تهدف إلى تطييب خاطر "شارون" الرافض من حيث المبدأ لمجرد التحدث إلى عرفات والقضاء علـى دوره القيادي وتاريخه النضالي الطويل وسحب البساط من تحـت قدميـه ، كمـا أنهـا تستهدف شق الصف الفلسطيني بين تيار مؤيد لحركة الإصلاحات المطلوبة وآخـر رافض للتنكر لتاريخ عرفات النضالي الطويل.

ومن ثم فإن طرح هذه الأفكار في هذا التوقيت بالذات لا يجب أن يعول عليه العرب كثيراً من آمالهم أو قليلاً وبخاصة الفلسطينيون.

وأعتقد بقناعة عرفات بهذه الحقيقة المؤلمة ، إذ لا ملاذ له إلا التعامل مع مـا تطرحه عليه الإدارة الأمريكية بعد أن نفض العالم من حوله أيديه عن قضية بلاده وشعبه ومع انشغال العرب بقضاياهم الداخلية ، واكتفوا جميعاً بالدعم المعنـوي أو القليل المادي ، والدعاء الكثير بأن ينصر الله الإخوان المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين ..

وأصبح الفلسطيني وحيداً أمام الآلة العسكرية الإسرائيلية التـي لا تُبقـي ولا تذر.

وعلى طريق الأكاذيب ذاته أصدر بوش أوامره ببدء ضرب العراق ، حيـث وضعت أجهزة الاستخبارات معلومات كاذبة طيرها لهم عملاؤهم في بغداد مفادها وجود صدام حسين وولديه في موقع معين يمكن قصفه بسـهولة فصـدر الأمـر "البابوي – البوشي" بالبدء في العمليات فوراً ، وكانت المفاجأة أن صدام لم يـدخل الموقع المذكور من يومه.

حاولت القيادة العسكرية في الخليج تبرير الخطأ الذي بُنـي علـى معلومـات خاطئة فرددت الإدارة السياسية في البيت الأبيض كذبة جديدة من شـأنها أن يفقـد صدام حسين الثقة في رجالاته وأجهزته ومن حوله ، فردد الأمريكيون أنهـم إنمـا استعجلوا قصف بغداد إلا بناء على معلومات مؤكدة من أحد المقربين مـن صـدام حسين.

وذلك بقصد إثارة البلبلة والشكوك ولربما ذهب صدام إلى أبعد من ذلك فيأمر بقتل هذا أو اعتقال ذلك فتعم الفوضى أو يحدث التمرد أو أن يُغتال صدام نفسه بأيدٍ عراقية وتحدث الفوضى فتطلب المعارضة دخول أمريكا إلى العـراق .. [وهـذا سيناريو] وقد خاب وفشل.

كذلك فقد كذب "بوش" و"بلير" على شعبيهما فقالا عن الحرب قبل بـدايتها أن الحرب على العراق إنما هي لنزع أسلحة الدمار الشامل ، وقبيل بدايتها بسـاعات قالا إن الحرب لإقصاء صدام حسين ونظامه عن الحكم ، ثم قيل أنها ترمـي إلـى "حرية العراق" وبعد أن وضعت الحرب أوزارها طلبت الولايات المتحدة من الأمم المتحدة الاعتراف بها كسلطة احتلال رسمية في العراق.

الكــذبة الكــبرى ..



نقلت الفضائيات العربية والأجنبية والمحطات الأرضية للتليفزيون العربي سواء بسواء صوراً على الهواء مباشرة لبعض الأفراد ومنهم عراقيون بالطبع وهم ينهبون ويسرقون الممتلكات العامة والخاصة على السواء في أوضاع غوغائية وهمجية. وقد روج الإعلام الأمريكي والبريطاني والإسرائيلي وبعض الفضائيات العربية من أصحاب المصلحة والعمالة .. روجوا جميعاً لتلك الإساءة والمناظر المقذذة ترويجاً جيداً ، لتصوير الشعب العراقي وفضحه بالحالة الأخلاقية السائدة وكأنه في حاجة لمن يردعه ويقوّم سلوكه ويوجهه ويقوده ويشرف عليه .. أي البحث عن مُبرر لتبرير الاعتداءات الأمريكية على المدنيين العراقيين وإضفاء نوع من الشرعية على أي إجراءات استثنائية تفرضها القوات الأمريكية باعتبارها قوات احتلال.

أما هؤلاء الذين نهبوا أو سرقوا وحطموا وحرّقوا فهم الذين فضحوا كذب الكاذبين وتصرف الأمريكيين وهم نوع من الأفراد غير المرغوب فيهم من ذوي السلوك غير السوي ومن أمثالهم :

١- مجموعات المعارضة العراقية التي دخلت بغداد مؤخراً قبيل وصول "أحمد شلبي" وقد تم تدريبهم وإعدادهم ضمن برنامج إعداد المعارضة العراقية الذي رصد له بوش مع مشاريع أخرى مبلغ المائتي مليون دولار المذكورة سابقاً.

٢- مجموعة من الأكراد المتحمسين للثأر من كل ما هو عراقي بعد قتـل صدام أهاليهم بالأسلحة الكيماوية.

٣- مجموعة الأفراد الذين أطلق سراحهم من السجون العراقيـة بمجـرد سقوط بغداد وهم جوعى وعطشى وقد ملأت صدورهم الأحقاد علـى السلطة المجتمع والناس .. وهؤلاء هم مجموعة من الناس على دراية جيدة بكل فنون الإجرام من سرقة ونشل ومخدرات وقتل ...إلخ.

٤- بعض الأفراد الذين دربتهم الموساد وأعدتهم تماماً لمثل هذا اليوم وهم من ثمار التعاون المشترك بين الاستخبارات الإسرائيلية – الأمريكيـة وبعض الخونة الذين راحوا يحرقون ويدمرون ويسـرقون مُعبـرين بسلوكهم هذا عن انتقامهم من النظام السابق ولو بالاعتداء على أطلاله حيث صعد الحُثالة إلى تمثال للـرئيس المخلـوع وحـاولو إسـقاطه وتحطيمه حتى انتزعته آلة عسكرية أمريكية اسـتقدموها فـي وقـت سابق لهذا الغرض.

ولما نجحت التجربة في بغداد واحتسى الكثيرون كأس الخديعة أطلقت أمريكا أيدي تلك العصابات في المدن العراقية الأخرى لإشاعة الفوضـى والـدمار بأيـدٍ عراقية ، وباستثناء الواعين من الشعوب شرب العامة من كأس الخديعة وأُطعمـوا من طعام المكيدة ..

ويستمر السير على طريق الأكاذيب ..

العصابات الغوغائية تطال أيديها المباني الحكوميـة مـن هيئـات ووزارات ومراكز بحثية ..إلخ ، ولم يسلم من أيديهم القذرة رموز التاريخ الإنساني الشـامخ والماثل في المتاحف الأثرية وفي مقدمتها "المتحف الوطني العراقي" حيث أقـدمت

عصابات الأوغاد على سرقة [١٧٠ ألف قطعة](1) من القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى حضارة بلاد ما بين الرافدين قبل آلاف السنين بالإضافة إلى تحطيم الكثير من تلك الآثار مما لم يمكن أن تحمله أيدي هؤلاء الحاقدين الناقمين على الحضارة الإنسانية والعراقة العراقية والقيم الإسلامية.

وقد ألقت نائبة مدير المتحف "نبيهة الأمين"(2) باللوم على القوات الأمريكية مؤكدة أنه كان يكفي لحماية المتحف وجود دبابة واحدة وجنديين ، وقالت إن قيمة الكنوز المسروقة تصل إلى مليارات الدولارات.

وقد وقع ذلك على الرغم من التحذيرات التي وجهتها اليونسكو لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا.

وقد أضرم حثالة الناس وأراذل المجتمع الحرائق في وزارات التخطيط والنقل والمواصلات والصحة والمستشفيات العامة كما استولوا هؤلاء على الأدوية والأمصال واللقاحات تحت مسامع وأبصار القوات الأمريكية التي تصور الأحداث بعدساتها ثم تعيد بثها للعالم . ولم يسلم من أيدي الفئة الضالة سوى "وزارة البترول العراقية" التي جاءت لأجله أمريكا ، وقد عبرت عن ذلك وكالة الأنباء الفرنسية خير تعبير حين قالت "وزارة البترول العراقية حصن كبير يحرسه الأمريكيون بوسط بغداد".

ومن الطبيعي أن تجعل القوات الأمريكية من وزارة البترول حصناً وقلعة حصينة على هؤلاء فهي تحتوي على الخرائط والدراسات والاستكشافات وخطط الإنتاج وأسقُفه وبيان الشركات العاملة وقيمة عقودها ومدتها وكشوفاً بأسماء الخبراء والمهندسين والفنيين العاملين بصناعة البترول .. باختصار فإنها وزارة

---

(1) التليفزيون المصري وقنوات عربية أخرى .

(2) جريدة الأهرام المصرية في ٢٠٠٣/٤/١٣م..

تعمل في إنتاج المعدن الذي حاربت لأجله الولايات المتحدة وهو أحد أهم أهداف حملتها على الشرق على الإطلاق.

ثم استرجع معي كيف كذب هؤلاء بالقول عن سقوط أم قصر والفاو في أيديهم بينما كان الوقت مُبكراً على ادعاءاتهم ، وترويجهم باستسلام قائد الفرقة ٥١ العراقية ، وجاءت دعوة الصحاف للصحفيين بإمكانية مقابلة ذلك القائد في حوار تليفزيوني مباشر .. فجن جنونهم وقصفوا التليفزيون العراقي لإسكات الصحاف.

ثم يأتي ترويجهم الهائل لدعواتهم الزائفة بأنهم "بلاد الحرية والديمقراطية" ليبرهن على بطلانه السيناتور الأمريكي "جيم باتينج أركي" ويقدم دليلاً حياً وبُرهاناً قوياً على زيف تلك الصيحات الخلابة ، فقد طالب "أركي" بمحاكمة الصحفي الأمريكي "بيتر آرنيت" بتهمة الخيانة العظمى عقاباً له على تصريحاته وتحليلاته التي قالها للتليفزيون العراقي في وقت سابق ثم أُقيل – استبعد من عمله – فيما بعد.

وهذه أخرى : الكذبة الكُبرى : اللص الكبير الذي تبنته وزارة الدفاع الأمريكية ، وروج له الإعلام الأمريكي البريطاني ، وصوره على أنه البطل الفذ والقائد المغوار والمنوط به تحرير العراق ، وقد رشحته الإدارة الأمريكية رئيساً للعراق الحر الجديد ، مطلوب لدى الأردن لتنفيذ عقوبة قضائية ضده تتعلق باستيلائه على مبلغ مليار دولار أمريكي من أحد البنوك الأردنية أثناء توليه مجلس إدارته وذلك طبقاً لأسعار ١٩٨٠ ، وقد تحمل البنك المركزي الأردني المبلغ المختلس لمعالجة الآثار المترتبة على الحادثة ووفقاً للقانون .. إنه "أحمد شلبي" المعارض الفذ هو نموذج للمعارضة العراقية التي باعت الدين والوطن ، فقد فعل ما فعل واحتضنته أمريكا ثم رشحته لرئاسة العراق .. تلك هي صورة المعارضة العراقية التي تتبناها أمريكا، أما المعارضة الوطنية الشريفة حقاً فإنها لم تطأ

الأراضي الأمريكية على الإطلاق وبالتالي فإنها ترفض المساس بالإسلام والمسلمين والوطن والشعب العراقي ، فقد اجتمع نحو ٣٠٠ شخصية دينية إسلامية عراقية في المنفى بمدينة "قُم" الإيرانية لإدانة الهجوم الأمريكي البريطاني على العراق باعتباره حرباً على الإسلام محذرين في بيان لهم من أي هيمنة أمريكية على العراق في حالة الإطاحة بصدام حسين من أنها ستعتبر حرباً ضد الإسلام والمسلمين وقد أكدوا على حق العراقيين في تقرير مصيرهم.

لقد تحدث الغزاة عن "حرية العراق" وتشدقوا بتحرير العراقيين وتعويضهم عن أوقات الذل والهوان التي قاسوا منها مع حكم النظام السابق ، وكذبوا كذلك فيما قالوا – وذلك لأنهم – يقتلون العراقيين حالياً وبعد انتهاء الحرب الأساسية بأسلحة صدام حيث يمثل ما فعلته القوات الأمريكية صباح الأحد ٤/٢٧ بمثابة مجزرة حقيقية تفوق ما حدث من قصف كثيف في أيام الحرب الأولى، حيث قامت القوات الأمريكية البريطانية بتفجير صواريخ وذخائر وعتاد عسكرية أخرى في الأحياء السكنية في مدينة الزعفرانية جنوب بغداد راح ضحية هذه المجزرة أكثر من ٤٠ شهيداً ، وخلفت عشرات الجرحى ،

ولم تكتف هذه القوات بالإقدام على هذا العمل غير الإنساني بل تنصلت عن مسئولياتها عن الحادث المروع ، متهمة أشخاصاً مجهولين بإطلاق عيارات نارية أدت إلى هذا الانفجار بالرغم من أن الحقيقة غير ذلك تماماً..

وجاءت دعوة "بوش" لمجلس الأمن بسرعة رفع العقوبات الاقتصادية المقررة على العراق ليتمكن من سرعة السطو على النفط العراقي وتمويل خططه المشبوهة.

وقوبلت هذه الدعوة برفض دولي خاصة روسيا التي تضررت كثيراً من احتلال العراق ، ومن ثم فإنها لا تريد لبوش أن يهنأ بالوليمة البترولية وحده ، فقال رئيسها "بوتين" إن قرار رفع العقوبات المفروضة من جانب الأمم المتحدة لابد وأن يسبقه إعلان من المفتشين الدوليين بخلو العراق من أسلحة الدمار الشامل.

فأعلن بوش في ٤/٢٦ أن العراق تخلص من تلك الأسلحة قبل بداية الحرب ، وأمر بإرسال ١٠٠٠ خبير أمريكي لسرعة الانتهاء من عملية البحث للإسراع في الإعلان بخلو العراق تماماً من أسلحة الدمار الشامل "المزعومة" ، إلا أنه رفض دخول مفتشي الأمم المتحدة إلى العراق ، وفي صباح ٤/٢٧ أعلن بوش بنفسه أن خبراء الأسلحة الأمريكيين عثرو على [الموستارد الكبريتي وغاز VX] في محاولة ترمي إلى إعلان العراق خالياً من أسلحة الدمار الشامل ، ويستمر مسلسل الكذب ..

كذلك فلقد كذبوا بلقاء الأضداد فقالوا أن الليل والنهار يجتمعان ، والعقل والمنطق يقولان بغير ذلك .. إذ لا يصح أن يقول المرء أنه مسلم مسيحي ، أو أن يقول أنا مسيحي يهودي ومن ثم تسقط الدعاوى القائلة بأن فلاناً مسلم علماني أو علماني مسلم ، فالعلمانية تقوم على اللادين أي أنه لا يوجد دين ترعاه الدولة وتدين به ، من هنا يمكن القول بأنهم كذبوا كذلك في لقاء الأصولية المتشددة في "أسامة بن لادن" مع العقيدة العلمانية البعثية "ورثة ميشيل عفلق ، أكرم الحوراني) ١٩٥٢م

إنه كيل الاتهامات والفشل في التبريرات .. وذلك لأنهم والعالم معهم يستشعرون ما يسمونه – هم – خطراً ريدياكيلياً إسلامياً قادماً من العالم الإسلامي وأنه يجب القضاء على هذا الخطر واجتثاثه من جذوره.

إن الطريق إلى الحرب على العراق كان مفروشاً بالأكاذيب ولا يزال الكذب مستمراً وسيستمر أملاً في إضفاء لون من الشرعية على احتلالهم للعراق وعملاً على استمرار وجودهم في المنطقة وتكريسهم له والانطلاق من خلاله ..

الإمبراطور .. وحيد القرن

شهدت المنطقة العربية عبر مراحل التاريخ الطويل موجات من الهجمات الاستعمارية الشرسة ، ومحاولات شتى لإقامة الإمبراطوريات على حدود جغرافيته وسيادة أراضيه .. وقد تحطمت تلك المحاولات على الجدار الصلبة للشعوب العربية.

وفي العصر الحديث حاولت بعض القوى الاستعمارية إقامة امبراطوريات لها في منطقتنا العربية فزحفت إليها تحت مسميات دينية ودعاوى باطلة فتنافست بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا ، وسرعان ما تبخرت أحلامهم وضاعت أمانيهم.

ومع نهاية القرن العشرين ظهرت في الأفق ملامح إمبراطورية جديدة ، بدأت في نسيج ثيابها وبناء جدارها على تراب الشرق فخطت أولى خطواتها في السنة الثالثة من القرن الأول من الألفية الثالثة فدكت بغداد في بداية تحركاتها .. إنها إمبراطورية "وحيد القرن".

لقد سقطت بغداد تحت قنابل وصواريخ ومجنزرات وحيد القرن الذي هاج وثار سعياً أو بحثاً عن عين للبترول تروي ظمأه الذي لن يرتوي.

إن سقوط بغداد المهين للشعب العراقي والشعوب العربية جميعاً يبيت رمزاً حياً للقهر والهيمنة والتسلط والغطرسة والقوة الغاشمة التي انتصرت فيها

امبراطورية الشر في معركة غير متكافئة حُسِمت نتيجتُها سلفاً قبل الشروع فيهـا فدمرت الحق وأصحابه .

بالإضافة إلى ذلك فإن هذا السقوط المهين يُعد انتصاراً لجميع الشعوب الحرة في العالم والتي رأت في المقاومة العراقية روح التحدي ورفض الهزيمة ، وبدايـة انحدار الهيمنة والغرور والصلف الأمريكي الذي ضرب عرض الحائط بـل داس بحذائه كل المواثيق والأعراف الدولية وأصبح يتحرك عكس المنطق السليم ويسير في الاتجاه المضاد للعالم ..

ولكـن .. كيف سقطت بغـداد ..؟

تسـاؤلات محيرة وعلامات استفهام متعددة وآراء متباينة واجتهادات مضنية دارت وستدور في البحث عن إجابة شافية للسؤال التقليدي .. كيف سقطت بغداد ؟

تؤكد الحقائق على أن معجزة ما ، لم تنزل من السماء على الأب العظيم بوش الذي قال أنه يحارب العراق ويسحقه بأمر من الله وبتفويض منه [أي أن الله] يبارك تلك الحرب ..

كذلك فلن تنزل من السماء "طيراً أبابيل" فتطهر الأرض من المقاومة العراقية التي أتعبت القوات الأنجلو أمريكية وأنهكتهم ، فتحمل أفراد المقاومة من تلابيـبهم وتلقي بهم عند المهيل[1] أو أن تقذف بهم في عين حمئة[2] ، لتفتح الطريـق أمـام "مفوض الرب" البابا العظيم "بوش" وقواته للسير في شوارع بغـداد واللهـو بهـا والعبث بمقدرات العراقيين وإطلاق أيادي المرتزقة وأرباب السجون تحت مسامعهم وأبصارهم لنهب وسلب كل شيء وتدمير وإحراق كل شيء لتعُم الفوضى وينتشـر الخراب ثم يتوجه الأوباش بعدها إلى تحطيم تماثيل صدام حسين وإلقائه بالأحذيـة والضرب على وجهه بالنعال ، وهو تمثال الرئيس الذي أجمع عليه شـعبه رئيسـاً

(1) مكان عند مطلع الشمس في علم الله ..

(2) مكان عند مغرب الشمس في علم الله ..

للبلاد لفترة رئاسية ثالثة قبل الحرب بأيام والتفّت حوله جموع الشعب العراقي على كافة طوائفهم وانتماءاتهم ، وقد تناسى الجميع خلافات الماضي وعملوا معاً في خندق واحد وعلى خط دفاع أول وأخير عن بلادهم ضد الهجمة الاستعمارية الشرسة.

إن هناك لغزاً معيناً أو سراً كبيراً تشير إليه مجموعة من الشواهد التي تقود إلى العديد من الافتراضات لأنها في الأصل مبنية على الاجتهادات.

وللخوض في هذا الموضوع تلزم الإجابة على بعض من الأسئلة المُلحة من أهمها :

١- أين ذهب المقاتلون العراقيون قبل فجر التاسع من أبريل ٢٠٠٣ وأين أسلحتهم ولمن سلموها أو أين هربوها ؟

٢- أين ذهبت قيادات الجيش العراقي والحرس الجمهوري الذين أرهقوا القوات الغازية.

٣- أين رجال الحرس الخاص ومقاتلو حزب البعث العربي الاشتراكي.

٤- هل حدثت عملية انتحار جماعي للقوات والقيادات العراقية.

٥- هل باع صدام حسين ورجاله العراق في صفقة سرية وهرب ؟

٦- هل حدثت هجرة جماعية فتركوا الحابل على النابل وتركوا شعبهم وحيداً يلقى سوء المصير ويصلى نار السعير .

٧- هل حدثت خيانة عظمى قلبت الأحداث فاختطف صدام حسين وولداه وآخرون وتم ترحيلهم خارج العراق فحدث الانهيار المفاجئ في الدفاعات العراقية فسقطت بغداد ..!!

أسئلة كثيرة مزعجة ومحيرة ولسوف تجيبنا الأيام عن أحدها ..

وثمة رأي يَعتمِلُني وهاجس يعتصرني بشدة للقول في تلك الأحداث بعد التربيط بين مجموعة من الأحداث التي يمكن أن تساهم في كشف اللغز أو حل اللوغاريتم الغامض في ما يسمى "حرية العراق" أو بالأدق سقوط بغداد .. ولنسترجع بالذاكرة بعضاً من الأحاديث الهامة والتصريحات الخطيرة في الفترة الماضية ..

ابتداء بالمقاومة العراقية الشرسة ضد جحافل المعتدين التي أذهلت العالم كله حتى صارت رمزاً لروح الصمود والتحدي لقوى البغي والعدوان ، ولنستدعي معها تصريحات قادة القوات المعتدية "الأنجلوأمريكية" والصحفيين فيما يتعلق بتعليقاتهم عن روح المقاومة الباسلة عند العراقيين التي أجبرت قوات الغزاة بجبروتها وعددها وعتادها على التراجع لترتيب الصفوف.

ولعلنا لازلنا نذكر كيف حاول المعتدون إسكات صوت العراق بقصف تليفزيونه أكثر من مرة حتى لا يفضح أكاذيبهم التي كثيراً ما كشفها للعالم كله وأفسد مزاعمهم الباطلة.

لقد أصابت المقاومة العراقية بنجاح روح المعتدين باليأس حتى آثر بعضهم الانتحار على مواجهة العراقيين ، وأصيبت عقول قادتهم بالخبول حتى راحوا يضربون بكل الوسائل ويقصفون حتى بائعي الخضروات والفواكه في الأسواق الشعبية بالصواريخ عابرة القارات ، مثال ذلك حادثة حي الشعلة وقصفهم المدنيين بأم القنابل زنة الواحدة عشر أطنان ، والقنابل العنقودية الذكية ، والقنابل الإلكترونية والإشعاعية التي تسبب العمى ..

إن المقاومة العراقية المدافعة بالمتاح من الأسلحة المتهالكة قد كشفت عن الوجه الحقيقي لوحيد القرن ، وكادت أن تجعل الولايات المتحدة على مشارف التراجع إلى غير مركزها المتقدم في مصاف الدول العظمى وأن تفقدها حيويتها

كقوة عسكرية كبرى تقود العالم لو لاقت شيئاً من الدعم أو وجـدت بعضـاً مـن المساندة .. والأهم من ذلك .. لو لم تحدث الخيـانـة .

استشعرت إدارة بوش الخطر الداهم المحدق الذي أضـحى يهـدد اسـتمرار وجودها فبحثت بالضرورة عن الوسيط .. الوسـيط موجـود .. ومعلـوم .. بـدأ مساعيه منذ بداية الأزمة .. ولم يفلح .

إنه الوسيط الروسي ، وقد عرف عنه شدة معارضته بل رفضه للحرب علـى العراق لارتباطه بمصالح اقتصادية قوية واستثمارات تقدر بنحو ٣٠ مليـار دولار فضلاً عن إجمالي الديون المستحقة على العراق للروس باعتبار العراق مديناً بحجم دين يبلغ ثمانية مليارات دولار ، فإذا تم تأمين الجانب الروسـي علـى مسـتحقاته ومصالحه يحدث المأمول ..

ففي الثالث والعشرين من فبراير عام ٢٠٠٣ أُعلن في موسكو عـن زيـارة المبعوث الروسي إلى العراق في مهمة وُصفت بأنها سرية ولم يصدر أي تعليـق من قبل الكرملين على مهمة "يفجيني بريماكوف" رئيس الوزراء ووزير الخـارجي الروسي السابق إبان حرب الخليج الثانية ، تأتي زيارة بريماكوف لبغداد في إطـار ما يُسمى بالجهود الروسية لإيجاد حل دبلوماسي للأزمة العراقية.

وقد أحيطت نتائج تلك الزيارة بسرية تامة وفُرض عليها تعتيماً إعلامياً كبيراً مثلما سبق أن أحيطت زياراته السابقة ولم يـتم الكشـف عـن هـذه المعلومـات الاستراتيجية إلا عندما خرج "بريماكوف" عن صمته في تصـريحات تليفزيونيـة وصحفية تناولها الإعلام العالمي الذي نقل عنه قوله "ترددت على بغداد كثيراً فـي محاولات لإقناع صدام حسين بالتخلي عن السلطة تفادياً للحرب إلا أن صدام فـي آخر مرة رَبط على كتفي ولم يعلق بشيء" ..

ومنه يتأكد القول بأن الروس قد لعبوا دور الوسـيط للتوصـل إلـى صـيغة يستسيغها صدام كي يقبل التنحي ، كما أعلنت دول عربيـة وغيـر عربيـة عـن

مبادرات وأفكار فيما قيل عنها "نزع فتيل الأزمة" ، والواضح – بل – والأكيد أن جميعها حلول غير عملية حيث "صدام حسين" لن يتنازل عن الحكم ، وأمريكا لن تتنازل عن احتلال العراق.

من هنا فإن اللعبة التآمرية وعلى "وتر" صدام لا تنتج عزفاً ولا تقدم لحناً ، فلا جدوى إلا مضيعة الوقت ومشقة الجهد.

وعليه تبرز وبمقدار أهمية اختراق حاشية صدام وإحداث كسر في بلاطه سواء من الحالمين الطموحين من أمثال الفريق "حسين كامل" العاملين ضمن الصفوف الأولى في القيادات العراقية العسكرية الحالية التي تظهر كلها الولاء الكامل للرئيس قبل الوطن ، وفي الاتجاه الثاني يسير الاتجاه نحو استقطاب قيادات الصف الثاني والموصوفين بالاعتدال من القائلين "الوطن قبل الرئيس" لاستعمال هؤلاء في الوقت المناسب.

إما بالانقلاب على صدام حسين ونظامه واغتياله – وهو عمل انتحاري – أو التخلي عن المواقع القتالية طبقاً لترتيبات معينة في ظروف معينة وعند ضوء معين.

وإذا قلنا بصحة ما نذكر فإنه يتعين علينا التسليم التلقائي بضرورة العمل في أكثر من اتجاه لإخراج الأحداث في صورتها النهائية المُرضية ، وهو ما أشارت إلى حدوثه مجموعة الشواهد التالية والتي بدأت بالإعلان عن اجتماع جديد لمجلس الحرب في "بلفاست" بين "بوش وبلير" في السابع من أبريل . وفي اليوم ذاته "السادس من أبريل" طارت مستشارة الأمن القومي الأمريكي "رايس" إلى موسكو ثم في اليوم ذاته أُعلن في موسكو أن الطائرات الأمريكية قصفت موكب السفير الروسي أثناء مغادرته بغداد إلى سوريا عن طريق البر.

إن وتيرة الأحداث تتسارع وتتشابك وتتعقد سيراً على درب انفراجة تشفي الصدور وتضع الحلول للعديد من الخبايا التي هي بين السطور.

ففي السادس من أبريل كان ما أُعلن عن الشروع في محاولة قصف السفير الروسي ، والسابع من أبريل تم الإعلان عن فشل "رايس" في مهمتها في موسكو وفي التالي ٤/٨ طالعتنا الصحف الأمريكية والبريطانية بخلافات حادة بين قادة قمة الحرب التي عقدت في "بلفاست" وقالوا بفشل الاجتماع ، وفي اليوم ذاته أُعلن في موسكو عن عودة السفير الروسي إلى بغداد وهو اليوم الذي دخل فيه المعارض "أحمد شلبي" إلى العراق وهو يرتدي قبعة ويمسك سيجاراً على هيئة "رعاة البقر". وإذا أردنا الحصول على الإجابة المباشرة أو استنتاجها فإنه يتعين علينا وضع أكثر من علامة استفهام وتعجُب أمام كل ما طلعت علينا من أخبار وذلك لعدم الميل إلى تصديق إحداها ..

إن قصف موكب السفير الروسي بالصواريخ الأمريكية وقنابلها الذكية لم يُصب أي شخص كما لم ينتج عنه موت أحد .. إن هذا لشيء عُجاب ..! ثم لماذا التأكيد على فشل مباحثات موسكو ، وفشل مباحثات "بلفاست".

إنه الترويج الإعلامي الذي يخفي العديد من الحقائق بين صفحات تلك الاجتماعات وسيقرأها الناس عما قريب ..

والذي يعتمل في صدري ويؤكده بعد أن قبله عقلي هو ..

الأول .. أن مستشارة الأمن القومي الأمريكي تحركت وطارت بنفسها إلى موسكو لمدى خطورة الأحداث الدائرة على الأرض وتطوراتها التي تسير في غير الصالح الأمريكي والتي تؤثر نتائجها بل تصيب الأمن القومي الأمريكي في الصميم بل وتهدد بالإطاحة بالبابا "بوش" وخروجه منكسراً ذليلاً من البيت الأبيض ، وبذلك يكون صدام قد أطاح بالجمهوريين خارج المنافسة على رئاسة أمريكا إلى حين ، فضلاً عن تشكيل المحاكمات وتبادل الاتهامات ، أي أن الأمن القومي الأمريكي كله في خطر بحيث أصبح لا يمكن تفادي تلك الأخطار إلا بإحياء دور الوساطة الروسية التي بدأت سراً ومنذ شهور قبل اندلاع الحرب.

الثاني .. إعلان الروس بتأمين مصالحهم البترولية وضمان سداد الديون العراقية المستحقة للروس وضمان سلامة وأمن الاستثمارات الروسية في العراق والتي تبلغ حوالي ٣٠ مليار دولار فضلاً عن المكافآت السخية التي تخفيها الأيام في بطانتها وحتماً ستخرج يوماً إلى الناس للإطلاع عليها ..

وهكذا فإن "رايس" طارت إلى موسكو وهي تحمل في رأسها أفكاراً ، وفي حقيبتها إقراراً ..

ولعلك تلاحظ معي أنه فور الإعلان عن فشل "رايس" في مهمتها ومغادرتها موسكو عائدة إلى بلادها .. طار السفير الروسي إلى دمشق عائداً إلى بغداد ، وأفادت أنباء أخرى بل أكدت على أنه وزير الدفاع الروسي الذي وصل إلى بغداد للإشراف على إجلاء الموظفين المدنيين الروس – بحسب زعمهم – أما باطن العودة فإنه مختف في بطن الأحداث التي تفجرت في بغداد فجر الأربعاء مع الساعات الأولى من صباح ٤/٩ ، حيث تخلت المقاومة العراقية عن مقاومتها وأخلت مواقعها وانفصلت تماماً القيادة العليا عن الوسطى عن المقاتلين واختفى صدام ، وصوت التحدي "الصحاف" وآخرون وسط حطام كبير ودخان كثيف يعمي العيون عن محاولة النظر إلى حقيقة الأحداث أو التطلع إليها.

إنني لأجد رائحة الخيانة والمؤامرة ، خيانة بعض القيادات العليا في الجيش العراقي والحرس الجمهوري الذين باعوا العراق وقيادته السياسية لقاء حفنة من الدولارات ووعد بوظائف ، والمؤامرة الخارجية المحكمة من الدول العظمى التي لا قبل للعراقيين بها والتي لعبت دوراً هاماً وحيوياً في اللعب بدماغ الخائنين من هواة الطموح غير المشروع ، وقد غررت بهم المؤامرة الخارجية الوافدة لتحقيق أطماعها ورغباتها ، واستمر الشرفاء من العراقيين يدافعون في بغداد وغيرها فيما عُرف "جيوب المقاومة" حتى نالوا الشهادة عن استحقاق أو انسحب الناجون إلى مواقع أخرى .. وسوف ينطق التاريخ بشهادته عما قريب .

الأحـد ٤/١٣

في إطار الرغبة الأوروبية المتسارعة والمتلاحقة في إزالة أسـباب التـوتر والخلافات الناشئة عن كيفية معالجة آثار الحرب على المصـالح الأوروبيـة فـي الشرق الأوسط وتداعياتها ، ومن أجل تنقية الأجواء مما علق بهـا مـن شـوائب وغبار قد تعوق الرؤيا المشتركة لمصالح الغرب في منطقتنا والعالم أعلـن وزيـر الدفاع الألماني عن أمله في إزالة أسباب التوتر الذي تعرضت له العلاقات الألمانية الأمريكية مؤخراً.

أما في الداخل البريطاني .. فقد ساد البريطانيون شعور عارم بالعداء لكل من "بلير وبوش" عبر عنه المتظاهرون في بريطانيا عند استقبال جثث القتلى والجرحى من الجنود البريطانيين ضحايا "حرب العراق" ، كما نعتوهما بأبشع الألفـاظ وقـام المتظاهرون بضرب صور "بلير وبوش" بالأحذية.

تومي فرانكس قائد القوات الأمريكية: لم تعد أي مدينة في العراق تحـت سـيطرة صدام حسين وأكد على أن قواته ستبقى في العراق لفترة طويلة.

وفي ظل رضاء أمريكي / بريطاني تام قامت مجموعة من مثيـري الشـغب والاضطرابات من المجموعات التي سبق ذكرها بإحراق مكتبة بغداد الوطنية التي تضم وثائق ومخطوطات أصلية فريدة من بينها المصحف الشريف مخطوطـاً بيـد ثالث الخلفاء الراشدين "علي بن أبي طالب" ونُسخة أخرى بخط ذي النورين "عثمان بن عفان" ، وقد قاموا بإحراق المكتبة بعد أن نهبوها وخربوها للتأكيد على نهايتهـا كما فعل التتار قديماً بمكتبة دار الحكمة ، وتعرضت بغداد ومكتبتها لفظائع هُولاكو في زمن بوش .

وازدادت حدة السلب والنهب في العراق إلى الحد الذي طالبت عنـده بلجيكـا واشنطن بحماية سفارتها في بغداد .

ومن ناحية أخرى اشتدت ضراوة المقاومة العراقية حول تكريت ، وازداد القصف الأمريكي براً وجواً للقضاء على المقاومة التي أنهكتهم ، حتى أن بوش أعلن عن إلغاء رحلته المقررة إلى كندا بسبب ما قيل عن ظروف الحرب ، واستمر يُصعد من حدة لهجته مع سوريا وقال أنه يأمل أن لا تتحول سوريا إلى ملاذ آمن للإرهابيين وحذرها من مغبة إيواء زعماء عراقيين من النظام السابق ، وبعد قليل كرر ذات الأقوال وزير الدفاع "رامسفيلد".

وفي خضم الأحداث بدأت حرب أخرى تدور خارج العراق للسطو على ثرواته الوفيرة بين دول ترغب في الدفاع عن مصالحها الموجودة سلفاً في العراق مثل فرنسا وروسيا وألمانيا وأخرى لا يرضيها نصيبها الذي يحدده بوش من الوليمة ومنها أسبانيا وبريطانيا ، وأخرى يكفيها الرضا الأمريكي مثل استراليا وبولندا.

وقد عبرت وكالة أنباء الشرق الأوسط خير تعبير في هذا الصدد حين قالت : "معركة البترول بدأت في العراق" .

التخبط

أصابت حالة انعدام الوزن التي أصابت القيادة السياسية للباغيتين بحالة من التخبط في القرارات الصادرة عنهما والتي ابتدأت بالإعلان عن اعتماد قرار بتشكيل فريق مشترك من خبراء البلدين لاقتفاء أثر أموال وثروات صدام وعائلته ، وجاء القرار مصحوباً بقرار آخر بإرسال إحدى حاملات الطائرات التي انسحبت من الخليج الأمريكي "العربي سابقاً" إلى أقصى الشرق لمراقبة كوريا الشمالية ، أما ثالث أغرب القرارات العجيبة فهو الخاص بإرسال فرق خاصة أشبه بفرق الاغتيالات للقضاء على أشباح صدام حسين واعتقال أشقائه وأقاربه ورجالات نظامه وقادة المقاومة العراقية ومطاردتهم حتى إبادتهم بالصواريخ.

وقد أوردت وكالة الأنباء الفرنسية وغيرها نبأ خطير يدلل على وضع القـرار الأخير موضع التنفيذ حين قالوا : "القوات الأمريكية تقصـف فلـول المعارضـة العراقية بالصواريخ المضادة للدبابات".

ومن أبرز الأحداث التي وقعت في هذا اليـوم :

- دعوة الرئيس مبارك والملك عبد الله خلال اجتماعهمـا بالقـاهرة لانسـحاب القوات الأجنبية من العراق.
- الرئيسان السوداني عمر البشير والسوري بشار الأسد يبحثـان الوضـع فـي العراق وفي فلسطين خلال اجتماعهما في دمشق بينما أعلنت سوريا عـن أن حدودها مع العراق مغلقة ، ونفت بشدة دخول مسئولين من النظـام العراقـي لديها.
- مظاهرات كبيرة في النجف الأشرف تطالب بالوحدة ونبذ الخلافات.

أغـرب الأنبــاء ..



"ابتسامة الشـــر"

شارون يُعرب عـن استعداده لتفكيـك بعـض المسـتوطنات اليهوديـة والتي أقيمت مـن غيـر ترخيص بالضفة الغربية، بينما يصـدر تـراخيص عديدة لبناء مسـتوطنات بديلة داخل عمق أكثر في الضفة والخاضعة للسلطة الفلسطينية ، وعلى الرغم

من عرضه لتفكيك المستوطنات "غير الشرعية" على حد قوله فإنــه يطلــب مــن الفلسطينيين مقابل ذلك التخلي عن أحد مطالبهم الرئيسية وهو عودة اللاجئين إلــى ديارهم الأصلية في الداخل الإسرائيلي "فلسطين المحتلة".

أرأيتم الفكر الصهيوني المتحضر الواعي ، لقد اقتحم شارون الضفة الغربــي وأعاد احتلالها فيما يمكن القول بأنه رد فعله الفوري على مبادرة الســلام العربيــة التي أقرتها القمة العربية في بيروت ٢٠٠٢ ثم شرع شارون في بناء "جدار" يُعرف بأنه "سيء السمعة" وكذلك "جدار الفصل العنصري" ليقطع به أوصــال الأراضــي الفلسطينية ، ثم وافق بعد ذلك على مقترحات "موفاز" بنقل الجدار مســافة ٢٠كــم أخرى ينتزع أراضي الفلسطينيين قهراً ويلتهمها ، وذلك قبل بداية عرض المسلسل الجديد المُسمى بـــ "خارطة الطــريق" والتي ستبدأ أحداثه بوصول ملفها إلى "أبــو مازن – شارون".

لقد أصبح شارون كما أمسى بطلاً بآلاته العسكرية يُرهب النســاء والشــيوخ والأطفال بعد أن اعتقل بعضاً وقتل آخرين ولم يتجرأ أحد على ردع قوات شارون أو إثنائه عن رغباته العدوانية إلا الإرادة الفلسطينية الصلبة يدفعهم إيمانهم القــوي بمشروعية وعدالة قضيتهم وجهادهم.

أهــم الأنبــــاء ..

صحيفة الدستور الأردنية تُعلن مصرع جميع أفراد القيادة العراقية بمن فــيهم صدام حسين في مجزرة جماعية بمدينة تكريت ، وأكدت الصــحيفة علــى لســان مراسليها في العراق نجاة عَزّه إبراهيم ومحمد سعيد الصحاف وأنباء أخرى تنفي ، وتؤكد أن "صدام حسين" يقود فلول المقاومة بنفسه.

الحاكم بأمر الله "جــارنر"

بعد أن تأكد رحيل صدام ، وأمست الأوضاع على شــفا الاســتقرار لصــالح قوات الاحتلال ، بارك الربُ العظيمُ المفوّض العام على كوكــب الأرض المتلقــي

عن الرب البابا "بوش الثاني" ، الذي عليه قد حلت البركـات بفضـل الترنيمـات وقذائف الطائرات ، ونسف الأبرياء بعوابر القارات ، وعليه قـد نزلـت التحيـات السماوية جزاء على قصف المسالمين بالقنابل العنقودية وحرقهم بالأسلحة الكيماوية وأصابتهم العمى بالقنابل الإشعاعية.

فبعد أن بارك الرب البابا المجيد بوش ، بارك بوش بـدوره ذلـك الجنـرال المتقاعد "جاي .. أو هو جي جارنر" وأمر بإرساله حاكماً مدنياً أو ربمـا منـدوباً سامياً على الأرض المحررة ببركة الله ليصبح جارنر في يوم وليلة بقدرة قادر من جنرال متقاعد إلى "حاكم بأمر الله".

وليس عندي ما أقول في المندوب السامي إلا ما قاله واحد من بنـي جنسـه ودينه في ٢٠٠٣/٤/١٤ حيث كتب "آدم كورينس" في الـ بي.بي.سي أون لاين في موقعها على شبكة المعلومات الدولية "إنترنت" ضمن الصفحة الرئيسـية بمناسـبة دخوله بغداد : "جاي جارنر" يتعين عليه إقناع العرب بأنه لم يأت لخدمة إسـرائيل خاصة وهو يُعلم عنهُ علاقته الخاصة بشارون كما أنه من اختيار رامسفيلد.

وقد عمل جارنر الذي شارك في حرب فيتنام خبيراً في الصواريخ ، وأشرف خلال حرب الخليج الثانية على نشر بطاريات الصـواريخ المضـادة للصـواريخ "باتريوت" ، وبعدها تولى مسئولية عملية إعادة توطين آلاف اللاجئين الأكراد فـي شمال العراق.

وبحلول عام ١٩٩٤م أصبح قائداً لقيادة الدفاع الاستراتيجي الفضائي الأمريكي ثم مساعداً لرئيس الأركان الأمريكي إلى أن انتهت مـدة خدمتـه العسـكرية فـي ١٩٩٧.

ويقيم جارنر علاقة وثيقة بمن يسمونهم الصقور في الإدارة الأمريكية بزعامة رامسفيلد ، وله كذلك علاقة وثيقة بالجماعات الإسرائيلية المحافظة ، وقد وجهـت إليه انتقادات حين أيد في عام ٢٠٠٠ بياناً أصدره المعهد اليهودي لشـئون الأمـن

القومي ، وكان يشيد بالجيش الإسرائيلي الذي تحلى بضبط النفس في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية ، وقد أدت هذه الروابط إلى إثارة شكوك العرب الذي يعتقد بعضهم إلى أن الهدف الأساسي من تعيين جارنر في الإدارة المقبلة للعراق هو حماية أمن إسرائيل وليس تحرير العراق.

وكان جارنر "الحاكم المدني للعراق" قد تعهد السبت الماضي بأن الجيش الأمريكي سيضع حداً لعمليات النهب والسلب ، وصرّح في ٤/١٢ لشبكة "سكاي نيوز" البريطانية أننا لم نصل بعد إلى بغداد ولكن قبل أن نذهب إلى هناك سيكون الجنود الأمريكيين قد وضعوا حداً لعمليات السلب والنهب.

ومع تصاعد حدة التهديدات وحرارة التصريحات الأمريكية ضد سوريا أصيب الشارع العربي عموماً بخيبة أمل من جراء حالة العجز التي أصابت قياداته في مواجهة الهجمة الشرسة لوحيد القرن على العراق والتي ترمي إلى توسيع حلبة الصراع إلى مناطق أخرى لإعادة تشكيل المنطقة بأسرها بما في ذلك تشكيل التركيبة الثقافية لشعوب تلك المنطقة.

استشعر رجل الشارع الخطر وتحدث الجميع عن غزو أمريكي محتمل لسوريا كخطوة تالية بعد العراق وهي خطورة تمثل أهمية استراتيجية لأمن إسرائيل ووجودها وضمان توسعها.

أضحت التهديدات الأمريكية البريطانية لسوريا بمثابة الشرارة التي ستشعل النيران في العواصم العربية ، وتضرم نار الفتنة بين جماهير متحمسة لموقف عربي موحّد كثيراً ما طالبت به وتظاهرت لأجله ، خاصة مع الشعور العربي الجارف الذي وحد بين مشاعر العرب في العالم العربي كله ، وبين قادة تلك الشعوب التي لها حسابات أخرى ورؤى مختلفة.

فالأزمة المفتعلة حديثاً مع سوريا تتطابق إلى حد كبير مع ما كانت عليه المؤامرة ضد العراق قبل ضربه في ٢٠ مارس ، فحديث بوش ورامسفيلد وباول

ورايس بلسان واحد عن ضرورة إخضاع سوريا وإذعانها للمطالب الأمريكية هـو نذير شؤم على أنظمة عربية أخرى لا تدور في الفلك الأمريكي.

أدركت الجماهير العربية حجم الخطر الذي أضحى يهددها تهديداً مباشراً حتى كادت أن تنفجر الأوضاع في الشارع العربي كله منذرة بأحداث ومواجهات خطيرة لا تقل بحال عن شدة غليان الدم في الجسد العربي.

تزامنت تلك التهديدات الجهرية عبر وسائل الإعلام أثناء وجود شارون فـي واشنطن مع دخول "جارنر" إلى بغداد ، ووسط أحداث دولية لا تقل سـخونة عـن الشارع العربي المشرف على الانفجار.

مما استدعى بالضرورة البحث عن عمل يؤدي إلى تهدئة المشاعر المشـتعلة عن طريق إحداث متغيرات جوهرية في أسلوب وأداء العمل العربي الجمـاعي ، فجاء حديث الرئيس مبارك إلى الأمة في ٢٠٠٣/٤/١٤ ليضع النقاط على الحروف وطالب بضرورة مراجعة ميثاق الجامعة العربية ليتفق مع المتغيـرات الحاليـة ، ولأنها جاءت معبرة عن حس العرب مترجمة لآمالهم فقد لاقت قبولاً واستحسـاناً في الأوساط الشعبية والرسمية لما لها من أهمية بالغة ترتبط بالأمن القومي العربي بل ، الوجود والمصير العربي كله ، وقد نجحت تلك الدعوة فـي إحـداث تحـول جزئي في اللسان العربي للدعوة إلى ضرورة توحيد الجهد في إطار العمل العربي العام والالتزام باتفاقية الأمن الجماعي عن طريق إحياء اتفاقيـة الـدفاع العربـي المشترك ، ولن يتخلى اللسان العربي بحال عن المطالبة بتحرير بغـداد وتطهيـر القدس بعد أن ابتلع الاستعمار الحديث العراق كما ابتلع فلسطين منذ ٥٥ عاماً ، إذ أصبح يتعين على العرب الآن مضاعفة الجهد والوقت والعـرق بعـد أن نجحـت الصهيونية في تشتيت الجهد العربي والفكر العربي بل وأصابت الكيان العربي في مقتل بالاستيلاء على العراق بواسطة الاحتلال العسكري السافر ليكون العراق هـو أول بلد عربي يقع تحت الاحتلال العسكري المباشر في العقد الأول مـن القـرن الأول في الألفية الثالثة إلا أنه قطعاً لن يكون البلد الأخير.

وقد أجرى "مبارك" اتصالاً هاتفياً مع الرئيس الأمريكي "بوش" دعاه فيه إلى معالجة القضايا التي تهم دول المنطقة من خلال الاتصالات الدبلوماسية وبعيداً عن التصريحات الإعلامية وما تنجم عنها من إثارة ..

- وتحدثت الوزير البريطانية العمالية "كلير شورت" فقالت: لا يمكن السكوت على توسيع الصراع إلى سوريا.

- أصوات الاحتجاجات العربية وغير العربية تتصاعد في بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا وأسبانيا وروسيا التي خرج وزير خارجيتها "إيفانوف" ليعلن أن بلاده ستغير موقفها تماماً حال الاعتداء الأمريكي على سوريا خلافاً لما كان عليه الوضع في العراق.

- ومع مغادرة شارون لواشنطن وعودته إلى تل أبيب بعد اجتماعات سرية مع بوش وباول ورايس ، طلع باول علينا من بين الأمريكان ، وأوجب الشكر علينا لأحبابنا على طول الزمان. فقد تحدث البهلوان "الأفريكاني" المهجن عن ضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط بكاملها من أسلحة الدمار الشامل كما عمل على تهدئة المخاوف السورية من الانتقادات الأمريكية المؤخرة لها نافياً أن يكون لدى أمريكا خططاً لحرب أخرى في المنطقة ، إلا أنه رفض التعليق صراحة على مطالبة إسرائيل بالاسم بنزع أسلحتها.

بهذا أصبحنا على حقيقة الأوضاع الجديدة في المنطقة العربية والعالم.

- والمنطقة تسير في اتجاه ترسيم جديد وفقاً للرؤية الأمريكية.
- وإسرائيل تعمل على تحقيق أقصى استفادة ممكنة.
- وباتت دمشق وطهران والرياض تحت الميكروسكوب وفي عيون الرادار.
- والموقف العربي الرسمي متأزم ويعاني من الحرج.

- والمشكلة الكورية تحال إلى غرفة الحفظ وتستدعى ثانية وفق تداعيات الأحداث ومتطلبات الأدوار والمراحل.
- الشرق الأوسط بات على شفا شرق أوسط جديد.
- روسيا استوعبت الدرس واستخلصت النتائج.
- ومبارك يتبنى أفكاراً جديدة.
- أمريكا تفتح الطريق لإثارة القلاقل في السعودية.
- الاحتلال التركي لشمال العراق لازال مستمراً .
- الجامعة العربية إلى أين تمضي ؟ وماذا على العرب ؟
- أنقرة وتجارة البولوتيكا.
- الوليمة واللعاب .

هكذا بعد أن قفز وحيد القرن قفزته الأولى في الشرق فانهار تحت أقدامه جيشاً هو من أعتى الجيوش العربية وأقواها وأكثرها خبرة وأغناها عتاداً وأشدها بأساً..

بهذا يحصل الثبات والتثبت من أن رياحاً جديدة قد بدأت في الهبوب على المنطقة ، سوف لا يتوقف تأثيرها عند ترسيم خريطة الشرق فحسب بل ستمتد لتصيب في مقتل الثقافات الشرقية القائمة على العقيدة الدينية الراسخة لتحل محلها ثقافات المدنيّة الغربية الغريبة على مجتمعاتنا سواء بالتحول المفاجئ أو المتدرج اعتماداً على خضوع الإعلام في دول المنطقة أو بإخضاعه ..

وهكذا هبت على العالم كله رياح جديدة يمكن القول حقاً بأنها رياح التغيير.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

ريـــاح التغـــيير

الباب الثاني

ريـــاح التغـــيير

(أ) الداخل العـراقي :

عاش العراق ولا يزال في فوضوية [سياسية – أمنية – نظامية – واقتصادية] منذ سقوط بغداد بالطعنة القاضية أمام وحيد القرن وهـــي "الخيانـــة" التـــي تعتبـــر المسئول الأول والأخير عن سقوط النظام الشرعي في البلاد ، بالإضافة إلى تخلي قوات الاحتلال الأمريكي عن الحفاظ على أمن واستقرار المواطنين وامتناعها عن وضع حد لأعمال السلب والنهب المنتشرة في البلاد منذ التاسع من أبريـــل وحتـــى مثول هذا الكتاب للطباعة ، على الرغم من قيام بعض المتطوعين العراقيين للعمل بشكل تطوعي للتصدي لتلك الظاهرة الغريبة على المجتمع العراقي ، ممـــا يعتبـــر تخلياً من الولايات المتحدة وقواتها الموجودة في العراق عن حماية المدنيين وحفـــظ النظام باعتبارها سلطة احتلال طبقاً لمواثيق الأمم المتحدة والقانون الدولي في هـــذا الخصوص.

وعندما اندلعت المصادمات وأعمال العنف الواسعة بين الصدّاميين والشـــيعة وقف الأمريكيون مكتفون بالمشاهدة دون أدنى تدخل ، فقد قتل مجهولون الـــزعيم الشيعي العراقي "عبد المجيد الخوئي" في ٤/١٠ وهـــو الرجـــل المعـــروف عنـــه معارضته لصدام حسين ، واثنين من مساعديه ، وقد إتهم قادةُ الشيعة أنصار حزب البعث العراقي بالمسئولية عن مقتل الخوئي ، وأخذاً بثأره فقد قَتَل الشـــيعة "حيـــدر عبد القادر" مدير مسجد الإمام علي المعروف بولائه لصدام حسين داخل المســـجد

عقب صلاة الجمعة في ٤/١١ ، وقد استخدمت في المصـــادمات العنيفـــة البنـــادق والسيوف والسكاكين في غيبة الأمن والنظام والسلطة.

وقد أدانت الولايات المتحدة على الفور عملية اغتيال "الخوئي" بينما لم تعلـــق بشيء على مقتل "عبد القادر" ، وقال الناطق باسم البيت الأبيض "إيري فلايشر" إن اغتيال أحد الشيوخ في النجف أمر مؤسف للغاية تدينه الولايات المتحدة بشدة وتقدم تعازيها لسكان النجف.

ومن الجدير بالذكر أن الخوئي من أوائل المؤيدين لدخول القوات الأمريكيـــة والبريطانية للعراق ، وللقضاء على نظام صدام حسين.

يضاف إلى هذا الموقف الأمريكي المتجمد والممتنع عن التصرف في القضاء على أعمال العنف التي اندلعت بين السُنة والشـــيعة فـــي بغـــداد وبـــين الأكـــراد والعراقيين في الشمال إلى حد قيام الأكراد بطرد العراقيين من منازلهم ثم الاستيلاء عليها أو حرقها.

وفي وسط تلك الأمواج الشديدة ورياح التغيير العاتية بدأت الحكومة الأمريكية سعيها الدؤوب بالتعاون مع بعض العراقيين المغتربين الرامي إلى تغيير المنـــاهج التعليمية في العراق على غرار ما قامت به واشنطن فـــي أفغانســـتان ، وذكـــرت الواشنطن بوست في تقرير لها نشرته صباح الســـبت ٤/١٢ أن الإدارة الأمريكيـــة تأمل في أن تُجري هذه التعديلات في الشهور الخمسة القادمـــة ، وقبـــل أن يعـــود الطلاب العراقيون إلى مدارسهم في بداية العام الجديد وذلك بهدف مكافحة النزعات المتطرفة(١).

استشعر العراقيون الخطر وتداركوا الخطب الذي حل بهم فتبخرت الخلافـــات وتكثفت في التقارب الرغبات وتعانق الأشقاء ، وأصدر الزعماء الشـــيعة فتـــاوى

---

(1) أي الجهاد والمقاومة وهي لدى الأمريكيين تعني التطرف والإرهاب.

تؤكد على أن من قال هذا سُني ، وهذا شيعي فإنه منـافق إذ لا يصـح أن يكـون للمسلمين عنوانين.

وللمرة الأولى منذ عقود طويلة يُقيم المسلمون من السُـنة والشـيعة صـلاة الجمعة خلف إمام مسجد واحد ، وعقب الصلاة عمت المظاهرات وسـط وجنـوب بغداد مطالبة بالوحدة ونبذ الخلاف.

وفي شمال العراق فقد هدأت الأمور وتحسـنت الأوضـاع بعـض الشـيء واستمرت بعض الحوادث المتفرقة والمتقطعة التي يزكي نارها آلام الماضي وفتن المستعمر الجديد ودسائسه.

وآلاف العراقيين يتظاهرون في حي الأعظمية مساء اليوم انطلاقاً من سـاحة مسجد الإمام أبو حنيفة النعمان مطالبين القوات البريطانية والأمريكية بالرحيل.

وانتقاماً من العراقيين وتحويلاً لاهتماماتهم عن المطالبة بالرحيل فقد مارسـت القوات الأمريكية أعمالاً إنتقامية في تصعيد خطير وأسلوب جديد من نوعـه ضـد المدنيين العراقيين مما لا تُقرُه الأعراف أو الأخلاق أو القـوانين ، وذلـك عنـدما قامت تلك القوات بتفجير مخازن الأسلحة والذخائر من مخلفات الجـيش العراقـي والواقعة داخل التجمعات السكنية مما أدى إلى مصرع أربعـين عراقيـاً وإصـابة العشرات من المدنيين الآمنين.

كما قامت القوات الأمريكية بارتكاب مجزرة مُروّعة في الموصل فيما فتحت نيرانها على مظاهرة مناوئة للاحتلال فقتلت ١٠ أفراد على الأقل وأصـابت ١٥٠ آخرين.

ومن ناحية أخرى فقد أعلن "جي جارنر" الحاكم بأمر الله ، المندوب السـامي على العراق أن كركوك مدينة كردية ، الأمر الذي أدى إلى إثارة حفيظة الأتـراك حيث استدعت الخارجية التركية السفير الأمريكي لدى بلادها وسـلمته احتجاجـاً رسمياً على تصريحات حاكم العراق الأمريكي.

ومن جانبه فقد وجه "جي جارنر" كلمة للشعب العراقي عبر الإذاعة العراقيــة أشار خلالها إلى استئناف الخدمات الأساسية في العراق ، جاءت تلك الكلمة لتهدئة مشاعر العراقيين الذين يحملون قتلاهم في توابيت خشــبية علــى شــاحنات فــي مظاهرات مناهضة للولايات المتحدة بعد سلسلة الانفجارات التي تنفــذها القــوات الأمريكية وسط التجمعات السكنية للتخلص من أسلحة صدام – حسب زعــم تلــك القوات–.

وفيما يُعد لطمة على وجه الأكراد بعد أن انتهى دورهم في مساندة الأمريكيين لاحتلال العراق وهو ما اعتبره الأكراد خيانة من الأصدقاء حيث قامــت القــوات الأمريكية تدعمها طائرات الهليوكوبتر في نزع أسلحة البشمرجة "المقاتلون الأكراد" في المناطق البترولية في شمال العراق خاصة "كركوك – الموصل" وذلك لتــأمين عمل القوات الأمريكية ضد أي هجوم مناوئ وللحيلولة دون سيطرة الأكراد علــى حقول البترول في الإقليم ذات الأغلبية الكردية ، ممــا يُعــد تخليــاً مــن الإدارة الأمريكية عن مساندة الأكراد في إقامة دولتهم الكردستانية المســتقلة ذات الســيادة ضمن حدود معترف بها.

والثابت أن الولايات المتحدة لم تكن لتأتي إلى المنطقة وتحــارب وتتعــرض لهزات وأزمات داخلية وخارجية حتى ينفصل الأكراد بأغنى مدن العالم وأغزرهــا إنتاجاً للنفط ضمن حدود دولة كردستانية معترف بها يمكنهــا أن تهــدد الحليــف التركي القديم المتطور وتُعرّض بذلك المصالح الأمريكية برمتها للخطر.

ومن جهة أخرى فإن نزع سلاح البشمرجة يضمن تحييد الأتراك بعيداً عــن الصراع في العراق وتأمينهم إلى الحد الذي يقبل فيه الأتراك الدخول في مفاوضات مع الأمريكيين بشأن انسحاب القوات التركية من الأراضي العراقية التي تحتلها في منطقة الشمال العراقي منذ ما قبل بداية الحرب.

وكل تلك وسائل أمريكية تعمل على تهدئة الأمور واستقرار الأوضاع لقـوات الاحتلال الأمريكي ليتيسر للأمريكيين نهب البترول العراقي بلا منازع أو رقيـب في ظل غيبة كاملة للجامعة العربية ودول الجوار بالإضافة إلـى تحجـيم الأمـم المتحدة .

أما عن مكافأة الأمريكيين للأكراد على مواقفهم الحميدة فإنها مطروحة للأمام إلى حين تشكيل حكومة عراقية تقبل تقسيم العراق إلى ثلاثة كيانات علـى الأقـل يكون الكيان الكردي إحداها بحيث يتمتع الأكراد بحكم ديمقراطي علماني مسـتقل يعمل في إطار نظام فيدرالي صريح تحت وصاية أمريكية معلنة .

وفي الثامن والعشرين من أبريل .. ووسط إجراءات أمنية مشددة انعقـد فـي بغداد مؤتمر للأحزاب السياسية والقوى المختلفة الهوية تحت رعاية "جي جـارنر" وقد حضر ٦٠ شخصاً من العشائر والمستقلين والأحزاب انتظاراً للمـدعوين إليـه وعددهم يداني الأربعمائة مدعواً.

وقد تحدث "جارنر" في بداية الإجتماع وركز على أمرين أساسيين :

الأول : إعادة الإعمـار

الثاني : تشكيل حكومة عراقية

وأعلن جارنر أن بلاده سوف تتولى الأول وأن الحاضـرين فـي المـؤتمر يقومون بالثاني.

وهو ما يعكس حقيقة النيات الأمريكية وتوجهاتها لافتراس الغنيمة الاقتصادية والسطو على الوليمة العراقية ، حيث تأتي إعـادة الإعمـار لتحريـك الاقتصـاد الأمريكي الراكد ، وتوفير فرص العمل ، وخلق مجالات للاستثمارات الأمريكيـة أولى بالاهتمامات الأمريكية من الصراعات الدامية على السلطة في العراق وهو ما عبر عنه جارنر بقوله إعادة الإعمار.

أما قول "جارنر" بشأن قيام الموجودين في المؤتمر بتشكيل حكومة بلادهم فإنه تصريح سياسي أشبه بالمؤامرة حيث أنه يهدف إلى إعلان العالم بأن الأمريكيين لن يتدخلوا من قريب أو بعيد في تشكيل حكومة العراق ، لأن هذا شأن عراقي داخلي صميم يقرره العراقيون أنفسهم دون أدنى ضغط أو تأثير ، أما في حقيقة الأمر فإنه يعني فتح أبواب الصدامات والمصادمات والشحناء أمام المعارضة العلمانية العائدة من المنفى والأصولية المتشددة في الوسط من السنة وفي الجنوب من الشيعة ، والبعثيين من بقايا النظام السابق ، والصدّاميين الخائنين المتآمرين من أصحاب سقوط بغداد ، والموالين لإيران والحالمين باندماج العراق في عمل عربي موحد والأحرار المقاتلين الداعين لرحيل المعتدين فضلاً عن مطالبة الأكراد بالانفصال التام في دولة مستقلة ، بينما تنشق عليهم جماعة التركمان التي تنادي بالعودة إلى أحضان تركيا الأم.

وكلها مؤشرات تطمئن الجانب الأمريكي إلى عدم إمكانية التوصل إلى مساحة اتفاق أو أسلوب وفاق للتيارات العقائدية المختلفة التي ستقود العراق إلى مزيد من التوتر ومزيد من الصراعات التي سوف تحسمه القوات الأمريكية في نهاية المطاف بعد أن يتقاتل العراقيون على السلطة فيقبلوا حينئذ الطرح الأمريكي بتقسيم العراق الذي ستفرضه أمريكا إما بالقوة أو "المسايسة" ، فليشتغل العراقيون بالانتخابات وليسعدوا بالحرية والديمقراطية الأمريكية وليذهبوا إلى الجحيم.

ولدينا نموذج حاضر للتدليل على قولنا فهذا هو مرشح البنتاجون أحمد شلبي الذي عقد مؤتمراً صحفياً في نادي "المنصور الأمل" في بغداد مساء الجمعة ٤/١٨ وقال مراسلوا وكالات الأنباء أن شلبي "الكلبي" لم يتحدث في مؤتمره بأي كلمة عربية ولم يدعو الوكالات والصحافة العربية لمؤتمره ، وقد اصدر أوامره لأتباعه بمنع أي قناة فضائية عربية من إجراء حوار معه أو توجيه أي سؤال إليه "إنه النموذج الأمريكي لرئاسة بلد عربي" .

ومن ناحية أخرى وبعيداً عن السياسة نقلت وكالة رويترز للأنباء عن القيادة العسكرية الأمريكية في قطر أنها أعلنت في ٤/١٦ عن سعيها لإنتاج مليون وستمائة ألف برميل يومياً من حقول النفط العراقية في غضون أسابيع لتستعيد بذلك ثلثي قُدرة العراق الإنتاجية قبل الحرب ، وقال المتحدث أن إعادة تشغيل ضخ البترول العراقي بكامل طاقته يستغرق مدة تتراوح من ١٢ : ١٥ أسبوع.

وهو ما يؤكد على أن أمريكا تركت العراقيين يهنأون بالممارسة الديمقراطية الدموية وذهبت هي إلى حيث النفط للاستيلاء عليه سداداً لعملية غزو العراق واحتلاله وتخريبه والإطاحة بنظامه الشرعي ولتدبير ما يُسمى بحسب زعمها "إعادة إعمار العراق" .

وليس من العجيب أن تستولى القوات الأمريكية على نفط العراق ، لأنه هو الباعث الأول والهدف الأسمى الذي جاءت من أجله . فلا عجب أن تستولى عليه وأن تهيمن على مناطق إنتاجه أو أن تحيلها إلى مناطق عسكرية أو أن تقيم القواعد العسكرية لحماية تلك المناطق.

ولا عجب كذلك في سطوها عليه وإرساله إلى قواعدها بالكويت باعتبارها المتصرف الفعلي والرسمي فيه ، وذلك ضمن عملية هي الأكبر حتى الآن في السطو المنظم على بترول العراق منذ الاستيلاء على حقول النفط الجنوبية مع بداية العدوان على العراق.

وقد قال الكولونيل قائد الوحدة البريطانية الخاصة في حقول الرميلة [كل القوات الأمريكية آلاتها – سياراتها – طائراتها – دباباتها ، كلها تسير باستخدام الوقود المستخرج من النفط العراقي وأضاف: قاموا مع بدء الحرب في مد أنابيب للنفط إلى الكويت عبر صحرائها الغربية يتولى تأمين حاجات القوات الأمريكية من الوقود ويتزامن مع وصول قوافل سرقة النفط العراقي في سيارات مجهزة عملاقة تنقله إلى الكويت].

وفيما يعد تناقضاً قائماً بين التصريحات الأمريكية هناك عن انسحاب منظم لقوات المارينز من العراق رصدت عدسة قناة النيل للأخبار "المصرية" تدفقاً يومياً[1] عن طريق البر لعشرات الدبابات والمدرعات الأمريكية مع ظهور معدات وقطع بحرية للمرة الأولى تتعلق بقوارب الدوريات البحرية والمعابر فوق الممرات المائية "جسور الكباري المتحركة" وذلك من أجل حماية المصالح في بلد نفطي من قبل مستعمر جاء يبحث عن النفط ضمن محاولات البحث عنه في أرجاء العالم الأربع.

وفي الرابع والعشرين من أبريل أبحر نحو ٥٠٠٠ جندي أمريكي من المتمركزين في ألمانيا في طريقهم إلى العراق ليحلوا محل القوات الأمريكية التي تعود إلى بلادها بعد أن أنهت عملية إحتلال العراق لصالحها.

وفي التاسع والعشرين من أبريل أعلن قائد عسكري أمريكي أن الولايات المتحدة سترسل تعزيزات عسكرية لبغداد لدعم الأمن في العاصمة العراقية تتراوح أعدادهم ما بين ٣٠٠٠ : ٤٠٠٠ من المشاة والشرطة العسكرية خلال الأسبوع القادم .

يأتي هذا في ظل الترويج والدعاية الأمريكية بشأن سحب قوات المارينز من بغداد متوجهة إلى الكويت ، بينما المظاهرات الحاشدة تنطلق في بغداد احتجاجاً على الاحتلال الأنجلو أمريكي للبلاد.

وبين الألم والأمل في توفير الحد الأدنى من متطلبات الحياة اليومية التحتية للأطفال الرضع والمشايخ الركع وهم أسرى الفقر والجوع والقصف والحصار والمرض يقع العراقيون ضحايا المتاجرين بآلام الناس وآمالهم.

وهذا هو محمد محسن الزبيدي "الصدامي" وقد توهم حيازته لرضا الأمريكيين فقد نصّب نفسه حاكماً على بغداد وأصدر أوامره بطباعة نماذج معينة لراغبي

---

(1) سيد حمدي – قطاع الأخبار – مجمع الرميلة ، مساء ٢٠٠٣/٤/١٩.

العمل وبيعها مقابل ٢٥٠ ديناراً عراقياً للاستمارة الواحــدة ، وجــاء رد القيــادة الأمريكية ببطلان صنيعة "الزبيدي" وإبطالها واعتقله ، واشترى العراقيون الــوهم الذي ابتاعوه بعد أن صرفت قوات الاحتلال مرتبات عمال السكة الحديد بالــدولار الأمريكي في ٤/٢٦ وقد أعلنت الإدارة الأمريكية أن تلك الأموال سيتم اســتقطاعها من الأرصدة العراقية المجمدة في الخارج ، علماً بأن قراراً سابقاً في ٤/١٦ كــان قد صدر عن المحتلين مفاده اعتماد الدولار الأمريكي عملة رسمية في العراق لمدة ٦ أشهر قابلة للتجديد إلى أن يتم الاتفاق على إصدار عملة عراقيــة جديــدة فــي العراق الذي يعيش بدون قواعد نظام نقدي وليست به سيولة كافية.

هذا وقد رصدت القوات الأمريكية في وقت سابق من هذا الشهر قراراً برصد ٢٠٠ ألف دولار أمريكي مكافأة شخصية لكل من يدلي بمعلومات تقود إلى اعتقال أحد القادة البارزين في النظام السابق وحددت ٥٥ شخصاً هــم إجمــالي الأفــراد المطلوبين.

وقد بدأ هؤلاء بالسقوط أو التساقط بأيدي الأمريكيين وفي مقدمتهم أخوين غير شقيقين للرئيس العراقي "صدام حسين" ، "حكمت العزاوي" نائــب رئــيس مجلــس الوزراء العراقي السابق ، "سمير محمد النجم" العضو القيادي البارز فــي حــزب البعث ووزير النفط بالوكالة ، في حين سلم نفسه طواعية عالم غــاز الأعصــاب المهندس "عماد حسين عبد الله العادي" وحذا حذوه "طارق عزيز" ولكــن بموجــب اتفاق مسبق عبر وسطاء لم يتم الكشف عنهم ، ومؤخراً احتجزت القوات الأمريكية "عامر رشيد محمد وزير النفط العراقي السابق ومستشار الــرئيس العراقــي ، ولا يزال المسلسل مستمراً والعرض مفتوحاً.

وحتى مُشارفتنا على إنهاء عملنا هذا أعلن متحدث عســكري أمريكــي عــن استسلام واعتقال قرابة ٥٠%[1] – أي نصف – القائمة المطلوبة تقريبــاً ، الأمــر

---

(1) مع نهاية يونيو ٢٠٠٣ .

الذي به يمكن التأكيد على أن كثيراً من القادة العراقيين قد استشهدوا في المجــزرة الجماعية التي ضمت الرئيس العراقي ذاته بين شهدائها وهو الخبــر الــذي نقلتــه وكالات الأنباء منذ أيام وذكرت فيه نجاة عزّه إبراهيم وسحمد ســعيد الصــحاف ، بينما نفته مصادر أخرى.

بوضـــــوح ..

أعلن مسئول أمريكي كبير رفض ذكر اسمه أن الولايات المتحدة وحلفاؤها في التحالف الذي شكلته لغزو العراق والإطاحة بحكومته قد بدأ بإعداد قوة دولية لتنفيذ الاستقرار في العراق وذلك من خلال تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق تتم إدارة كــل منها بمعزل عن الأخرى ، وأضاف المسئول أن الولايات المتحدة وبولندا وبريطانيا وسوف تتسلم قيادة هذه القطاعات وأنها سوف تقترح علــى دول أخــرى تفضــل السلام في العراق المشاركة في القوات المقترح إعدادها.

ومن الجدير بالذكر أنه من شأن تطبيق هذه الفكرة استبعاد قوة تنتدبُها الأمــم المتحدة والقضاء على أي دور للأمم المتحدة في إدارة العراق كمــا أن المتحــدث الأمريكي لم يحدد حجم القوة المقترحة بشكل دقيق إلا أنه ذكر أن الولايات المتحدة وبريطانيا وبولندا وأوكرانيا وإيطاليا وأسبانيا والدانمارك وبلغاريا وهولندا وألمانيا، كل هؤلاء عرضوا تقديم جهود لعملية حفظ الأمن المستقلة بعيداً عن الأمم المتحــدة إلا أنه لم يذكر أن تلك القوات سوف تعمل تحت الإدارة الأمريكيــة المباشــرة وإن كان يعنيه ضمناً.

بـــــول بريمـــــر ..

وعلى الجانب الآخر فإن الإدارة الأمريكية عقدت العزم علــى الفصــل بــين سلطتين :

الأولى : الإدارة "أيا كان مسماها المدنية أو العسكرية"

الثانية : إعادة الإعمــار

يتولى الثانية "جارنر"

ويعهد بالأولى إلى مرشح الرئيس الأمريكي "بوش" المدعو "بول بريمر" وهو الخبير في مكافحة الإرهاب ليتولى رئاسة الإدارة المدنية للإشـراف علـى إعـادة إعمار العراق.

وقد تولى بريمر منصب المساعد التنفيذي والمساعد الخاص لستة من وزراء الخارجية الأمريكيين ، وقد عينه الرئيس الأسبق "ريجان" سفيراً لبلاده في هولنـدا في المدة من ٨٣ : ١٩٨٦م ثم عُيِّن سفيراً في الخارجية الأمريكية لشئون مكافحـة الإرهاب ، حيث كان مسئولاً عن تطوير وتنفيذ السياسات الدولية لمكافحة الإرهاب التي تتبعها الولايات المتحدة ، كما كان كبير مستشاري الرئيس ، ووزير الخارجية الأمريكية بشأن الإرهاب في الأعوام الثلاثة التالية إلى ١٩٩٩.

يذكر أن "بريمر" عضو في المجلس الاستشاري للأمن المحلي الـذي يرأسـه "بوش" ، كما رأس اللجنة القومية لمكافحة الإرهاب.

وكتب "بريمر" مقالاً في صحيفة الواشنطن بوست تايمز في يناير مطلع العـام الحالي بعنوان "وضع خريطة لطريق الحرب" قال فيه : [هذه الحـرب لا يمكننـا كسبها إذا اتخذنا موقفاً دفاعياً .. لذا علينا أن نكون البادئين في الهجوم .. لأقولهـا بصراحة .. علينا أن نقتل الإرهابيين قبل أن يقتلونا] (١) .

وقد سارعت الإدارة الأمريكية بجعل مسألة إدارة النفط العراقي في معزل عن التطورات الحالية ، ولم تتمهل حتى يتم تشكيل حكومة عراقية انتقالية أو عسـكرية مؤقتة أو دائمة ، إلا أنها أبت غير تشكيل فريق لإدارة شئون النفط العراقي برئاسة خبير أمريكي.

وذلك لأن عملية تشكيل حكومة عراقية تمثل جميـع الاتجاهـات والتيـارات والأحزاب في المرحلة الحالية يعدّ درباً من المستحيل ، وهو الـذي تنشـده الإدارة

---

(١) في إشارة لما يُسمى بالحرب على الإرهاب.

الأمريكية وتعمل لأجله لأنه في غير الصالح الأمريكي ، إذ سوف يـدفع بعجلـة الإصلاح الاقتصادية إلى الأمام وبسرعة لرغبة العراقيين الشديدة في عبور حالـة اليأس والفقر تدفعهم لذلك آمالهم في تخطي العثرة القائمة بالعبور إلى غـدٍ أفضـل عن طريق الإنتاج والتنمية والتطوير والتحديث وهو ما يُقوِض الأطماع والمصالح الأمريكية على إطلاقها.

أما إفشال الاتفاق أو تأجيله بشأن تشكيل حكومة إنقاذ مؤقتة أو حكومة شرعية منتخبة بالانتخاب الحر المباشر وفقاً للاتفاقية الدولية بشأن مباشرة حقوق الإنسـان المدنية والسياسية ، فإنه سيجعل أمريكا في وضع يمكنهـا مـن تأكيـد خططهـا الاقتصادية تناسب ميولها وتوافق رغباتها وتحقق أطماعها بحيث يعـيش العـراق حيناً من الدهر عدم استقرار اقتصادي أو سياسي أو أمني ، ومن ثم فإنه يدخل في صراعات سياسية وعقائدية وجغرافية بعد أن يكون قد تم تقسيمه إلى ثلاثة كيانـات "دويلات" لكل منها نظامها الخاص وفي معزل عن الأخرى حتى يركب العراقيون قطار الفحم والبخار الذي تدور عجلاته إلى الخلف وبسرعة كبيرة ليبيت العراقيون في بلد

الجرذان والفئران

والبوم والعقبان

وتنبح فيها الكلاب

وتعوي فيها الذئاب.

"أهكذا تكون حرية العـــراق ..؟!"

(ب) الموقـف العربي :

ذكرنا سابقاً أن "كولين باول" حضر إلى المنطقة قبل بدايـة العـدوان علـى العراق في محاولة جادة تهدف إلى حشد الموافقة العربية خلف الضربة الأمريكيـة المحتملة ، وتنقل من دون كلل بين عدد من العواصم العربية والإسلامية وبعـض العواصم الأوروبية ، وعاد إلى حيث أتى لا يحمل معه إلا رفضـاً عربيـاً أكيـداً وقوياً لما يحمله في حقيبته من وعود أو وعيد ولما في رأسه من سـموم وأفكـار تمثل رغبة بلاده في توجيه ضربة عسكرية قاسمة للعراق ، وهـي رغبـة ملحـة اعتلت أولويات الإدارة الأمريكية في ترسيم السياسة العالمية ، وسبقت كل الرغبات الأمريكية بل وتسيدتها واستبقت مع الزمان حتى استقرت لتجعل العراق فوق مائدة شهية يلتهمها وحيد القرن شيئاً فشيئاً متى شاء وأنى شاء.

وتأتي عملية ضرب العراق كواحدة من مؤامرات شرسة تـدار فـي السـر والعلنية ضد الأمة العربية خاصة والعالم الإسلامي عامة.

إن المؤامرة الحديثة على العالم العربي ليست وليدة الساعة وليست كذلك وليدة لحرب الخليج الأولى وتداعياتها ، إن هي إلا امتداد لمسلسل الحمـلات الصـليبية على الشرق والتي انكشفت أهدافها علناً بتنفيذ "وعد بلفور" وبـإعلان قيـام دولـة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ عندما كانت النكبة الأولى بضياع فلسطين في أخـس وأحقر صنيعة استعمارية بريطانية أمريكية خالصة في الـزمن الحـديث ، وبعـد نصف القرن من الزمان وخمس سنوات سقط العرب من جديد في بئر العار للمرة الثانية ، وهي الأولى في القرن الجديد في الألفية الجديدة بسقوط العراق في براثين الاستعمار المباشر من خلال أحدث صنيعة استعمارية (أمريكية – بريطانية) أيضاً مما يقطع الشك باليقين ويجزم بأن الأمور تسير نحو استعمار العالم العربي وفقـاً لبرامج موضوعة وأُطر محسوبة وخطط مدروسة ، ولا من قبيل المصادفة التـي تصنعها الأحداث الطارئة ، ولا أعتقد بأن احتلال العراق هو الحلقة الأخيـرة فـي

الوقت الراهن إن هو إلا التحرك الأول بالخطوة الأولى في الربع الأول من القـــرن الأول في الألفية الجديدة.

إن الحرب العدوانية على العراق واحتلاله عسكرياً أياً كانت الذرائع والدواعي هي استطلاع لرد الفعل العربي الرسمي والشعبي ، وكشف حقيقة إمكانيات الجامعة العربية وقدراتها بعد التعديل الذي أُدخل على ميثاقها بشأن انعقاد القمـــة العربيـــة بشكل دوري سنوي ، كما يهدف إلى كشف الأنظمة والحكومات العربية الملتصـــقة بأمريكا والأكثر التصاقاً والتعرف على كيفية معالجتهم مع قضايا شعوبهم الثـــائرة وذلك لتحديد الخطوة التالية وبدقة متناهية مبنية على حقائق راسخة وقواعد ثابتة.

وجـــاء الـــرد العـــربي ..

- مظاهرات حاشدة في العواصم والمدن العربية تـــرفض الحـــرب وتنـــدد بهـــا وتطالب بوقف العدوان ، كما يطلب المتظـــاهرون مـــن حكومـــاتهم التحـــرك الفوري لفعل أي شيء في سبيل إيقاف عجلة الحرب بما في ذلك طرد السفراء الأمريكيين والبريطانيين من العواصم العربية وقطع علاقات الـــدول العربيـــة بالدولتين وعلى كافة المستويات.
- تسابق المواطنون في العالمين العربي والإسلامي إلى التطوع للقتال إلى جانب العراقيين في مواجهة العدوان الأنجلو أمريكي على العراق والذي يهدف إلـــى توسيع دائرة اعتداءاته وغزوه للبلاد العربية في مراحل لاحقة وغير بعيـــدة ، بل ووصلت بضع آلاف منهم إلى جبهات القتال مباشرة.

وجاء رد الفعل العربي الرسمي مخيباً لآمال الجماهير العربية المتحمسة لصد الهجمة الشرسة ودحرها ، حيث كان الأمل يحدوهم فـــي تفعيـــل العمـــل العربـــي الجماعي ووضع اتفاقية الدفاع العربي المشترك موضع التنفيذ ، مـــدفوعين بـــدافع الغيرة على إخوة الدين والوطن واللغة شركاء الحضارة وصنَّاع المجد والتـــاريخ ، ويرمون إلى وأد المخطط الإمبريالي الأمريكي في إقامة إمبراطوريته في الشـــرق

على أطلال ديارهم ، والقضاء على بذرته الأولى قبل أن يتم الحمل السفاح فيـأتي في المشرق العربي بمغتصب جديد يمسك بمفاتيح البوابة الشرقية للعالم العربي كما يُمسك أبناء صهيون في فلسطين بتلابيب الوسط العربي.

ولم تجد الشعوب العربية من أنظمتها الحاكمة ما يشير إلى إمكانية عمل مـا من أي نوع أو بأي حجم ولو بمجرد قطع العلاقات الاقتصادية. إنما وجدوا بعضـاً من التصريحات والأحاديث الإذاعية التليفزيونية والردود على الأسـئلة الصـحفية التي تهدف إلى تهدئة ثورة المتظاهرين من خلال سكب برودة التصريحات علـى نار صدورهم المتأججة.

هدأت ثورة الثائرين من المتظاهرين وانتصرت إرادة القادة العـرب بـالتزام الحياد التام وسقط العراق ، ووقف وحيد القرن في بغداد وحده يخور على أرضـها وحيداً بلا ضابط أو رادع . حتى جاء صباح الثلاثاء ٢٠٠٣/٦/٢٤ حيث قامـت القوات الأمريكية المتواجدة في غرب العراق بالاشتباك مباشرة مع قـوات حـرس الحدود السورية المرابطة على الحدود مع العراق بحجة مطاردة سيارات عراقيـة هاربة صوب الحدود مع سوريا ، وقد تمكنت القوات الأمريكية من الإيقاع بـبعض من الجنود السوريين وترحيلهم إلى بغداد وقد اعتبرتهم القيادة السياسـة السـورية "أسرى حرب" لدى الأمريكيين.

وبينما يعيش العراقيون أحلك وأصعب أيامهم في عراقهم الجديد يـأتي خبـر اعتقال صاروخ الإعلام العربي "محمد سعيد الصحاف" كالصاعقة في أثره كونـه يُصيب الأغيار والأحرار العرب بحالة غير مألوفة من اخـتلاط المشـاعر بـين الفرحة لكونه حياً يُرزق ولم ينتحر كما أشيع سابقاً ، وقد أكدت مصادر عديدة بنبـأ انتحاره ، وبين مصيره المجهول عند "الأرتال – الأوغـاد – علـوج الاسـتعمار"

بحسب قول الصحاف نفسه[١] وذلك بعد أن سقط معتقلاً في أيديهم مساء الاثنين ٢٣ يونيو ٢٠٠٣ ..

وتستمر رياح التغيير في هبوبها ..

(ج) الإعلام العربي

على مدار الساعة رأينا أحداث تدمير العراق وإحراقه عبر الفضائيات العربية وغير العربية ، ومثلنا فقد رأى الكثيرون وسمعوا بالقبائح والوحشية والهمجية والعربدة والوقاحة والنسف والقصف بالأسلحة المشروعة وغير المشروعة للأهداف العسكرية والمدنية بغير تمييز ، وقد رأينا كذلك تعمد قصف ونسف محطات الكهرباء والمياه والسدود وخزانات المياه وقصف المدنيين من الأطفال والشيوخ والنساء ، وهدم منازلهم على رؤوسهم بالأسلحة الذكية والغبية معاً – بما يوضح بجلاء الهدف الأمريكي غير المعلن من تلك الحرب إلى جانب تدمير العراق وهو أن يفقد العراق جيلين كاملين من أبنائه حتى يمكن إخضاع العراق بعد أن بُترَ بنائه.

أما الإعلام العربي الرسمي "الحكومي" الذي يخاطب العامة من الشعوب العربية مباشرة فقد تباينت كيفية معالجته وتناوله للأزمة العراقية وإن اتفقت جميعها على الظهور ولو مصادفة على التعامل مع حجم الكارثة الراهن ومستجداتها وتداعياتها وكأن العراق إحدى جزر الواق واق.

فثمة توجه إعلامي عربي التزم بخط فكري لا حياد عنه وهو مناصرة وتأييد الحرب الأمريكية على الآلة العسكرية العراقية التي باتت وإلى حين تمثل خطراً على أصحاب هذا التوجه.

---

(1) أفرجت عنه سلطات الاحتلال الأمريكي صباح الثلاثاء ٦/٢٤.

وثمة لون آخر من التوجه الإعلامي العربي يناصر العراق على طول الخـط وهو ملتزم بالتعبير عن فكر قادته وتبني سياستهم التي لم تتوانَ عن دعم العراق لا عن طريق الدعم الإعلامي فحسب بل بتقديم العون الاقتصادي والعسـكري حتـى سقط العراق بفعل الخيانة وذلك على الرغم من تصـاعد موجـات التهديـد التـي أضحت تهدد أصحاب هذا التوجه بأن تلقى نفس المصير الصدّامي.

وإعلام ثالث يُعلن الرفض والاستنكار أو الشجب والإدانة في أوقات متفرقـة وعلى استحياء طبقاً لرؤية قياداته السياسية.

ولون رابع يمكن وصفه بأنه إعلام محيّر ، فهو يعرض الخُطـب الحماسـية والتصريحات الناريـة فـي اللقـاءات الجماهيريـة ، إلا أن أصـحابه يعكسـون تصريحاتهم في اتجاه عكسي بمقدار ٣٦٠ درجة حال الحديث عن البابـا "بـوش" والأميرة "كا" على اعتبار أن الأخيرة هي إله الحب والعطاء والخير والنماء وهـي أيضاً إله يهب البقاء أو يقضي بالفناء حسب زعم هؤلاء.

وهكذا فقد رأينا الإعلام العربي بأكثر من عينٍ ، وسمعناهُ بأكثر من لسـان ، وتباينت حدة أصواته طوال فترة الاعتداء على العراق كما كان الحال قبل إعـلان الحرب عليه.

وبدا لسان العالم العربي المُدافع عن وجوده أقل كثيراً من الإعلام الأوروبـي المناهض للحرب دفاعاً عن مصالحه ، ثم بدا متخلفاً للمرة الثانية بعد سقوط العراق والإطاحة برئيسه ولم يستطع الإعلام العربي العمل في منظومة جماعية تعبر عـن طموحات الأمة وتخاطب العالم بلسان واحد في هذه المرحلـة الحرجـة والدقيقـة البالغة التعقيد في ظل احتلاله دولة عظمى لقطر عربي عظيم.

فالمصفقون للإطاحة بصدام حسين ونظامه يقـابلهم البـاكون عليـه وعلـى عروبته.

والمهللون للمشروع الأمريكي المبتدئ بما يُسمى تحرير العراق يقابلهم الباكون على طليعة الاستعمار الأمريكي للشرق.

والمنتفعون من تحقيق بعض المصالح مما يسمى بإعادة الإعمار يقابلهم الباكون على الخسائر والركود والبطالة في تركيا وسوريا والأردن ومصر.

والمؤيدون الفرحون بالتواجد العسكري الأجنبي في المنطقة العربية يقابلهم الرافضون له ، وهم المطالبون بمعاهدة الأمن الجماعي وبتفعيل اتفاقية الدفاع العربي المشترك.

على كل فقد هلل بعض من الإعلام وكبَّر وتراقصت إدارته لرحيل صدام وسقوط نظامه وبعضٌ حَزِنَ واهتم وبكى لسقوط بغداد ورأى أنها مجرد نقطة البداية.

أما هؤلاء الفرحون المهللون المغتبطون بسقوط تمثال صدام وتحطيمه على أنه رمز لرحيل الديكتاتورية الباغية التي أطاحت بها الديمقراطية ، إنهم الشاربون من كأس الخديعة الأمريكية وسوف تدور عليهم الدوائر.

لقد كنا أشد حرصاً منكم على الفرح والسرور بانتصار الديمقراطية وسحق الديكتاتورية إذا ما جاء التغيير بفعل الإرادة الشعبية والرغبة الجماهيرية التي تفرض سيادتها ووجودها وتصون كرامتها وحقوقها ، لا أن تكون ديمقراطية القهر والاحتلال والسلب والنهب والتدمير والإحراق ، لا ديمقراطية أم القنابل وعوابر القارات.

واختلف الإعلام العربي أشد اختلاف حين تناوله لمأساة سقوط بغداد ولم نجد عرضاً أميناً يُعبّر بصدق عن حقيقة الأحداث إلا ما كان عند تحطيم تمثال صدام حسين الموضوع بحديقة الفردوس بوسط بغداد ، أما من حول الحدث فهم الذين سبق القول فيهم في غير موضع.

وأقرب الافتراضات التي يقبلها العقل ويرتضيها المنطق هو أن الشعب العراقي لم يُلقِ تمثال رئيسه بالأحذية ولم يضربه بالنعال.

إن الشعب العراقي كان يحتفل بصدام حسين في مظاهرة حب وتأييد ومبايعة وإصرار على القتال على الرغم من دخول القوات الأمريكية إلى العاصمة بغداد وبسط نفوذها على أكثر من ٧٠% من مساحة العاصمة وضواحيها خلال ساعات قليلة من صباح ٤/٩ حيث لم يعلم صدام بما حدث وهو ما يؤكد على أن صدام لم يخن البلاد أو المبادئ ، وأن الخيانة وقعت من بعض رجاله ومعاونيه وأقاربه.

ومن المثير للدهشة أن الإعلام العربي على إطلاقه تحدث عن سقوط بغداد وكأنه لغز محير ولوغاريتم مُعقد ، وقد تحدث معظمه في كثير من الافتراضات وخاض في عديد من الاجتهادات وقد أشارت أصابع الاتهام إلى صدام حسين ذاته بأنه باع العراق ورحل وعاشت الجماهير العربية في حيرة من أمرها حتى خرجت علينا محطة التليفزيون الأمريكية CNN في ٢٠٠٣/٥/١٣ مُعلنة وعارضة علنيا شريط فيديو للرئيس العراقي وهو يُلقي آخر خطبه العسكرية قبيل هروبه من بغداد إلى تكريت "قبيل الإطاحة به بحسب قولها" بدقائق.

وقد أعلنت CNN أن وكالة الأسوشيتدبرس تمكنت من الحصول على الشريط الذي لم يُبث ويحمل الختم الرئاسي من أحد العاملين في القناة الفضائية العراقية التي كانت مسئولة عن تسجيل وبث المناسبات الرئاسية الرسمية ، وأشار الموظف إلى أن تسجيل الشريط تم في التاسع من الشهر الماضي ذات يوم دخول القوات الأمريكية إلى العاصمة بغداد وتحطيم تمثال صدام حسين المنتصب في وسط العاصمة.

وقد ظهر صدام حسين في الشريط بملابسه العسكرية وبدا مُجهداً للغاية وتحدث ببطء على غيرالمعتاد ، وفي بداية الشريط ظهر صدام وهو يقول لمساعديه كلما انتهينا بسرعة كلما كان أفضل "في إشارة للتسجيل".

ولعل هذا الشريط يُسكت الميكروفونات التي تتغنى بخيانة صدام ورفاقه ويدحض بالكلية ويُخرس الألسن التي لا تخدم إلا المصالح الأمريكية والأطماع الأمريكية والثقافة الأمريكية ولم يمض شهر مايو ٢٠٠٣ حتى قضى الله جل وعلا في شأن صدام حسين وإبراء ذمته وطهر ساحته.

فجاءنا شاهد من غير العرب ليس من بني جلدنا أو ديننا إلا أنه جاء ليفعل فعل الحسم في هذه القضيةُ الخلافية ويقطع كل لسان ينطق بخيانة صدام حسين ، ويطوي صفحات الملف الذي خاضت فيه الألسن شر خوض وهو ملف "سقوط بغداد" إنه لسان صحيفة [لو جرنال دى ديمانش] في عددها الصادر بتاريخ الخامس والعشرين من مايو ، وقد أوردت الصحيفة على صفحتها الأولى الخبر التالي : [ماهر التكريتي ابن عم صدام حسين تلقى ملايين الدولارات مقابل فتح بغداد أمام القوات الأمريكية] .. انتهى .. وانتهى بذلك عندي الخوض في هذا الموضوع.

كلام في السياسة ..

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره جاء رد الفعل الرسمي العربي في مواجهة الأحداث دون المستوى ومتخلفاً كثيراً عن مواكبة التطورات وملاحقة المتغيرات ، فعلى صعيد الأزمة التي نحن بصددها سمعنا رأياً نادى أصحابه بأن يُقدم صدام على التضحية لأجل شعبه وبلاده فيتنحى عن السلطة ويغادر العراق – أي يرحل – وهو رأي لا يعبر إلا عن السذاجة السياسية لأصحابه ورأي آخر نادى أصحابه الإدارة الأمريكية ورجوها عدم التوسع في قصف المدنيين وكأنه يقول : أيها الجزار كُن رحيماً بهم وأنت تقوم بذبحهم .. أيها الأب الكريم "بوش" اقتلهم برحمة وبشويش .. وتلك غاية طموحات هؤلاء. إلا أنهم لم يفهموننا كيف يتفادى الصاروخ عابر القارات الأهداف المدنية من غير انحراف عن هدفه الأصلي ..

وآخرون حاولوا امتصاص غضب شعوبهم من خلال عرض الاتصالات التليفونية أو تلقيها من أو إلى هنا أو هناك في جهود حثيثة لا تؤثر بحال في سير

العمليات أو تخفف من حدة الموقف الأمريكي المتشدد بغية توقف عجلـة الحـرب المجنونة التي تدور على الأرض العربية لتبيد شعباً عربياً بقدر ما تؤثر في تطييب خاطر الجماهير وتهدئة مشاعرها.

إن الكثيرين من بني جلدنا ووطننا قد تغنوا برحيل صـدام حسـين وبسـقوط نظامه وغلبتهم تلك السعادة فلم يستطيعوا إخفائها ولا أجدُ مبرراً لهـذا المسـلك إلا لأحد أمرين.

الأول : مجاملة البابا "بوش" والطمع في كرمه وفيض عطاياه أو خوفاً منه واتقـاء لشره.

الثاني : أن يكون الإحساس بالسعادة هو نتاج قناعة شخصية ورضا تام بما آل إليه الحال.

وعندئذ تكون المصيبة الكبرى التي تقع بحق الآخرين إذ لا يصـح أن تـذكر الشماتة لأخيك فيبرئه الله ويعفيه ويبتليك.

إن تاريخ العالم الثالث كله زاخر مكتظ بمثل هذه الحالة غير الشاذة وليسـأل هؤلاء أنفسهم والآخرين.

ولسوف تسبق أسئلتهم إجابة ألسنتنا ..

إن غالبية شعوب العالم الثالث ليست راضية عن نُظُم الحكم فيهـا وتـرفض قبولها على علاتها ، وللتدليل على ذلك يمكن النظر غرباً في الأرجنتين والبرازيل ومحاولة التمرد وقلب نظام الحكم في موريتانيا مع أول يونيو ٢٠٠٣ ومحـاولات المسلمين الانفصال بالإقليم الشمالي في ساحل العاج "كوت ديفوار" بعيداً عن الحكم المسيحي المتشدد ، ومحاولة المسيحيين بالانفصال في جنوب السودان ، ثم انظـر إلى أقصى الشرق واسترجع مشكلة إقليم تيمور الشرقية ، وما عليه الحال الآن من دعوات بعض الجزر الأندونيسية للانفصال عن جاكرتا.

وعالمنا العربي المنتمي للعالم الثالث ذاخر بالمعطيات المثيرة للتعجب والمحيّرة للألباب.

إن الحديث الدائر الآن عن ديكتاتورية صدام حسين سبقه الحديث عن ديكتاتورية جمال عبد الناصر ، واللاعنون لحزب البعث العراقي بعد سقوطه سيلعن أمثالهم غداً حزب البعث السوري متى سمحت الظروف أو تغير النظام ، والقائلون بحُجة السجون السرية في العراق يعلمون أن أكبر وأوسع منها موجود في أعتى دول العالم ديمقراطية.

إن الرئيس السوداني الأسبق "جعفر محمد النميري" ظل طوال مدة ولايته للسودان في قلب كل سوداني ، وما أن جاء إلى مصر لاجئاً سودانياً حتى طالب به السودانيون مصر لمحاكمته عن جرائم نسبوها إليه.

ألم يصُب المصريون لعناتهم على الاتحاد الاشتراكي الذي كثيراً ما غنوا له وتغنوا فيه بعد أن أمر السادات بحله.

ألم نُصفق للمنابر التي ابتكرها السادات وأدخلها للمرة الأولى في الحياة البرلمانية المصرية ، وبمجرد إعلان السيد "ممدوح سالم" رئيس الوزراء الأسبق تأسيس حزب مصر تسابق المصريون إلى حزبه الوليد الذي قيل أنه يمثل منبر الوسط ثم سارع هؤلاء جميعاً وغيرهم بالانضمام إلى الحزب الوطني الذي أنشأه السادات وانفض الناس عن حزب مصر ولم نعد نسمع به.

إن صدام حسين كغيره من بعض قادة دول العالم الثالث ، لم يصل إلى الحكم على رأس السلطة بموجب اختيار شعبي صريح وعلني إعمالاً للنصوص الدستورية في هذا الخصوص ، إنما قد أجبر الرئيس السابق "أحمد حسن البكر" على الاستقالة وجعل الرجل يكتب في خطاب استقالته إنها جاءت لأسباب صحية.

وانظر إلى الأمير بن الأمير الذي تآمر على والده أثناء تواجده خارج البلاد وأطاح به واستولى على الحكم.

وفي سوريا لا زال البعثيون على رأس الحكم على الرغم مما يقال بين الحين والحين عن المعتقلات والسجون وتقليص الحريات ومصادرة الأفكار والآراء.

وحدث ولا حرج في مثل ذلك ضمن دول العالم النامي "الثالث" الذي ننتمـي إليه .

أيها السادة الفرحون .. إن صدام حسين كان قائداً عربياً لبلد عربي ويجب أن نذكره حين نذكره على أنه زعيم عربي لبلد عربي شقيق ، هذا هو الواقـع الـذي يجب أن نتعامل معه. إن تغيير الأنظمة العربية هي مسائل داخلية بحتة من صميم حياة الشعوب ذاتها ، فلا يجب أن نفرح بالأمريكيين ولا أن ننسى مأساة العراقيين.

إننا يجب أن نتعامل مع الواقع العربي المصاب بالدوار مـن خـلال رؤيـة محايدة لا بالميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء حتى وإن كان الميـل مـن موجبـات الفطرة وهو النفس .. إلا أن العقل الإنساني هو الذي يجب أن يقود لأنه غالباً مـا يؤدي إلى البر والصواب ويهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

ولا يجب أو يصح أن يتشفى العرب في مصائب العرب ولا أن يلعن بعضـنا بعضاً .. فلا يلعننا اللاعنـون .

(د) الخطأ المشترك الأعظم :

وهو الخطأ التاريخي المتكرر وقد اشتركت فيه الأنظمة الحاكمة فـي بلادنـا العربية من المشرق إلى المغرب ، ذلك هو ما يتعلق ببيت العرب "جامعـة الـدول العربية".

فمنذ توقيع ميثاق تأسيسها في ٢٢ مارس ١٩٤٥ وحتى الآن لم يطرأ عليه أي تغيير أو تعديل ليواكب التطورات والمستجدات المحلية والإقليمية والدولية.

لقد انطلقت مع المراحل الأولى لإعلان جامعة الدول العربيـة دعـوة إقامـة السوق العربية المشتركة ، ومنذ الخمسين عاماً حتى الغد ولا تزال الدعوة مُستمرةً

صداها في الأجواء ، وتلقفتها أوروبا واستفادت من الفكر العربي ونفذته فعلياً حتى تم تأسيس السوق الأوروبية المشتركة في عام ١٩٥٧ بمقتضى معاهدة روما.

وظلت الدعوة العربية طليقة في الهواء حتى الآن ، على الرغم من مسابقة بعض الدول العربية ومنافستها بعضها البعض في إقامة علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية مع إسرائيل ولو على حساب تغيير جلدها والتخلي عن انتمائها.

وثمة تيار آخر من الدول العربية بؤرة اهتمامها تنمية الشراكة الأورومتوسطية ولا يعنيها الاندماج في كيان اقتصادي عربي يواجه التحديات والتكتلات القوية الحالية ، يقع هذا في الوقت الذي توجهت فيه أوروبا نحو توحيد عملتها التي أصبح بها "اليورو" عملة أوروبية موحدة بل وتحاول أوروبا الموحدة الجديدة التوسع شرقاً لتضم في عضويتها دولاً هي منْ أوليات النظام الشيوعي السوفيتي السابق المناهض والمضاد لها.

أما عالمنا العربي فقد استقطع منه الاستعمار فلسطين في ١٩٤٨ ، وفي ٢٠٠٣ سرق العراق ، بينما تتوجه القيادة القطرية مباشرة نحو تل أبيب ، وتعلن ليبيا عن الدخول في الأغوار الأفريقية وتهدد بالانسحاب من جامعة الدول العربية بين حين وحين .. لقد صدق فينا ما قال تعالى فيهم : ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ (الشعراء : ٥٤).

وحينما اندلعت الشرارة الأولى في الحرب العدائية العدوانية الأمريكية البريطانية على العراق شعباً وأرضاً استدعت على الفور ذاكرة البعض من طيات التاريخ ما يسمى [اتفاقية الدفاع العربي المشترك] وطالبوا بتفعيلها فوراً ، وارتفعت أصوات البعض سائلة [أين مصر وجيش مصر]..

إلا أنهم نسوا أو تناسوا سؤالاً هاماً وضرورياً وهو أين كانوا هم من مصر باستثماراتهم التي تعج بها البنوك الأجنبية في الخارج والتي دائماً ما تنتهي إلا عند التجميد أو المصادرة. بينما كانت مصر تقترض وتستدين للدخول في عصر

الصحوة ثم عصر النهضة عملاً وأملاً في تنمية اقتصادية وبشرية تحقق بعضاً من الرفاهية للشعب الذي عانى طويلاً من ويلات الحروب والتهمت ميزانيـــة التسـليح غالبية دخله القومي لوقت غير قصير.

إن هؤلاء الذين يتحدثون في بلادهم ويسألون – أين مصر ؟ – تقـع علـيهم المسئولية في محاسبة أنظمتهم ومحاكمتهم أو الطرح بهم في قاع البحر.

لقد هاجمت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة الأراضي العراقيـــة انطلاقـاً من ٦ دول عربية هي مجموع دول مجلس التعاون الخليجي بالإضافة إلـى الأردن – أي أن – أقل من نصف الدول العربية شاركت مشاركة مباشـرة فـي ضـرب العراق وتدميره – بل إنه بعد سويعات من الضربة الجوية الأمريكية ضد العراق ، قصفت على الفور المدفعية الكويتية المواقع العراقية على طول الحدود بين الدولتين في إطار المفهوم السائد "الأخذ بالثأر" .. فهل سألتم حكوماتكم وحاسـبتموها مـن خلال مجالسكم النيابية.

- إن الأمم المتحدة وهي أعلى هيئة دولية في العالم طعنها وحيد القـرن فقضـى على شرعيتها وأصاب معها المشروعية الدولية فانعدمت مشروعيتها حتى في وصول المساعدات الإنسانية إلى العراقيين فترة الحرب وما بعدها.
- وها هي أكبر القوى النووية في العالم وأعتاها تقوقعت في مواجهة وحيد القرن إلى حد التنازل وقبول المساومة على مصالحها في العـراق ، وقنعـت بمـا ارتضاه لها وحيد القرن.
- أما الاتحاد الأوروبي الذي يضم دولاً قوية وعنيدة وذات أصول وحداثـة فـي التاريخ ولها جيوش مسلحة بتسليح جيد مثل ألمانيا وفرنسا لم يُقم لهـا وحيـد القرن وزناً ولم يُعرهم اهتماماً بل أعلن مجاهرة تهديده لهم .

- ثـم المنظمـات الدوليـة والإقليميـة الأخـرى مثـل مجموعـة دول عـدم الانحياز ومنظمة الأسيان ومجموعة دول الاتحاد الأفريقي ، بالإضافة إلى اتحاد دول المغرب العربي ، كل هؤلاء ما استطاعوا منع العدوان قبل وقوعـه ، أو التصدي له حين وقوعه ولا حتى رفع آثاره بعد أن وقـع .. فمـاذا كـان إذاً بمقدور مصر أن تفعل ؟ أكانت تقدم على عمل انتحاري من خلال الزج بنفسها في حرب غير مدروسة وغير متكافئة !..

هل كان منتظراً أن يعبر الجيش المصري الموانع المائية والصحراء لينسـف الأساطيل الأمريكية البريطانية الموجودة في بحر العرب وخلـيج عـدن والخلـيج العربي الذي تطل عليه "مجلس التعاون الخليجي" وترابض على أرضـها وفـوق مياهها الإقليمية الأساطيل والقوات وحاملات الطائرات التي تدك العراق . أم كـان من المنتظر أن تنسف البحرية المصرية المدمرات والبوارج والأساطيل الأمريكيـة والبريطانية التي تدك العراق وهي تحل ضيفة على المملكة العربية السعودية وفي مياهها الإقليميـة.

إن الترسانة العسكرية للدب الروسي انكمشت ، وعلى ذات المنـوال تراجـع الاتحاد الأوروبي ، واختفى الصوت الصيني إن التعامل مع الواقـع أولـى مـن السباحة في الخيال ، حيث يأتي لومكم لمصر في غير محله ولكن لومـوا أنفسـكم وحكوماتكم ولننادي جميعاً بالعمل من جديد وبفكر مختلف وأسلوب عصري يواكب تطورات الأحداث ولنعمل جميعاً بإرادة قوية لتفعيل العمل العربي المشترك والأمن الجماعي العربي ، ولنعتصم جميعاً بالمطالبة بالجيش العربي الموحد ، ولتذهب إلى الجحيم الحكومات التي تتقاعس عن تحقيق رغبات الشعب العربي كلـه وترجمـة آماله القوية في الوحدة والتقدم والأمن والسلام الجماعي.

بيد أن بعض الأصوات القادمة من المشرق العربـي تعالـت تسـتنكر دور الجامعة العربية وتؤكد على فشلها في المواجهة وعجزها عن التعامل مع الأزمـة الراهنة.

إنها أصوات الحمقى والجهلاء والمتصهينين من الليبراليين الجدد.

ألم يتدارك أولئك أن هيئة الأمم المتحدة تبدو الآن أقرب لأن تكون هيئة إدارية أمريكية تعمل في خدمة السياسة الأمريكية ووفق مشيئتها وتحقق رغباتهـا حتـى أضحى من المناسب تسميتها بالأمم المتحدة الأمريكية.

فماذا كان من الممكن أن تفعل الجامعة العربية حيال العدوان وهي مؤسسـة ضعيفة بضعف أعضائها ومواردها الاقتصادية "المالية" التي لم تستطع في بعـض الأحيان دفع مرتبات موظفيها.

إن هؤلاء البيرزيُّون[١] المنادون برحيل الجامعة العربية ، إنهم المحتسون من مستنقع الأيديولوجية الصهيونية الذي صنعه شيمون بيريز عام ١٩٩٤ عندما دعـا إلى ضرورة العمل على خلق شرق أوسط جديد ، وذهب إلى أبعد من ذلك بكثيـر بقوله إن الوقت قد حان لخلق شرق أوسط جديد تقوده إسرائيل ومركزه إسرائيل لا الجامعة العربية ولا القومية العربية ..

أيها البيرزيُّون العرب ..

لتقولوا خيراً أو لتصمتوا ..

إن الخطب جلل .. والخسارة أفـدح ..

(هـ) اللقيـطـة :

لم يتوان الكيان السفاح نتاج الحمل السفاح من لقاء المؤامرة السفاح كما أنهـم لن يتوانوا مستقبلاً عن إيصال الأذى وإلحاق الضرر بالعرب والمسلمين في خبـث ومكر ، وسر وعلانية وذلك لأنهم لا يعرفون حدوداً جغرافية أو ضوابط تاريخيـة أو أي من القيم الأخلاقية أو المبادئ السياسية التي يمكن أن تشكل إطاراً عامـاً أو

(1) نسبة إلى شيمون بيريز.

تحدد أسلوب عمل لهؤلاء يمكن أن تمنعهم أو تقيد مساعيهم لإزكاء الفتنة وإشعال النار لا في البلاد العربية والإسلامية فحسب بل وصلت أيديهم القذرة [روسيا في عصر القياصرة] فقتلت القيصر الروسي وأثاروا قديماً القلاقل في السويد حتى طردهم ملك البلاد ومنعهم من دخولها ما يربوا على الخمسة قرون ، وقلّبوا ضدهم الألمان حتى حرقهم "هتلر" وأشعلوا نار الحرب الأهلية في لبنان ، وَموّلوا حركة التمرد المنشقة في الجنوب السوداني ودربوها ، ومثيله في شرق نيجيريا ، وصنعوا الفتن والدسائس في قلب إفريقيا حتى قامت الحروب بين [رواندا وأوغندا] والتي راح ضحيتها حوالي مليون شهيد .. إنهم المتخصصون في صناعة الأزمات بجودة وإتقان ، والأساتذة المعلمون في إثارة المشكلات عبر مراحل التاريخ الإنساني كله.

إنهم يتحينون الفرص ويستغلون الظروف ويتاجرون بالمواقف وهم دائماً في وضع الاستعداد للانقضاض هنا أو هناك لتحقيق أقصى استفادة ممكنة ولو من صغير المواقف أو حقير الأوضاع ، فهم متعطشون دائماً لدماء الأميين[١] لا يروي ظمأهم سيول الدماء التي تنهمر على الأرض بفعل مؤامراتهم الخبيثة الرامية إلى التسلط فوق مكاسب الناجين من كيدهم ودحرهم من بني البشر والسير على أشلاء ضحاياهم حتى يتمكنوا من التحكم في اقتصاديات العالم ومن ثم حكمه وإذلاله ، واستعباده ليقع العالم تحت أقدامهم هم باعتبارهم أسمى الساميين وسادة بني البشر أجمعين ..

وهذا ما أكد عليه أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي فيما ذكرته شبكة المعلومات العربية "محيط" الدوحة ، في موقعها على الإنترنت في الثاني عشر من أبريل أي بعد سقوط بغداد بأقل من ٩٦ ساعة على الأكثر.

---

(1) بنو البشر من غير اليهود ، ويقال ايضاً الأمميين.

فقد أكد عضو الكونجرس الأمريكي "نك رحّال" في حديثه أن إسرائيل هي مصدر التقارير الأمريكية التي اتهمت سوريا بامتلاك أسلحة دمار شامل وبأن العراق نقل أسلحته المحظورة إليها ، هذا على الرغم من أن وكالة المخابرات الأمريكية لم تتأكد من صحة هذه التقارير ، ووصف رحّال في مقابلته مع قناة الجزيرة القطرية أن ما ذكر بأن الرئيس صدام حسين وكبار مساعديه في سوريا مجرد شائعات عارية من الصحة ، وحذر من خطورة وضع الرئيس الأمريكي "بوش" لسوريا وإيران على رأس الأهداف الأمريكية في المرحلة القادمة.

وهذه شهادة من بينهم تؤكد على نطق ألسنتهم بالكفر وامتلاء قلوبهم بالنفاق كما تبرهن على النار التي تأجج في صدورهم ضد إيران الإسلامية وسوريا العربية الإسلامية بما يؤكد على رغبة إسرائيلية جامحة وشديدة على إخراج الدولتين من موازين القوى العربية والإسلامية والإقليمية إلى حين من الزمان.

وليس من الكياسة اعتقاد البعض بأن الدعم الذي تقدمه الدولتان لحزب الله الشيعي ، وحركة أمل في الجنوب اللبناني هو المحرك لهذا العداء المعلن الذي يحاول الزج بإيران وسوريا إلى آتون الأحداث الملتهبة بجعلهما هدفين تاليين لما يسمى كذباً "الحرب على الإرهاب".

طهران في المرمى ..

تأتي إيران على رأس الدول أو المنظمات الداعمة لحزب الله وحركة أمل الشيعيتين في لبنان وتساندهما سراً وعلانية ، كما أنها لا تتوانى عن تقديم الدعم المادي والمعنوي للقيادة السورية وشعبها في إطار رد الجميل وحسن الصنيع لسوريا التي ساندت إيران ودعمتها طوال فترة حرب الخليج الأولى ضد العراق إلى الحد الذي جعل سوريا توقف تصدير النفط العراقي عبر أراضيها.

بالإضافة إلى ذلك فإن إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لم ينسيا بعد سفينة الأسلحة التي شحنتها إيران لصالح المقاومة الفلسطينية وألقت البحرية

الإسرائيلية القبض عليها في البحر الأحمر عند مدخل خليج العقبة في مطلع العـام الماضي ، ومن ثم فقد وُضِعت إيران على رأس الدول الراعية للإرهـاب بحسـب المفهوم الأمريكي الإسرائيلي ، كما أنها تمثل أحد أضلاع محور الشر الذي ابتكره أمير الظلام وذكره "بوش الثاني" .

وفي الوقت الذي كانت فيه أمريكا تستعد لشن حرب على العـراق ، لعبـت الصهيونية في الولايات المتحدة دوراً خطيراً في محاولـة منهـا لتوسـيع دائـرة العمليات العسكرية في الشرق ليتحقق لها الكثير من المصالح الاقتصادية والأمنيـة والجغرافية في خبطة واحدة ولتستريح إلى الأبد من صـداع المطالبـة بـالجولان السوري الذي تحتله ولتأمن الجانب الشيعي في الجنوب اللبناني بما يسمح لها بطرد الفلسطينيين من لبنان وفلسطين المحتلة والضفة وغزة في عملية واحدة في مرحلـة تالية حال التخلص من العراق وسوريا وإيران.

وفيما يخص إيران نقلت صحيفة "ها آرتـس" الإسـرائيلية عـن المسـئولين بالمخابرات الإسرائيلية "الموساد" أن لديهم أدلة على تورط النظـام الإيرانـي فـي الهجومين الإرهابيين اللذين استهدفا أهدافاً يهودية في العاصمة الأرجنتينية "بوينس آيرس".

قالت "ها آرتس" أن هذه الدلائل تؤكد تورط الحكومة الإيرانية وعلى رأسـها المرشد العام للثورة "علي خامنئي" في الهجومين اللذين استهدفا المركز التجـاري في ١٩٩٤ وأسفر عن مقتل ١٠٠ شخص وإصابة ٢٥٠ آخرين ومن قبله الهجـوم الذي أسفر عن مقتل ٣٠ شخص وإصابة ٢٠٠ آخرين.

وتشير "ها آرتس" إلى أن المعلومات الجديدة تم التوصل إليها بالتعـاون بـين جهازي المخابرات الإسرائيلي والأرجنتيني بعد رصد عدد من المكالمات التليفونية التي أجراها مُنفذ هجوم السفارة ، وأثبت أنه ينتمي لحزب الله اللبناني ، كما زعمت "ها آرتس" أن التخطيط للهجومين تم بالتعاون مع مرشد الجمهورية الإيراني علـى

خامئني ورئيس الجمهورية "هاشمي رافسنجاني" ووزير خارجيته ، ورئيس المخابرات ، كما تم التمويه على العملية بتنظيم رحلات من الإيرانيين ، كما شهدت نفس الفترة اتصالات هاتفية غير معتادة بين الأرجنتين وإيران.

ويبدو أن إسرائيل تهدف من وراء هذه الإثارة إلى تورط النظام الإيراني في دعم ما تسميه الإرهاب كي تصبح إيران هدفاً تالياً للحرب الأمريكية التي ترى إيران إحدى دول محور الشر.

ولم تلبث السياسة الأمريكية أن تأثرت بسموم الدعاية الإسرائيلية السامة ، فقد عبر وزير الخارجية الأمريكية "كولن باول" عن رأيه الشخصي ورأي حكومته أمام لجنة المخصصات المالية بمجلس النواب والمنعقدة بشأن اعتماد وإقرار ميزانية الحرب التي اقترحها "بوش الثاني" في مارس ٢٠٠٣ حيث قال باول : "إيران مشكلة منذ فترة وهي مشكلة في الوقت الراهن" ، وأضاف أنها تملك أسلحة دمار شامل وأسلحة نووية وأنها تطور تلك الأسلحة ، وهي تمول كذلك الجماعات الإرهابية ، والشعب الإيراني – حسب قول باول – يحتاج إلى الحياة في حرية بعيداً عن العصابات الإرهابية والحكومة الإرهابية".

والملاحظ أن قول "باول" يؤكد حقيقة نفاذ السُم الإسرائيلي في العقل الأمريكي كما أنه يشير من طريق آخر إلى أن إيران تحت الميكروسكوب الأمريكي.

وفي الجلسة ذاتها وقع قول باول عن سوريا بعد أن انضم إلى منتقدي سياستها : "على ضوء الوضع الجديد يجب أن تُعيد سوريا النظر في تصرفاتها وسلوكها ليس فقط على من يدخل البلاد ، أو أسلحة الدمار الشامل ولكن على وجه الخصوص دعم الأنشطة الإرهابية ، كما لمّح "باول" إلى إمكانية فرض عقوبات اقتصادية أو سياسية على سوريا ، وقال سندرس إمكانية اتخاذ بعض الإجراءات الاقتصادية أو إجراءات ذات طبيعة أخرى خلال المرحلة القادمة.

يأتي هذا التصريح في الوقت الذي كثفت فيه إدارة "بوش" من ضغوطها على سوريا مُلوحة بفرض عقوبات اقتصادية وسياسية عليهـا حـال عـدم مراجعتهـا لتصرفاتها.

ومن جانبه فقد وجه وزير الدفاع الأمريكي "رامسفيلد" تحذيرات إلى سـوريا بسبب ما تردد عن دعم النظام السابق فضلاً عن امـتلاك أسـلحة دمـار شـامل وصواريخ بالستية.

وقال "رامسفيلد" المعروف بولائه لإسرائيل وعضـويته الفعالـة فـي تيـار المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية ، كما أنه أحد الصقور التي ترسم السياسـة العسكرية الأمريكية في الشرق العربي منذ حكم "بوش الأول" وقـال : [إن قـرار الحرب على سوريا بيد الرئيس الأمريكي بوش] المقصود "بوش الثـاني" ، وأكـد الوزير الأمريكي على أن سوريا قامت باستقبال القيادات العراقية الهاربة وتأوي ما أسماهم بالإرهابيين ،وذكر بالتحديد "حزب الله" وقال إن معظم المتطوعين العـرب قدموا من سوريا إلى العراق.

جاءت تصريحات "رامسفيلد" خلال مؤتمر صحفي عقده خارج وزارة الـدفاع "البنتاجون" بعد اجتماعه مع وزير الخارجية الكويتي للشئون الخارجية الشيخ "محمد السالم الصباح".

وقد دأب "رامسفيلد" على تكرار الاتهامات ذاتها للقيادة السـورية فـي كـل المناسبات فقد ذكر في مؤتمر صحفي عقده في واشنطن أن التقارير الغربية تؤكـد أن بعض العراقيين استقروا في سوريا بينما هرب البعض الآخر إلى دولة مجاورة لكنه في الوقت نفسه رفض تحديد الشخصيات العراقية التي يتحدث عنها أو الـدول التي توجهوا إليها وفق ما نقلته "الأسوشيتدبرس".

وكان البابا "بوش" قد تحدث من فوق الشجرة في الثالث عشر من أبريل قائلاً: "إن سوريا لديها أسلحة كيماوية".

(و) واغترفت إسرائيل :

وانتهزت الفرصة بعد أن نجحت في إثارة الإدارة الأمريكية ضد سوريا وإيران وصعدت من حملتها العدائية الدعائية ضد الدولتين والعالم العربي.

فقد كرر وزير الخارجية الإسرائيلي "سيلفان شالوم" الاتهامات التي وجهها المسئولون الأمريكيون والبريطانيون لسوريا بشأن علاقاتها مع صدام حسين ، وطالب "سيلفان" خلال زيارته لأنقرة بوقف ما أسماه بالأنشطة التي تقوم بها المنظمات الإرهابية في سوريا ، وأضاف كلنا نعرف الدور الذي تقوم به سوريا للسماح للمنظمات الإرهابية بزيادة أنشطتها ! وهم للأسف لا يقومون بعمل أي شيء لمنع ذلك بل يقومون بتشجيعهم.

وخلافاً للمجاهرة الإسرائيلية في كيل الاتهامات لسوريا وما تُثيره عبر وسائل الإعلام ومن خلال دبلوماسييها في عواصم العالم فإنها كانت تحصد العديد على جبهات أخرى.

فقد كشفت الأحداث عن المكاسب الهائلة التي تحققت بالفعل أو تلك التي ينتظر تحقيقها وسوف تحصدها إسرائيل من جراء الأوضاع السيئة التي حلت بالعرب بمجرد أن وُضِع العراق في مهب الريح ، حيث لم يمض الخامس من مايو حتى تحدث رئيس الهيئة الدولية للطاقة الذرية عن ضرورة عودة المفتشين الدوليين إلى بغداد لإجراء التحقيقات اللازمة حول اختفاء أحد المفاعلات النووية العراقية.

إلا أن طلب الدكتور محمد البرادعي "رئيس الهيئة المذكورة" قوبل برفض أمريكي تام ، وقد ضُرب جدار إعلامي من حديد يقصد إلى فرض التعتيم الإعلامي الكامل على هذا الموضوع بقصد طيّه أو دفنه ، لأن إثارته ستقود حتماً على موضوعات أكثر حساسية وأكثر إثارة والتي ستصل إلى فتح ملف كبير لعمليات خطف واعتقال وقتل ومطاردة العلماء العراقيين أنفسهم.

ولعل اختطاف المفاعل النووي العراقي واختفائه في ظل الأوضاع الراهنة المجهولة والمريبة يبرهن بجلاء على تعمد جهازي الاستخبارات الإسرائيلي والأمريكي إثارة الأحداث الفوضوية التي وقعت على أرض العراق منذ اغتيال بغداد في التاسع من أبريل وحتى الآن ، وذلك هو ما يفسره ويؤكد عليه الرفض الأمريكي الدائم للمطالب المتكررة من جانب مجلس الأمن والهيئة الدولية للطاقة الذرية بعودة مفتشي الهيئة إلى العراق.

كما يتضح بجلاء تام الاتفاق الجنائي الخالص بين الكيان الصهيوني في الشرق والإدارة المتصهينة في الغرب ، وكيف وأن الإدارة الأمريكية تعمل على ضمان تنفيذ المصالح الإسرائيلية ورعايتها.

ويأتي اختطاف المفاعل العراقي في هذه الظروف تخصيصاً للتأكيد على إثارة قضايا كثيرة خلافية حول هذا الموضوع ، وموضوعات أخرى عديدة من الجهات التي استهدفت العراق والتي تضع نصب أعينها القوة العربية والتقدم العربي ، بل الوجود العربي كله.

دليلنا على ذلك قيام الطائرات الإسرائيلية من طراز "إف ١٦" بإلقاء ١٦ طن من القنابل على المفاعل النووي العراقي في ١٩٨١/٦ فدمرته ، بالإضافة إلى شروع إسرائيل في خطف المشروع النووي الباكستاني كله بالتعاون مع الهند وتربصهما بالباكستان طوال فترة القصف الأمريكي لأفغانستان العام الماضي وقبيل بدايته بأسابيع قليلة[١].

وعلى صعيد المكاسب السياسية الدولية التي يحصدها الكيان الصهيوني من خلال تكثيف الاتصالات والمؤتمرات والبعثات الدبلوماسية ، فقد طار إلى موسكو نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي "ناتان شارانسكي" إلى موسكو في الثاني عشر من إبريل ، وقد أعلن "ناتان" في ختام مباحثاته التي أجراها هناك مع وزير الخارجية

---

(١) تفصيل ذلك في كتابنا "المؤامرة الكبرى".

الروسي "إيجور إيفانوف" أنه تلقى ضمانات روسية قوية بعدم بناء منشآت نووية في سوريا بما فيها تلك التي تستخدم لأغـراض سـلمية ، وأضـاف المسـئول الإسرائيلي في مقابلة مع إذاعة "صدى موسكو" أن وزير الخارجية الروسي أعلـن أن روسيا لا تعتزم بيع أسلحة هجومية قد تستخدم ضد إسرائيل.

ولعلنا بذلك نكون قد تأكدنا من اللسان الآخر للروس وهو الأقرب للحقيقـة ، وقد عكسته القيادة الروسية في أكثر من مقام .

كذلك فلم ينتظر الإسرائيليون حتى تضع الحرب أوزارها ، فقد خرجت مـن تل أبيب أصوات تطالب بالميراث الإسرائيلي في التركة العراقية .

وتبدو المطالبة الإسرائيلية بالمشاركة في الكعكة العراقية منطقيـة فـي ظـل المبدأ الذي وضعته واشنطن والقائل أن إعادة إعمار العراق شأن بمن دمروه.

والجدير بالذكر أن القيادة الإسرائيلية قد ساهمت في هذه الحرب علـى أكثـر من مستوى من أهمها تسلل القوات الخاصة الإسرائيلية إلى غرب العـراق قبيـل الحرب بأيام للتأكد من عدم وجود منصات لإطلاق صواريخ سكود نحو إسرائيل ، وكشفت صحيفة الجارديان البريطانية في العدد الصادر ٤/١٢ أن خبراء عسكريون إسرائيليون تولوا تدريب مشاة البحرية الأمريكية على خـوض حـرب الشـوارع وفنون القتال داخل المدن ، وقالت الصحيفة أن ذلك تم داخل مدن هيكليـة أقيمـت خصيصاً لهذا الهدف داخل جزيرة [......] الـ [.....] وهي إحدى الجزر الواقعـة في الخليج العربي وتتبع السيادة الوطنية لإحدى الإمـارات العربيـة الخليجيـة[1]. ولهذا فرضت القوات الأمريكية تعتيماً كاملاً على تفاصيل الهجوم الذي شنه أحـد أنصار تنظيم القاعدة على الجزيرة ومنعت السلطات الوطنية هناك حتى من دخول الجزيرة.

(1) ذكرتها الصحيفة تحديداً ومنعني من ذكرها الحرج الأدبي.

كما وضعت إسرائيل كافة قوعدها العسكرية تحت تصرف وزارة الدفاع الأمريكية سواء لتخزين المعدات الحربية أو لتقديم الإمدادات النفطية ، وتم تشكيل قيادة أمريكية إسرائيلية مشتركة في تل أبيب مرتبطة عبر الأقمار الصناعية بالقيادة الرئيسية للعمليات العسكرية في قاعدة "السيلية" في قطر فيما تحدثت بعض التقارير عن وجود ضباط إسرائيليين شاركوا في قيادة المعارك من القاعدة القطرية.

وقد نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أنباء تسربت مبكراً تلقاها مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي "شارون" لبعض من الاتصالات الأردنية بهدف استئناف تشغيل خط أنابيب بترول (الموصل – حيفا) مروراً بالأراضي الأردنية كبديل لخط أنابيب الموصل – طرطوس الذي حطمته القوات الأمريكية بالإضافة إلى استبعاد تشغيله مرة ثانية بعد أن ضُمّت سوريا إلى محور الشر.

وقد قررت الحكومة الإسرائيلية إيفاد "يوسف باريتسكي" عقب احتفالات عيد الفصح الموافق الأربعاء ٤/١٦ إلى عمان لإجراء مباحثات مع المسئولين الأردنيين حول الخطوات العملية لتنفيذ المشروع لما له من أولوية حيوية لإسرائيل خاصة وأنه سيخفض أسعار البترول إلى ٢٥%.

فضلاً عما يحققه تشغيل هذا الخط القديم – الجديد من تحويل حيفا إلى "روتردام الشرق الأوسط"[(١)] ، ويُرَجح المراقبون أن لا يقابل المشروع الإسرائيلي بمعارضة أمريكية – إذن أن الشركات الأمريكية التي من المتوقع أن يوكل إليها استغلال آبار النفط العراقية تعد المستفيد الرئيسي من ذلك المشروع نتيجة توفير نفقات النقل فضلاً عن أن إنشاء الخط ستقوم بتنفيذه شركات أمريكية ، إضافة إلى أن النقل عبر إسرائيل يُقلل من الاعتماد على الممرات المائية العربية المعرضة للقلاقل والاضطرابات. كما سيتيح الخط الجديد لأمريكا توجيه ضربة مؤلمة لصناعة النفط الروسية من خلال حرمانها من أحد عملائها الرئيسيين وهو ما يُعد

---

(1) في إشارة إلى الميناء الهولندي الشهير الذي يستحوذ على معظم التجارة الأوروبية.

عقاباً مناسباً تماماً لموسكو لموقفها المعارض لحرب العراق وتلويحهـا باسـتخدام الفيتو في مجلس الأمن وهو ما حرم واشنطن من خوض الحـرب تحـت مظلـة الشرعية الدولية.

هذا وتجد الإشارة إلى أن إسرائيل قد نجحت عن طريق اللوبي الصهيوني في أمريكا في نسج علاقات وثيقة مع بعض فصائل المعارضة العراقية في الولايـات المتحدة خاصة المؤتمر الوطني الذي يتزعمه "أحمد شلبي" ، والذي كشفت صحيفة "الأوبزرفر" البريطانية عن قيامه بزيارة إسرائيل مراراً من أجل إسقاط نظام صدام حسين.

وثمة بُعد استراتيجي آخر يكمُن وراء الاهتمام الإسرائيلي بالعراق والـذي لا ينتهي عند جلب المنافع وتحقيق المصالح بل يسبقه ويتخطاه إلى حيث درء المفاسد ودفع الأخطار حال قيام نظام معادي آخر أشد تطرفاً من سلفه خاصة إذا ما نجـح الشيعة في ترجمة ثقلهم السكاني داخل الحكومة المقبلة وهو ما يهدد بظهور محور مناهض لإسرائيل يمتد من إيران عبر العراق إلى سوريا وانتهاء عنـد حـزب الله الشيعي في جنوب لبنان.

لهذا فإن إسرائيل تعمل على إقامة نظام في العراق على غرار نموذج "حامـد قرضاي" في أفغانستان.

ووسط صراع إعلامي كبير بدأه نفي أردني على لسان وزير الطاقة الأردني "محمد البطاينة" لما تردد عبر الصحافة العالمية انطلاقاً من إسرائيل ، تأتي تأكيدات إسرائيلية لما تسرب عن الاتصالات المذكورة ، ولنـدع الأمـور للأيـام القادمـة وسنرى فعل رياح التغيير وآثارها لا على إسرائيل والأردن فحسـب بـل علـى المنطقة برمتها.

وتجدر الإشارة أن إسرائيل تحاول على جبهات شتى في محاولـة مسـتميتة لإحياء المشروع الذي مات لحظة مولدها في ١٩٤٨/٥/١٥ ، والتي كشفت عنهـا

صحيفة "هارتس" اليومية الإسرائيلية بعد اندلاع الحرب بساعات ، حيث قالت إن وزير البنية التحتية الإسرائيلي "جوزيف باريتسكي" أعرب عن رغبته في إعادة تشغيل خط لأنابيب البترول بين مدينة الموصل في شمال العراق وميناء حيفا الإسرائيلي بعد انتهار الحرب التي تقودها الولايات المتحدة ضد العراق.

وذكرت الصحيفة أن باريتسكي يأمل في إمداد مصافي النفط العراقي بدلاً من استيراد النفط الروسي الأغلى ثمناً ، وقالت الصحيفة أنه واثق من أن الإدارة الأمريكية ستؤيد تلك الفكرة.

يُذكر أن خط الأنابيب المذكور أنشئ في الثلاثينات من القرن الماضي لكن العراق أوقف تصدير النفط إلى حيفا عند إقامة دولة إسرائيل في ١٩٤٨ وتم تحويل الخط المذكور إلى مصافي النفط في طرطوس بسوريا.

وقد كانت هناك عدة محاولات لإعادة تشغيله ، إحداها خلال الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينات عندما وافقت سوريا على طلب إيران بوقف تصدير النفط العراقي عن طريق البحر الأبيض المتوسط ، بينما كانت إيران في ذات الوقت تمنع الناقلات المحملة بالنفط العراقي من مغادرة الخليج الفارسي بحسب زعم الإيرانيين.

وقد اقترح في ذلك الوقت رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "إسحاق شامير" تصدير النفط العراقي عن طريق ميناء حيفا كما نقلت الصحيفة الإسرائيلية كذلك عن "حانان بارون" الذي كان كبير مسئولي وزارة الخارجية الإسرائيلية في ذلك الوقت قوله "إن إسرائيل أجرت في الثمانينات محادثات حول بناء خط آخر لنقل النفط العراقي إلى ميناء حيفا".

كما ذكرت الصحيفة ذاتها أن من بين المشاركين في تلك المباحثـات "دونالـد رامسفيلد" مستشار الرئيس الأمريكي رونالد ريجان في ذلك الوقت ووزير الـدفاع الأمريكي الحالي.

وتحاول إسرائيل تحقيق أقصى استفادة ممكنة من المتاجرة بالأحـداث سـواء الجارية أو المستقبلية أو حتى استدعاء الماضي لاستثماره أو على الأقـل لإثـارة المشكلات لجيرانها فبعد محاولتها في إحياء البحر الميت بالتعاون مع الأردن ومن ثم تهديد الأمن القومي العربي كله إذا ما شرعت في تنفيذ تحقيق حلـم "هيرتـزل" بحفر قناة بين البحرين لتكون بديلة عن الممر الملاحي لقناة السـويس ومـن ثـم تعريض أمن المنطقة كلها للخطر والإضرار مباشرة بعدوها اللدود مصر.

ومن ناحية أخرى فقد صرح "بنيامين نانتياهو"[١] مساء الجمعة ٢٠٠٣/٦/٢١ ليؤكد على أن إعادة تشغيل خط أنابيب بترول (الموصل – حيفا) هي قضية وقـت فقط لتصبح روتردام الشرق الأوسط حقيقة واقعة.

❖ ❖ ❖

(1) وزير المالية الحالي في حكومة شارون.

الباب الثالث

الأحداث في الميزان

الباب الثالث

الأحداث في الميزان

(أ) الزحف نحو دمشق :

قبل أن تستقر الأحداث في العراق وقبل أن يثبت المعتدون أقدامهم في بغـداد فيما يسبق إعلان الرئيس "بوش" انتهاء العمليات العسكرية الرئيسية شهدت الساحة السياسية تطورات هائلة وخطيرة من جراء التصعيد الخطير والمتنامي مـن قِبـل الأمريكيين بهدف إجبار السوريين على التخلي عن موقف ما تدعيه أمريكا والعمل على السير على طريق ما تدعوه أمريكا في محاولة أمريكية مفضـوحة لتوسـيع دائرة النزاع في الشرق الأوسط ، فربما أثمر ذلك عـن الـتخلص مـن البعثيـين السوريين في جملة الأحداث ضمن عملية عسكرية واحدة يمكن أن تحقق المصالح الأمريكية بصورة مباشرة ويمكنها أن تجبر الكونجرس على التصفيق لبوش ومـن ثم الاطمئنان على مستقبله السياسي وضمان إعادة انتخابه كرئيس للولايات المتحدة مع نهاية العام القادم فضلاً عن ضمان الاعتمادات المالية اللازمة وتوفيرها والتـي ستتكفلها المنظمات الصهيونية وجماعـات الضـغط داخـل الإدارة الأمريكيـة ، بالإضافة إلى ضمان عدم تعريض وضعه السياسي الحالي فـي مهـب الـريح إذا سارت الأحداث في غير مصلحة بلاده ومخططاته المشبوهة.

ومع هذا التصعيد الخطير وغير المسبوق أعلنـت الخارجيـة السـورية أن حدودها مع العراق مغلقة ، كما نفت تماماً دخول مسئولين مـن النظـام العراقـي لأراضيها.

- السفارة السورية في واشنطن تنفي وجود أي علاقة بين دمشق ونظام صدام حسين.
- وفي اليوم ذاته ٤/١٣ أعلن الرئيس السوري بشار الأسد في تصريحات للصحفيين أن سوريا اختارت الوقوف إلى جانب الشعب العراقي ، جاء ذلك عقب مباحثات ثنائية أجراها الرئيس السوداني "عمر البشير" مع نظيره السوري في دمشق وبحثا فيها الوضع في العراق وفي فلسطين المحتلة.
- ومن جهة أخرى فقد تحدث وزير الدفاع البريطاني "التابع" ضد سوريا مؤكداً على أن صدام حسين وأعوانه ما زالوا في العراق ويؤكد أن فشل صدام في استخدام أسلحة الدمار الشامل لا يعني عدم وجودها.
- وإذا كان وزير الدفاع البريطاني "جيفري هون" يهدف من تصريحاته إلى العمل على إحراق العراق بعد تدميره فليس في ذلك ما يثير دهشة أو يحدث عجباً ، فالطامة الكبرى التي جاءت من لسان عربي عراقي "خائن" تحدث ليؤكد على عدم صحة تلك الادعاءات وبطلانها لا أملاً في إنقاذ العراق أو لتخفيف الضغط عنه إنما لتوريط السوريين والزج بهم في قلب الأحداث. فقد أكد "علي الحجاوي" قائد الحرس الجمهوري السابق في حديثه للأنباء العالمية والذي نقلته BBC كاملاً في اليوم ذاته ٤/١٥ "أن سوريا منحت ملاذاً آمناً لعدد من أعضاء نظام صدام حسين" وأضاف أن عزّه إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية قد لجأ بمعية عدد من القادة العراقيين إلى سوريا الجمعة الماضية ٤/٤ وقبيل ساعات من سقوط المدينة.

بهذا يكون الحجاوي قد أكد على خيانته لبلاده وللعروبة ولدينه ، وأكد كذلك على أحقية وصدق صدام حسين حين أقاله من منصبه كقائد للحرس الجمهوري في مدينة الموصل شمال العراق.

وفي اليوم ذاته أكدت الأحداث على نية الأمـريكيين حيـال معاقبـة دمشـق واستدراجها أو على الأقل التعرف على رد فعلها والعرب من خلفها.

فقد أعلن رامسفيلد في الثلاثاء ٤/١٥ أن قوات التحالف أغلقت أنابيب الـنفط التي تربط العراق وسوريا وقال : "نعرف أنهم تلقوا تعليمات بإغلاقه وأبلغونا أنهم أغلقوه" ، وزعم أن خط الأنابيب يستخدم لتزويد سوريا بالنفط في انتهاك للعقوبـات التي تفرضها الأمم المتحدة على العراق.

وتشير الشواهد القائمة إلى أن تلك العملية تأتي كخطـوة أولـى فـي إطـار مجموعة من الخطوات التي تهدف الولايات المتحدة من خلالها إلى فرض عُقُوبات سياسية واقتصادية على سوريا في إشارة لا يستهان بها بأن سـوريا هـي الدولـة العربية الثانية لاحتلالها بعد العراق خاصة في ظل لهجة الحديث المتصاعد وحـدة التصريحات المتنامية بين واشنطن ودمشق.

وما كان للولايات المتحدة أو غير المتحدة ولا القوى العظمى ولا غير القـوى العظمى لا هؤلاء ولا هؤلاء أو كل هؤلاء أن تطأ أقدامهم الشرق وتعربد فيه مـن غير اختبار عملي قام به "شارون" في سبتمبر ٢٠٠١ عندما دخل المسجد الأقصى الأسير بالأحذية ومن معه من قطعان اليهود في حراسة مدججة وفرها لهم رئـيس الوزراء السابق "إيهودا باراك" ، وتأتي عملية اقتحام المسجد الأقصى بمثابة الدرجة الأولى في سلم وصول شارون إلى الحكم على رأس السلطة في إسـرائيل. وقـد قوبل التصرف الشاروني برد فعل عربي عظيم تبنته الجامعة العربية وأعلنه القادة العرب المجتمعون في بيروت في مؤتمر القمة العربية ٢٠٠٢ وهو استعداد العرب التام لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل يضمن تطبيع العلاقات كاملة مقابـل انسـحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي تحتلها عقب عدوان ١٩٦٧/٦/٥ ، وجـاء رد فعل شارون وإجابته فوراً على مبادرة السلام العربية بإعادة احتلال الضفة الغربية وحصار الرئيس الفلسطيني "عرفات" في "رام الله" ومنعه من مغادرتها حتـى الآن

بل ومن تحركه بحرية داخل أراضي السلطة الفلسطينية ذاتها ثم التلويح بنفيه أو تصفيته ، ولا نذيع سراً إذا قُلنا أن إسرائيل أعدت خُططاً كاملة لنفي عرفات إلى جنوب السودان.

وإذا كان دخول شارون إلى ساحة المسجد الأقصى وأتباعه معه والطواف به هو في نظر الإسرائيليين عمل بطولي وعبادة دينية صعدت بشارون إلى منصب "رئيس الوزراء" خلفاً لباراك الذي سمح له ووفر له الحراسة الخاصة ..! فكيف تصير الأمور بالرئيس الأمريكي "بوش" إذا تمكن من احتلال العراق وغزو سوريا والثأر من إيران ودخول الشمال الحجازي .. إن بوش عند ذلك يكون قد سبق عصر القياصرة والأباطرة والعظماء ليصبح زعيم العالم وبلا منافس بعد أن يضع أمريكا على قمة الهرم العالمي المقلوب.

وما أظن هذا ولا ذاك واقعاً إلا بسبب الظروف السيئة التي تمر بها الأمة العربية والتي هي من إفرازات حالة الاستسلام العربي المزري والمخزي والضعف والتمزق والخلافات التي من تداعياتها بات مهيئاً لاستقبال التهديد والضرب وإهانة كرامته بل وإلغاء سيادته على أرضه وسمائه ومياهه الإقليمية.

واستمراراً لهذه السياسة العدوانية ضد العرب والمسلمين وبعد التهام العراق ضمن مخططات الهيمنة العسكرية والسياسية على العالم وفي طليعتها السيطرة على المنطقة العربية ، أصبح لشارون أو غيره في السلطة الإسرائيلية أن يحدد لإدارة بوش التي يسيطر عليها اليمين الأمريكي الليكودي أوّليات وأولويات خطواتها العدوانية القادمة ، وقد تحدث في ذلك عضو الكونجرس الأمريكي "نك رحال" وسبق ذكره.

ومع اشتداد المقاومة العراقية التي أوقفت زحف الغزاة صوب المدن الكبرى بما أربك المعتدين وأجبرهم على التراجع في غير موقع وفي غير مرة لإعادة ترتيب صفوفهم وانتظاراً للمساندة والدعم القادمين من الكويت ودول الخليج

الأخرى. تلك المقاومة التي سببت حرجاً كبيراً للإدارة الأمريكية وأصابت جبروتها وكبريائها في مقتل ، وقد أجبرت "بوش الثاني" على إطلاق دعاويه الباطلة للبلهاء من أتباعه والمغفلين من شعبه بأنه يحارب بأمر السماء ، وأنه مأمور بها .. أي إذا فشلت حملته على العراق ولم تحقق نتائجها فلا يوضع في قفص الاتهام رهناً للمحاكمة وألا يخرج من البيت الأبيض مفضوحاً مطروداً كغيره من السابقين.

ولقد أطاحت المقاومة العراقية الباسلة أول ما أطاحت بمن يعرف أنه مهندس عملية غزو العراق الملقب "أمير الظلام" "ريتشارد بيرل" سواء استقال أو أقيل ، كما تأكد إقالة آخرين في عملية تطهير أمريكية مبكرة لتصحيح الأوضاع في الداخل ولتصحيح المسار في أرض المعارك.

وعمت حال التخبط والهيام والتوتر والقلق في البيت الأبيض حتى أن بوش أوفد مستشارة بلاده للأمن القومي إلى روسيا في مهمة لم يُكشف عنها ، وفي عشية مغادرتها موسكو اختفت المقاومة العراقية ..! وسقطت بغداد بفعل الخيانة ، ومن المثير للدهشة الإعلان الروسي بفشل "رايس" في مهمتها وعودتها إلى واشنطن من دون تحقيق أية نتائج.

وقد أزعج الإسرائيليين وأفزعهم الموقف العراقي البطل وباتوا يستشعرون خطراً كبيراً من تطور الآلة العسكرية السورية الداعمة للمقاومة العراقية – بحسب ادعاءاتهم – فعملت على إزكاء نار العداوة وتصعيد حدة الخلافات بين دمشق وطهران من جانب ولندن وواشنطن من الجهة الأخرى.

تفاعلت إدارة بوش مع الإثارة الإسرائيلية ، وزادت من حدة تصريحاتها الدالة على تخبطها ، في محاولة يائسة للتغطية على فشلها في المواجهة العسكرية مع المقاومة العراقية ، فراحت تتهم موسكو وبكين بإمداد العراق بأسلحة متطورة من شأنها الإضرار بالأمريكيين – بحسب قول بوش – ، فجاء إعلان وزيرا خارجية البلدين بالنفي القطعي والفوري لهذه الاتهامات.

فلم يتبق إلا سوريا .. وإيــران ..

فطنت الإدارة السورية إلى حجم الخطر الذي أضحى يهددها فخرجت مــدير الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية السورية السيدة "بثينة شعبان" لتعلن في ٣/٤ في تصريح لها نقلته عنها صحيفة الشرق الأوسط في اليوم التالي فقالــت إن بلادهــا سعت إلى علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وليست لديها مشكلة فــي التعاون معها من أجل حل المشكلة الماثلة في المنطقة ، وأضافت الصحيفة نقلاً عن المتحدثة قولها أن بلادها كانت دائماً في علاقاتها مع الولايات المتحدة تعــالج كــل نقطة على حدى ، وأضافت المتحدثة أن هذه النقطة لا تقف ضد العلاقات السورية الأمريكية بشكل أساسي كما أشارت إلى أنه في حالة سعي الولايات المتحــدة الآن لإيقاف الحرب وإيجاد الطرق الكفيلة بإنهاء المعاناة عن الشعب العراقي والأمريكي والبريطاني فإن سوريا ستكون مستعدة للتعاون مع أمريكــا لحــل المشــاكل فــي المنطقة.

كما تحدثت المسئولة عما يجري في العراق فأوضحت أن بلادها وقفت ضــد شن الحرب على العراقيين وصوتت إلى جانب القرار ١٤٤١ لتكون بــذلك جــزءاً من إجماع دولي يهدف إلى منع الحرب على العراق.

وفي ختام حديثها أكدت على أن سوريا مُستمرة في موقفها الرافض للحــرب والعودة إلى الشرعية الدولية والأمم المتحدة ، وأن العراق هو كأي بلد في العــالم يتم تحديد حكومته وشكل النظام فيه من قبل شعبه.

استمرت السياسة الأمريكية في السير على طريق التهديد والوعيد وصــعدت حملتها أملاً في إصابة أكثر من هدف ضمن عملية واحدة جارية هي مــا أســمتها "حرية العراق" ، واشتدت بذلك سرعة رياح التغيير العاتية التي تهب على الشــرق

بما لها من قوة تدميرية هائلة خرّبت سلفاً أفغانستان ، وتدمر الآن العراق وتحدث آثاراً تُدمي القلوب وتعمي العيون.

فقد نقلت الفضائيات صوراً وطيرت وكالات الأنباء أخباراً تؤكد جميعها على حشود عسكرية هائلة شرق البحر المتوسط وفي المنطقة الحدودية بين العراق وسوريا مما استرعى الانتباه الدولي واستدعى تحرك بعض الدول الكبرى التي أحست الخطر المحقق الذي أصبحت عليها مصالحها المهددة بالنسف كلية في مواجهة رياح التغيير العاتية التي باتت تهدد الشرق الأوسط بأكمله ، ومن ثم فإن المنطقة تصبح عرضة لصدام المصالح الذي قد يعيد إلى الأذهان الحرب العالمية الثانية قبيل منتصف القرن الماضي.

فسارعت روسيا الحليف الاستراتيجي القديم إلى الإسراع بدعوة الولايات المتحدة إلى ضبط النفس حيال سوريا.

ففي تصريحاته حول المستجدات قال نائب وزير الخارجية الروسي "الكسندر لوسيوكوف" في ٤/١٥ لوكالة "إيتار" الروسية إن تصريحات واشنطن المتشددة قد تعقد إلى حد بعيد العلاقات مع دمشق وتزيد تعقيد الوضع في الشرق الأوسط ، وأفاد أن سقوط نظام صدام حسين يحتم التركيز على أولوية استقرار الأوضاع في الشرق الأوسط.

ومن جانبها اقترحت سوريا على لسان وزير خارجيتها "فاروق الشرع" جعل الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل وأنها – سوريا – على استعداد لتوقيع اتفاقية لإخلاء المنطقة بكاملها من تلك الأسلحة ونفى إيواء سوريا لقادة عراقيين.

وقد أعلن "باباندريو" وزير الخارجية اليوناني الذي تترأس بلاده الدورة الحالية للاتحاد الأوروبي أن التهديدات الأمريكية لسوريا من شأنها أن تزيد من حدة التوتر في الشرق الأوسط.

كما أعلنت الوزيرة البريطانية "كليرشورت" أنه لا يمكن السكوت على توسيع النزاع ضد سوريا.

وقد أعلن كوفي أنان عن رفضه لتلك الاتهامات وحذّر من تهديد سوريا.

وفي إطار جهوده الرامية إلى احتواء الموقف المندفع وبسرعة نحو المجهول ومن أجل السيطرة عليه قبل تطوره التقى الرئيس المصري "محمد حسني مبارك" بنائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري السيد/ فاروق الشرع وأعلن الأخير عقب اللقاء في مؤتمر صحفي أن بلاده لن تسمح بدخول أي مفتشين إلى أراضيها للرد على المزاعم الأمريكية بحيازة دمشق لأسلحة دمار شامل ، وأضاف أنه يحمل رسالة معه أثناء عودته إلى بلاده من الرئيس مبارك إلى الرئيس السوري "بشار الأسد".

ثم التقى الشرع بالأمين العام للجامعة العربية وقد بحثا خلال اللقاء مختلف التطورات في المنطقة وفي مقدمتها الاتهامات الأمريكية ضد سوريا ، وموضوع إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

بينما يطلب سكرتير السفارة الأمريكية في موسكو من روسيا الضغط على سوريا الحليف القديم لموسكو والتي عارضت الحرب على العراق.

أما في واشنطن فقد أعلن مسئولون أمريكيون على أن واشنطن لا تعتزم تعديل خارطة الطريق للسلام في الشرق الأوسط في الوقت الراهن ، يأتي ذلك في إطار إلباس الأوضاع أكثر من لباس ، ولذر الرماد في عيون العرب.

وقد أعلن "باول" أنه لا توجد لديه خطط في الوقت الراهن لزيارة المنطقة فيما يُعد تراجعاً عن إعلانه السابق عن زيارة مرتقبة لدمشق . فيما أُعلن في القاهرة صباح السبت ٤/١٩ عن زيارة باول للمنطقة ومن بينها مصر.

شعر الجميع بخيبة أمل من جراء الموقف الأمريكي ، ووقع حلفاء الأمريكيين من العرب في حرج كبير نتيجة للتصعيد الأمريكي السريع والخطير في تحويل

اتجاهات رياح التغيير السياسية الأمريكية بل والعسكرية كذلك ، خاصة في ظل الوعي المتنامي لدى الشعوب العربية بحقيقة الأهداف والأطماع والمخططات الأمريكية ، ومعايشة هذه الشعوب للأحداث ومقارنتها بالمخزون في ذاكرة التاريخ بما قد يؤدي إلى إثارة الشعور العربي العام الذي لن يتوقف هذه المرة عند مجرد التظاهرات ، خاصة أن الإدارة الأمريكية أقرت مشروعاً أمريكياً بتجميد الأموال السورية إذا لم تذعن لمطالب واشنطن ، وقد جاء ذلك التصريح وسط أنباء مؤكدة عن قيام الطائرات الأمريكية بمراقبة الأجواء السورية ورصد الأقمار الصناعية الأمريكية لكل التحركات السورية مع زيادة حجم الحشود البحرية الأمريكية شرق المتوسط.

وعلى الفور غادر الرئيس مبارك القاهرة في ٤/٢٠ متوجهاً إلى دمشق بهدف تنسيق المواقف العربية المشتركة للتعامل مع المستجدات الراهنة ، ومنها إلى العاصمة البحرينية المنامة يطير بعدها إلى الرياض في طريق عودته إلى القاهرة.

وحدث تراجعاً في لغة وسلوك الموقف الأمريكي بعد مضي ما لا يزيد عن ٣٦ ساعة من جولة الرئيس مبارك العربية ، حيث دعا "باول" إلى تعاون السوريين مع الإدارة الأمريكية بشأن الفارين من العراق التابعين لنظام صدام حسين ، وهدأت فجأة حدة التهديدات الأمريكية لسوريا وقبيل مساء ٤/٢٦ بالتوقيت المحلي في مصر تم الإعلان في واشنطن عن جولة شرق أوسطية يقوم بها "باول" تشمل مصر والأردن وسوريا وفلسطين وإسرائيل والسعودية.

وبعد أن لاحت في الأفق بوادر انفراجة في الأزمة الجديدة أو بالأحرى طرحها بعض الوقت ، بدت الأمور وكأنها لم تَرُق للتابع البريطاني الذي يجب أن نسميه "الوزير الأمريكي المفوض بالشئون الأوروبية" "توني بلير" وهو كذلك وزير إعلام الحرب الأمريكية على العراق . فقد خرج عن صمته على حين فجأة فحذر

سوريا وإيران من رعاية ما أسماه بالإرهاب ، وقد بدا "بلير" وهو يريد اللحاق بالركب الأمريكي للأحداث وقد تخلف عنه بعض الشيء.

- وفي صباح السبت ٢٠٠٣/٥/٣ وصل باول إلى دمشق في إطار جولته في الشرق الأوسط التي تهدف إلى تهدئة مخاوف العرب والضغط على لبنان وفلسطين وحزب الله والمقاومة اللبنانية ، ومساومة السوريين بمقابلة الشيء للشيء ، وقد عرض "باول" على الرئيس السوري "الأسد" عدة مطالب على رأسها :
  - وقف الدعم السوري لجماعات فلسطينية مناهضة لإسرائيل.
  - غلق مكاتب حماس والجهاد في سوريا.
  - التوقف عن دعم المقاومة اللبنانية.
  - وعلى استحياء لمّح "باول" بمراجعة العلاقات السورية الإيرانية.

كما أكد "باول" على ضرورة استفادة السوريين من المستجدات الدولية والأوضاع الجديدة في المنطقة. مما يعتبر تهديداً أمريكياً مباشراً أو على الأقل تلميحاً بإمكانية تعرض سوريا بتطبيق النموذج العراقي عليها. كما أنه يُعد تدخلاً صارخاً في الشئون الداخلية للجمهورية السورية ومساساً بسيادتها على أراضيها.

وقد أعلن وزير الخارجية الأمريكي قبيل مغادرته سوريا أن خارطة الطريق هي جزء من خطة سلام وحل شامل في الشرق الأوسط يتناول سوريا ولبنان كما طلب من سوريا ولبنان التعاون مع واشنطن بشأن قيام شرق أوسط جديد. (١)

يأتي هذا التصريح من جانب باول قبيل وصوله إلى لبنان تهيئة للأجواء اللبنانية وتمهيداً لها وحرث ثاني في أرض لن تُنبت له زرعاً خاصة مع إعلان الخارجية اللبنانية رفض لبنان المطلق لجميع المطالب الأمريكية مقدماً.

---

(1) تحقيقاً لدعوة بيريز التي أطلقها عام ١٩٩٤.

وقد وصل باول إلى بيروت وعرض على الرئيس اللبناني "أميل لحود" قائمة من المطالب الأمريكية على رأسها "إنهاء الاحتلال السوري للجنوب اللبناني" – حسب الرؤية الأمريكية – ، ثم العمل وبسرعة على نشر الجيش اللبناني في الجنوب بدلاً من ميليشيات حزب الله والقوات الأجنبية – في إشارة إلى سوريا–.

وغادر "باول" بيروت إلى تل أبيب في فلسطين المحتلة "إسرائيل" وهناك حاول "باول" تفجير أول قنبلة في العلاقات السورية الفلسطينية بقوله أن سوريا قد أغلقت بالفعل مكاتب الحركات "المنظمات" الفلسطينية على أراضيها قبل أيام وأنها أي – سوريا – ستستمر حتى إنهاء الوجود الفلسطيني في دمشق وهو ما سوف ينتج عنه مباشرة خلافات حادة قد تصل إلى حد المصادمات المسلحة بين سوريا والحركات الإسلامية الفلسطينية بما قد تتكرر به مأساة "أيلول الأسود" ومذابح الملك حسين ضد الفلسطينيين في عام١٩٧٠ حتى أُجبرت المقاومة على الرحيل إلى لبنان بالخروج من الأردن ، وكذلك يهدف "باول" إلى شق الصف بين سوريا وحزب الله والمقاومة اللبنانية الفلسطينية في الجنوب اللبناني. وإن كان ذلك فإن العلاقات الإيرانية السورية ستتعرض لهزة عنيفة للمرة الأولى في تاريخها بما يتيح للأمريكيين الاستثمار الجيد لنتائج التطورات التي هي في علم الله.

وكان "باول" قد تحدث في مؤتمر صحفي عقده عقب عودته إلى بلاده من زيارته الأولى للمنطقة بعد احتلال العراق فتحدث عن طرح واشنطن "خطة السلام الجديدة" بين الفلسطينيين والإسرائيليين والمعروفة باسم "خارطة الطريق" وقال إنه من المهم أن تلعب سورياً دوراً إيجابياً في المنطقة عن طريق إغلاق حدودها مع العراق وإغلاق مكاتب تمثيل الجماعات الفلسطينية المتشددة في دمشق.

وقال "باول" في مقابلة أجرتها معه محطة ABC التليفزيونية الأمريكية : "المهم هو أداء الحكومة السورية"(1).

---

(1) موقع BBC على شبكة المعلومات الدولية في ٢٠٠٣/٥/٥ .

لكن الرد السوري على المطالب الأمريكية جاء فاتراً إذ قالت دمشق أن على واشنطن أن تمارس ضغوطها على إسرائيل ، وأضافت الحكومة السورية أن السلام لن يتحقق في المنطقة إلا بعد انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، وضمان حق العودة للاجئين الفلسطينيين ، كذلك فقد رفضت الحكومة اللبنانية المطالب الإسرائيلية التي حملها "باول" في حقيبته بسحب مقاتلي حزب الله من الجنوب اللبناني.

وذكرت صحيفة النهار اللبنانية أن الرئيس "لحود" قال لوزير الخارجية الأمريكي "باول" إن حزب الله يُعد حزباً سياسياً معترفاً به وأن مقاتليه ساهموا في إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان الذي استمر ثمانية عشر عاماً .. (يأتي هذا رداً على تصنيف الأمريكيين لحزب الله بأنه جماعة إرهابية).

وقد أكد "باول" في نهاية مؤتمره الصحفي أن الكونجرس الأمريكي أعد بالفعل قانوناً يمكن بموجبه فرض عقوبات على سوريا ، لكنه أشار إلى أن سوريا ستحصل على مكاسب إذا تصرفت بطريقة جديدة وإيجابية[1].

أما رد الفعل العربي وتعليقاته ، فقد جاء دون المستوى ربما لأن البعض تصور وهماً بحدوث انفراجة في الأزمة السورية الأمريكية ، وهي بحسب المفهوم العربي "نزع فتيل الأزمة" وفي الواقع الأمريكي "طرحاً" أي – تأجيلاً – لتلك الأزمة إلى حين مواتاة الظروف وتهيئة المناخ السياسي وإعداد المسرح العالمي لتقبّل القيام بعمليات عسكرية أوسع قد تستهدف سوريا ولبنان في عملية واحدة وفي وقت لاحق لأن العالم اليوم لن يقبل أي تطور جديد في الأوضاع الشرق أوسطية.

وتتعدد السيناريوهات وتتنوع للتعامل المستقبلي الأمريكي حيال الجبهة السورية اللبنانية.

---

(1) المصدر السابق.

فقد يصير الحديث عن خطة أمريكية للسلام بين إسرائيل وسوريا تضمن التوصل إلى حل مُرضي لمشكلة الجولان فتقبل هذه أو ترفض الثانية. ويجيء تعديل إسرائيلي يتضمن اقتراحاً بابتلاع الجولان يقابله رفض سوري ، وتتطور الأمور إلى حد الحرب الشاملة.

وقد تحدث اعتداءات متكررة على المصالح والأهداف الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة وفي الداخل السوري اللبناني بواسطة عملاء الموساد ، والـ CIA ثم تُلقي أمريكا باللوم على سوريا ولبنان وتتهمهما صراحة بأنهما دولتان راعيتان للإرهاب وتتطور الأمور ، ولسوف يتحرشون بالجيش السوري عبر حدوده مع العراق.

وقد تختلف الأمور ويحدث اغتيال قائد إسرائيلي أو شخصية إسرائيلية بارزة على أيدي الإسرائيليين أنفسهم ثم توجه الاتهامات للإرهابيين الجدد بعد أن يقال عنهم محور الشر.

إلا أن أقوى الاحتمالات هو تكرار النموذج العراقي ومحاولة إخضاع سوريا للجان التفتيش على أسلحتها المحظورة تماماً بالتطابق مع النموذج العراقي ، وتتطور الأحداث.

أو قد تقبل الإدارة السورية الاستفادة من مناصحة "باول" للقادة السوريين بتطوير أدائهم والاستفادة من التطورات الإقليمية الجديدة وقبولها مع لبنان التعاون مع واشنطن بشأن قيام شرق أوسط جديد وهو ما يعني بالضرورة توقيع السوريين اتفاق سلام خاص مع إسرائيل يتطابق مع النموذج الأردني الذي أعده وأخرجه وقدمه العاهل الأردني في السابق "الحسين بن طلال" للإسرائيليين فترة ولاية "بنيامين ناتنياهو" عندئذ تكون العراق ومعها سوريا ولبنان والأردن مجتمعين معاً في تل أبيب على مقعد بروتوكولات اقتصادية وسياسية تحت رعاية أمريكية لوضع

حجر الأساس وبناء الهيكل اللازم للشرق الأوسط الجديد الذي دعت إليه إسـرائيل مبكراً وسيصبح إذ ذاك موضع التنفيذ وعلى أرض إسرائيل.

بينما تتولى الإدارات الأمريكية المتعاقبة العزف علـى ذات الـوتر إعلاميـاً ودعائياً حتى وإن اقتضى الحال إغراء القيادات العربية أو الضغط عليها بـدعاوي إيجاد الحلول لمشاكلها الاقتصادية وإن استلزم الأمر عرض مشروعات اقتصـادية معينة واتفاقات شراكة محددة والترويج بعرض إمكانية إقامة منطقة للتجارة الحـرة البينية الأمريكية العربية خاصة مع من تسميهم أمريكا الحلفاء العرب ، مقصـدها الرئيس والفعلي من ذلك هو الإجهاض المبكر لكل دعوات القـادة العـرب وقتـل الشعور العربي الجارف ووأد فكرة السوق العربية المشتركة مبكراً قبل أن تتزاوج الرغبات الملحة الجماهيرية والحكومية العربية فتتجب تلك السوق التي ستهدد حتماً المصالح الغربية "الأطماع الاستعمارية" في بلادنا .. وإن الأيام لقـادمة ..

(ب) طهران في مرمى النـيران :

أصبح "رضا خان" رئيساً للدولة الفارسية منذ عام ١٩٢٣ والذي نـودي بـه امبراطور في عام ١٩٢٥ باسم "الشاه رضا بهلوي" وظلت دولته الشاهنشاهية تعمل في خدمة الأمريكيين حتى وفاته وتولى ابنه "محمد رضا بهلوي" مقاليد الحكم فـي ١٩٤١ وقد استمر الخلف على نهج السلف حتى أطاحت به الثورة الإسلامية بقيادة "آية الله الخُميني".

وتعود أهمية تطوير العلاقات مع إيران إلى كونها ثالث أكبر الدول المنتجـة للبترول في الشرق الأوسط مع السعودية ، والعراق بالإضافة إلـى كونهـا تمثـل الطرف الثاني في ميزان القوى الإقليمية بعد العراق في منطقة الخليج والثالث فـي المنطقة بانضمام تركيا.

ولا يمكن بحال إغفال الدور الإيراني الفعال والمتفاعل مع المنطقـة العربيـة وقضاياها باعتبارها بلداً إسلامياً ونفطياً كبيراً.

مما دفع بالأمور برمتها إلى أتون المعارك حتـــى وقعـــت حـــرب الســـنوات الثماني.

كذلك فلا يمكن بحال إغفال ما شاب العلاقـــات الإيرانيـــة الأمريكيـــة مـــن التوترات التي بدأت بأزمة الرهائن ، وفشل محاولة الأمريكيين في تحريرهم فـــي طهران بعمل عسكري مباشر. ولم تنته تلك الأزمة إلا بعد توقيع صفقة سرية بـــين طهران وواشنطن في ١٩٨١/١/١٨ من القرن الماضي ، وفي ١٩٨٦/١١/٦ تـــم افتضاح المبادرة الأمريكية السرية مع طهران والتي بمقتضاها أن ترسل الولايـــات المتحدة أسلحة إلى إيران مقابل الإفراج عن الرهائن وهو ما عُـــرف باســـم Iran Gate Scandal .

وقد قدمت أمريكا وقود نار المعارك من أســـلحة ومعـــدات عســـكرية إلـــى الإيرانيين عبر اليمن وبلاد أخرى وإلى العراقيين عبر الأردن وتركيا أمـــا الـــدول العربية فقد انقسمت فأيدت بعض الدول إيران وبعضها ساندت العـــراق. أمـــا دول الخليج فإن مواردها تُستنزف سداداً لفاتورة الحرب لصالح العراق.

وإذا كان العراق قد ابتلع طعم غزو الكويت ودخل بأقدام قادتـــه إلـــى بطـــن المؤامرة فوصل به الحال إلى ما هو عليه الآن فإن إيران الإسلامية لم تقترف ذات الإثم ولم ترتكب نفس الخطأ.

حيث المشكلة القائمة بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة يعود مردهـــا إلى ما قامت به القوات الإيرانية في عصر الشاه قبيل منتصف السبعينات بـــاحتلال ثلاث جزر إماراتية تقع في الخليج العربي ذاته هـــي "طنـــب الصـــغرى ، طنـــب الكبرى ، أبو موسى" وهي مردودة إلى نزاع أزلي وهو نزاع عقائدي بين الثقافتين العربية والفارسية قبل أن يكون نزاعاً عسكرياً أوجغرافياً فالموروث مـــن العقيـــدة الفارسية القديمة يؤكد على أن ما نسميه نحن العرب "الخليج العربي" يؤكدون على أنه "خليج فارسي خالص" أي أن إيران لها حق السيادة الكاملة على الخليج الفارسي

من رأسه شمالاً عند شط العرب إلى مصبه جنوباً في خليج عمان ومن ثم تكـون الجزر الثلاث محل النزاع هي أراضي فارسية محررة "طبقاً للرؤية الفارسية".

وهذه هي إحدى أدوات الاستعمار ووسائله التي تستدعي من قَوِّلون التـاريخ فضلاته وتعيد تصنيعها بحيث يملأ العالم زهمها ونتنها حتى كانت حـرب الخلـيج الأولى والثانية والثالثة حالياً والرابعة قائمة على الأبواب وستكون قبل عام ٢٠١٠ أي لإعادة تشكيل الخليج وترتيب المصالح فيه في مدة لا تتجاوز الثلاثين عام منـذ الحرب الأولى في عام ١٩٨٠.

أما الرابعة القادمة ستكون علـى أرض إيـران التـي حاصـرتها الجيـوش الأمريكية عند أقصى الحدود الشمالية مع العراق وحتى القواعد البحرية في سلطنة عمان جنوباً "هذا من جهة الغرب" ، بينما تـرابض تلـك الجيـوش التـي تحتـل أفغانستان بالإضافة إلى القواعد الأمريكية والبريطانية في باكستان ، هذا بخـلاف الأساطيل البحرية والمدمرات والغواصات وحاملات الطائرات الموجودة في بحـر العرب والخليج الأمريكي "العربي سابقاً" خاصة بعد تخفيض الوجـود العسـكري الأمريكي في المملكة السعودية ورحيله إلى قطر في المواجهة مع إيران.

إن تصعيد الخلاف مع إيران والعزف على وتر إحالتها إلى مستودع التـاريخ ليس وليد فكرة محور الشر التي أعدها "بيرل" وأطلقها "بوش" ، إنما بدأ الإعداد لها منذ عصر الشاه السابق عندما احتلت قواته جزراً إماراتية ، وتحرشـت بـالجيش العراقي وبتقديم الدعم السياسي الذي قدمه الشاه للانفصاليين الأكراد فـي الشـمال العراقي.

إلا أن المجاهرة بالبغي والاعتداء على إيران قد تصاعد في الفتـرة الأخيـرة بعد أن ثبتت فاعلية الدعم الإيراني لحزب الله الـذي تمكـن مـن إذلال إسـرائيل وتلقينها درساً لن تنساه حتى انسحبت الآلة العسكرية الأمريكية الإسرائيلية الحديثـة من الجنوب اللبناني ولم تستطع بطائراتها المتقدمة إيقاف زحف مقـاتلي الحـزب

المندفعين صوب تحرير الجنوب والمسلحين بالأسلحة الخفيفة والمحمولة على الأكتاف من صواريخ "آربي جي" بل قُل إن المقاومة الجنوبية في لبنان أطاحت برئيس الوزراء الإسرائيلي نفسه "باراك" وعجزت الحكومة الإسرائيلية الجديدة برئاسة "شارون" عن أي محاولة لإثبات الوجود أو رد الاعتبار أمام رجال حزب الله وأَبَى شارون الذي لا يعرف من الرجولة إلا اسمه إلا أن يُثبت لنفسه أنه رجل على حساب الفلسطينيين في الداخل ولم تتخل إيران عن دعم رجالات "حسن نصر الله" وحزبه بل ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير حيال تطوير علاقاتها لا "بحزب الله" وحده كحزب سياسي شيعي معترف به بل بالتأكيد على علاقات قوية وطيبة ومثمرة مع الحكومة اللبنانية ذاتها.

وفي العاشر من مارس ٢٠٠٣ قبل بداية الحرب على العراق ليخرج علينا "كولين باول" من خلال مقابلة تليفزيونية في واشنطن ونقلتها الفضائيات وطيرتها وكالات الأنباء تحدث فيها "باول" بقوله "لقد اكتشفنا فجأة عن مدى تطور البرنامج النووي الإيراني" وأضاف أن البرنامج النووي الإيراني وصل إلى مراحل أكثر تقدماً مما كان يُعتقد في السابق.

وأعرب عن اعتقاده بأن ما تحقق من تقدم يظهر أن الدول الساعية لإنتاج أسلحة نووية تستطيع إخفاء جهودها في هذا المجال عن أعين الدول الأخرى ومؤسسات الرقابة الدولية وضرب مثالاً بسعي العراق لامتلاك أسلحة محظورة.

وقد جاءت تصريحات "باول" عقب نشر مجلة تايم الأمريكية تقارير منقولة عن مصادر دبلوماسية جاء فيها أن المفاعل النووي الإيراني المقام في "ناتانز" اقترب من إنتاج اليورانيوم المخصب الذي يمكن استخدامه في تصنيع أسلحة نووية.

وكرر قوله "لقد اكتشفنا فجأة أن لدى إيران برنامجاً نووياً يفوق في تطوره ما كان معتقداً في السابق".

وقد ذكرت مجلة تايم الأسبوعية التي أوردت التقارير السابقة في العدد ذاته المُصدر في الأسبوع الثاني من أبريل ، ذكرت على لسان "كونداليزارايس" أن اكتشاف المساعي الإيرانية لامتلاك الأسلحة النووية وإنتاج اليورانيوم المخصب لا يُدهش واشنطن وأن مفاعل "ناتانز" النووي وصل إلى مراحل متطورة للغاية بحيث يمكن استخدامه في تصنيع الأسلحة النووية المتطورة.

وهكذا تصاعدت لغة التهديدات الأمريكية خاصة بعد تصنيفها ثالث ثلاثة في محول الشر – بحسب رؤية "بيرل" و"بوش" – ومبلغ ظني وجملة اعتقادي أن الذي حال دون ضرب طهران ودمشق أو إحداهما في عملية واحدة مع بغداد هو غيبة التحضير الإعلامي وانعدام تهيئة المسرح السياسي العالمي لتلك العملية .

فإذا ما غامرت الولايات المتحدة في توسيع رقعة القصف ودائرة الحرب فربما حدثت تغييرات جوهرية تعصف بالمستقبل السياسي والوضع الحالي لإدارة بوش والحزب الجمهوري كله ، وتلقي بهم في مهب رياح التغيير التي ستأتي حتماً حال الإضرار بمصالح العالم كله في هذه المنطقة البترولية الحساسة والتي ربما تصل إلى حد المصادمات العسكرية وتتوسع في اتجاه زوايا العالم الأربع وتهدد بالفوضوية والغوغائية الشاملتين.

ومن هنا يبرز بمقدار أهمية التريث وعدم الاستعجال بغزو إيران وسوريا ، وضرورة السير بسياسة "هنري كيسنجر" المعروفة "الخطوة خطوة" والتي بدأها عن اتفاقية فض الاشتباك الأول مع مصر إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ولسوف تقع المملكة السعودية في مهب رياح التغيير العاتية ، ولا يساورني شك في ذلك خاصة بعد التطورات الأخيرة التي طرأت على العلاقات السعودية الأمريكية والتي تعود للأسباب التالية:

١- مطالبة السعودية للأمريكيين بالوقف الفوري للحرب أكثر من مرة .

٢- الرفض السعودي لعبور الصواريخ العابرة فوق أراضيها.

٣- امتناع العديد من الشركات السعودية عن بيع أو تزويد الأمريكيين بالسلع والخدمات وإلغاء التعامل معهم نهائياً آجلاً أم عاجلاً.

٤- استضافة المملكة لمؤتمر دول الجوار مع العراق والذي ضم كل من سوريا والكويت والأردن وتركيا والإمارات والسعودية بالإضافة إلى مصر ، والذي طالب في بيانه الختامي بحق العراقيين المطلق في اختيار حكومتهم بأنفسهم من دون تدخلات أجنبية وقد أكد المؤتمر رفضه بالكلية التعامل مع أي حكومة غير شرعية تنصبها قوات الاحتلال.

٥- بالإضافة إلى تصريح وزير الخارجية السعودي في ٤/١٨ "سعود الفيصل" والذي قال فيه إن قوات الاحتلال ليست لها الحق الشرعي في استغلال نفط العراق ، وأضاف أن عقوبات الأمم المتحدة لابد وأن ترفع فقط عند تولي حكومة شرعية لزمام الأمور.

يجيء هذا الاعتقاد في الوقت الذي أكدت الشواهد على جديته حيث بدأت القوات الأمريكية في الانسحاب من المملكة السعودية وإعادة انتشارها في قطر مع صباح الثلاثاء ٤/٢٩.

وإن صفق البلهاء لهذا التصرف على اعتباره نصراً عربياً وتحريراً للأراضي الطاهرة من دنس الأنجاس ، إلا أن لسان الحال ينطق بغير ذلك تماماً ، إن هذا التصرف الأمريكي المفاجئ يأتي لتسهيل التآمر عليها ، وإحداث العديد من الاضطرابات والتفجيرات والاغتيالات التي هي من تدبر CIA "الموساد" وبتدبير محكم منهما إعداداً وإخراجاً وتنفيذاً ، ثم يتم نسب تلك الأفعال الحقيرة إلى ما يسمى "تنظيم القاعدة" الذي بات في ذمة التاريخ ، ويجعلون منه "مسمار جحا" فتُوضع الشروط وتُرسم المناهج وتخطط البرامج وتأتي جاهزة للاستعمال ما على السعوديين من سبيل إلا التنفيذ.

وإذا تقاعست المملكة فإنها حينئذ مارقة متآمرة مثل سوريا وإيران ، ولا نذيع سراً أو نفشيه إذا قلنا اليوم أن مخطط تقسيم السعودية إلى ثلاث كيانات "دويـلات" هو حبيس الأدراج وقد اقترب وقت إخراجه ليرى النور بعـد أن نجحـت تجربـة العراق ، بينما العرب مشغولون بالتصفيق لخارطة الطريق ورحلات العـم بـاول والمعمدان رامسيفيلد.

وعندما اندلعت الحرب العدوانية على العراق التزمت القيادة الإيرانية الحـذر التام والحياد الجاد في التعامل مع قضية الجوار الشائكة ، فلم تصـدر عـن هـذه القيادات أية تعليق على الأحداث الجارية عدا الدعوة إلى الوقف الفـوري للحـرب مثلما دعت البرازيل والمجر والفلبين.

إلا أن الحياد الإيراني وصل إلى حد السلبية عندما منعت القـوات الإيرانيـة المعارضة الشيعية العراقية المسلحة في المنفى والبالغ عددها حوالي ٥٠٠٠ ألـف مقاتل عراقي من أتباع القائد الشيعي "محمد باقر الحكيم" الذي يعيش مع قواته فـي إيران ، وقد منعتهم من العودة إلى وطنهم العراق للقتال ضد قوات المعتـدين مـن الأمريكيين والبريطانيين.

وعلى الرغم من الحياد السلبي الإيراني لم تسلم إيران من بعـض التلميحـات الأمريكية التي تؤكد على إبقاء المخاوف الإيرانية لضمان تحييدها ، وقـد اسـتمر الوضع على ما هو عليه حتى نادى "الصحاف" في مؤتمره الصـحفي التقليـدي : "الشيعة والسنة والأحرار والأصدقاء" فعل ما يرونه مناسباً للحفاظ على المقدسـات الدينية من خلال ردع العدوان ووقفه الفوري.

عمت المظاهرات الأراضي الإيرانية التي زلزلها نداء الصحاف وارتفع نـداء الله أكبر في الشارع الإيراني كله مطالباً بالتدخل الإيراني الفوري للتصدي للقـوات المعتدية على العراق والتي تهدف إلى إعادة رسم الخريطة السياسية والجغرافية في المنطقة بكاملها بحيث تخلو تماماً من الجمهورية الإسلامية الإيرانية ويتم تطهيـر

المنطقة كاملة من صداع الأصولية الإسلامية ، الأمر الذي أخرج القيادة الإيرانية عن صمتها ، فتحدث المرشد العام للثورة الإسلامية محذراً الأمريكيين والبريطانيين من المساس بالعتبات المقدسة.

وهو قول لا يرقى للتعامل مع مستوى الأحداث ، إلا أنه يُعبر عن تطييبه لخاطر الشعب الإيراني وتهدئته.

وعندما زادت الاتهامات الأنجلو أمريكية وتصاعدت حدة الخلافات بين واشنطن ودمشق عملت القيادة الإيرانية على النأي بنفسها وبلادها بعيداً عن التوترات الجديدة ، فصدر تحذير سياسي كبير ينم على عقلية واعية من جانب القيادة السياسية الإيرانية التي أكدت للأمريكيين أن إيران لن تأوي أحداً من النظام العراقي ، ويشد على أيدي العراقيين في محنتهم ، ويهدئ من روع شعبه ويؤكد على تفاعله مع قضايا العالم الإسلامي في جملة واحدة ..

فقد حذر المرشد العام للجمهورية الإسلامية "آية الله سيد علي خامنئ" في خطبة صلاة الجمعة في ٤/١١ بالعاصمة طهران من أن بلاده لن تبقى متمسكة بموقفها الحيادي إزاء الأزمة العراقية في ما إذا دخلت القوات الأجنبية في صراع مع الشعب العراقي ، وقال خامنئي لقد خالفنا نظام صدام حسين القمعي الظالم ، واعترضنا على اعتداء الأجانب على العراق ، وأضاف أنه بالنسبة لحرب صدام وأمريكا وبريطانيا – اعتبرنا – الطرفين ظالمين ، ولم نقدم أي عون لأي منهما وأعلنا عدم الانحياز لأي منهما ، ولكننا لن نقف على الحياد في مجال الصراع بين المحتلين والشعب العراقي ، وقال إن المحتل معتد مدان ، وإن الشعب المقاوم مُحق مظلوم وإن دعمنا المعنوي والسياسي لكل شعب معتدٍ عليه هو سبيلنا الذي لا نحيد عنه[1].

---

(1) جريدة الراية القطرية – السبت ٢٠٠٤/٤/١٢.

واستمرت الأبواق الدعائية الأمريكية في توجيه الاتهامات لإيران سواء المباشرة أو غير المباشرة.

فخرج المتحدث باسم الخارجية الإيرانية "حامد رضا آصفي" ليغلق باب الحديث في هذه التصريحات ويطمئن الولايات المتحدة مما يخيفها من الهواجس فأعلن أن بلاده لن تتساهل مع أي مسئول عراقي كبير يدخل أراضيها بشكل غير قانوني ، وقال إنها ستحاكمهم على ما ارتكبوه من جرائم حرب ضد الشعب الإيراني فترة الحرب العراقية الإيرانية.

إلا أن "آصفي" لم يذكر ما إذا كانت حكومة بلاده ستسلم للقوات الأمريكية والبريطانية المتوغلة حالياً في العراق أي مسئول عراقي كبير يقع في أيديها ، والملاحظ كذلك فإن إيران على الرغم من ترحيبها بسقوط نظام صدام حسين إلا أنها أدانت وبشدة في الوقت ذاته التوغل الأنجلوأمريكي في الأراضي العراقية ووصفته بأنه "عدوان عسكري وهجوم على الإسلام والمسلمين".

ثم أعلن وزير الخارجية الإيراني "كمال خرازي" رفض بلاده للتهديدات الأمريكية ضد سوريا.

ثم هدأت سرعة الرياح متأثرة بحوائط الصد التي أبطأ مفعول سميتها وأرجأها إلى حين تلك التهديدات التي باتت على أعتاب سوريا ولبنان وإيران ، وحدث هدوء ملحوظ في تخاطب الألسنة ، فيما تشير الشواهد إلى أن مجمل الأوضاع في المنطقة معلق في خيط من نسيج العنكبوت تتلاعب به الريح في يوم عاصف.

استغلت القيادة السياسية الإيرانية فترة المهادنة التي بدأها وحيد القرن في التعامل مع المحور السوري اللبناني الإيراني.

فقام الرئيس الإيراني "محمد خاتمي رافسنجاني" بأول زيارة له إلى لبنان منذ عام ١٩٩٦ في مستهل جولة له لبعض من الدول العربية تضم كل من سوريا واليمن والمنامة بالإضافة إلى لبنان.

تأتي هذه الزيارة على الرغم من الدعاية الأمريكية السامة في شرق العالم العربي ضد إيران وتصويرها على أنها بلد إرهابي ومكمن خطر ، إلا أن "خاتمي" يثبت عكس ذلك تماماً بزيارته رقم ٦٦ للمنطقة.

كما تهدف زيارة "خاتمي" إلى لبنان في ظل هذه الظروف لتكسبه دعماً معنوياً وسياسياً واقتصادياً وعسكريا إيرانياً جديداً بالإضافة إلى سابق عهد إيران بمساعدة لبنان ورجال المقاومة وحزب الله ، وتهدف أيضاً إلى تنسيق المواقف ، وتأكيد وحدة الصف والهدف والموقف في مواجهة التحديات والتهديدات الأمريكية الحالية.

وقد أنهى رافسنجاني زيارته للمنامة آخر محطاته في جولته العربية وهي أول زيارة لرئيس إيراني للبحرين منذ عام ١٩٧٩م ، وقد غادرها عائداً إلى بلاده في ٢٠٠٤/٥/١٧ بعد توقيع اتفاقيات أمنية واقتصادية واتفاقات شراكة مع الدول التي زارها فيما يُعد لطمة للتوجه الأمريكي في المنطقة ، وينذر من ناحية أخرى بتصعيد أمريكي جديد ضد إيران.

وفي الرابع عشر من مايو بدأ الإعلان عن انتهاء زمن المهادنة الأمريكية مع الحكومة الإيرانية ، فقد أعلنت قناة التليفزيون الأمريكية CNN أن مصادر أمريكية رفيعة وبناء على مصادر استخباراتية أكدت على وجود رئيس عمليات تنظيم القاعدة في إيران قبيل انفجارات الرياض الأخيرة في ساعات الصباح الأولى من الثلاثاء ٥/١٣ والتي راح ضحيتها عدداً من القتلى الأجانب من بينهم عشرين قتيلاً أمريكياً فقط بخلاف إصابة ١٩٤ من جنسيات مختلفة.

فيما ترجع أدلة أخرى إلى الدور الرئيسي الذي لعبته الموساد في التفجيرات الأخيرة التي شهدتها العاصمة السعودية الرياض .

وأضافت المصادر ذاتها أن رئيس العمليات "سيف العدل" واحد مـــن قيـــادات تنظيم القاعدة المتواجدين في إيران بجانب "أبو مصعب الزرقـــاوي" الـــذي يُعتقـــد بتواجده هناك بعد وصوله متأخراً ورفض مسئولون مُطَّلِعون التعليق على تقريـــر CBS بشأن تمركز قادة تنظيم القاعدة في إيران للإشراف على عمليـــاتهم حـــول العالم كما رفضوا التعليق على احتمال اعتقال "العدل" في إيران.

ودأبت حكومة طهران على نفي الاتهامات التي تكال لها من الإدارة الأمريكية والمتكررة بتوفير الملاذ الآمن لقيادات تنظيم القاعدة بينما يكـــرر "رامســـفيلد" ذات الاتهامات بإصرار شديد قائلاً أن هناك دول توفر الملاذ للإرهابيين فنحن نعـــرف بتواجد قيادي رفيع من القاعدة في إيران على سبيل المثال.

ولم يلبث الصراع أن تصاعد وازدادت حدة التوتر في العلاقـــات الأمريكيـــة الإيرانية بسرعة في الأسبوع الأخير من مايو مع وجود ثلاث قضايا تشـــير إلـــى كارثة وشيكة بين البلدين عما قريب وبعد أعوام من الجمود في علاقاتهما ، حيـــث اتهمت واشنطن طهران بإيواء أعضاء من شبكة القاعدة كما تكيل لهـــا الاتهامـــات وتحرك ضدها الساكن في العالم بالترويج والتشهير بأن إيران تقوم بتنفيذ برنـــامج كبير لتطوير الأسلحة النووية بالإضافة إلى اتهام الإيـــرانيين باســـتغلال نفـــوذهم الشيعي الكبير داخل العراق ، وهي الاتهامات التي بسببها تبدو الأمور وكأنها تندفع نحو تقويض أو تغيير النظام الإسلامي في إيران خاصة مع الشواهد التي تقول أن أمريكا بدأت في تنظيم حملة مناهضة لإيران.

والآن لا يمكن الجزم بأن هناك ما يدل على أن الولايـــات المتحـــدة ستشـــن هجوماً وشيكاً على إيران في الوقت الحالي ، لكن مع وجود جميع تلك القضـــايا لا يمكن استبعاد مواجهة محتومة ، خاصة إذا ما أعيد انتخاب "بوش" فإن الأمريكيين

سيضغطون على الإيرانيين اقتصادياً وسياسياً وربما حتى قصف أهداف عسكرية ولو باستخدام الطائرات الإسرائيلية.

لذا فالجمهورية الإسلامية يجب أن تأخذ هذه التوقعات على محمل الجد وتقوم باستعدادات عسكرية وأمنية من أجل الدفاع ولمواجهة أي موقف جديد.

وقد اجتمع مجلس الأمن القومي الأمريكي مع وزراء الخارجية والدفاع والمهتمين بالمسألة الإيرانية من القادة الأمريكيين لتحديد الخطوة التالية في التعامل مع المشكلة الإيرانية ، وقد خرجوا بإعلان توصية مفادها الاعتماد على المعارضة الداخلية وإثارة حركات التمرد والانقلابات من دون تدخل أمريكي مباشر ، وبعد ساعات قليلة من نهاية الاجتماع طالعتنا إحدى الصحف الروسية بأنباء تتحدث عن خطة وضعتها الولايات المتحدة لغزو إيران انطلاقاً من العراق وجمهوريتي جورجيا واذربيجان السوفيتيتين السابقتين(١).

ثم شهدت العاصمة طهران مظاهرات طلابية حاشدة ومعارضة للسلطات الإسلامية ، واتهم المرشد العام للثورة الإسلامية الولايات المتحدة في ٢٠٠٣/٦/١٢ بمحاولة إحداث الفوضى والفرقة في بلاده وذلك عن طريق المحطات التليفزيونية الفضائية الأمريكية التي تسببت في إثارة تلك المظاهرات.

وتسير الأمور نحو الغد ولكن الغد متى يأتي ؟! ، وإلى أين يمضي ؟!.

(ج) ابتزاز الشرق الأسيوي :

يأتي تصعيد الأزمة الكورية وإثارة الحديث عن امتلاك كوريا الشمالية لأسلحة نووية على قدر من الأهمية الاستراتيجية النوعية في إطار إعداد المسرح السياسي

---

(١) قناة النيل للأخبار – نايل سات في ٢٠٠٣/٥/٢٩.

وتهيئة المناخ الدولي للقيام بعمل عسكري أو اقتصادي ما إما في الشرق الأسيوي لابتزاز اليابان وكوريا الجنوبية وإثارة المخاوف الصينية أو لتمرير حدوث أزمات دولية محدودة أو إقليمية مؤثرة في مناطق أخرى كما هو الحال في الشرق الأوسط الآن.

من هنا يكمن الاهتمام بالقضية النووية لبوينج يانج وتوقيت إحالتها إلى الاستيداع وكذلك تحديد أولويات استدعائها من المستودعات للعمل بها وتوظيفها تبعاً لمتطلبات المرحلة وكذلك لتحديد الهدف منها.

وجاء إعلان بوش بتصنيف كوريا الشمالية واعتبارها الضلع الثالث في محور الشر سابق الذكر إنما كان لتحويل الأنظار بعيداً أو الاهتمامات بعيداً عن المرمى الفعلي المرجو إصابته. لأنهم قالوا عن أنفسهم وسبق ذكره "إننا نتحدث في اتجاه ونعمل في الاتجاه الآخر" وهذا ما أكدت عليه الوقائع والأحداث الأخيرة ، حيث أنك تجد الحملات العسكرية الأمريكية وتدخلاتها المباشرة وقهرها ونزع سلاحها كما هو الحال في فلسطين وفي الشيشان والبوسنة والهرسك وألبانيا والصومال وبنجلاديش وتايوان ، ومحاولاتهم الجادة والمستميتة هذه الأيام لنزع سلاح سوريا ولبنان وإيران وليبيا وذلك بعد أن تحطمت على أيديهم العراق.

وجاء استدعاء المشكلة النووية الكورية هذه المرة تماماً كما فعل "بوش الأول" عند حرب الخليج الأولى.

وبعد أن تأكدت أمريكا من احتلال العراق وعند تصعيد الأزمة مع دمشق وطهران ظهرت المشكلة الكورية على السطح من جديد في محاولة أمريكية جادة لمشاغلة العالم وإراقة الساذجين فيه وجه بوش وكأنه إله الحق والخير الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت ظلماً بحيث تسير المشكلة الإيرانية الإسلامية في خط مواز للمشكلة الكورية العلمانية.

وفي الحقيقة لا تتعدى مشكلة شبه الجزيرة الكورية كونها صنيعة استعمارية أمريكية صميمة استحدثت للقيام على خدمة المصالح الأمريكية والروسية على السواء حتى وإن كانت خدمات غير مباشرة.

وقد أجادت السياسة الأمريكية اللعب على وتر القنبلة النووية الكورية الشمالية وكأنها الوحيدة في عالم يملأه الأمن وينعم بالسلام.

وفي السبت ٤/١٢ عرضت محطة CNN التليفزيونية الفضائية وفي موقعها على شبكة الإنترنت ، عرضت تقريراً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية وكشفت فيه أن "بوينج يانج" تنوي إنتاج قنبلتين نوويتين سنوياً وقال التقرير إن كوريا استهدفت في أوائل العام الماضي ٢٠٠٢ على ما يبدو بناء محطة قادرة على إنتاج كمية من اليورانيوم تكفي لإنتاج سلاحين نوويين أو أكثر سنوياً ، وجاء في التقرير أن الولايات المتحدة مازالت تشتبه في أن كوريا الشمالية تعمل على تخصيب اليورانيوم منذ سنوات عديدة ، وأضاف التقرير التخابري "مع هذا لم نحصل على دليل واحد يشير إلى أن كوريا الشمالية قد بدأت بتشييد محطة للضغط المركزي مؤخراً" وأضاف أن هدف كوريا الشمالية على ما يبدو هو بناء محطة نووية قادرة على إنتاج كمية من اليورانيوم المستخدم في الأسلحة لإنتاج سلاحين نوويين أو أكثر سنوياً عندما يصل إلى حالة التشغيل الكامل ، وقالت وكالة المخابرات الأمريكية في أوقات أخرى أن كوريا الشمالية ربما تمتلك بالفعل سلاحاً أو سلاحين نوويين.

وفيما يُعد سيراً على الدرب الأمريكي ، حذرت روسيا الحليف القديم والهام لبوينج يانج أمس الجمعة ٤/١١ كوريا الشمالية من أنها ستعيد النظر في موقفها حول فرض عقوبات دولية عليها إذا بدأت في إنتاج أسلحة نووية ، وقال نائب وزير الخارجية الروسي "الكسندر بوسيوكوف" أن بلاده لن تغير موقفها الرافض

لفرض عقوبات دولية ضد كوريا الشمالية مادامت تتصـــرف بعقلانيـــة وأضـــاف لوسيكوف أن موسكو ستعيد النظر في موقفها إذا أعلنت كوريا أنها أنتجت أســـلحة نووية وتهدد باستخدامها موضحاً أن ذلك يهدد المصالح القومية لروسيا.

وعلى الرغم من التصريحات والتهديدات الأمريكية المتغطرسة جاء التحـــدي الكوري الذي لا يقل دوياً عن أثر انفجار قنبلتها النوويـــة.

حيث جاء إعلان الموقف الكوري صريحاً ومفاجئاً بامتلاكها الأسلحة النووية بالإضافة إلى أسلحة الدمار الشامل المحظورة ، كما أكدت على أنهـــا فـــي ســـبيل تطوير برنامجها النووي ولن تتوقف عنه بحال من الأحوال.

كما أعلنت القيادتين العسكرية والسياسية هناك عن استعداد الكوريين لتلقـــين الأمريكيين درساً لن ينسوه إذا ما قررت الإدارة الأمريكية الاعتداء على بلادهـــم. وأنهم سيلحقون أذىً كبيراً بالكبرياء العسكري الأمريكـــي خاصـــة مـــع اســـتعداد الكوريين جميعاً للقتال ضد أمريكا.

ثارت ثورة اليابانيين والكوريين الجنوبيين والصين في التفاعل مـــع الموقـــف الروسي المعلن سلفاً واتبعوا جميعاً النهج الأمريكي وأرسلت أمريكا إحدى حاملات الطائرات التي غادرت الخليج العربي إلى شبه الجزيرة الكورية لمراقبـــة كوريـــا الشمالية ، فثارت ثورة الشعب الكوري الجنوبي ضـــد حكومـــة بـــلاده ، وضـــد الغطرسة الأمريكية التي تهدد الأشقاء في الشق الكوري الشمالي.

وعلى غير المتوقع جاءت المفاجأة الثانية غير المنتظرة في ذات اليوم السبت ٤/١٢ لتقول بتحول كبير في الموقف الكوري .. حيث أعلنت بـــوينج يـــانج عـــن استعدادها للقبول بمحادثات متعددة الأطراف حول تطوير برامجها النووية.

ونقلت وكالة الأنباء الرسمية في كوريا الشمالية عن متحدث باسم الخارجيـــة تأكيده استعداد بلاده لعدم التمسك بأشكال محددة للحوار في حال مـــا لـــو قـــررت

الولايات المتحدة تغيير سياستها وبصورة واضحة تجاه تسوية القضية النووية في كوريا الشمالية وشدد المتحدث باسم الخارجية في بوينج يانج على أن حل التوتر في شبه الجزيرة الكورية يعتمد في المقام الأول على النوايا الحقيقية للولايات المتحدة.

وقد أشار البيان على النحو الوارد إلى تحول واضح ومحوري في موقف بوينج يانج المتصلب بشأن محادثات ثنائية ومباشرة مع واشنطن فيما تصر واشنطن على محادثات متعددة الأطراف وبمشاركة الصين وكوريا الجنوبية وروسيا واليابان.

هذا وقد اعتبرت كوريا الشمالية أن الحرب على العراق تبرهن على ضرورة المحافظة على تفوقها العسكري لردع الولايات المتحدة وقالت كوريا الشمالية إن الانحناء للمطالب الأمريكية الخاصة بالتخلي عن برنامجها النووي سيقود إلى التفتيش ونزع الأسلحة وبالتالي إعداد المسرح لغزو أمريكي.

وقد رحب وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي بمبادرة كوريا بقبول حوار حول برنامجها النووي. وسرعان ما ربطت الحكومة الكورية بين تطبيق المبادرة وتقديم معونات اقتصادية "أمريكية" عاجلة لبوينج يانج.

وفي ٤/٢٤ أعلن رامسفيلد أن الأزمة الكورية الشمالية لا تسير في اتجاه الحل الدبلوماسي لكنه استبعد في الوقت نفسه إمكانية اللجوء إلى عمل عسكري.

أما حكومة "سول" في كوريا الجنوبية والتي ترغب في التخلص من صداع البرنامج النووي الشمالي وإزالة تهديداته فإنها تضغط وبشدة على بوينج يانج للتخلي عن برنامجها النووي والتخلص من أسلحة الدمار الشامل ، كما أنها ضاعفت من مساعداتها الاقتصادية والعينية لجارتها الشمالية والتي لا يساورني شك في أنها تتم بمباركة أمريكية محضة بل وبدعم أمريكي غير مباشر عن طريق الكوريين الجنوبيين .. والشاهد على ذلك ما يلي :

- العراق ينفي كلية حيازة أسلحة دمار شامل وكوريا تُعلن حيازتها وإنتاجها واستمرارها في تطوير برنامجها النووي علناً.
- العراق يخضع لعمليات التفتيش على الأسلحة المحظورة من جانب المفتشين الدوليين التابعين للأمم المتحدة وهم من جنسيات مختلفة ، بينما كوريا الشمالية ترفض مجرد مناقشة تلك الفكرة.
- العراق يعاني من وطأة الحصار الاقتصادي والعسكري منذ ١٢ عاماً ، وكوريا تنعم بدعم كبير من جهات مختلفة وبخاصة المساعدات الأمريكية !!.
- لم يصدر عن العراق كما أنه لا يمثل تهديداً من أي نوع وبأي حجم لا لأمريكا أو مصالحها ، أما كوريا فقد هددت بضرب أمريكا مباشرة وتلقينها درساً لن تنساه.
- العراقيون يموتون نتيجة نقص الأدوية والأمصال واللقاحات ، والكوريين تصلهم المعونات الأمريكية عن طريق كوريا الجنوبية .

وانظر بعد ذلك إلى رد الفعل الأمريكي في معالجة الموقف العراقي والتعامل مع الموضوع الكوري.

إن الأزمة الكورية الماثلة منذ الحرب الكورية في عام ١٩٥٠ والتي انتهت في ١٩٥٣ والتي تقاتل فيها الشيوعيون في كوريا الشمالية بدعم صيني سوفيتي ضد كوريا الجنوبية المدعومة من الولايات المتحدة وتحالف الأمم المتحدة قد خلفت صراعاً شائكاً إلى الآن ، ولا يزال النزاع والعداء بين شطري كوريا قائماً حتى الآن وقد انعدمت كل فرص تحقيق التقارب بين الكوريتين في ظل الوجود الأمريكي الدائم في الشطر الجنوبي "سول" وإن كان الحال لا يحظى بقبول جماهيري بين أبناء الجزيرة الواحدة التي قسمتها الحرب والأطماع الاستعمارية.

حيث أن إنهاء المشكلة جذرياً سيقضي على الكثير من المصـالح المباشـرة للولايات المتحدة في الشرق الأسيوي خاصة إذا ما علمنا حجم المدفوعات اليابانيـة والكورية الجنوبية لضمان تطبيق اتفاقية الدفاع المشترك الموقعـة بـين أمريكـا وكوريا الجنوبية واليابان.

وبهذا يبرز أهمية استمرار التوتر في شبه الجزيرة الكورية بحيث لا يسمح له بالتطور إلى إعلان حرب شاملة بين الكوريتين لما فيه تحقيق للمصالح الأمريكيـة التي تجعل الوجود العسكري الأمريكي في شرق آسيا وجوداً مستمراً ويضفي عليه لوناً من الشرعية وبخاصة مع زيادة حدة التوتر التي سادت بعد إعلان بوينج يـانج إلغاء معاهدة ١٩٩٤ بشأن إخلاء شبه الجزيرة من الأسلحة النووية.

من هنا يمكن القول بخطأ من قال أن أمريكا تكيل بمكيالين عند تعاملهـا مـع القضايا العربية بالقياس على القضايا الدولية السـاخنة الأخـرى ، لأن الولايـات المتحدة لديها أكثر من ألف مكيال لكل حالة على حدى.

(د) الإصـابة من القصيعـة :

لم يتوقف السعي الأمريكي الدؤوب للحرب ضد العـراق لمجـرد الإطاحـة بصدام حسين وبنظامه أو باحتلاله احتلالاً عسكرياً سافراً من أجل تأمين مصـالح أمريكية محددة في المنطقة ، بل ذهب الأمريكيون إلى أبعد من ذلك بكثيـر سـعياً وراء سيلان لعابها على العراق – كل العراق – بترولاً ، واقتصـاداً ، وحكمـاً ، وهيمنة ...إلخ . فعند اندلاع الشرارة الأولى في حربها على العراق اندفع الجنـود مباشرة ناحية آبار النفط لتأمينها والسيطرة الكاملة عليهـا وطـرد حتـى العمـال العراقيين منها. وكأن البترول هو وحده الذي جاء بتلك القوات إلى العراق ، وبعـد سقوط بغداد ضرب الأمريكيين حصاراً عسكرياً ضـخماً علـى وزارة البتـرول العراقية – وحدها – وحولتها إلى حصن كبير يحميه الجنود الأمريكيون لحمايتهـا

من أعمال السلب والنهب التي تتعرض لها بغداد إلى الآن على الرغم من أن حدتها قد خفت نسبياً عن الفترات الأولى.

ثم شرعت أمريكا مؤخراً في إنشاء قاعدة عسكرية ضخمة بالقرب من كركوك مدعية أنها لتأمين آبار النفط حسبما ذكرت وكالات الأنباء والتليفزيون المصري مساء ٢٠٠٣/٥/١٣ فيما يعد بياناً عملياً وبرهاناً واقعياً صادقاً على بطلان ادعاءات رامسيفيلد الكاذبة السابقة بأن أمريكا لا تنوي ولا تهدف إلى إقامة قواعد عسكرية في العراق لانعدام الحاجة لها.

وقد ذكرت الهيئة الهندسية في الجيش الأمريكي أن الحكومة الأمريكية منحت عقداً تصل قيمته إلى ٧ مليار دولار لأحد فروع شركة "هوليبورتن" التي كان يرأسها "ديك تشيني" في الفترة ما بين ١٩٩٥ : ٢٠٠٠ تقوم بموجبه بإطفاء حرائق آبار النفط في العراق لمدة سنتين كما مَنَحَ "بوش" عُقوداً لإعادة إعمار العراق لشركات لها وضع خاص لكونها مملوكة لكبار القادة ، كما أعلن "روبرت فلاوز" قائد هيئة المهندسين في الجيش الأمريكي بأن وزارة الدفاع طلبت من شركة "KBR" أن تقدم خططاً لإعادة بناء البنية التحتية للنفط العراقي استناداً على عقد سابق حصلت عليه في شهر ديسمبر عام ٢٠٠١.

وفي الوقت الذي أعلن فيه الجيش الأمريكي عن النجاح في إطفاء آخر بئر محترق في العراق ، أعربت شركة أوروبية متخصصة عن أملها في الحصول على جزء من عقود إعمار العراق لامتلاكها الخبرات والمهارات الفنية اللازمة لمثل هذه المهام وكان "البريجادير جنرال : فينسنت بروكس" قد أوضح للصحفيين في مقر القيادة المركزية في قطر أن جميع حقول النفط باتت آمنة في الشمال ولا يوجد في الوقت الحاضر أي حرائق في آبار النفط.

هذا ويمكن القول أنه إذا دخلت السياسة في إرساء العقود فستكون الصعوبة أشد وأقوى أمام الشركات الألمانية والفرنسية الباحثة عن فرص للعمل في مجال إعادة إعمار العراق.

لكن العمل بنظام العقود من الباطن من الممكن أن يتمتع بحظ أوفر لما تمتلك هذه الشركات من تكنولوجيا فريدة يمكن أن تحقق أثراً طيباً وعملاً مُبهراً إذا ما أسندت إليها أعمال إعادة الإعمال وتنمية الاقتصاد في العراق بينما ترى بعض الشركات الصناعية الأوروبية أنه بفضل خبراتها وتخصصاتها سيسهل لها الحصول على جزء من تلك العقود ، ومن بين هذه الشركات عدد من شركات الصناعات الهندسية الكبرى التي تمتاز بخبراتها وتخصصاتها الفريدة والمتطورة والتي تسعى للحصول على عقود بمليارات الدولارات في المجالات المتنوعة للبنية الأساسية .

وتشير بعض التقديرات إلى أن الكلفة السنوية لإعادة إعمار العراق وبناء مرافقه ستصل إلى ٢٠ مليار دولار لعدة سنوات وتشمل مشروعات الطرق وبناء المدارس وتحديث صناعة النفط ، ويقول بعض الخبراء في هذا المجال أن بعض الشركات الأوروبية بصدد التقدم للتنافس على عقود ثانوية من الباطن على الرغم من اعتراض عدة حكومات أوروبية للحرب على العراق إلى جانب توقع حصول الشركات الأمريكية على معظم العقود الكبرى كما هو الحال في حرب الخليج عام ١٩٩١ ، ويتوقع محللون أن تكون شركات الهندسة والخدمات النفطية الفرنسية والإيطالية والنرويجية في طليعة الشركات التي ستحصل على عقود وكذلك الحال في بعض الشركات ذات الخبرة الواسعة التي لا تضارع في العديد من المجالات ، ويرى هؤلاء أن شركات أوروبية ضخمة مثل "سيمنس" الألمانية ستستفيد لكونها في وضع تنافسي أفضل من غريمتها الأمريكية بهدف التنفيذ الفعال لعقود المقاولات بسرعة وكفاءة وجودها الفعال.

وفي الخامس والعشرين من أبريل منحت الإدارة الأمريكية عقداً بقيمة مبدئية ٣٤،٦ مليار دولار لشركة "باكتيل" الموجودة في مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا وهي شركة متخصصة في الأعمال الهندسية والإنشائية والخدمات الأمنية.

يتضمن العقد صرف أرصد تصل إلى ٦٨٠ مليون دولار خلال "١٨ شهراً" ويشمل العقد ترميم وإعادة تأهيل وإعادة بناء عناصر حيوية في البنية الأساسية في العراق بما فيها محطات الطاقة والمياه والصرف ، وإعادة تأهيل وترميم المنشآت الملاحية وعلى رأسها مرفأ "أم قصر" بالتعاون الوثيق مع المتعاقدين الآخرين مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ، والذين يعملون في هذه القطاعات ، وكذلك ترميم المستشفيات والمدارس والوزارات وشبكات الري والبنية الأساسية للمواصلات.

وقد تم إسناد العقد للشركة الأمريكية المذكورة سابقاً في وقت تشكو فيه الشركات الأجنبية من أنها لا يمكنها أن تكون مقاولاً رئيسياً في برنامج الوكالة الأمريكية ، رغم أن الوكالة قالت مراراً أن الشركات غير الأمريكية يمكنها أن تكون مقاولاً من الباطن.

ويعتبر عقد البنية التحتية الأساسية هو أكبر عقد تمنحه الوكالة حتى الآن في عملية إعمار العراق ، حيث منحت الوكالة في وقت سابق عقوداً اصغر حجماً لشركات أمريكية أخرى من بينها عقد ميناء أم قصر المنفذ الوحيد للعراق على الخليج العربي.

وعلى غير ما يتوقع العراقيون أو العرب أصدرت القيادة العسكرية الأمريكية في العراق قراراً ببدء العمل بالدولار الأمريكي في العراق كوحدة نقود "عملة" رسمية ورئيسية وبدأت بممارسة سلطاتها في تطبيق القرار فعلياً بأن صرفت مرتبات عمال السكة الحديد في العراق بالدولار الأمريكي.

تلك هي صورة من صور المكاسب الأمريكية المزدوجة التي تحققت لها أو التي سوف تحققها من جراء حربها على العراق.

بينما يعاني الجانب العربي من كلِ ألوان الطيف في أنواع الخسارة وأشكالها وأحجامها والتي تنوعت بين كساد الأسواق وبوار المعروضات وانتهاء بالركود الاقتصادي العام ، ومن أمثلتها :

- عودة العمالة العربية من العراق ودول الخليج إلى بلادهم.
- ارتفاع الأسعار الملحوظ في كثير من أسعار السلع والخدمات.
- حدوث اضطراب مستمر في أسعار النفط عالمياً كنتيجة مباشرة لزيادة بعض الدول البترولية العربية إنتاجها لتعويض النقص الناتج عن توقف الإنتاج العراقي.
- حرمان سوريا من البترول العراقي الرخيص.
- انخفاض حركة المرور في خليج قناة السويس مما أثر سلبياً على الدخل القومي المصري.
- انكماش ملحوظ في السوق السياحي خاصة في مصر ، الأمر الذي أدى إلى شعور المواطن العادي بحجم الأزمة الراهنة.

ويعتبر الأردن هو البلد الثاني العربي بعد العراق في التضرر من قرار الحرب على العراق ، فقد أصيب عدد من القطاعات الاقتصادية في الأردن بخسارة كبيرة وعلى رأسها قطاعات النقل والسياحة والصناعة حيث تعطلت تماماً حركة الترانزيت في ميناء العقبة ، كما توقفت تماماً ١٢٠٠٠ شاحنة نقل عن العمل كذلك فقد هددت الأوضاع الاقتصادية قُبيل وأثناء الحرب ٥٦٠ شركة قائمة على السوق العراقي بالإفلاس وهو ما يهدد بطرد ١٥% من الأيدي العاملة إضافة إلى الخسائر الجسيمة التي لحقت بأصحاب المحال والمتاجر الخاصة.

في الوقت نفسه قال مسئولون أردنيون أن دعماً مالياً قد يخصص للقطاعات الخاسرة قد يُعينها على تجاوز تلك المرحلة الحرجة.

هذا ويعيش التجار في الأردن على أمل حدوث انفراجة تتحسن معها الأوضاع بتحسن الأوضاع في العراق.

وفي إطار مكافأة الولايات المتحدة لما تسميهم الحلفاء العرب – على حد قولها- فقد أعلن في الأردن في ٢٠٠٣/٥/١٣ أن "كولين باول" وزير الخارجية الأمريكي وقع مع "علي أبو الراغب" رئيس وزراء الأردن عقداً تقدم بمقتضاه الولايات المتحدة للأردن مبلغ ٧٠٠ مليون دولار أمريكي مساعدات مالية عاجلة للأردن تعويضاً عن خسائرها بسبب الحرب على العراق.

يأتي هذا المبلغ ضمن صفقة يبلغ مقدارها ١,١ مليار دولار منها ٤٠٠ مليون معونة عسكرية ، ٤٥٠ مليوناً أخرى معونة سنوية تتسلمها الأردن مع بداية كل سنة مالية ، وقد تم توقيع العقد قبل مغادرة "باول" إلى الرياض.

تأتي تلك الأزمات الطاحنة في العالم العربي كله شاهداً على فن صناعة الأزمات الذي يجيدونه ويتقنونه هؤلاء الذين يعلنون عن تقديم المساعدات "أي القروض" بالشروط المعينة عند المواقف المعينة ثم يلوحون ويهددون بإلغائها تارة أخرى عند مواقف أخرى معينة.

يأتي هذا في وقت لاح فيه خطر كبير في الأفق الاقتصادي ومن ثم فإنه سينسحب ولو تدريجياً على شتى مناحي الحياة البشرية بعد ذلك.

ففي القدس المحتلة كشفت دراسة أجراها بنك "ليئومي" الإسرائيلي مؤخراً بمساعدة شركة الاستثمار الدولية "ماكنزي" النقاب عن أن ١٠ : ١٥% من العائلات اليهودية في العالم بحوزتها ممتلكات مالية تقدر بأكثر من مليار دولار ، وتقدر ثروة العائلات اليهودية حول العالم بحوالي ٣٤٠ مليار دولار ، ويتضح من الدراسة أن الجزء الأكبر من ممتلكات العائلات اليهودية موجود في الولايات

المتحدة ويقدر بحوالي ٢٧٢ مليار دولار ، وفي بريطانيا ٨,٤ مليار دولار ، وفي جنوب أفريقيا ٢,٤ مليار دولار.

وتجدر الإشارة إلى أن الإسرائيليين أخرجوا في عام ٢٠٠٢ حوالي ١,٨ مليار دولار من البنوك الإسرائيلية إلى بنوك أجنبية لكن حسب التقديرات فإن جزءاً ضئيلاً فقط يعادل ربع المبلغ أودع في بنوك إسرائيلية في الخارج .

ثم ترقب معي إذا حدث أن تم تصدير البترول العراقي عبر الأردن إلى ميناء حيفا الإسرائيلي "فلسطين المحتلة" وأعتقد بنسبة كبيرة حدوث ذلك ، وهو ما يعني أن إسرائيل ستصبح منفذاً بحرياً للعراق على البحر المتوسط ، وعندئذ يتم تشغيل مصافي النفط الضخمة في إسرائيل ، بالإضافة إلى ضمان الإسرائيليين الحصول على البترول العراقي مجاناً ، ثم توفيره للسوق "الأمريكي – أوروبي" بأسعار رخيصة في وقت تسعى فيه سلطة الاحتلال في العراق إلى مضاعفة إنتاج كمية النفط لتحقيق أعلى مردود اقتصادي وعائد ربحي في وقت قصير.

بينما يأتي هذا في الوقت الذي حُرمت فيه سوريا من أحد أهم مواردها ومصادرها البترولية بعد أن فجرت القوات الأمريكية أنابيب النفط (الموصل – طرطوس) الذي يمول سوريا إلى جانب تصديره للخارج.

وأعتقد بأن مصر ستتأثر تأثيراً مباشراً حالة حدوث ذلك نتيجة الانخفاض المتوقع في أعداد الناقلات العملاقة المارة عبر قناة السويس وخاصة إذا ما شرعت إسرائيل في حفر قناة "بين البحرين" البديلة .

والخطر .. كل الخطر أن تبدأ إسرائيل وبمباركة أمريكية وموافقة أو مشاركة أردنية في إحياء مشروع القناة الإسرائيلية الجديدة التي طُرحت مع مطلع العام واستدعتها الأحداث من الذاكرة لما لها من أهمية أمنية وسياسية واقتصادية للكيان الصهيوني الذي يضع مصر في قلبه ورأسه ، والذي لن يتوانى عن استغلال كل الفرص وتوظيف حقير المناسبات للإضرار المباشر أو غير المباشر بها.

وجاءت فكرة حفر تلك القناة التي تربط البحر المتوسط بـالبحر الميـت ثـم العبور جنوباً عبر قناة امتدادية من البحر الميت من منطقة سدوم عبر وادي العربه حتى إيلات على خليج العقبة وانتهاء بالبحر الأحمر. كإحدى ألوان المؤامرات التي تستهدف أمن مصر وسلامة مصر واقتصاد مصر وشـعب مصـر ، أي إصـابة الوجود المصري في مقتل تحت رعاية أمريكية خالصة تهدف في الأسـاس إلـى إخضاع مصر وضمان تبعيتها وإن أمكن إدارتها بحسـب النمـوذج الأفغـاني أو العراقي ، فذلك خيرٌ وأعظم نفعاً بالإضافة إلى تهديد الأمن القومي العربـي فـي مجمله.

ولعلنا نذكر محاولات الرئيس الأمريكي الأسـبق "دوايـت إيزنهـاور" ٥٣ : ١٩٦١ الذي حاول تطبيق نظريته ورؤيته حول مصر وهي ملء ما أسمته إدارتـه "الفراغ السياسي في مصر" والناشئ عن رحيل بريطانيا عن مصـر بعـد توقيـع اتفاقية الجلاء بين الحكومة المصرية والبريطانية فـي ١٩٥٤/١٠/١٩ فـي مـدة اقصاها عشرون شهراً وطبقت بالفعل حتى عام ١٩٥٦.

كما يجب ألا نغفل إعلان وزير الخارجية الأمريكي "جون فوستر دالاس" في ١٩٥٦/٧/١٩ والخاص بإعلان حكومته إلغاء مشاركتها في تمويل السد العالي.

كما أنه محفور بصدورنا حتى الآن الدور الأمريكي النشط في إعداد وتوجيـه وإشراف ومتابعة تمويل العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد البلاد العربية المعروفة "دول الطوق" ومدى استغلال القاعدة الأمريكية في ليبيا لخدمة الحرب الخاطفة في ١٩٦٧ والتي استطاعت فيها إسرائيل احتلال سيناء والضـفة الغربيـة والقـدس والجولان وأجزاء من الجنوب اللبناني ، بالإضافة إلـى مـا قدمـه الأمريكيـون للإسرائيليين في حرب التحرير الكبرى ١٩٧٣ عندما أقامت جسراً جوياً مباشـراً وهائلاً لنقل الإمدادات العسكرية من واشنطن إلى مطار رفح في سيناء مباشرة.

وجاء الإعلان البابوي من البيت الأبيض في ٢٠٠٣/٥/١١ عن مكافأة الحلفاء العرب بإقامة منطقة حرة في الشرق الأوسط مع أمريكا في مدة اقصاها ١٠ سنوات ليؤكد "بوش" ما قلته سابقاً وذهبت أؤكد عليه في الموضوع المُعَنون "الإصابة من القصيعة" خاصة أن بوش يعمل على تهدئة المشاعر العربية المعادية الرافضة للوجود الأجنبي في العراق والداعية إلى قتال الأمريكيين والبريطانيين ، ولتحويل اهتمامات العالم بعيداً عما يدور على الأرض في العراق تحت وطأة الاحتلال الأمريكي البريطاني . إنه إعلان مغلف يخفي في بطانته كثيراً من التهديدات التي سوف تكشف عنها الأحداث عبر الشهور القليلة القادمة .

كما يجب أن نتوقف طويلاً أمامه بالتحليل المنطقي الجيد لنستخلص الدروس ونستوعبها مع استيعابنا لحركة التاريخ لا أن نكتفي بالتصفيق والهتاف وترويج ما يقولون ونحن نصفق ونهلل ونبارك رحمات وتبركات البابا "بوش".

إن إسرائيل الآن وفي ظل الوجود الفعلي الأمريكي في العالم العربي وعلى أرض أكثر من ثلث دُوله وهي تحقق سيادة كاملة على مياهه الإقليمية وفي ظل تسيدها لمعظم أجواء المشرق العربي ، أضحت إسرائيل أكثر تثبيتاً لقدميها بعد أن وضعت إحداها على أول أعتاب السلم المؤدي إلى الصعود فوق قمة الشرق الأوسط الجديد الذي رسمته وأعدت له وسارت نحوه من أجل إدارته بل وتسيده يساعدها في ذلك رياح التغيير العاتية القادمة مع وحيد القرن الذي جاء ليضع حجر الأساس في إمبراطوريته الجديدة في الشرق انطلاقاً من بغداد ، وسيكون لها ما أرادت شئنا نحن العرب أم لم نشأ طالما استمر الضعف والتخاذل والهوان والتفكك العربي.



الباب الرابع

رياح التغيير وتبديل المعايير

الباب الرابع

رياح التغيير وتبديل المعـــايير

(أ) الباكســتان :

العالم الآن لا يعرف ضوابط ولا موازين لرحيل القانونية والشرعية وبســـبب ما حدث من الوقوف على مثواها بالأحذية والنعال ، ولِمَـــا ســـبق مـــن الإطاحـــة بالأعراف والقانون والقيم من جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي تسير وتريـــد أن تُسيّر العالم وفق قانونها وشرعها هي وحدها – أي سيادة وسواد قـــانون القـــوة والغاب الذي سنه وقضى به وحيد القرن بعد أن سقط الدب الروسي القطب الثـــاني في موازين القوى سلفاً في بئر القروض والديون الأمريكية ، وبعد أن تحول "قلـــب الأســـد" البريطاني إلى مجرد "تابع" يسير وفق هوى الراعي الذي يجلـــس وحيـــداً فوق القرن.

لذلك فقد أبيدت شعوب وتشردت شعوب واتحدت شعوب وهُجِّرت أخرى إمـــا خوفاً وإما تحدياً للمتغيرات الجديدة وإما فزعاً وإما عناداً للمتغيرات التي أحـــدثتها بل وستُحدثها رياح التغيير التي بدلت وستُبدل المعايير.

ففي الباكستان أُعلن أن الرئيس الباكستاني "برويز مشرف" يسعى بكل قوة إلى التحاور مع حزب الشعب الباكستاني بزعامة "بي نظير بوتو" المقيمة في المنفى من أجل قطع الطريق على مخطط يخشاه ، تفادياً لأن يوجه وحيد القرن طعنة غـــادرة إلى الجمهورية الإسلامية الباكستانية تضعها في مهب الريح ، لذلك فهـــو يخشـــى استخدام المعارضة في مخطط ضده ، خصوصاً وأن المصادر الباكستانية رصدت

تركيزاً أمريكياً وإسرائيلياً أخيراً على امتلاك باكستان قدرات نووية وأسلحة دمار شامل.

وأفادت الأنباء أن الرئيس مشرف أوفد جنرالين على مستوى رفيع للقاء "مخدوم أمين فهيم" ممثل بوتو في إسلام أباد وذلك من أجل تنسيق المواقف بشأن التعديلات الدستورية التي وضعها وترفضها المعارضة.

لكن فهيم رفض البت في التعاون ما لم يعود إلى زعيمته "بوتو" التي تتنقل بين العواصم الغربية وتدعوا أمريكا إلى إسقاط "مشرف" والقضاء عليه.

ولعل الإشارة الخطيرة التي أرسلتها "بوتو" قبل أسابيع من داخل الولايات المتحدة دقت ناقوس الخطر الحقيقي في القيادة العسكرية الباكستانية[1] . حيث أكدت بوتو في محاضرة لها في أمريكا على أن باكستان هي التي زودت كوريا الشمالية بمعدات تقنية حديثة مكنتها من تصنيع القنبلة النووية ، الأمر الذي راحت واشنطن تسعى إلى إثباته ، فيما تجتهد الحكومة الباكستانية لنفيه.

وقد ترافق ذلك مع تصريحات مثيرة لوزير الداخلية الباكستاني السابق "نصير الله بابر" والمنتمي لحزب الشعب الذي دعا أمريكا إلى اتخاذ إجراء ضد باكستان لكونها متهمة بدعم الإرهاب ، وكذلك امتلاكها لأسلحة دمار شامل ، ويبدو أن ما تم الإعلان عنه مؤخراً بشأن العرض الحكومي الباكستاني من التزاوج بالمعارضة الباكستانية التي ذهبت لتضع حملها في بلاد المهجر ولتجُرَّ بذلك ويلات العار ووبال الخراب على بلادها لم يكن وليد يومه أو الأيام القليلة الماضية ، إنما قد مضى عليه وقت غير قصير يشهد عليه إزكاء الصراع الهندي الباكستاني أو تهدئته بحسب أولويات العمل وضرورياته ومستلزماته.

---

(1) شبكة المعلومات العربية "محيط" نقلاً عن جريدة الحياة اللبنانية في ٤/١٥ .

ولعلنا نتدارك ما جاء على لسان وزير الدفاع الباكستاني في اليوم الثاني مباشرة لما تم الكشف عنه سابقاً ، حيث قدم الرجل تحذيراً شديداً لجاره العدو اللدود "الهند" من رد فعل باكستان إذا حاولت نيودلهي توجيه ضربة وقائية إلى بلاده ، وقال إن "إسلام آباد" لديها برنامج صاروخي أكثر تقدماً من نيودلهي ، ووصف الوزير "معين خورشيد محمود قسوري" قول نظيره الهندي "باشوانت سينها" هذا الشهر "أبريل ٢٠٠٣" أن العمل العسكري ضد باكستان له مبرر أكبر من العمل العسكري ضد العراق بأنها تصريحات غير مسئولة وأضاف يقول .. إنهم يهددون بشن حرب نووية ضدنا ، وردي على هذا هو "لا ترتكبوا أبداً هذا الخطأ" برنامجنا الصاروخي أكثر تقدماً من البرنامج الهندي ، ومضى يقول أنه إذا قامت الهند بعمل أحمق فإنها ستدفع الثمن غالياً وذكر "قسوري" أنه يرفض عقيدة الحرب الوقائية ولكنه أضاف أن هناك قولاً باستخدامها ضد الهند نفسها وأن نيودلهي رفضت قرار الأمم المتحدة بشأن كشمير المتنازع عليها ، كما أنها انتهكت حقوق الإنسان في شرق البلاد حيث تزيد أعمال العنف الانفصالية .

وعلى الرغم من حدوث مؤشرات تُنم على تغيير في السلوك الهندي ضد باكستان ، وإعلان الباكستان باستعدادها لفتح حوار مباشر مع الهند بشأن القضاء على جميع المشاكل العالقة والمسائل الخلافية الشائكة ، وقد قطعت الدولتان خطوات نحو السيطرة على الوضع المتأزم وإعلان الطرفان عن استقبال سفير الطرف الثاني في إطار إثبات حسن النوايا ، إلا أن الأيام تخفي في بطانتها الكثير والمتنوع من المؤامرات والدسائس والفتن التي ستشعلها رياح التغيير في الباكستان بمجرد زوال فترة الهدوء التي تسبق العاصفة.

وسوف نرى إلى أين ستصل رياح التغيير في الباكستان وعند أي نقطة سينتهي التغيير في سلوك الباكستان كله.

(ب) انتحـار أندونيسـيا

لم ينفصل الشعب الأندونيسي الكبير عن قضايا أمته الإسلامية على الرغم من معاناته الطويلة والشديدة تحت سيطرة أنظمة حكم علمانية وعميلـة تحكـم الـبلاد وتتحكم في مصير الشعب الأندونيسي كله.

تلك الحكومات التي تتبارى في استرضاء الغرب المسيحي كله ، واسـتجداء الصهيونية في إسرائيل والعالم على السواء ، وبرهنت على ذلك عمليـاً بتقـديمها أجلّ الخدمات لهؤلاء فاستقبلت تلك الحكومات جماعات التبشـير المسـيحية التـي زرعت الجزر الأندونيسية بالكنائس والمعابد اليهودية منذ عصر الحاكم الماركسي "أحمد سوكارنو" في إطار ما يسمى "العولمة" وللتأكيد على حرية الأديان في إطـار تذويب الفوارق الثقافية لإحداث الخلل في العقيدة الأيديولوجية لدى الشعوب المتدينة على وجه العموم.

وعلى الرغم من الجهود الحثيثة المبذولة والأموال الطائلة التي ينفقها الغـرب سعياً وراء تنصير هذا البلد الذي تبلغ نسبة المسلمين إلى مجمـوع سـكانه ٩٠% والبالغ مجموعهم ما يربو على المائتي مليون أندونيسي.

وكذلك على الرغم من تعرض المسلمين للمجاذر في المناطق ذات الأغلبيـة المسيحية والتي تصل إلى حد إذلال المسلمين واستحياء نسائهم ثم حـرقهم بالنـار أحياء أو قطع رقاب المعترضين منهم ، وهو ما يحدث عن رضا تام من الشـرطة المحلية التي لا تتدخل دائماً إلا في نهاية المطـاف لتعتقـل المصـابين المسـلمين الناجين من الموت لتجبرهم في محاولات قهرية مفضوحة على التنصير والارتداد عن الدين الإسلامي.

هذا الشعب المسلم الذي يعاني أقسى ألوان العذاب وأشد أشكال الظلـم ، لـم ينفصل عن أمته الإسلامية وقضاياها بالرغم من محاولات عزله وفرض حصـار سياسي واقتصادي وثقافي عليه "عدا الثقافة الغربية العلمانية .

وتأتي ثورة الشعب الأندونيسي ضد الولايات المتحدة وبريطانيا منذ بداية إعداد المسرح العالمي لغزو العراق من أشد البراهين على عمق إيمانه وصلابة تعلقه بروابط الدين والتاريخ والدم مع بني أمته وإخوة دينه.

وقد طالب المتظاهرون الثائرون في أندونيسيا حكومة بلادهم المركزية بما تّنادي به جموع الشعوب العربية والإسلامية وفي بلاد الكفر ذاتها وهو قطع العلاقات فوراً مع أمريكا وبريطانيا وطرد سفرائهما من البلاد والتدخل الفوري لوقف الحرب والقتال إلى جانب الشعب العراقي.

ولم يختلف رد الحكومة الأندونيسية كثيراً عن مثيلاتها في بلدان العالم العربي والإسلامي سواء في ذلك من تتمتع بعلاقات طيبة مع واشنطن أو التي تتشق عليها.

وقد جاء الإعلان الحكومي الأندونيسي الرسمي واقعياً معبراً عن الخط الفكري الواضح الذي تتبناه القيادة الحاكمة سواء السري أم الجهري بأن أحداً لا يمكنه التصدي لوقف العدوان أو دحره أو حتى إمكانية وضع نهاية سريعة للحرب إنقاذاً للشعب العراقي الذي يُباد في أقذر عمليات تجارب حية لأحدث الأسلحة التي يتم اختبار كفائتها للمرة الأولى على أرض العراق بهدف التعرف على أخطائها وتلافي عيوبها ، وتنقية أجودها قبل عرضها للبيع أو إدخالها رسمياً إلى الخدمة.

كما أكد الإعلان انعدام إمكانية الوقوف أمام رياح التغيير العاتية الناتجة عن عبور الثقافة الأمريكية حدود الأطلسي شرقاً وامتدادها إلى أقصى أقاصي شرق الكرة الأرضية حيث قال وزير الدفاع الأندونيسي "ماتوري عبد الجليل" في ٢٠٠٣/٤/١٦ بعد أسبوع من سقوط بغداد : أن بلاده تريد أن تبقى على صداقتها

مع واشنطن رغم معارضتها الشديدة للغزو الذي تقوده الولايات المتحدة على العراق ، مضيفاً أن الابتعاد عن واشنطن كثيراً سيكون بمثابة "إنتحار"(١).

وأوضح "ماتوري" أن أندونيسيا لا تستطيع تحمل خسارة فقدان دعم الولايات المتحدة ، وأصر على أن جاكرتا ما زالت حليفة لواشنطن في الحرب ضد الإرهاب.

إلا أن الحكومة مضطرة للمجاهرة بمعارضة الحرب ، وأضاف يقول إن إبداء الملاحظات للولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة لا يعني أننا أعداء لهما ، كما بين أن هذا الموقف العملي سيساعد أندونيسيا على استعادة تدفق المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة والتي انخفضت بعد أعمال العنف التي صاحبت استفتاء عام ١٩٩٩ في تيمور الشرقية حول الانفصال عن حكم جاكرتا ، وقال إن على أندونيسيا تجنب التورط في الخصومات بين الأمريكيين والمعسكر المناهض للحرب بقيادة فرنسا بشأن الطريقة التي يدار بها العراق بعد سقوط صدام حسين ونظامه ، ولكنه أضاف أن بلاده ستشارك بقوات حفظ سلام في العراق إذا ما طلبت منها الأمم المتحدة ذلك .. انتهى.

وقد جاء إعلان "ماتوري" صريحاً وعقلانياً يتطابق تماماً مع موقف الكثير من الدول العظمى الدولية والإقليمية على السواء وعلى رأس تلك الدول وفي طليعتها الموقف الروسي الذي أعلنه صراحة "فلاديمير بوتين" وقد ذكرناه سابقاً.

(ج) الرياح في اليمن :

لعلنا نذكر المدمرة الأمريكية "كول" التي تم تفجيرها في المياه الإقليمية للجمهورية العربية اليمنية في أكتوبر ٢٠٠٠ في حادث جرئ استهدفها مباشرة على أيدي مجموعة من الأشخاص تم نسبهم جميعاً إلى تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن المنحدر من أصل يمني وقد نتج عنه مصرع ١٧ أمريكياً وإصابة آخرين.

---

(١) الراية القطرية ، المعلومات العربية "محيط" في مساء ٤/١٦ .

وقد سارعت الحكومة الأمريكية بإرسال فريق من المحققين الدوليين إلى اليمن للمشاركة في التحقيقات التي تجريها الحكومة اليمنية في هذا الصدد ، وقد استقبل اليمنيون الفريق على مضض لعلمهم بأنه تدخل سافر في شئونهم الداخلية وفقداناً لسيادتهم على أراضيهم وإهمالاً لقوانين بلادهم.

ولسنا في مقام الحديث عن التحقيقات بمسارها ومكائدها وأسلوب إدارتها ونتائجها المباشرة ، إلا أننا في مقام تناول انعكاسات الأحداث على اليمن الشقيق.

فبعد أسابيع قليلة من انتهاء ما يسمى بالتحقيقات قام الأمريكيون بعملية فاجرة على أرض اليمن ليست الأولى الدالة على جبروت وهيمنة وطغيان الولايات المتحدة عبر تاريخها المرير الطويل في إيصال المضار وإنزال الشرور على خلق الله ، كما أنها ليست الأخيرة ، إن هي إلا استمرار لمسلسل الطغيان المتنوع والمتطور.

فقد قام الأمريكيون بعملية قصف سيارة الحارثي وخمسة من رفاقه المنسوب إليهم تدبير العملية وتنفيذها بمعرفته وتحت إشرافه ، وقد وقعت عملية قصف "الحارثي" في محافظة مأرب في اليمن وبواسطة صاروخ أطلقته طائرة أمريكية تطير بدون طيار.

وقد أثنى نائب وزير الدفاع الأمريكي "ولفوفيتز" على العملية وعقب عليها بقوله إن الولايات المتحدة سوف تضرب ما أسماهم بالإرهابيين أينما وُجدوا بغض النظر عن موافقة الدول التي يتواجدون فيها أو عدم موافقتها ، كما تمنى لو أن جميع العمليات التي تقوم بها وكالة الاستخبارات الأمريكية تلاقي ذات النجاح الذي لاقته هذه العملية.

يقول المراقبون وأهل القانون الدولي إن هذه العملية وقعت دون مراعاة لمبدأ سيادة الدولة اليمنية على أراضيها ومن دون اكتراث بالقوانين والمواثيق والأعراف

الدولية التي تنظم العلاقات الدولية بصفة عامة ، كما أنها تُعد دلالة خطيـرة علـى مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة والدول التي يشتبه بوجود إرهابيين فيها.

على كل فإن العملية تشير إلى تحول رئيسي في السياسة التي تنتهجها أمريكا في التعاون مع اليمن حيث فيما يبدو أنها تتجه نحو تنفيذ عمليات عسكرية في اليمن من دون انتظار موافقة صنعاء ، وعلى الرغم من هذا التحول فإن هذه العملية مـا كانت لتتم من دون تعاون السلطات اليمنية ، وهو ما يعنـي أن أمريكـا مارسـت ضغوطاً شديدة على الحكومة اليمنية لإجبارها على تقديم العون للقوات الأمريكيـة بالشكل الذي تريده الأخيرة دون اعتبار للقوانين والأعراف الدولية التي تكفل حـق الدول في الدفاع عن أراضيها.

وثمة روايتان عن الحادثـــة :

الأولى : ما رواه شهود عيان من أن الهجوم تم بإطلاق صاروخين من طائرة مروحية على السيارة الجيب التي كان يستقلها "الحارثي" وزملائه أعقبته بـإطلاق نار الرشاشات.

الثانية : ما صرح به الأمريكيون وأيده المسئولون اليمنيون من أن القصف تم بصاروخ أطلقته طائرة أمريكية تطير بدون طيار موجّهـة مـن محطـة مراقبـة أرضية.

وذكرت التقارير أن قصف "الحارثي" جاء متزامناً مع الزيارة التي كان يقـوم بها السفير الأمريكي في اليمن "للمحافظة" بما يوحي بأنه ثمة علاقة بـين الواقعـة والزيارة.

أما وقد نفت السلطات اليمنية علمها بتلك المؤامرة إلا أنها قد اعترفت بأنهـا على علم مسبق بالعملية وأنها جرت بالتنسيق مع الجيش الأمريكي والأمن اليمني. وقد جاء التصريح اليمني بعد نحو الأسبوعين من تنفيذ تلك العملية .

اليمن الآن يعيش تحت مظلة الصواريخ الأمريكية بعد أن اعتبرت واشنطن اليمن مأوى لعناصر تنظيم القاعدة ، تُمارس فيه نشاطها ضد المصالح الأمريكية في المنطقة ، وقدم الأمريكيون للسلطات اليمنية كشفاً بأسماء بعض تلك القيادات لحملها على ملاحقتهم ومحاولة اعتقالهم أو قتلهم ، مع العلم الأمريكي التام بأن عدداً من هؤلاء الإرهابيين – حسب زعمهم – من أصل يمني ، أي أنهم يتمتعون بحماية القبائل التي ينحدرون منها في مواجهة التهديدات الحكومية والمُكرهة على ذلك وهو ما يجعل اليمن على شفا حرب أهلية قبائلية طاحنة تُعيد إلى الأذهان حرب قوات "علي عبد الله صالح" ونائبه "علي سالم البيض".

واستجابة لتلك الضغوط قامت الحكومة اليمنية بحملتها العسكرية على قرية "حصن الجلال" في محافظة مأرب على بعد ١٤٠ كم شرقي صنعاء التي تقطنها قبيلة "عبيدة" التي هي على خلاف مع قبيلة "سنحان" المنتمي إليها الرئيس اليمني "علي عبد الله صالح" مستخدمة الدبابات والمدفعية والمروحيات في عمليات القصف مما أدى إلى سقوط ١٥ قتيلاً وإصابة ٢١ آخرين. ولم تتمكن السلطات اليمنية من القبض على أحد الأشخاص المحددين ضمن الكشف الأمريكي سابق الذكر.

وقد أشادت الولايات المتحدة على الفور بتلك العملية وأقرت بأنها مارست ضغوطاً على اليمن لبذل المزيد من الجهد لملاحقة المشتبه فيهم من المتطرفين الإسلاميين والمنتمين لتنظيم القاعدة الذين يمثلون خطراً على المصالح الأمريكية في المنطقة.

ومن هذا المنظور أصبح اليمن في نظر المسئولين في البنتاجون ووكالة الاستخبارات الأمريكية يشكل جبهة رئيسية من جبهات الحرب التي تشنها الولايات المتحدة على ما تسميه بالإرهاب ، وأن أمريكا لم تتحرج من تجاوز السلطات اليمنية إذا ما أقدمت منفردة على تنفيذ عمليات عسكرية في الأرض اليمنية طالما رأت ذلك ضرورياً.

لذلك فقد بادرت الحكومة اليمنية وبسرعة لتأييد الإدارة الأمريكية في الحرب التي أعلنتها آنذاك على الإرهاب ، وقد بدا ذلك واضحاً عندما صرح المتحدث باسم البيت الأبيض "آري فلايشر" في أعقاب زيارة الرئيس اليمني لواشنطن في نوفمبر ٢٠٠١ عن رغبة "علي عبد الله صالح" الشديدة في أن يكون شريكاً قوياً وحميماً للولايات المتحدة في حربها على الإرهاب.

وقد حصل اليمن مكافأة على ذلك على مبلغ ١٣٠ مليون دولار مساعدات مالية تصرف حسب التعليمات الأمريكية على تنمية المناطق اليمنية الفقيرة وعلى محاربة الإرهاب ، أي إشعال فتيل الحرب الأهلية بين الجيش اليمني المدافع عن الحكومة وبين القبائل التي ينتمي إليها أعضاء تنظيم القاعدة وما يُسمى بالمتشددين الإسلاميين.

وتتطور الأحداث بتطور رياح التغيير ..

(د) رياح التغيير في موريتانيا

فطنت إسرائيل إلى أهمية إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية مع موريتانيا ، أي التطبيع الكامل للعلاقات وتنميتها ، مستغلة في ذلك الوضع الاقتصادي المتعثر وغياب الدور العربي على إطلاقه في مساعدة موريتانيا على النهوض من كبوتها.

وقد تحركت الدبلومسية الإسرائيلية في سرية تامة وفي مدة غير قصيرة لم يستطع العرب عموماً ودول الجوار العربي لموريتانيا خصوصاً الاكتشاف المبكر لأعراض السرطان الصهيوني المتغلغل في المغرب العربي.

حتى أثار القرار الموريتاني في ١٩٩٩/١٠/٣٠ إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل موجة من التحركات الدبلوماسية في شمال إفريقيا ، فقد ذكرت وكالة الأنباء الليبية أن وزيري خارجية تونس والمغرب أجريا محادثات في

طرابلس حول ما وصفاه بالانتهاك الموريتاني الخطير ، بينما لـم تُعلـن أي مـن تونس أو المملكة المغربية عن مثل هذه الاجتماعات.

وكانت موريتانيا قد وقعت اتفاقاً مع إسرائيل لتطوير علاقتهما وذلك في حفل أقيم في واشنطن يوم الخميس الموافق ١٩٩٩/١٠/٢٨.

وفي إطار الاتصالات المتزايدة بين البلدين إثر تطبيع العلاقات بينهما قام وفد برلماني إسرائيلي من سبعة أعضاء من الكنيست الإسرائيلي بزيارة لموريتانيا فـي ٢٠٠٠/٤/٦ التقى الوفد خلالها بالرئيس الموريتاني "معاوية ولـد سـيدي أحمـد الطايع" وبرلمانيين ووزراء موريتانيين.

ويذكر أن وفداً من الأطباء الإسرائيليين قد قضى قبلها أسبوعاً في المستشـفى الرئيسية في نواكشوط العاصمة ، وبحث رجال أعمال كلا البلدين أمـوراً تتعلـق بالتعاون في المجال الزراعي ، وقالت مراسلة الـ بي . بي . سي أون لاين فـي ٢٠٠٠/٤/٧ من نواكشوط أن التغيير الذي طرأ على موقف موريتانيا المتشدد تجاه إسرائيل حصل في يوليو عام ٩٩ في أعقاب خلاف حاد نشب بـين فرنسـا البلـد الرئيسي الذي يقدم المساعدات إلى موريتانيا .. وأضافت المراسـلة أن موريتانيـا تعتقد أن علاقاتها مع إسرائيل ستساعد على تأمين مساعدات من الولايات المتحـدة بدلاً من فرنسا.

وفي ٢٠٠١/٥/٢٢ أعلنت وكالة الأنباء الفرنسية نقلاً عن مسئولين إسرائيليين أن وزير الخارجية الموريتاني "داح ولد عبدي" قد وصل إلى إسرائيل فـي زيـارة رسمية تستغرق يومين.

وتأتي زيارة الوزير الموريتاني بالرغم من النداء الذي وجهته جامعة الـدول العربية التي تضم موريتانيا لجميع الدول الأعضاء فيها بقطـع جميـع الصـلات السياسية بإسرائيل بسبب ممارستها في الأراضي المحتلة.

ويقول مسئولون إسرائيليون أن الزيارة تبرهن على التزام موريتانيا الشجاع بالسلام في المنطقة – على حد تعبيرهم – هذا وسيلتقي "عبدي" برئيس الحكومة الإسرائيلية "شارون" ووزير خارجيته "شيمون بيريز" وغيرهما من المسئولين الإسرائيليين.

وفي الرابع والعشرين من مايو ٢٠٠١ قال السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية في مؤتمر صحفي إن التصرف الموريتاني يعتبر خروجاً على الإجماع العربي ، وإن هذا الخروج إنما يؤكد القاعدة القائلة بوقف كل أشكال الاتصال بإسرائيل ، وأكد موسى أن موريتانيا لا تمثل الجامعة العربية في تصرفها.

وفي إطار الدفاع عن علاقاتها السفاح مع إسرائيل اعتقلت السلطات الموريتانية "أحمد ولد دادا" المعارض بشدة للتوغل الإسرائيلي في شئون بلاده والمؤيد بشدة للتوجه العربي وتصحيح العلاقات مع الحليف القديم فرنسا ، وفور عودته من رحلة خارجية لكل من السعودية وفرنسا اعتقلته السلطات في موريتانيا باعتباره زعيماً للمعارضة المناهضة للوجود الصهيوني.

ثم اعتقلت الشرطة الموريتانية الشيخ "علي محمد ولد شيخ ميلبينين" زعيم حزب الجبهة الشعبية المعارض بتهمة إثارة أعمال العنف بالبلاد.

واستمر الموريتانيون الشرفاء في مناهضة الحكومة واشتدت الحكومة في قمع المواطنين تحقيقاً لرسالة الديمقراطية بالمفهوم الإسرائيلي الأمريكي على الأراضي الموريتانية.

واستطاعت الحكومة الموريتانية في شهر يونيو عام ٢٠٠٢ أن تحصل على مكافأة أمريكية كبيرة حيث أعلن صندوق النقد والبنك والدوليان تخفيض الديون الموريتانية بمقدار ١,١ مليار دولار نظير ما أعلن عن نجاح موريتانيا في خفض

الفقر وزيادة النمو ، وهي في الحقيقة "تشجيعاً لها علـى التأكيـد علـى علاقاتهـا بإسرائيل" والتخلي عن التوجه العربي.

ومع مطلع الأسبوع الثاني من يونيو ٢٠٠٣ تعرضـت موريتانيـا لأحـداث وقلاقل واضطرابات كبيرة وتجدد القتال بـين المـوالين للـرئيس "ولـد الطـايع" ومتمردي الجيش في العاصمة نواكشوط ، وبلغت حدة المواجهات شدتها في الثامن والتاسع من يونيو ٢٠٠٣ ، ووسط استمرار أعمال القتال وتطوراتها طلب الرئيس الموريتاني اللجوء إلى فرنسا في أعقاب الانقلاب الذي وقع ضده وضد حكومتـه ، ومع مساء ٦/٩ تمكنت القوات الموالية للرئيس "معاوية" من استعادة سيطرتها على مركز العاصمة الموريتانية من أيدي الانقلابيين.

وفي ٦/١٠ أعلنت الحكومة الموريتانية سيطرتها الكاملـة علـى العاصـمة وسحق قوات المتمردين .

ثم عاد الرئيس "معاوية" إلى البلاد ، وفي إطار إظهار تضامنه مـع الـرئيس الموريتاني قام أمير قطر بزيارة لموريتانيا في أعقاب إحبـاط محاولـة الانقـلاب الفاشلة وعودة "ولد طايع" إلى البلاد.

ومن المعلوم يقيناً أن قطر تتمتع بعلاقات طيبة مع إسرائيل وأن الشيخ "حمـد بن خليفة آل ثاني" أمير دولة قطر يتمتع بعلاقات حميمة مع الإسرائيليين سواء في الحكومة أو المعارضة .. الأمر الذي يعني بالضرورة أن أمير قطر يحمل رسـالة معينة إلى الرئيس الموريتاني من الإسرائيليين ، حيث قد اتهم "معاوية" وحكومتـه إسرائيل مباشرة في تدبير الانقلاب الأخير وحملهم المسئولية المباشرة عن الأحداث الأمر الذي يعني أن قطر تلعب دور الوسيط في عملية تصحيح مسـار العلاقـات الإسرائيلية الموريتانيـة.

ووقعت القيادة الموريتانية في مهب رياح التغيير بين وعود أمريكية بإسـقاط الديون أو العودة لأحضان الفرنسيين ، بالإضافة إلى موقف الـرئيس الموريتـاني

السيء أمام الشعب وقادة المعارضة الموضوعين رهن الاعتقال منذ ثلاثة أعوام احتجاجاً على الوجود الإسرائيلي في البلاد.

وتتطور الأمور أو ستتدهور .. وإن الأيام لقادمة ..

(هـ) أوروبا ورياح التغيير

انقسمت أوروبا على نفسها في التعامل مع الأزمة العراقية منذ ما قبل الحرب فثمة تيار يؤيد الحرب ويدعمها ويشارك فيها مشاركة عسكرية مباشرة مثل بريطانيا وبولندا وتيارات أخرى سبق ذكرها.

أما وقد اتخذت أمريكا وبريطانيا قرار الحرب منذ فترة طويلة وقد أعدا لها العدة وجيّشا من أجلها الجيوش ، وقد بدت الأمور في وضع يجعل من العسير التراجع عنها أو تأجيلها إلى حين ، فمضت مُندفعة في طريقها نحو احتلال العراق وإعادة رسم خريطة المنطقة من دون اكتراث بالشرعية الدولية وكذلك بلا تفويض من الأمم المتحدة.

ولما كان لها ما أرادت من احتلال العراق أُعلن في روسيا وأوروبا عن اجتماع في "سان بطرس بورج" يضم كلا من الروسي "فلاديمير بوتين" والألماني "جيرهارد شرويدر" والفرنسي "جاك شيراك" في الجمعة ٤/١١ دون الإفصاح عن مدعاة الاجتماع أو الإشارة لنتائجه أو توصياته.

إلا أنه يعود في رأيي إلى فشل الزعماء الثلاثة في منع الحرب من خلال الأمم المتحدة ، وكان من المقرر أن ينضم كوفي أنان إلى لقاء الزعماء الثلاثة في اللحظات الأخيرة ولكنه لم يحضر ، ربما لأنه لا يريد أن يظهر في صورة من يُؤيد المعسكر المناهض للحرب مراعاة للبلد الذي يعمل على أرضه من جانب ومن جانب آخر فإنه ربما يضمن بهذا التصرف عدم الاعتراض الأمريكي عليه عند إعادة ترشيحه أميناً عاماً للأمم المتحدة لمدة ثانية تماماً كما كان من الأمريكيين حال إعادة ترشيح الدكتور بطرس بطرس غالي وتهديدهم باستخدام الفيتو للإطاحة

بالأمين العام (المصري – العربي) ومن ثم الإطاحة برغبة المجتمع الدولي كلـه ، على الرغم من أن اختيار "بطرس غالي" كأمين عام للأمم المتحدة لم يكن مصادفة، فهو وزير إعلام لمُجمّع الكنائس العالمي من قبل.

يأتي هذا في ظل تأكيدات "رامسفيلد" ونائبـه "ولفـوفيتز" بوضـوح شـديد وتصريحات كولين باول بأنه لن تكون الأمم المتحدة مسئولة عن العـراق إلا فـي إطار المساعدات الإنسانية فقط.

وهو ما يعني استمرار الإدارة الأمريكية في سياستها الرامية لا إلى تهمـيش أعلى الهيئات الدولية فحسب بل إلى اعتلائها والوقوف على رأسها.

وفي السادس عشر من أبريل سيطرت الأوضاع في العراق على أعمال قمـة الاتحاد الأوروبي التي بدأت في أثينا وقد استمر الانقسام الواضح في شأن معالجـة الأزمة العراقية ، لكنهم اتفقوا جميعاً على توسيع عضوية الحلـف جهـة أوروبـا الشرقية ليضم عشر أعضاء جدد من دول الاتحاد السوفيتي السابق فيما قيـل أنهـا معاهدة تاريخية ستخرج إلى النور في خلال الأسابيع القادمة.

ومن جانبها فقد حاولت الولايات المتحدة زيادة حدة شق الصـف الأوروبـي وتوسيع هوته وتعميق حجم الخلاف مبكراً بين أعضاء الاتحاد الأوروبي الحـاليين والقادمين عن طريق مطالبة رومانيا بالمشاركة في قوات الحماية والاستقرار فـي العراق حسبما ذكرت وزارة الدفاع الرومانية في ٤/١٨. هذا بالإضافة إلى إسـناد إدارة الإقليم الشمالي في العراق إلى القوات البولندية كمكافأة لها على مشاركتها في الحرب من جانب ومغازلة لدول الشرق الأوروبي من جانب آخر خاصة مع إعلان العديد من تلك الدول استعدادها لوضع كافة إمكانياتها تحت تصرف وحيـد القـرن ورهن إشارته وفي مقدمتهم أذربيجان.

ثم جاء الإعلان الفرنسي مُعبراً عن تأييد فرنسا لقرار يصـدر عـن الأمـم المتحدة بشأن تعليق العقوبات الاقتصادية فيما يُعدُّ تحولاً كبيراً في السياسة الفرنسية

خاصة بعد التراجع الواضح في لغة "شيراك" حال الحديث عن وحيد القرن ، ففي حديثه مع نظيره الأميركي قال "شيراك" إن فرنسا ستتعامل بواقعية مع موضوع العراق.

ولا أرى غير أن ذلك يعني محاولة الفرنسيين ضمان عدم تحييد بلادهم أو إسناد أي دور لهم في العراق.

ولعلنا نتدارك أن مصالح الدول الكبرى تتفق أو تختلف أو ربما تتصادم وفق ما يمكن تحقيقه من مكاسب ونتائج مباشرة أو غير مباشرة بالكلية أو التبعيض على حساب عالمنا العربي والإسلامي.

وعلى الرغم من التراجع الواضح من الجانب الفرنسي إلا أن الإدارة الأمريكية حذرت فرنسا في ٤/٢٢ على لسان وزير خارجيتها "باول" من أنها ستعاني من عواقب معارضتها للولايات المتحدة بشأن الحرب على العراق وأوضح "باول" في حديث تليفزيوني في أن الولايات المتحدة مضطرة لمراجعة علاقاتها مع فرنسا في أعقاب تهديدها باستخدام حق النقض "الفيتو" ضد أي قرار في مجلس الأمن يُخوّل استخدام القوة العسكرية ضد العراق.

ورداً علىالتصريحات قال وزير الخارجية الفرنسي "دومينيك دو فيلبان" أن بلاده سوف تدافع عن الشرعية الدولية في الأزمة العراقية ، وقد أكد في تصريح له أثناء وجوده في أنقره أن فرنسا ومعها غالبية كبيرة من المجتمع الدولي تصرفت طوال الأزمة العراقية وفقاً لقناعتها ومبادئها في الدفاع عن الشرعية الدولية وأنها سوف تواصل ذلك في كل الظروف.

يأتي هذا التصعيد في لغة الخطاب الإعلامي من الجانبين في الوقت الذي تُعلن فيه الولايات المتحدة عن أنها سترفع مشروعاً لمجلس الأمن برفع العقوبات المفروضة على العراق الأسبوع المقبل وسط رفض روسي وفرنسي متراجع يرمي في المقام الأول إلى تحقيق مصالح بعينها والتأكيد على إضافة مكاسب سياسية

عديدة في العالم العربي الذي أبهره كثيراً وأسرَّه ما كان من مواقف البلدين المعلنة ومعهما تأتي ألمانيا ثالثة ثلاثة والحقيقة ليست خافية عن الكثيرين.

أما التابع البريطاني "بلير" فقد سار على نهج سادته ، ففي حديثه للفاينانشـيال تايمز في الثامن والعشرين من أبريل حذر "بلير" فرنسا من العمل على خلق محور أوروبي مناهض لواشنطن ووصف هذا الوضع بأنه خطير ومن شأنه أن يزعـزع الاستقرار في العالم.

ومن الواضح أن "بلير" يهدف من خلال تصريحه إلى العمل في عدة محـاور في آن واحد.

الأول : التقليل من أهمية الموقف الفرنسي وإحباط محاولاته وإفساد نتائجه .

الثاني : إثبات عجز فرنسا عن قيادة أوروبا منفردة أو متعاونة مع ألمانيا.

الثالث : القضاء على آمال الفرنسيين للقيام بدور في إعادة إعمار العراق.

الرابع : زيادة حدة الخلاف القائم بين باريس وواشنطن في محاولة "بليريـة" لاستحواذ الرضا الأمريكي بلا منافس.

الخامس: إنهاك أي محاولة فرنسية لخلق محور مناهض للولايـات المتحـدة يكون مركزه أوروبا.

ومن الواضح أيضاً أن "بلير" لم يستوعب الأحداث ولم يتمكن مـن قراءتهـا جيداً بما يسمح له بالتعامل مع المعلن من المواقـف ذات المغـزى الاسـتراتيجي المؤثر عند العرب والمختلفة بالكلية مع ما يدور بين الكواليس وفي حجرات الطهي السياسي.

ولا يمكن الجزم الآن بالقول فيمن أو عن من ناصح "بليـر" بالعـدول عـن تصريحاته غير المسئولة أو تصحيحها. فلم يمض التاسع والعشرين من أبريل حتى تراجع في مؤتمره الصحفي ليؤكد من جديد على عمـق العلاقـات مـع فرنسـا

باعتبارها حليفاً استراتيجياً لبريطانيا ، كما أكد على أهمية التحالف عبر الأطلنطـي في استقرار العالم .

وإنصافاً للتاريخ فإن الولايات المتحدة إلى جانب سعيها لتهميش الأمم المتحدة فإنها لم تقم وزناً للاتحاد الأوروبي الذي كثيراً ما انتظره الكثيرون قطباً ثانياً فـي موازين القوى الدولية خلفاً للاتحاد السوفيتي المنحل.

ومن جانبه فقد أثبت الاتحاد الأوروبي عجزاً كبيراً في أول محـك لـه فـي الأزمات الدولية وعلاقته مع العرب ، كما أظهر عجزاً كبيراً في مواجهته لصـدام حقيقي يهدد مصالح الغرب كله وتهميش دوره بالإطلاق.

وقد استشعر الأوروبيون الخطر فاتفق وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي فـي ٢٠٠٣/٥/٣ على صياغة استراتيجية أمنية مشتركة تفادياً لأيـة انقسـامات فـي المستقبل على غرار ما حدث إبان الأزمة العراقية.

ولكن إلى أي مدى ستؤثر رياح التغيير في أوروبا القديمـة والجديـدة علـى السواء في ظل تخلي المستشار الألماني "شرويدر" عن مواقفه المعلنة مـن خـلال دعوته التي أطلقها في مؤتمره الصحفي المنعقد في برلين ظهر الجمعة ٥/١٦ مـع كولين باول حيث دعا إلى رفع فوري للعقوبات على العراق لينضـم بـذلك إلـى الصف الأمريكي ويكون في طليعة الدول التي ستؤيد اتخاذ مثل هذا القرار لاحقـاً بفرنسا التي ركبت الموجة ذاتها في وقت سابق وليصوتا لصـالح القـرار حـال عرضه للتصويت على مجلس الأمن الدولي.

وتستمر الرياح في الهبـوب ..

(و) الرياح في نيجيريا

لا تمارس الولايات المتحدة في تعاملها مع الشعوب لغة التخاطب والحـوار ، وحل ما قد ينشأ من مشكلات بالطرق الدبلوماسية ، إنما هـي لا تعـرف إلا لغـة

واحدة في تعاملها مع كل شعوب الأرض .. هي لغة حوار السادة والعبيد أو بالأدق "الناس اللي فوق والناسي اللي تحت" إن صح هذا التعبير ، وهو ما يعني أنه لا حوار ولا التقاء بين سادة الشمال .. أي "الغنى" وبين العامة من دول الجنوب "الفقر" ، وهو ما أدى إلى تصاعد شعور العداء والكراهية في كل مكان دبت فيه قدم أمريكي على سطح الأرض.

ففي نيجيريا على الساحل الغربي الأفريقي تسببت شركة "ترانس أوشن" الأمريكية للبترول والعاملة في مجال التنقيب عنه في مشكلة مع عمال البترول النيجيريين الذين احتجزوا سبعين رهينة من الأمريكيين والبريطانيين العاملين في قطاع البترول كما أغلقوا أربعة أرصفة لتصدير البترول خلال الاضطرابات التي وقعت في نيجيريا بسبب قيام إدارة الشركة بفصل ١٩ عاملاً نيجيرياً بشكل تعسفي في ٢٠٠٣/٤/١٩ وقد فشلت المحادثات التي دارت بين "ترانس أوشن" وبين الاتحاد الوطني النيجيري لعمال النفط والغاز الطبيعي في إنهاء الإضرب الذي بدأه العمال النيجيريون.

وتتزايد الشكوى من المناطق المنتجة للبترول في نيجيريا من أنهم يتلقون القليل من الأرباح التي تحققها الشركات الأجنبية في حين يعانون على الجانب الآخر من النتائج الضارة لتلويث البيئة المترتبة على أعمال هذه الشركات فوق أراضيهم.

وقد قامت قوات بحرية نيجيرية بالسيطرة على حفارات النفط بالجنوب النيجيري حيث تتركز الصناعات البترولية لمواجهة تهديدات الميليشيات المسلحة بتدمير منشآت ومراكز تخزين البترول هناك.

وتتخوف أسواق النفط العالمية من تطور الاضطرابات في نيجيريا مُلحقة أضراراً كبيرة في صناعة النفط في البلاد بما سيوجه لطمة كبيرة للأسواق البترولية ، ويشل اقتصاد نيجيريا المعتمد بشكل كلي على عائدات النفط.

يُذكر أن نيجيريا هي سادس أكبر بلد مُصدر للبترول في العالم حيــث تقــوم بتصدير مليوني برميل يومياً يذهب معظمه إلى أسواق الولايات المتحدة.

وقد تدخل رئيس الجمهورية النيجيري تدخلاً دبلوماسياً مباشراً لدى الشــركة الأمريكية على أمل إيجاد حل مقبول يضمن عودة العمال النيجيــريين المســتبعدين تعسفياً من أعمالهم ولم تَرِدْ حتى الآن أخبار تفيد بالتوصل إلى حل مقبول .

حقاً .. إنهم الأساتذة المتخصصون في صناعة الأزمات وافتعال الكوارث.

(ز) رياح التغــيير في موسكو

انتهت الأعمال العسكرية المباشرة كما بدأت من دون أن تــتمكن الولايــات المتحدة وبريطانيا بما لهما من إمكانيات عسكرية هائلة وتكنولوجية متقدمة وأجهزة استخباراتية راقية من أن يبرهنا للعالم أجمع بما فيه الرأي العام الأمريكــي علــى صدق موقفهما في مشروعية قرار الحرب التي خاضاها ، وأصابهما العجز الكبير والفشل الذريع عن أن يثبتا ادعاءاتهما التي ملأت الفضــاء والأرض بــأن لــدى العراق أسلحة دمار شامل.

الأمر الذي أدى إلى تصاعد الأصوات المطالبة برحيل القوات الأجنبية التــي تحتل العراق وفوراً دون قيد أو شرط ، بالإضافة إلــى تأكيــد شــكوك المعســكر المناهض للحرب في نوايا الأمريكيين الحقيقية من غزو العراق.

ومن جانبه فقد شكك الرئيس الروسي بوتين في شرعية الهدف المعلن للحرب الأنجلوأمريكية على العراق ، وهو نزع أسلحة الدمار الشامل ، مؤكداً أن النظــام العراقي لم يستخدم تلك الأسلحة في اللحظات الأخيرة قبل انهياره الأمر الذي يــدل على أن هذه الأسلحة غير موجودة ، وقد أثبتت الحرب خطأ السبب الرئيسي للقيام بها وهو الادعاء بنزع تلك الأسلحة من العراق .

وفيما يعتبر استمراراً لسياسة الحرب الباردة بين وحيد القرن والدب الروسي أعلنت محطة CNN الأمريكية في ٤/١٨ أن القوات المحاربة في العراق لم تعثر على أي أثر لأسلحة الدمار الشامل في العراق.

ولم يلبث الرئيس الأمريكي أن اعترف مباشرة في ٤/٢٥ بأن العراق تخلص من أسلحة الدمار الشامل قبل الحرب وكأن لسان حاله يقول لمعارضيه "موتوا بغيظكم" فلن يكون على وجه الأرض إلا ما شاء وحيد القرن أن يكون . كما أن بوش يهدف من وراء اعترافه بإعلان خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل إلى حشد المواقف المؤيدة لمُطالبة أمريكية وشيكة لمجلس الأمن برفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق حتى تتمكن الولايات المتحدة باعتبارها سلطة الاحتلال الرسمية في العراق من إعادة إنتاج وتصدير النفط العراقي وتحديداً من أجل سرعة السطو على ثروات العراق.

ومع تقديم الولايات المتحدة مشروعها لمجلس الأمن الداعي إلى رفع العقوبات المفروضة على العراق ، قوبل برفض فرنسي روسي صيني ألماني ، حجتهم في ذلك ضرورة عودة المفتشين الدوليين لمباشرة مهامهم في العراق لضمان خلوه من تلك الأسلحة والتأكيد على ذلك الخلو بالكلية وخشية أن تعلن قوات الاحتلال عن العثور على تلك الأسلحة المحظورة في بلد بلا حكومة وبلا إدارة بل وبلا إرادة في الوقت الذي تبدي فيه الولايات المتحدة استياءها من وصفها قوات الاحتلال ، كما ترفض أن تمارس على العراق سلطة الاحتلال ، فجاء إعلان "بوش" في ٤/٢٦ برفض عودة المفتشين الدوليين إلى العراق وقال إن الخبراء الأمريكيون يقومون بذات العمل بالإنابة عنهم.

واتضحت نيات الأمريكيين في تكريس احتلالهم للعراق ، فسارع الرئيس الروسي "بوتين" بالإعلان عن رغبة بلاده في مضاعفة وجودها العسكري في

جمهورية طاجكستان بآسيا الوسطى مما يُعد تفاعلاً مع المعطيات الجديدة التي جاءت بها رياح التغيير على الفيدرالية الروسية.

جاء ذلك أثناء زيارة "بوتين" للعاصمة الطاجكستية "دوشانبيه" كرد فعل سريع وفوري وحازم على موقف بوش الثاني الذي اتضحت نياته الحقيقية أمام الروس مما جعل بوتين في موقف لا يستطيع معه إخفاء رغبة بلاده في توكيد تواجدها العسكري في آسيا الوسطى بل وكذلك في ربط دول المنطقة بسياساتها الخارجية ، خشية إعادة وقوع الجمهوريات السوفيتية الواقعة في هذه المنطقة إلى فلك النفوذ الأمريكي.

ومن ثم فقد شهدت العاصمة الطاجكستانية مولد نجم جديد في الوسط الأسيوي هو مجلس معاهدة الأمن الجماعي على مستوى القمة التي ضمت رؤساء ست جمهوريات من دول الاتحاد السوفيتي السابق هما روسيا وبيلاروسيا وأرمينيا وكازاخستان وطاجكستان وقيرغيزستان .. وقد اتفق الزعماء المجتمعون على نشر قوة ردع سريعة مزودة بالطائرات المقاتلة في آسيا الوسطى بدءاً من يوليو ٢٠٠٣.

وقد أعلن "بوتين" أن المهمة الرئيسية لتلك القوات هي مكافحة تهريب المخدرات والإرهاب في المنطقة كما لخّص الاتجاهات الأساسية لنشاطها قائلاً "الهدف من إنشاء هذه المنظمة يكمن في ضمان أمن الأعضاء فيها وسلامة أراضيها وسيادتها.

كما أسفرت القمة عن الاتفاق على إنشاء هيئة أركان موحدة لدول التحالف الروسي الجديد وقوات الانتشار السريع كما توصلت الدول المشاركة في القمة إلى تنسيق مواقفها السياسية.

وتجدر الإشارة إلى أن تعزيز التحالف السياسي مع روسيا سيأتي للدول الأسيوية بمنافع اقتصادية وإن كان حجمها متدنياً مقارنة مع ما ورد في الوعود

الأمريكية السخية التي لم يتحقق منها إلا القليل ، وذلك عن طريق حصول دول التحالف على الاستثمارات اللازمة التي يمكن الاعتماد عليها في تعزيز سيادتها الوطنية ومقدراتها المادية والعسكرية في ظل الظروف السائدة التي تشير إلى عدم الاستقرار في جميع أنحاء العالم تقريباً.

كما أنها تعود على روسيا بمردود هام حيث عقدت قيادتها عزمها على الاحتفاظ بهذه المنطقة لمواجهة التحديات الناجمة عن المتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة .

ومن هنا يمكن القول بأن تحول روسيا الإقليمي من شأنه أن يعوض موسكو عما واجهته ومازالت تواجهه من محاولات تهميش دورها في القضايا الدولية ابتداء من العراق.

ومن الواضح أن التحول الإقليمي الروسي الجديد قد جاء بعد دراسة جادة وعملية استهدفت الاستفادة من الحاضر بعد أن استوعبت الدرس فلجأت إلى إقامة حزام أمني حول ما كان يسمى بالبطن الضعيف حسب قول "هنري كيسنجر" بقصد قطع الطريق المباشر أو غير المباشر الذي يمكن أن تسلكه المخططات الأمريكية ، ومن ثم تقويض تلك المخططات وإجهاضها وإلغاء وجودها.

فالوجود الأمريكي في تركيا والعراق وأفغانستان والباكستان وكوريا الجنوبية وشرق آسيا أجبر القيادة الروسية على تبني أفكار جديدة قديمة تعمل على ضرورة إحياء الامبراطورية الروسية وعودة أمجادها لتواجه رياح التغيير العاتية التي تشرف أن تهب عليها من كل جانب.

ويبرز سؤال هام في ظل الشواهد المعاصرة فرضته علينا أساليب إدارة زعماء كل من روسيا وفرنسا وألمانيا والصين وغيرهم أثناء إدارة الأزمة العراقية.

ففي ظل المصالح والمصالح المشتركة أو المتناقضة أو الأضادية بين القــوى الكبرى .. هل يعمل الحلف الوليد بقيادة الروس كضابط تنفيذي يقوم على رعايــة مصالح الأمريكيين في الوسط الأسيوي وينوب عنهم في دحــر حركــة طالبــان وتنظيم القاعدة اللذان قد بدءا في تجميع صفوفهما من جديد بما يثير قلقــاً أمريكيــاً كبيراً وإزعاجاً لهُم خطيراً يمكن لروسيا الإتجار فيه والتربح عن طريقه.

الباب الخامس

العالم العربي بين المهادنات والأولويات

العالم العربي بين المهادنات والأولويات

(أ) أيـن الطـريق ؟

مخطئ من قال أن الإسرائيليين مستغلون أو انتهازيون. ومن هنا فإننا كثيـراً ما نقع في هذا الخطأ الفادح سواء أكان عمداً أم خطأً ، فالإعلام العربي عموماً أخذ يردد ويكرر تحذيراته إلى العالم بأن إسرائيل سوف تستغل أحداث الحـرب علـى العراق لتصعيد هجماتها على الفلسطينيين وتزيد من قمعها وبطشها فتبيدهم وتلـتهم أرضهم وتدمر منازلهم وتقتلع أشجارهم .. وهذا قول عنوانه غير صحيح ، فالواقع من خلال الممارسة الحية للأحداث وتجاربها المريرة ينطق ببطلان تلك الادعاءات وعدم مطابقتها لحقيقة الأحداث ، إذ أن إسرائيل لا تحتاج إلى غطاء من أي نوع أو ساتر بأي حجم لتمارس عدوانها على الفلسطينيين متى شاءت وأنى شاءت بل وأين شاءت سواء في الداخل أو في الخارج على حد سواء.

دليلنا في ذلك استمرار السياسة الإسرائيلية في حمـلات الإبـادة الجماعيـة والتصعيد الهمجي منذ بداية انتفاضة الأقصى في سبتمبر ٢٠٠١ وحتى الآن وسط عجز عربي عام عن التصدي لتلك الممارسات الباغية ضـد الشـعب الفلسـطيني الأعزل اللهم عدا تصريحات الشجب والإدانة والرفض والاسـتنكار فضـلاً عـن محاولات البعض من الشعوب الوفية العظيمة بالتذكير بقضية القدس مـن خـلال طباعة صور مسجد قُبة الصخرة أو المسجد الأقصى على القمصان أو أن يكتـب البعض على الجدران "القدس لنا" أو "القدس عربية" أو أن يستخدم الـبعض كلمـة القدس عنواناً لمحال تجارية كأن يقال "كشري الأقصى" ، "فول وفلافـل القـدس" بالإضافة إلى الجهد المضني والعمل الجبار الذي تبذله الحكومات العربية في كتابة الرسائل والبرقيات وما يعانوه هؤلاء القادة من مشـقة فـي الاتصـالات الهاتفيـة المطالبة أو الراجية للعواصم الغربية بالضغط على إسرائيل لتكف عن ممارسـاتها العدوانية وتقبل اللجوء إلى المفاوضات السلمية.

إلا أن هؤلاء الذين نرجوهم من قادة الغرب أو نتوسم فيهم لن يستطيعوا عمل شيء أو تقديم آخر ، ولن يمارسوا أي ضغط مـــن أي نـــوع ضـــد الإســـرائيليين لإجبارهم على اتخاذ موقف معين ضد رغبتهم وفيه تطييب للخاطر العربي خاصة إذا ما ذكرنا أن "بوش الأول" عندما لوّح بإمكانية المساس بالمساعدات الأمريكيـــة لإسرائيل للضغط على إسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق لإجبـــاره على اتخاذ موقف معين أثناء مفاوضات مدريد ، عند تنفيذ استحقاقات اتفاقية أوسلو كمكافأة للعرب على موقفهم في حرب الخليج الثانية أطاح به الناخبون في انتخابات التجديد لفترة رئاسية ثانية في ١٩٩٣ ولم يخرج بوش وحده من البيت الأبيض بـــل رحل الحزب الجمهوري كله ودخل الحزب الديمقراطي بعد فـــوز مرشـــحه "بيـــل كلينتون" الذي بدا أكثر صرامة وحزماً في دعايته الانتخابية عـــن أمـــن إســـرائيل وسيادتها وضمان تفوقها والاستمرار في دعمها.

من هنا يأتي قطع كل لسان ينطق بإمكانية ممارسة "بوش الثـــاني" ضـــغوطاً على إسرائيل لتخفف من حصارها على الفلسطينيين ، وتفتح لهم ســـبل العـــيش ، وتسمح بحرية الحركة لعرفات أو حتى "مجرد الإعلان" عن قبولها لما يسمى وهماً "خارطة الطريق" للسلام بالشرق الأوسط.

خاصة إذا ما تذكرنا أنه الرئيس الأول في التاريخ الأمريكي الذي دخل البيت الأبيض بموجب حكم قضائي لصالحه ضد منافسه "آل جور" الذي يمكن القول بأنه لم يخسر تلك الانتخابات الرئاسية إلا أنها عجائب الأقدار.

من هنا يتضح انعدام القاعدة الشرعية الناخبة للرئيس "بوش" في مقابلة الحزب الديمقراطي الذي حُرم مُرشحُه من دخـــول البيـــت الأبـــيض لا بفضـــل اكتســـاح الجمهوريين للانتخابات ولكن بموجب الحكم القضائي المذكور.

وعليه يثبت استحالة ممارسة "بوش الثـــاني" لأي ضـــغوط علـــى إســـرائيل للأسباب الآتيـــة :

الأول : خشية خروجه مبكراً من البيت الأبيض ولقاء مصير أبيه "بوش الأول".

الثاني : كونه مسيحياً توراتياً متطرفاً من المؤمنين بأن إبادة الشعوب العربية واجب توراتي مقدس.

الثالث : أنه هو بنفسه الذي أخرج كلينتون من البيت الأبيض وهو يسابق الزمن لإبرام اتفاق سلام ينهي به حياته داخل البيت الأبيض أو ربما كان يسمح لحزبه الديمقراطي بالبقاء في البيت الأبيض برئاسة نائبه "آل جور" فجاء "بوش الثاني" ليقلب المنضدة على الجميع في شرم الشيخ بعد أن تحدث عن إسرائيل وأمنها وسيادتها وضمان تفوقها فاستحوذ رضا الناخبين وضيّع الفرصة على الديمقراطيين وتبخرت بقدومه كل فرص السلام في الشرق الأوسط خاصة مع تولي اليميني المتطرف "شارون" دفة الحكم في إسرائيل.

وعليه فقد استمرت إسرائيل في سياسة القمع والتدمير والقتل بما في ذلك هدم المنازل على رؤوس من فيها حتى وصلت أعداد المنازل التي دمرتها القوات الإسرائيلية للفلسطينيين ٤٩ الف[1] منزل منذ ٦٧ حتى الآن أي ما يعادل ١٦٣,١١ منزل كل عام في المتوسط بالإضافة إلى اجتثاث ٧٥ ألف شجرة طوال المدة ذاتها أي ما يساوي ٢٢٧٢,٢٢ شجرة كل عام ، وهي امتداد لسياسة إسرائيلية ثابتة منذ ما قبل الثورة العربية الكبرى عام ١٩٣٦ وحتى الغد.

وفي الأربعاء ٤/١٦ فرض الجيش الإسرائيلي إغلاقاً كاملاً للأراضي الفلسطينية بمناسبة عيد الفصح اليهودي واجتاحت قواته مدينتي "جنين وطولكرم" وتوغلت في قطاع غزة ، وجاء رد الفلسطينيين بإلقاء الطوب والحجارة على المدرعات الإسرائيلية وإطلاق النبال على الطائرات ، وسياسياً طالب د. صائب عريقات بتنفيذ خارطة الطريق من غير شروط ، واستمر التصعيد الإسرائيلي .

(1) تصريح للسفير محمد صبيح ، التليفزيون المصري صباح ٢٠٠٣/٦/١٨ .

وفي السبت ٤/١٩ توغلت قوات الاحتلال في رفح وجنين واستشهد ثلاثة فلسطينيين برصاص الإسرائيليين ، كما قُتل صحفياً بريطانياً يُدعى "جيمس ميلر" في الأراضي الفلسطينية على أيدي قوات الاحتلال في ٥/٣ أثناء تصويره فيلماً وثائقياً عن الممارسات الإسرائيلية ، وفي اليوم التالي مباشرة قتلت القوات اليهودية خمسة فلسطينيين وأصابت ٣٠ آخرين إثر توغل جديد لرفح في قطاع غزة باستخدام ٤٠ دبابة و٢٠ آلية عسكرية بينما قتل الفلسطينيون إسرائيلياً واحداً وأصابوا ثلاثة آخرين بجروح .. وتدهورت الأوضاع.

وجاء ٤/٢٥ وفيه أثنى "بوش" على "محمود عباس – أبو مازن" المرشح رئيساً للوزراء الفلسطيني ودعاه إلى زيارة واشنطن بينما عرفات يبحث عن مخرج لحقن دماء شعبه الذي يفقد يومياً عشرات القتلى والمصابين فيتمسك بالأمل في الوهم المسمى "خارطة الطريق" ويدعو إلى سرعة إعلانها بعد وفاء السلطة الفلسطينية بآخر مطالب وسطاء السلام الأربعة بشأن تشكيل حكومة فلسطينية.

بينما تأتي الرياح على عرفات بما لا يشتهيه ، فقد تعرضت الحكومة الفلسطينية الوليدة لأول أزمة في تاريخها تتعلق بمصير أبو مازن ، وبقدرة الجميع على اجتياز الاختبار الصعب وتسجيل نجاحهم أمام التيارات المعادية المتربصة بالجميع وذلك بسبب إصرار عرفات على تعيين العقيد محمد دحلان رئيس الأمن الوقائي الفلسطيني وزيراً للداخلية في الوقت الذي يهدد فيه أبو مازن بتقديم استقالته حال إصرار عرفات على مطلبه.

وما كان أبو مازن ليتجرأ على تاريخ ورمز الكفاح الفلسطيني "عرفات" إلا وأنه يسانده دعم أمريكي قوي عبّر عنه "بوش" بقوله "إن أبو مازن رجل سلام" وذلك لأن أبو مازن وعد بنزع أسلحة حركتي الجهاد وحماس وكتائب عز الدين

القسام "سرايا القدس" ليقع في الخطأ ذاته الذي وقع فيه عرفات سابقاً في عصر باراك[1].

وقد قدم "باول" الدعم لأبي مازن في مواجهة عرفات عندما كشف مسئول فلسطيني أن الخارجية الأمريكية أبلغت عرفات بأنه سيتحمل عواقب وخيمة في حالة فشل أبو مازن في تشكيل حكومته.

وفي ذات الوقت وزيادة في الضغط على الفلسطينيين ، ومن أجل توسيع هوة الخلافات بين القيادة الفلسطينية وفصائلها وأجنحتها العسكرية المختلفة توغلت القوات الإسرائيلية في حي المغراقة جنوب قطاع غزة هدمت خلالها خمسة منازل للفلسطينيين وقصفت سيارات المواطنين بقذائف الدبابات كما هدمت القوات مسجداً في مدينة رفح جنوب القطاع قرب الشريط الحدودي مع مصر كما اعتقلت ١١ فلسطينياً من حركتي الجهاد وحماس من جنين ونابلس.

استدعت الأحداث المتلاحقة التدخل المصري العاجل والمنقذ فأوفد الرئيس المصري "مبارك" الوزير "عمر سليمان" مدير المخابرات العامة المصرية في ٤/٢٤ للالتقاء بعرفات وأبي مازن في إطار المساعي المصرية لرأب الصدع واحتواء الأزمة داخل أروقة السلطة الفلسطينية.

وازداد التعنت الإسرائيلي وازدادت وحشيته وتطور قمعه ضد الفلسطنيين. فاجتاح الجيش الإسرائيلي "قلقيلية" بالضفة الغربية وفرض عليها حظر تجول شامل وكامل فيما وردت أنباء عن تفجير ١٤ قنبلة في مخيم عين الحلوة أكبر مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

وجاء الثلاثاء ٤/٢٩ فاجتمع المجلس التشريعي الفلسطيني في جلسة تاريخية برام الله للتصويت على الحكومة الفلسطينية الوليدة برئاسة أبو مازن ..

---

(1) انظر تفصيل ذلك في كتابنا المؤامرة الكبرى.

ومن جهة أخرى لم تُجدِ الاستجداءات ولم تنفع التليفونات كما لم يفيد قيام السلطة بالتعديلات ووفائها بالالتزامات.

وجاء الأول من مايو ليشهد مقتل ١٣ فلسطينياً وإصابة العشرات على أيدي الجيش الإسرائيلي في مجزرة جديدة ولم يتحرك ولن يتحرك كما أنه سوف لا يتحرك أحد.

وجاءت ردود الأفعال الأمريكية مخيبة لكل الآمال التي تعلقت عليها من جانب الآملين والحالمين ، حيث هبط "بوش" من طائرة هليوكوبتر على ظهر إحدى حاملات الطائرات في بلاده وهو ممتلئ بالغرور والزهو ليُعلن عن إنهاء العمليات العسكرية الرئيسية في العراق في ٥/٢ ويَعِدُ بالقضاء على الإرهاب.

والمتحدث باسم البيت الأبيض "إيري فلايشر" يؤكد على أن سوريا دولة إرهابية .. انتبهوا أيها السادة .. البيت الأبيض يُعلن رسمياً أن سوريا دولة إرهابية ويؤكد على وعده بالقضاء على الإرهاب أي أن سوريا في عيون البابا "بوش" ورأسه وسيفتالها يمينه المتطرف.

وتشدو الحمامة السمراء "رايس" لتبكينا على أطلالنا وهي تعزف أقبح الألحان الشهيرة "أمن إسرائيل مفتاح أمن المنطقة والعالم" .. لقد عبرت "كونداليزا رايس" خير تعبير ، وتحدثت فأوجزت حقيقة التوجهات وقضت على مجمل الطموحات والتطلعات.

ولازالت إسرائيل كما كانت تبحث عن الأمن وحده ولن تجده طالما كانت تغتصب الأرض وتنتهك العرض وتقلع الزرع وتسم الضرع.

فأمن إسرائيل ما كان ولن يكون إلا بمثل ما كان عليه عبر الزمان منذ عصر البابليين وحتى يوم الدين.

فلتمض الأمور نحو مزيد من الصراع والنزاع والصدام والقتال حتى يأتي الله بأمره.

وقُبيل وصوله إلى إسرائيل للقاء "شارون" ضمن جولته في الشرق الأوسط لإطلاع الأخير على نتائج مباحثاته مع القادة العرب ولتنسيق المواقف بينهما خاصة في إعادة توزيع الأدوار في مسلسل العصاري "خارطة الطريق" أُعلن في إسرائيل عن رفع الحظر المفروض على الأراضي الفلسطينية – وهو كلام في غير محله – للمتاجرة الإعلامية فقط .

وبعد وصوله إلى تل أبيب أعلن "باول" عن عدم إمكانية لقاء عرفات ، بينما تحدد ظهر السبت ٥/١٧ للقاء أبو مازن وشارون.

وقبيل ساعات من اللقاء أعلن د. صائب عريقات وزير شئون المفاوضات في حكومة أبو مازن استقالته من منصبه وقد تواترت أنباء عن أن السبب هو استبعاد عريقات من حضور المباحثات مع "شارون".

بينما أعلن عريقات في وقت لاحق أن السبب يعود إلى امتناع إسرائيل عن قبول خارطة الطريق في الوقت الذي أعلنت فيه السلطة الفلسطينية قبولها لها.

هذا وقد أعلنت السلطة الفلسطينية قبل انعقاد اللقاء أن نجاح المباحثات مرتهن بقبول إسرائيل لخارطة الطريق وإعلانها الموافقة عليها من دون تعديل.

بينما أُعلن في إسرائيل أن المباحثات لن تتعدى المجال الأمني فقط بينما سيتم إرجاء البحث في خريطة الطريق إذا تمكنت السلطة الفلسطينية من الوفاء بشروط معينة.

واستعدت إسرائيل بطريقتها للقاء "أبو مازن" ففرضت حصاراً شاملاً على الأراضي الفلسطينية توقفت معه كل مظاهر الحياة بينما "شارون" يقابل أبو مازن في بيت الأول لا في مجلس الوزراء الإسرائيلي حتى لا يُصبغ اللقاء بلون الشرعية والرسمية ويصير لقاءً هامشياً في حدود الضيافة المنزلية وذلك على غير العادة والمألوف وعلى النقيض من البروتوكولات الدبلوماسية والسياسية.

وانتهى اللقاء الذي علّق عليه الواهمون وصفّقوا له من غير تحقيق أدنى تقدم في السير نحو تنفيذ خارطة الطريق أو مجرد التوقيع على اتفاق أمني جديد.

وتحدث في ٥/١٧ وزير الخارجية الإسرائيلي فقضى على الآمال وقطع الألسن الواهمة حيث أعلن "شالوم" أن بلاده لن توافق على إقرار خُطة خارطة الطريق التي ترعاها اللجنة الرباعية والداعية إلى إقامة دولة فلسطينية عام ٢٠٠٥ وجاء تصريح "شالوم" لصحيفة ها آرتس الإسرائيلية نشرته على موقعها في شبكة المعلومات الدولية في ٥/١٧ مصحوباً باستطلاع للرأي أجرته صحيفة معاريف الإسرائيلية في التاريخ ذاته ، وعلى ذات الصفحة أوضحت فيه أن أقل من ثُلث الإسرائيليين يرى ضرورة في قيام الولايات المتحدة بممارسة ضغوط على إسرائيل لتقديم تنازلات لتنفيذ خارطة الطريق ، وذكر الاستطلاع أن ٢٦% من الإسرائيليين هم فقط الذين يؤيدون خارطة الطريق ، وأن من يدعمونها أقل من الثلث أما الذين يرفُضونها فهُم معظم الإسرائيليين.

وقُبيل لقاء "شارون – أبو مازن" في ٥/١٧ بدقائق أصدر "شارون" قراراً سياسياً يسمح لليهود بارتكاب حماقاتهم داخل المسجد الأقصى ولم يصدر أي رد فعل عربي أو إسلامي إلا ما جاء من القاهرة .

فقد نددت مصر فوراً بالقرار الإسرائيلي واعتبرته بمثابة استفزاز للأمة الإسلامية وتخريب لجهود السلام.

وتشير الشواهد وتنطق بإمكانية إسرائيل في هدم المسجد الأقصى ووضع هيكل سليمان على أطلاله خلال سنوات قليلة قادمة طالما استمر العرب في وضع الشرذمة وحال التفكك والإصرار على مغازلة الإسرائيليين والسعي إليهم سراً وعلانية كما تفعل قطر وكما فعلت موريتانيا ، وأيضاً ما دام العرب يجدُّون في استرضاء الأمريكيين وخُطبة وُدهم ..

وهم جميعاً يسبحون في بحار تئن فيها الرياح ..

ضاع فيها المجداف والملاح ..

مع الاعتذار للأخ .. جورج جرداق ..





أطفالنـــــا
وأطفالهـــم
..
أين شعارهم ..
الحرية
الإخاء
المســاواة ..؟!

(ب) الأحداث على الأرض



"أين بغـــــداد ..؟"

أعلن البنتاجون في ٤/٢٦ أن الولايات المتحدة أنفقت ٢٠ مليــار دولار فــي الحرب على العراق وجاء في الإعلان أنه من المتوقع أن تنفــق ٢ مليــار دولار شهرياً للإبقاء على آلاف القوات هناك.

وهذا القول يؤكد على بطلان التصريحات الصادرة عن بعض المصادر الأمريكيــة والقائلة بأن قوات المارينز سوف تغادر بغداد قبل ٤/٢٢ تاركة الســيطرة للقــوات الأمريكية على العاصمة العراقية بغداد في مناورة تهدف إلى تهدئة مئــات الآلاف من المتظاهرين العراقيين في بغداد وغيرها من المدن الرئيســية احتجاجــاً علــى الاحتلال الأمريكي البريطاني للبلاد.

هذا التصريح المبطن يخفي حقيقة الأمور ، فالإدارة العسكرية فــي العــراق والقيادة المركزية في قطر تقوم بعملية إحلال كُبرى للجنود المشاركين في الحــرب وإعادتهم إلى أُسرهم يقابلها عملية تجديد أكبر ، فقد أُعلن في ٤/٢٥ عــن إرســال ٥٠٠٠ جندي أمريكي إضافي موجودين في ألمانيا إلى العراق في مناورة جديــدة تستهدف احتواء ردود أفعال العراقيين تجاه تصريحات الحاكم العسكري "جــارنر" حول تقسيم العراق بقوله إن كركوك مدينة كردية مما أثار حفيظة الأتراك فقامــت

الخارجية التركية باستدعاء السفير الأمريكي في البلاد وطالبته بإيضاحات من واشنطن حول تلك التصريحات الخطيرة ، وقال السفير "روبرت بيرسون" للصحفيين عقب تلبية دعوة الخارجية التركية له في أنقرة أنه يجهل حقيقة ما قاله "جارنر" ولكنه كرر التأكيدات الأمريكية من أن واشنطن لن تسمح لأي مجموعة إثنية بالسيطرة على كركوك.

أما ما يخص الانسحاب الفعلي فهو مقصور على القوات الإضافية التي تم تجييشها قبل الحرب من بينها مثلاً حاملة الطائرات "هاملتون" ، "إبراهام نيلكون" بغرض الحفاظ عليهما وحمايتهما من أي عمليات إرهابية تستهدف القوات الأنجلوأمريكية في ظل تنامي موجات العداء ضد الدولتين في العالم العربي ، ومن أجل الشد على أيدي الجنود الجدد ومصافحة الجنود القدامي ضمن عملية الإحلال والتجديد ومن أجل بث الحماس في نفوس قوات الاحتلال ، وللتأكيد على وقوف الإدارة الأمريكية خلفهم وهم أبطال جيوش التحرير التي جاءت لتحرير العالم العربي كله من محبس أفكاره الرجعية وقِيَمِه الأخلاقية وهو كذلك رهين حضارة بالية طاعنة في بطن التاريخ حتى قبل تدوينه من قبل أن يعرف التاريخُ التاريخَ ومن ناحية أخرى للتخلص من القيم الإسلامية البالية التي لا تصلح لرقص الباليه والتي لم تعُد تصلح لمواكبة حياة المدنية الحديثة وتعوق التنمية البشرية والثقافية والديمقراطية التي أرسى قواعدها وحيد القرن. الذي أرسل جيوشه لإنقاذ العرب من مستنقع الأخلاق ومن وحل الفضيلة وتحريرهم وتهيأتهم لثقافة الجنس والشذوذ والمخدرات والإباحية والعري الجسدي الفاضح وارتداء الجينز والكاوبوي حتى يتمكنوا – أي الشعوب العربية – من ممارسة الديمقراطية الحقيقية تحت راية السلام الأمريكي الذي جعل من المصافحة رمزاً له ، ولينعم العرب بشعار الحرية "الفوضوية" والإخاء "بين المسلم والإسرائيلي" والمساواة بين الرجل والمرأة ، وبعيداً عن الرجعية والتخلف والديكتاتورية السلفية العقائدية.

وقد إجتهد الماسونيون والعلمانيون العرب في الترويج لهذه الأفكار المسمومة ، وجدوا من غير كلل في سبيل غرس تلك الثقافة الغربية عن مجتمعاتنا ومفاهيمها ، عبر وسائل الإعلام المختلفة وفي مقدمتها الشاشتين الصغيرة والكبيرة ، في محاولة مستميتة لإحلال وإبدال الثقافة العلمانية محل الآيات القرآنية – في قوله

تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) ، وقوله تعالى (ومن يتـــولهم منكم فإنه منهم) صدق الله العظيم ٠

يامن هدتم كالذين هادوا ٠٠٠رحماكم بنا ٠٠٠إتقوا الله فينا – فــلا تزرعــوا خبث زرعكم في طيب أرضنا ٠

وفي إطار ذلك وصل قائد جيوش التحرير الفاتح الأعظم "دونالد رامسفيلد" في مستهل جولة خليجية يدخل خلالها العراق لأول مرة في تاريخه ومنذ ولدته أمـــه ، ولكنه لم يتحدث في توقيت دخوله بغداد لدواعي أمنية تتعلق بسلامته الشخصـــية ، ثم يطير بعدها إلى أفغانستان ، وقد حلت بركات الفاتح الأعظم المعمدان "رامسيفلد" حيث أعلنت قوات التحالف عن الإفراج عن مائتين من الأسرى العــراقيين فـــي أم قصر ضمن برنامج يتم تنفيذه على مراحل وقبل وصول رامسفيلد في ٤/٢٩.

الثلاثاء ٤/٢٩ يوم المفـــارقات

أعلن في السعودية عن سحب الولايات المتحدة لقواتها مـــن المملكـــة ضـــمن اتفاق معها ، وقد أكد مسئولون أمريكيون أن الولايات المتحـــدة بـــدأت فـــي نقـــل عمليات مركز المراقبة الجوية من قاعدة الأمير سلطان إلى قطـــر بينمـــا يصـــل رامسفيلد إلى الرياض في إطار جولته بالمنطقة.

تأتي هذه الزيارة في وقت تبلغ فيه ممارسات الضغط ذروتهـــا مـــن جانـــب جماعة اليمين المتطرف "المحافظون الجدد" على الإدارة الأمريكية لفرض العزلـــة على السعودية وفرض عقوبات شاملة "سياسية – عســـكرية – اقتصـــادية" عليهـــا ومصادرة أموالها لدى البنوك الأجنبية أو على الأقل تجميدها فـــي إطـــار سياســـة التصعيد الهادفة إلى الإسراع في تنفيذ إعادة رسم وتشـــكيل الخريطـــة السياســـية للمنطقة.

واستمرت جماعات الضغط في الكونجرس الأمريكي والإدارة اليمينيـــة فـــي البيت الأبيض في الضغط بشدة على الحكومة السعودية التي لم تعلن على شـــعبها حقيقة الأوضاع الراهنة حتى جاءت الساعات الأولى من صـــباح الثلاثـــاء ٥/١٣ حيث وقعت ثلاثة انفجارات قوية على الأقل في وقت واحد "مُتزامن" في العاصـــمة

الرياض نتج عن إحداها حريق ضخم في منطقة للرعايا الأمريكيين أدت جميعها إلى مقتل ٢٠ أمريكياً من بين ٤٤ معظمهم من الأجانب وإصابة ١٩٤ آخرين معظمهم من الأمريكيين ، وقد وقع الحادث قُبيل وصول "باول" إلى الرياض في إطار جولته بالمنطقة قادماً من الأردن.

وعلى الفور استبعد "رامسيفيلد" الموجود بالسعودية آنذاك إمكانية تخفيض الولايات المتحدة لقواتها في المملكة .

وقال "إيري فلايشر" على السعودية أن تتعامل من خلال اليقين أن بداخلها إرهابيين.

انتهز المتربصون بالسعودية فرصة الأحداث وقاموا بحملة شرسة في أمريكا اتهموا خلالها المملكة بدعم الحركات الإرهابية في العالم وكرروا اتهامهم لها بأنها "بذرة الشر" ، فضلاً عن اتهامهم لها بالتقصير في اتخاذ إجراءات أمنية كافية لحماية الأمريكيين مما سهل العملية الإرهابية.

وفي واشنطن عقد المستشار السياسي لولي العهد السعودي الأمير عبد الله مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن خطوات إيجابية في مكافحة الإرهاب على أراضي المملكة.

وارتفعت أصوات السعوديين مطالبة رأب الصدع وطمأنة الهواجس بينما تسير الرياح في اتجاه معاكس تماماً بحيث أصبح السعوديون يواجهون حياة جديدة في مرحلة ما بعد التفجيرات .

فالنظام السعودي لا يمكنه إرضاء الولايات المتحدة على الإطلاق ولا مواطنيه بالكلية . فالحاصل الأوّلي من الحرب على العراق هو الإحساس المتبادل بخفض الحاجة المتبادلة بين المملكة السعودية والولايات المتحدة خاصة مع تزايد حساسية السعوديين تجاه أمريكا إلى أعلى مستوياتها كما أن الضيق الأمريكي من السعودية آخذٌ في الوضوح إلى درجة التصريح الجهري بأن السعودية هي "بذرة الشر".

من هنا بات النظام السعودي يدفعه قهر المتغيرات وضغط الأحداث إلى حيث يتعين عليه الاختيار بين العلاقات الاستراتيجية مع أمريكا التي كانت حَجَر الأساس في علاقاته وسياسته الخارجية حيناً من الدهر وبين إرضاء مواطنيه.

وتطورت الأحداث وزادت الولايات المتحدة الأمريكية من ضغوطها على المملكة السعودية وهي ضغوط شديدة ومستمرة للعمل على محاربة الفكر الذي تتبناه الجماعات الإسلامية المتشددة منذ هجمات ٩/١١ على واشنطن ونيويورك بمُشاركة ١٥ سعودياً.

بينما توجه الاتهامات للحكومة السعودية بغض النظر عن خطباء المساجد الذين يحضون على العداء للغرب وأتباع الديانات الأخرى.

ويرى منتقدوا السياسة السعودية خاصة في واشنطن أنه لابد أن تقوم السلطات السعودية بمواجهة أفكار المذهب الوهابي ، والذي يرون أنه لا يختلف في مضمونه عن الأفكار التي يعتنقها أسامة بن لادن وأتباعه من تنظيم القاعدة.

وقد طالعتنا بي . بي . سي على شبكة الإنترنت يوم الجمعة ٢٠٠٣/٥/٣٠ بتعليق نائب وزير الشئون الدينية السعودي الشيخ "عبد العزيز آل عمار" على قرار السلطات السعودية بإقالة المئات من خطباء المساجد وإحالتهم إلى التقاعد بقوله : إنه يأتي في إطار خطة عملية تقييم وإصلاح الخدمات العامة ولا علاقة لها بالهجمات الانتحارية التي وقعت بالرياض مؤخراً ، بينما رفض المسئول السعودي التقارير الإعلامية التي تؤكد إيقاف المئات من خطباء المساجد ضمن حملة لتغيير لهجة الخطاب الديني بعد هجمات الرياض.

وقد أشارت بعض تقارير الصحف العربية إلى أكثر من ١٧٠٠ من خطباء المساجد السعودية وقد تم منعهم من الخطابة أو اعتقالهم.

ومن هنا يبدو أن السعودية وقعت بين مطرقة الأمريكيين وسندان ما يُسمى بالمتطرفين.

وسوف تتدهور العلاقات بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية سواء قبلت السلطات السعودية الإملاءات الأمريكية أم رفضتها خاصة مع تأكيدات المملكة بأن الإرهابيين منتمون إلى ما يسمى بتنظيم القاعدة ومعظمهم ممن يحملون الجنسية السعودية وهو اعتراف ضمني بفشل الأجهزة الأمنية في إحباط العملية قبل وقوعها.

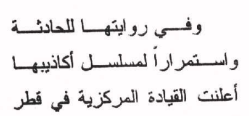
وسوف يقتضي الحال ضرورة الإسراع بمراجعة العلاقات الأمريكية السعودية وإدخال ملفها برمته تحت الميكروسكوب المعملي الأمريكي لتحديد العلاج المناسب الذي سوف تحمله الرياح المحملة قبل بداية العاصفة وتحرك الإعصار نحو أرض الحجاز.



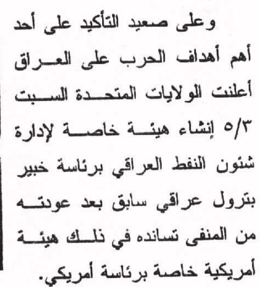
وفي إطار سياسة الإبادة المنظمة للشعب العراقي، ولتحويل أنظاره بعيداً عن زيارة "رامسفيلد" لبغداد دوت ثلاثة انفجارات ضخمة في بغداد هزت سمائها عصر الثلاثاء ٤/٢٩ وقد حجبت سحب الدخان أشعة الشمس إثر تفجير القوات الأمريكية لمخازن الصواريخ والقنابل التابعة للجيش العراقي والواقعة داخل التجمعات السكنية في حادث ليس الأول من نوعه.

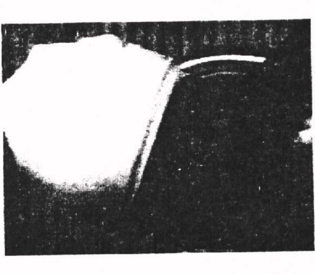
وفي الفالوجة المجاورة لحي الزعفرانية المنكوب قال شهود عيان من بينهم مدير المستشفى الرئيسي بالمنطقة أن الجنود الأمريكيون هاجموا عدداً من

المحتجين والغاضبين العزل بالأسلحة النارية مما أدى إلى مصرع ١٣ على الأقل بينما أصيب ٧٥ آخرون خلال مطالبة المتظاهرين لقوات الاحتلال بإخلاء مدرسة كانوا يحتلونها.



وفي روايتها للحادثة واستمراراً لمسلسل أكاذيبها أعلنت القيادة المركزية في قطر أن القوات الأمريكية في الفالوجة أطلقت النار على مسلحين عراقيين زعمت أنهم فتحوا نيرانهم على تلك القوات الأمر الذي يتناقض تماماً مع رواية شهود العيان.





وعلى صعيد التأكيد على أحد أهم أهداف الحرب على العراق أعلنت الولايات المتحدة السبت ٥/٣ إنشاء هيئة خاصة لإدارة شئون النفط العراقي برئاسة خبير بترول عراقي سابق بعد عودته من المنفى تسانده في ذلك هيئة أمريكية خاصة برئاسة أمريكي.

ومع فشل "جارنر" في التوصل إلى أسلوب معالجة المشاكل التحتية للشعب العراقي ومع افتقار قدراته للعمل على الوفاء بالحد الأدنى لمتطلبات الحياة اليومية "الدنيا" للعراقيين ومع عجزه عن توفير الخدمات الأمنية تظاهر عشرات الآلاف من العراقيين مطالبين بوضع حد لعمليات السلب والنهب والارتفاع الجنوني غير المسبوق في الأسعار المصاحب لظاهرة السوق السوداء خاصة في أسعار البترول الذي يجلبه أبناء الشمال من تركيا ، جاء إعلان السلطات الأمريكية في ٥/٣ حل

القوات المسلحة العراقية ووزارتي الدفاع والإعلام بجانب عدد من المؤسسات الأمنية التي ساندت نظام صدام حسين وبأثر وفوري فيما يعتبر مقدمة للقضاء على البقية الباقية من أمل العراقيين في الاستمرار في وظائفهم ، وشمل القرار الأمريكي تسريح جميع عناصر الجيش العراقي والحرس الجمهوري فضلاً عن مجلس قيادة الثورة العراقية وإلغاء جميع الرتب العسكرية إبان النظام السابق ، وبلغ عدد المشمولين بالقرار الأمريكي من ٣٥٠ ألفاً إلى ٤٠٠ ألف من الجنود العراقيين بالإضافة إلى حوالي ٢٠٠٠ موظف بوزارة الإعلام ، كما أضاف القرار أنه ستُحرم جميع رتب عقيد العسكرية وما فوقها من جميع مستحقات نهاية الخدمة كما يحظر عليهم الخدمة في أي قوات عراقية يتم تشكيلها مستقبلاً ، كما تضمن القرار السيطرة على أملاك الجيش العراقي ومصادرتها لصالح سلطة التحالف.

وعلى الفور أصدر "تومي فرانكس" أوامره العسكرية لحل حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق وتسليم ممتلكاته ومنشآته للقوات الأمريكية كما أصدر أوامره للجيش العراقي بتسليم أسلحته فوراً للقوات الأمريكية وشدد على ضرورة استجابة الجيش لتعليمات أقرب قيادة أمريكية وتنفيذها بما فيها التي تصدر عن صغار الضباط الأمريكيين.

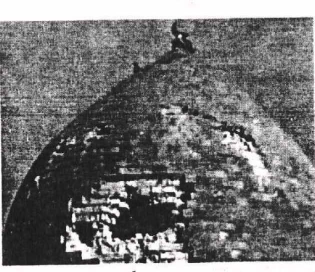
فيما يبدو أن إقدام السلطات الأمريكية في واشنطن على تنفيذ الخطوات التي تم الإعلان عنها تأتي في إطار الإعداد والتمهيد الجيد لاستقبال الحاكم الأمريكي الجديد على العراق "بول بريمر" ليحل خلفاً لسلفه "جارنر" ، وقد دخل البصرة بالفعل يوم الاثنين ٥/١٢ .

وفي اليوم ذاته غادر "كولين باول" القاهرة التي وصلها في وقت سابق متوجهاً إلى الأردن في إطار المساعي الأمريكية لاحتواء زيارة "رافسنجاني" العربية وتقويض نتائجها بالإضافة إلى تسخير الطاقات وحشد الموافقات خلف مشروع القرار الأمريكي برفع العقوبات المفروضة على العراق والذي يلاقي معارضة روسية شديدة وتحفظ فرنسي ، وانفلات ألماني سابق مؤيد للقرار.

وقد منح باول حكومة الأردن مبلغ ٧٠٠ مليون دولار إلى السيد "باسم عوض الله" المسئول عن برنامج المساعدت ، يأتي هذا المبلغ ضمن صفقة أشرنا إليها سابقاً طبقاً لما أعلنته الأجهزة الرسمية الأردنية.

وفور دخوله بغداد عمت البركات "البريمارية" معظم منازل الشعب العراقي، ووعد بريمر من لم يُحالفه الحظ بنصيبه في مراحل لاحقة حيث أصدر أوامره المباشرة باقتحام منازل المواطنين وإثارة الرعب وبث الذعر في نفوسهم وقلوبهم جميعاً بحُجة البحث عن الأسلحة سواء في ذلك من يحمل ترخيصاً ومن لا يحمل ثم توضع تلك الأسلحة بعد جمعها تحت المجنزرات الأمريكية لتفتيتها حتى يصبح العراق بلا جيش وبلا مقاومة وإن وُجدت المقاومة فلتكن بلا فاعلية.

إن "بول بريمر" لم يكن لتدفع به الإدارة الأمريكية لإدارة شئون العراق في هذه المرحلة الحرجة إلا وهو أهل لهذه المهمة كونه خبيراً في مجال ما يسمى بمكافحة الإرهاب ، أي القضاء على المسلمين ونزع أسلحتهم حتى أن بعضاً من المراقبين قالوا فيه أنه مهندس عملية نزع أسلحة المسلمين في ألبانيا ضمن ما عُرف وقتها بعملية "الحصاد الأساسي" في أغسطس ٢٠٠١.



كما عاود التليفزيون العراقي بث إرساله بعد أقل من ٤٨ ساعة من حلول البركات "البريمارية" بعد توقف دام أربعين يوماً ، وقد حاول الأمريكيون حذف فقرة القرآن الكريم الافتتاحية من البرنامج اليومي فثارت ثورة العاملين وهددوا بالإضراب فتنازل الأمريكيون عن مطلبهم مؤقتاً.

وقد واصل "بريمر" ما بدأه "جارنر" من اعتقال العسكريين والسياسيين البالغ عددهم ٥٥ فرداً من قادة النظام السابق وانضم إلى قائمة المقبوض عليهم "برزان التكريتي" وزير الداخلية ورئيس المخابرات السابق في ٤/١٧ ، وفي اليوم التالي أعلنت القيادة الأمريكية في العراق عن استسلام عالم عراقي بارز في البرنامج العراقي لإنتاج غاز الأعصاب للقوات الأمريكية.

بينما المعارضة العراقية تؤكد مقتل صدّام حسين في ٤/١٣ "الأحد" في المجزرة الجماعية التي نتجت عن القصف الجوي والصاروخي لتكريت وأكدوا كذلك على أن القوات الأمريكية كثّفت البحث عنه بعد إرسال البنتاجون فريقاً من ١٠٠٠ خبير للبحث عنه واقتفاء أثره ، بينما تؤكد مصادر أخرى أنه حي ويقود عمليات المقاومة.

وفي ٥/١٣ تم الإيقاع بالفريق إبراهيم التكريتي رئيس أركان الجيش العراقي والدكتوره رحاب التكريتي عالمة الأسلحة البيولوجية .. ولا يزال العرض مستمراً وإن حاولت الإدارة الأمريكية تحويل اهتمامات العالم العربي بعيداً عما يدور على الأراضي العراقية من خلال تصعيد أعمال العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين ، وإعلان إسرائيل رفضها للخدعة الأمريكية المسماة خارطة الطريق ، بالإضافة إلى مغازلة العرب ومشاغلتهم بما سماه "بوش الثاني" رؤيته ومشروعه لإقامة منطقة حرة للتجارة في الشرق الأوسط فيما قال "بوش" أنها مكافأة للحلفاء العرب وأنها ستكون خلال مدة ١٠ سنوات أي في عام ٢٠١٣ باعتبار أننا الآن في عام ٢٠٠٣.

يأتي هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الإدارة الأمريكية فيما وراء الأطلنطي عن عزمها الانتهاء من تشكيل الشرق الأوسط الجديد وترسيم الحدود السياسية والجغرافية الجديدة للمنطقة وتثبيت وضعه على الحال الذي يخدم المصالح المشتركة للإمبراطورية الأمريكية وإسرائيل العظمى.

وهذا يعني بالضرورة أن الأمور تسير بالشرق الأوسط عموماً والمنطقة العربية خصوصاً في اتجاه محقق نحو متغيرات جديدة سوف تؤثر في إعادة تشكيل السياسة الدولية بل وإعادة رسم الأطلس الجغرافي ذاته للكرة الأرضية جميعها ، ثم إجراء تعديلات جوهرية إجبارية في القوانين الدولية وفي مقدمتها إعادة صياغة مواثيق الأمم المتحدة وتشريعاتها بما يخدم المصالح الاستراتيجية لوحيد القرن الذي سوف يحكم العالم بموجب القوانين الاستثنائية فضلاً عن ممارسته أعمال القرصنة الجوية والبحرية بالإضافة إلى تسيد قواته على الكرة الأرضية ومباشرته أعمال البلطجة الدولية.

وقد بدأت المنظمات الصهيونية واليمين المتطرف الحاكم في أمريكا في وضع مضيق جبل طارق المدخل والمنفذ البحري الوحيد للجنوب الأوروبي والشمال الأفريقي إلى الخارج نُصب أعينهم لتضييق الخناق على الاتحاد الأوروبي والضغط على دول الشمال الأفريقي العربية سبيلهم إلى ذلك إثارة الفتن والقلاقل وتصدير الأعمال الإرهابية والإجرامية حتى وإن قام آخرون بتنفيذ مخططاتهم وإن قيل أنهم مسلمون فإنهم حينئذ نماذج بشرية لا تعرف عن الإسلام إلا اسمه . وقد باعوا أنفسهم وألقوا بأجسادهم تحت أقدام هؤلاء ليجعلوا منهم قنابل موقوتة ويعيدوا تصديرهم إلى بلادنا أو في مناطق أخرى ثم يلصقون التهم بالأصوليين المسلمين وبتنظيم القاعدة وبزعيمه أسامة بن لادن لتبرير حملتهم المسعورة على الإسلام والمسلمين.

نظير ذلك ما حدث في ١١ سبتمبر وما سبقه من تفجير للسفارة الأمريكية في دار السلام ونيروبي وفي عدن وتفجيرات بالي في اندونيسيا وجماعة أبو سياف وما حدث مؤخراً في الرياض.

ثم جاءت مؤخراً تفجيرات العاصمة التجارية للمملكة المغربية "الدار البيضاء" فجر السبت ٥/١٧ والتي استهدفت معبداً يهودياً ومجمعاً للمصالح الغربية في

المغرب مما أدى إلى مصرع ٤١ قتيلاً وإصابة أكثر من مائة آخرين من العرب والأجانب على السواء.

وهذه الواقعة هي بداية نصب للشباك الأمريكية في المغرب العربي لإيجاد ذريعة لفرض السيطرة على مضيق جبل طارق ووضع أوروبا تحت السيطرة والحيلولة دون تواصل التعاون الأورومتوسطي من أجل إجهاض المحاولات الأوروبية للعبور جنوباً نحو المناطق الغنية بالثروات الطبيعية والمواد الخام في أغنى قارات العالم الست "إفريقيا".

وقد أجهض ملك المغرب "محمد السادس" المخطط الأمريكي بإعلانه الاستعانة بالخبرة الفرنسية في مكافحة الإرهاب لإيجاد الحلول لمشاكل بلاده الأمنية، وكأن الرجل قرأ جيداً الأفكار الصهيونية الأمريكية فعمل على إحباطها مبكراً.

الأمر الذي نتج عنه أن تُدبّر الصهيونية في الخفاء محاولة انقلاب فاشلة ضد الرئيس الموريتاني "معاوية لد الطايع" على أمل التواجد المباشر في إحدى دول المغرب العربي "موريتانيا" ثم ترتيب الأوضاع من جديد.

ومن الملاحظ أن المنظمات الصهيونية واليمين المتطرف في أمريكا والمسمى "المحافظون الجدد" وإسرائيل من خلفهم مهتمون جميعاً بإثارة المشاكل ضد المسلمين وتقليب العالم عليهم في كل مكان وفي كل حين ، ومتى سمحت الظروف، ومن المهم بمقدار في هذه الآونة تقليب الروس على المسلمين وتحريك القضية الشيشانية مرة أخرى إلى أعلى السطح الساخن للأحداث في محاولة جادة لإرباك روسيا من الداخل وإجبارها على صب تركيزها صوب مشاكلها الداخلية.

ففي جروزني العاصمة الشيشانية وقع انفجار ضخم في أحد المطاعم نتج عن عملية استشهادية نفذتها سيدة شيشانية أسفرت عن حريق هائل ومصرع وإصابة أقل من عشر أفراد ، وفي اليوم ذاته "الاثنين ٥/١٢" وقعت عملية أخرى من تنفيذ

سيدة شيشانية أيضاً نتج عنها مصرع ٤٩ قتيلاً وإصابة ١١٠ آخرين ، وقع الحادثان بالتزامن مع تفجيرات الرياض أو متقدمان عليها بساعات ، وسابقان على تفجير الدار البيضاء بساعات قليلة . وذلك بغية تحويل اهتمامات العالم عموماً عن الأحداث الدائرة في العراق من جانب ومن جانب آخر لتحقيق هدف استراتيجي تهدف إلى جني ثماره الأصابع الخفية من وراء التفجيرات عن طريق إثارة المجتمع الدولي كله ضد ما يسمى بظاهرة الإرهاب التي روجوا لها وأخرجوها لتهدد العالم وقاعدتها "أينما وُجِد الإسلام وُجِدَ الإرهاب".

وما أظن ذلك إلا حشداً للرأي العام العالمي ووقوفه خلف الولايات المتحدة التي نصبت نفسها زعيمة لما يُسمى بالعالم الحر وقد قطعت إدارتها عهداً للقضاء على الإرهاب والإرهابيين في العالم كله "أي سحق الإسلام والمسلمين".

وسوف يؤدي الشعور الجارف بالخوف والرعب من الخطر الراديكالي المتجدد "الإسلام" وهو بذرة الإرهاب – على حد زعمهم – أنه سيقود في نهاية المطاف إلى تشكيل تحالف دولي يقوده وحيد القرن لغزو الأرض وفرض قانونه بحجة القضاء على الإرهاب "الإسلام" ، والإرهابيين "المسلمين" في العالم كله وخاصة القضاء على محوري الشر السوري والإيراني واجتثاث بذرة الشر "السعودية" من جذورها خلافاً لما تحدده الولايات المتحدة بعد ذلك وفق ما يتفق ورؤيتها في خدمة مصالحها.

وتعمل الولايات المتحدة على أن يتم لها ذلك في حينه من دون حدوث انقسام في الأمم المتحدة ومن غير أن تلقى معارضة كتلك التي لاقتها في عملية غزو العراق.

وسوف تتصاعد العمليات الاستشهادية أو الانتحارية التي يسميها هؤلاء "الإرهابية" والتي سينفذها المقهورون المُحْبَطون الشاعرون بالظلم والقهر والاضطهاد على سبيل الثأر من الغريم بعد فقدان الأمل في الحياة وبعد أن يتملكهم

شعور اليأس ، أو تلك التي تنفذها (الموساد- والـ سي.آي.ايه) بينما تُلقي على الأبرياء بمسئولياتها وتبعاتها وتحمّل نتائجها ، وبعد حين يتم الكشف عن براءة الأبرياء كما حدث في قصف مصانع الأدوية في السودان وفي تحميل ليبيا مسئولية طائرة لوكيربي.

على كل فإن مؤدى ذلك هو الدفع بعجلة الصراعات والنزاعات والمصادمات والحروب والحروب الاستباقية "الوقائية" واندلاع الثورات التحررية بما يعني اندفاع العالم بسرعة كبيرة نحو المجهول المطلق.

يأتي هذا وما تقدم في الوقت الذي يزور فيه "باول" بلغاريا ورومانيا بالإضافة إلى روسيا التي صدّق مجلس نوابها "الدوما" على معاهدة الحد من الأسلحة النووية بين موسكو وواشنطن ليقدم "باول" وُعوداً وحلولاً مقترحة للمشاكل الاقتصادية للدول التي زارها في محاولة جادة لحشد الموافقة على المشروع الأمريكي الرامي لرفع العقوبات المفروضة على العراق.

(ج) الوضع العربي الراهن

تعرضت الجامعة العربية لهزة عنيفة من جانب بعض الدول العربية ، أكدت هذه الهزة على عدم جدية أو مصداقية بعض أعضائها في وجودها كبيت للعرب ورُبما تعريض استمرارها في مهب الريح.

وانقسمت الآراء الرسمية العربية بين منكر لوجودها متهجم عليها ، وبين مؤيد لها مدافع عن وجودها.

وأمام تلك المتناقضات التي طفت على السطح في غير أوانها أو ظروفها والتي ما كان ينبغي أن تكون من حيثية الأصل ، أعلن الأمين العام للجامعة العربية السيد "عمرو موسى" في حديث لقناة النيل للأخبار مساء السبت ٤/١٩ أن الجامعة العربية هي الرباط الأخير ولو انفرط فلن يكون هناك رباط آخر ، وقال:

الاعتداء على الجامعة العربية يكاد يكون موحى به ، وأضاف : إن الأوضاع في المنطقة تغيرت في ظل وجود حقيقي في المنطقة لدولة عظمى واستطرد يقول : ولا داعي لمُهاجمة الجامعة العربية لمجرد إخفاء العجز وإخفاء تفرق الإرادة وأن العرب ليسوا على قلب رجل واحد.

وفي الموضوع ذاته تحدث الرئيس "مبارك" في ٤/١٤ مطالباً بضرورة مراجعة ميثاق الجامعة العربية ليتفق مع المتغيرات الحالية.

وبين مُطالب بالمراجعة والتطوير حرصاً على المصلحة العربية القومية العليا وبين متخاذلين غير مهتمين بالعمل العربي العام ولا مؤمنين بحتمية المصير المشترك ولا بضرورة التجمع الإقليمي في عالم لا يعرف إلا التكلات ولا يعترف بغير الاتحادات ولا مكان فيه لذوي الانقسامات.

ما بين هؤلاء وهؤلاء تترنح الجامعة العربية في مرحلة بالغة الدقة والتعقيد في وقت يتربص أعدائها بها مع بداية سيطرتهم على قطر عربي عضو في الجامعة العربية بل هو بلد من أغنى الأقطار العربية وأقواها وأعظمها حضارة وعلماً وثقافة على الإطلاق "العراق".

وكانت الجامعة العربية قد تعرضت لهزة عنيفة في نهاية العام الماضي ومطلع العام الحالي مع الإعلان الليبي الانسحاب من الجامعة العربية لعدم جدواها واحتجاجاً على عجزها على إنهاء الوجود الأجنبي الدائم في المشرق العربي الذي جاء بموجب دعوات رسمية من حكومات تلك الدول.

وقد تمكن الوجود الأجنبي من تطوير وجوده بسرعة الانتقال من اتفاقية الصداقة والدفاع المشترك إلى الاحتلال العسكري السافر لأكبر وأقوى وأغنى دولة عربية في آسيا والذي أثر احتلالها تأثيراً مباشراً في تشكيل قاعدة أيديولوجية جديدة لدى عقول الدول الاستعمارية الحديثة وفي طليعتهم الولايات المتحدة لتطوير

مخططاتهم لبسط نفوذهم وفرض هيمنتهم على الأمة العربية وفق استراتيجية مُحكمة تسير وِفق نظام تراكمي محكم وبجدول زمني لا يُقدم ولا يؤخر.

ثم حزت قطر حزو ليبيا في دعوى الانفصال عن الجامعة وسلكت ذات المسلك بإعلان انسحابها من الجامعة العربية وامتناعها عن سداد حصتها المالية المستحقة للجامعة عن العام الحالي "٢٠٠٣".

وفي إطار حرص مصر على استمرار الجامعة العربية في الاضطلاع بدورها القيادي والتنظيمي ولتفويت الفرصة على دعاة الانفصالية والتحللية والتشرذم ممن تساندهم إسرائيل والصهيونية العالمية في نشر مبادئ القُطرية وسياسة الفردية ، فقد طار الأمين العام للجامعة العربية إلى قطر في محاولة جادة للحاق بِقطر قبل فوات الأوان ومنها إلى ليبيا ودول المغرب العربي في ٥ ، ٦ من شهر مايو ٢٠٠٣.

وفي ٥/٢٥ سافر الرئيس "مبارك" إلى ليبيا في زيارة استغرقت ٦ ساعات وفور عودته أعلن الرئيس الليبي "معمر القذافي" تجميد طلب انسحاب بلاده من الجامعة العربية .

والثابت أن الرئيس الليبي يراهن على الاتحاد الأفريقي قِبلة ارتضاها لسياسة بلاده في انتمائها الإفريقي كبديل فعال عن الجامعة العربية ، أما دول الشمال الإفريقي العربي "تونس – الجزائر – المغرب" فإنها مهتمة إلى حد كبير بالمشاركة الأورومتوسطية ، وبمحاولة التفاعل مع السوق الأوروبية المشتركة وهو فكر يحمل مردودات سياسية واقتصادية أوفر عطاءً وأسرع وقتاً من مجرد انتظار لرؤية حلم يقظة اسمه "السوق العربية المشتركة" الذي دام العرب ولازالوا يحلمون به منذ توقيع بروتوكول الإسكندرية الخاص بتأسيس جامعة الدول العربية في ١٩٤٤/١٠/٧ وحتى غد .

وقد أكد العاهل المغربي على هذا المعنى بعد تفجيرات الدار البيضاء بتأكيده على الاستعانة بالخبرة الفرنسية في مكافحة الإرهاب والخدمات الأمنية.

إذ لو كان الإيمان بالتعاون العربي البيني لطلب جلالة الملك المغربي الاستفادة بالتجارب المصرية الرائدة في مجالات الأمن ومكافحة الإرهاب ، وما أخال بأن مصر كانت لتبخل على شقيقاتها العربيات بخبرة أو علم أو جهد أو دم خاصة وأن مصر هي قبلة كل الأفارقة وكثير من دول آسيا بل وَيَفِدُ البعض من أوروبا للدراسة في أكاديمياتها المتخصصة سواء في العلوم العسكرية أو الشرطية.

أما دول المشرق العربي فمقهورة على حالها وليس أمامها إلا الواقع الحتمي الذي يجب أن تتعامل معه في ظل وجود دولة عظمى على أراضيه.

ويبدو أن الأمور لن تتوقف عند هذا الحد كما أنها لن تنتهي هكذا ، ففي الاثنين ٥/١٢ أعلنت القيادة القطرية عن إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، ووقع القول كالصاعقة على أولي الألباب الرافضين الخوض في تلك المهاترات التي تأتي من هناك بين حين وحين ، وإن برَّر آخرون بحُرية قطر المطلقة في تشكيل علاقاتها مع من تشاء "إقامة أو هدماً" بحجة أن أقوى وأكبر دولة عربية وإقليمية "مصر" تقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل فضلاً عن علاقات اقتصادية وإن كانت قليلة وبطيئة إلا أنها تتطور إلى الأفضل.

وإذا كانت مصر تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل فإنها تأتي في إطار الالتزام بتطبيق نصوص معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية الموقعة في ٧٩ وهو التزام لم ولن يصل بعد إلى حد التطبيع الكامل مع هؤلاء الذين كثيراً ما آذونا .

ولقد أمرت القيادة السياسية المصرية بسحب السفير المصري من إسرائيل استجابة للمطالب الجماهيرية ووقف كافة أشكال التعامل معها احتجاجاً على ممارساتها ضد الفلسطينيين.

وإذا كان الأردن والمغرب وتونس وموريتانيا تقيم كلها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل على الرغم من التجاوز الإسرائيلي اليوم وسابقاً بل ولاحقاً وتطاولها على الجميع فلكل دولة ظروفها ولكل قائد فيها رأيه الذي نحترمه على الرغم من مطالبة شعوبهم المستمرة بقطع العلاقات مع الإسرائيليين.

أما أن يأتي خروج القيادة القطرية على الإجماع الشعبي العربي العام في هذه المرحلة الحرجة والدقيقة وعند هذا المنحنى الخطير في حياة الأمـــة فإنــــه مـــدعاة للتعجب والاستفهامات خاصة أن الإمارة القطرية ليست لهـــا حـــدوداً سياســـية أو جغرافية مع إسرائيل ولم تحدث بينهما مصادمات من أي نوع أو بأي حجـــم ، وإذا كان حتماً من إقامة تلك العلاقات أليس من الأولى أن تتم تحـــت مظلـــة الجامعـــة العربية وضمن اتفاق سلام شامل ينهي الاحتلال الإسرائيلي للجولان وجنوب لبنان والضفة والقطاع.

أما إسرائيل فإنها على استعداد لإنفاق الغالي والرخيص من أجل الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج العربي حيث الماس والزمرد والبتـــرول والتواجـــد علـــى الحدود الإيرانية .. إنتبهوا أيها السادة .. إن الخطب جلـــل وإن الغـــد لمظلـــم وإن الصورة لقاتمة ، واعلموا أن الفرقة ضعف وأن الاتحاد قوة ، وانظروا إلى ما كان عليه العرب قبل ١٤ قرن من الزمان وهم قبائل يتناحرون ويتقاتلون وجاء الإسلام فوحد بينهم وجمع بين آمالهم وحشد طاقاتهم ، ووجهها نحو هدف واحد ساروا إليه في صف واحد يقاتلون جميعاً من أجل تحقيقه تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فتزلزلت الأرض تحت أقدام أعتى الامبراطوريـــات القديمـــة "الفارســـية - الرومانية وغابتا في ذمة التاريخ ، واندثرت قبائل البربـــر أمـــام زحـــف الفـــتح الإسلامي ، ودانت لهم أطراف الأرض حتى بلاد السند والهنـــد ، ودانـــت الأرض لمن ملأها عدلاً وقسطاً بعد أن وضع الرسول ﷺ الإعلان العـــالمي الأول لحقـــوق الإنسان والحيوان والطير في حجة الوداع في السنة العاشرة من التقـــويم الهجـــري أي قبل نحو ١٤١٥ عاماً من الآن.

إن هذه أمتكم أمة واحدة هي أمة الجهاد الذي أخضع العالم تحت راية التوحيد والعدل والرحمة.

وما أظن ما حدث فينا إلا بعد تخلينا عن الجهاد وفقدانا لروح الجماعة وتحلُلنا للقُطرية والجزئية حتى نادى أبناء القُطر الواحد بالانفصالية والانقسام والتمرد ، وذلك بعد أن أصبحنا مجرد نماذج بشرية لا نعرف عن إسلامنا إلا القليل وتركنا العمل على حل مشاكلنا بالعلاج الإلهي الذي ذكره القرآن الكريم منذ ما يزيد على الأربعة عشر قرناً من الزمان حيث قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾.

وانظروا إلى ما أصبحنا فيه نتيجة تخاذلنا وضعفنا ، إن الولايات المتحدة الأمريكية تقرر الآن مستقبل حاضرة الخلافة العباسية "بغداد" وتؤكد على أن قيام دولة دينية إسلامية شيعية مرفوض ، وسابقاً قتلوا الدولة الدينية الإسلامية في وسط أوروبا "البوسنة والهرسك" ودمروا أفغانستان السُنيّة..

إن القضية ليست في الدولة الشيعية أو السُنيّة .. إن هي إلا الإسلام .. لأنهم يرون أنه الجدار الوحيد أمام أهدافهم الاستعمارية ، وهذا ما ذهب إليه وأكده "لورانس براون" حين قال "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"(١).

وهذا الفكر هو ما يبرهن على سعيهم المستمر لإبعاد قادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في الدول الإسلامية حتى لا تنهض هذه الدول بالإسلام . وقد أكد المستشرق البريطاني "مونتجومري وات" في جريدة التايمز اللندنية في مارس عام ١٩٦٨ بقوله : "إذا وُجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام ،

---

(١) التبشير والاستعمار ، ص : ١٨٤.

فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى"[1].

إن الأحداث الجارية كالسابقة ، تبرهن بجدية وبقوة على أن الاتجاه السائد هو إزكاء نار صراع الحضارات وتبرهن كذلك على تصادم الثقافات – لا ما يقال عن أنه حوار الحضارات ، إنها دعوة باطلة أريد بها باطل.

لقد روى العائدون من حرب الخليج الثانية على مسامعي ما كان مكتوباً في المنشورات التي كانت تلقيها الطائرات الأنجلوأمريكية على العراقيين وقد كتبوا فيها للشعب العراقي "ادعوا الله فإذا لم يسمعكم فادعوا السيد المسيح" وتحدثوا كذلك عن ما كان مكتوباً باللغة العربية على طائرات المعتدين باللون الأحمر الفوسفوري الذي يُضيء ليلاً "حرب السيدة العذراء" ، لقد نسبوا إبادة الشعب العربي المسلم في العراق إلى الصليبية وحاول "بوش وبلير" أن يحشدا خلفهما العالم المسيحي من خلال إصباغ إحراق العراق واحتلاله بصبغة صليبية ، فرد على مزاعمهم ليدحضها "البابا شنوده" رئيس الكرازة المرقصية وبابا الأسكندرية فقال في مؤتمر عام بالقاهرة قبيل غزو العراق "قالوا إنها حرب صليبية والصليب منها ومنهم برئ".

وفي إطار سعيها الدؤوب وعملها الجاد لعبور المرحلة الراهنة وتداعياتها الخطيرة طار الرئيس "مبارك" إلى السودان في أول مايو ٢٠٠٣ ، ثم قام الرئيس السوداني "عمر البشير" بزيارة للجماهيرية الليبية في الثالث من مايو استغرقت يوماً واحداً أجرى خلالها مباحثات مع نظيره الليبي شملت القضايا الراهنة على الساحة العربية والعلاقات الثنائية بين البلدين ومسيرة السلام في السودان وعملية التكامل الليبي السوداني.

---

(1) قادة الغرب يقولون ، ص : ٥٦ .

وفور عودة الوفد السوداني إلى بلاده أعلن وزير الخارجية السوداني "مصطفى عثمان إسماعيل" أن ليبيا اقترحت على الرئيس السوداني "البشير" تشكيل اتحاد ثلاثي مع مصر والسودان وهو اقتراح وُلد ميتاً.

ونقلت وكالة الأنباء السودانية عن الوزير قوله إن الزعيم الليبي معمر القذافي عرض هذا الاقتراح على نظيره السوداني أثناء زيارته إلى ليبيا ، وأوضح الوزير أن المسئولين الليبيين قدموا للوفد السوداني مسودة مشروع وحدوي بين البلدان الثلاثة المتجاورة ووعد السودان بدراسة الوثيقة قبل البت فيها ولم يوضح الوزير السوداني الموقف المصري من هذا المشروع[1].

وقد عبرت صحيفة الزحف الأخضر الليبية خير تعبير عن التقارب الليبي المصري السوداني بقولها أنه بداية لتحقيق الوحدة العربية.

ولم لا وقد كان أول اتحاد عربي أفريقي قد ضم الدول الثلاث ومنتهى أملنا أن نراه عائداً إلى النور خارجاً من ظلمات الحاضر ليشرق على غد أفضل وليكون نواة لوحدة عربية شاملة .. "إنه الأمل".

(د) المفعول لأجله

إن الجامعة العربية ليست كياناً مستقلاً بذاته في منأى عن أنظمة الحكم العربية ، إن هي إلا تركيبة منسجمة من الدول الأعضاء ، فإذا كان غير الانسجام وقعت المشكلات.

ويأتي ظهور الجامعة العربية بمظهرها التي هي عليه الآن من التفتت والضعف ومشاركتها على دخول المرحلة الخطيرة في وجودها لَهُو دليلٌ قوي وشاهد حي على حالة الضعف والإحباط والعجز التي انتابت بعض الحكام العرب في الآونة الأخيرة بعد غزو العراق للكويت واحتلاله له بالإضافة إلى ما أصاب

---

(1) جريدة الراية القطرية ٢٠٠٣/٥/٥ .

العلاقات بين الملوك والسلاطين والأمراء "الزعماء" العرب من هشاشة في العلاقات العربية بل وتعريض العلاقات بين الشعوب العربية ذاتها للخطر والقطيعة والمخاصمة طالما رأت هذه الشعوب قياداتها تتلاسن ويقذف بعضها بعضاً على شاشات التليفزيون وعلى الهواء مباشرة أثناء اجتماعهم في اللقاء السنوي الوحيد الذي يضمهم جميعاً في بيت العرب ، وهو ما يعكس إلى حد كبير مدى التأثيرات التي لحقت بأنظمة الحكم العربية من جراء التواجد العسكري الغربي المباشر على أراضيها إلى درجة مراجعة جوازات السفر للمواطنين العرب دخولاً وخروجاً عبر مطارات بلادهم وموانيها ، بل والتفتيش عليهم بين حين وآخر في الطرقات العامة من قبل القوات الأجنبية التي نزلت ضيفة على مجموعة دول المشرق العربي.

ثم انظر إلى ما كان من اجتماع وزير الخارجية القطري مع نظيره الإسرائيلي في مايو ٢٠٠٣ في أفخم فنادق العاصمة البريطانية "لندن" للتباحث في تطبيع العلاقات مباشرة بين البلدين في خروج قَطَرِي مفضوح على قاعدة الشرعية والشعبية ، وما كان من إقالة خطباء المساجد في السعودية .. إلخ.

إن العالم العربي الضعيف هو قرة عين الأعداء لتسهيل ابتلاعه للبلدان العربية دولة فدولة وذلك لأننا رضينا لأنفسنا الذلة والهوان والخذلان وانكفى كل على حاله ينعيه أو يبكيه ، يرميه أو يصوبه ، وتخلينا جميعاً عن لغة الجماعة والوحدوية وأصبحنا دعاة انهزامية وانفصالية وشرذمة ..

أيها القادة العرب المتفقون على الاختلاف .. والمختلفون على الاتفاق .. لا تغرنكم الوعود البراقة أو الشعارات الزائفة والادعاءات الباطلة بشأن تشكيل حكومة حرة في العراق ، إن الحكومة الحرة المنشودة في العراق سوف تتمتع بالحرية الكاملة بعيداً عن الجامعة العربية وهي حرة كذلك في علاقاتها مع الدول الخارجية .. أيها السادة إنها حكومة عميلة تعمل بكل طاقاتها وإمكانياتها لخدمة وحيد القرن وأولاد السفاح في أورشاليم ، وهي حرة كذلك في التمرد على العرب

وقطع علاقاتها بهم وإن حاول نظام عربي ما تطبيـــع العلاقـــات مـــع هـــذه الحكومة الديمقراطية الحرة يعتبر تدخلاً في الشئون الداخليـــة للولايـــات المتحـــدة وإضراراً بمصالحها. تلك المصالح التي من أجلهـــا دارت علـــى أرض العـــراق معارك "عاصفة الصحراء ٩١ ، وثعلب الصحراء ٩٨ ، وأخيراً عقرب الصـــحراء في يونيو ٢٠٠٣ على يد القائد العقرب بول بريمر" الذي ارتكب أبشع المجازر في العراق فقتلت قوات فرقته ١٠١ المحمولة جواً وقواته الخاصة ٩٧ شخصاً في يوم واحد وهدمت في اليوم ذاته ٣٧ منزلاً ، هذا بالإضافة إلى عمليات اختطاف البنات العراقيات ومواقعتهن بالإكراه بل وممارسة أبشع جرائم العصر التي هزت الضمير الإنساني كله ، تلك التي ترتكبها القوات الأمريكية بالاعتداء الجنسي الفاضح علـــى الرجال في العراق في الشوارع وفي الطرقات العامة وأمام ذويهم .. إن المصـــيبة كبيرة والخسارة فادحة.

إن العراق يحتضر أيها السادة ..

وليعلم الجميع أن فلسطين أصبحت مأساتها مأساتين : فلا فرق بين ما يفعلـــه خبير الإرهاب "بريمر" في بغداد ، وما يفعله حاخام الإرهـــابيين "شـــارون" فـــي فلسطين المحتلة.

إن إسرائيل تؤكد أن كل قادة حماس والجهاد على قائمة الاغتيالات بتشـــجيع من واشنطن التي طلبت من مصر التدخل لدى عرفات لسحق الحركتين في محاولة لإحراج القيادة في مصر أمام شعبها والوقيعة بين مصر والفلسطينيين.

الصورة قاتمة في العراق وفي فلسطين .. والغد إلى أين يمضي .؟ !!!

إن خبير الإرهاب "بريمر" يقود العراق إلـــى فوضـــى شـــاملة ، فالهجمـــات الأمريكية الشرسة وعمليات التفتيش الهستيرية تعم بغداد وضـــواحيها والعراقيـــون تُنزع أسلحتهم حتى الأظافر والعرب واقفون صامتون مُكتفـــون بالمتابعـــة عبـــر الفضائيات من خلال التقارير المصورة دون أدنى قدرة على التدخل لـــدى الأمـــم

المتحدة أو طلب اجتماع عاجل للجمعية العامة أو بالدعوة إلى مؤتمر قمة عربية طارئة لإنقاذ ما تبقى من العراق .. إنه الفشل الذريع والعجز العام ..

ثم يأتي مع كل هذا الكلام عن حرية العراق .. أي حرية هي .. وفي أي عراق .. ؟

أهي حرية الكلاب الضالة التي تنهش الجثث أم حرية جوارح الطير من عقبان وبوم .. أم هي حرية عقرب الصحراء في لدغ العراقيين .. وهو أكبر عقرب في الصحراء العربية وعلى مدى التاريخ يتحرك بحرية فيصيب ضحاياه في بلد خال من الأمصال واللقاحات..

أيها السادة .. لئن نصّبت أمريكا حكومة عميلة في نهاية المطاف في قلب بغداد فإنها لا تؤمن إلا بالخضوع والخنوع وتكفر بكل مقاومة ونضال.

إن السيد أحمد شلبي مرشح البنتاجون لرئاسة العراق أعلنها صراحة : "المقاومة والهجمات ضد قوات أمريكا أعمال إرهابية" ، وفي ظل الاحتلال العسكري أو حتى الاستقلال في ظل الانتداب لن تستطيع معه أي حكومة عراقية أن تعمل بحرية وإليكم المثل الحي على ذلك ..

خضعت مصر تحت نير الاستعمار البريطاني منذ ١٨٨٢ : ١٩٥٢ واقرأ معي تاريخ التشكيلات الوزارية التي تمت في هذه الفترة ثم قارن ..!

في ١٩٣٠/٦/١٧ استقالت وزارة النحاس باشا الثانية بعد خلاف مع القصر على تعيين الشيوخ الجدد بدلاً ممن سقطت عضويتهم بالقرعة.

١٩٣٠/٦/٢٠ تشكيل حكومة إسماعيل صدقي الذي فصّل دستوراً جديداً على مقاس حكومته والمهام الاستبدادية الموكلة إليه.

١٩٣٣/٩/٢١ استقالة وزارة إسماعيل صدقي.

٩/٢٧ إعلان وزارة عبد الفتاح يحيى باشا

نوفمبر ١٩٣٤ استقالة وزارة يحيى باشا.

نوفمبر ١٩٣٤ تشكيل وزارة جديدة برئاسة نسيم باشا

١٩٣٦/٢٢ استقالة وزارة نسيم باشا

فبراير ١٩٣٦ تم تشكيل وزارة علي ماهر باشا

١٩٣٦/٥/٩ إقالة وزارة على ماهر باشا

١٩٣٦/٥/١٠ تشكيل حكومة النحاس باشا الثالثة

١٩٣٧/٨/٣ تشكيل حكومة النحاس باشا الرابعة

١٩٣٧/١٢/٣٠ إقالة حكومة النحاس باشا بأمر الملك فاروق

١٩٣٨/٤/١٢ تشكيل وزارة محمد محمود الثانية

١٩٣٩/٨/١٢ استقالة وزارة محمد محمود بناء على طلب الملك

١٩٣٩/٨/١٣ علي ماهر يشكل الحكومة الجديدة.

١٩٤٠/٦/٢٣ استقالة حكومة علي ماهر

١٩٤٠/٦/٢٧ حكومة حسن صبري باشا وأعلنها في اليوم التالي

١٩٤٠/١١/١٥ حكومة حسين سري التي استقالت تحت ضغط بريطاني

١٩٤٢/٢/٤ القوات الإنجليزية تحاصر القصر الملكي بالدبابات ويجبرون الملك على تكليف النحاس بتشكيل وزارة وفدية والنحاس يقبل[1].

١٩٤٤/١٠/٨ الملك يقبل استقالة حكومة النحاس الخامسة

١٩٤٤/١٠/٩ وزارة أحمد ماهر المشكلة من جميع الأحزاب عدا الوفد.

---

(1) الحكومة الخامسة للنحاس .

١٩٤٥/٢/٢٤ اغتيال أحمد ماهر باشا والنقراشي يشكل وزارته في نفس الليلة.

١٩٤٦/٢/١٥ استقالة وزارة النقراشي باشا

١٩٤٦/٢/١٧ حكومة إسماعيل صدقي الثانية

١٩٤٦/١٢/٨ استقالة حكومة إسماعيل صدقي الثانية

١٩٤٦/١٢/٩ وزارة النقراشي باشا الثانية

١٩٤٨/١٢/٢٨ اغتيال النقراشي باشا

١٩٤٨/١٢/٢٨ وزارة إبراهيم عبد الهادي المشكلة من السعديين والأحرار

١٩٤٩/٧/٢٥ استقالة وزارة ابراهيم عبد الهادي

١٩٤٩/٧/٢٦ وزارة ائتلافية برئاسة حسين سري وقد استقال في ١٩٤٩/١١/٣ وكُلِف على الفور بتشكيل وزارة جديدة عُرفت باسم الوزارة المحايدة.

١٩٥٠/١/١٢ تشكيل وزارة الوفد الجديدة برئاسة النحاس وقد أقالها الملك في ١٩٥٢/١/٢٧.

١٩٥٢/١/٢٧ علي ماهر يشكل الوزارة الجديدة ، واستقالت كلها في ١٩٥٢/٣/١.

١٩٥٢/٣/١ تشكيل وزارة أحمد نجيب الهلالي

١٩٥٢/٦/٢٨ استقالة وزارة الهلالي

١٩٥٢/٧/٢ تشكيل وزارة حسين سري

١٩٥٢/٧/٢٠ استقالة وزارة حسين سري

١٩٥٢/٧/٢٢ فاروق يكلف أحمد نجيب الهلالي بتشكيل وزارته الثانية.

ولم يهنأ بها بسبب قيام ثورة يوليو ..

أرأيتم معي كيف تكون الحكومات في ظل الاستعمار ، وقياساً على ما ذكرنا استدعاءاً من ذاكرة التاريخ الحديث والمعاصر .. هل يصح أن يُصدق أو أن يقال أن العراق ستتشكل به حكومة حرة تعمل على بناءه وازدهاره وتقدمه ؟ ثم هل تندمج الحكومة المنشودة في الوجدان العربي وتصبح عضواً فاعلاً في الجامعة العربية في ظل خضوعها تحت الاحتلال الأمريكي البريطاني البولندي ؟..

إن نواقيس الخطر تدق والألوان الحمراء تُضاء والسحب السوداء تملأ الأجواء والغد ينعدم فيه الرجاء ..

فهل آن الأوان لعمل عربي موحد ينطلق من بيت العرب وتكون قاعدته قلب العرب "مصر" انطلاقاً من دور مصر المحوري الذي هو قبلة الوجوه العربية قاطبة عند الشدائد واستعار النوائب ..؟!

إنني أتحدث عن عمل عربي جماعي عام يحفظ للجميع ماء وجوههم ويحفظ وجودهم ويؤَمن حياتهم ويقف حائط صد صلب أمام رياح التغيير العاتية التي تهدد المنطقة برمتها .. ولن يكون هذا واقعاً إلا بالإلتفاف حول مصر شعباً ونظاماً وقيادة ، فمصر هي التي دافعت عن الشرق وقدمت لأجله مئات الآلاف من الضحايا والشهداء من أجل الأمة الإسلامية في العصر الإسلامي على اختلاف دوله ، وفيها وقع حديث الرسول ﷺ لصحابته [أوصيكم بمصر خيراً] ، وقوله ﷺ [فهم خير أجناد الأرض] ولقد أثبتت الأحداث صدق ما قال الرسول ﷺ فمصر هي التي أعادت الأمور إلى نصابها عندما أسقط صلاح الدين الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر ١١٧١م وأمر بالدعوة للخليفة العباسي السُني على المنابر ، وفي العام التالي فتح النوبة ثم فتح جيشه اليمن في ١٦٧٤ ، وفي عام ١١٧٥ انتصر على الزنكيين عند قرون حماة ، ثم ضم حلب إلى مملكته في ١١٨٣ ، ثم لَمَّ شمل الأمة استعداداً ليوم المعركة الفاصلة مع الغزاة الصليبيين فكانت معركة "حطين" الكبرى فسحق جيوش الصليبيين التي زحفت إليه عند تلال حطين قرب بحيرة طبرية في ١١٨٧/٧/٤ ، واستعاد بيت المقدس في ١١٨٧/١٠/٢م ، وقد حفظ دماء الصليبيين

على عكس ما فعلوه هم حين استولوا عليها ١٠٩٩م وبعدها سقطت في يده المـدن الفلسطينية واللبنانية الواحدة على إثر الأخرى في ذات العام ، وفي عـام ١٢٤٥م الجيش المصري الأيوبي والخيالة الخوارزميـة يسـحقون الصـليبيين والقـوات المتحالفة معها في ما عُرف "موقعة غزة" ، ثم يزحفون إلى دمشق ويستولون عليها في عملية تصحيح لمسار التاريخ الذي ضل الطريق بعد صلاح الدين.

إنهم المصريون الذين دحروا التتار بعد أن خربوا بغداد وحرقوهـا فقـابلهم جيش المماليك المصري بقيادة "سيف الدين قطز" والقائـد اللامـع "ركـن الـدين بيبرس"، وسُحِقَ جيش المغول وأُبيدت جموعه وأحبطت مساعيه في احتلال مصر فيما يذكرها التاريخ "موقعة عين جالوت ١٢٦٠م".

وفي عام ١٢٦٣ : ١٢٧١ انتزع سلطان مصر العظيم "الظاهر بيبرس" مـن أيدي الصليبيين "الكرك – حيفا – صفد – قيليقية" وقد بدأ بيبرس في متابعة مطاردة المغول في العراق وطهر وادي الفرات من الحاميات المغولية في الفترة من عـام ١٢٧١ : ١٢٧٦ ، وفي عام ١٢٨٩ سقطت إمارة طرابلس الصليبية في يد الجيش المصري بقيادة قلاوون والوجود الصليبي على ساحل الشام يقترب مـن نهايتـه ، وفي عام ١٢٩١ انتزع الجيش المصري عكا "الحصينة" من أيدي الصليبيين وأنهى عهد الحملات الصليبية على فلسطين – عدا المناطق الساحلية – بقيـادة السـلطان المملوكي الأشرف "خليل بن قلاوون".

إنها مصر التي صدرت الثورات التحررية شرقاً إلى آسيا وغرباً إلى أمريكـا الجنوبية ، وقد قضت على الاستعمار في الوطن العربي كلـه وحطمـت شـوكة البريطانيين والفرنسيين وتحولت بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية علـى أرض مصر في ١٩٥٦ ، وهي كذلك التي ردت الكرامة العربية في ١٩٧٣/١٠/٦.

كما أنها لما افتقر العرب إليها بعد مقـاطعتهم لهـا تعرضـوا لكثيـر مـن المؤامرات والفتن التي استمرت حتى الآن على الرغم من عدم تخليها عن قضـايا

أمتها وتقديم النصح والإرشاد حتى لمن لم يطلبه ولمن لم ينتصح .. هي مصـــر .. كنانة الله في ارضه.

(هـ) العبور إلى الغد

على الرغم من تحدثها لغة غير العربية ، وعلى الرغم من استمرار احتلالهـــا مجموعة من الجزر العربية ، وعلى الرغم من التباين الواضـــح فـــي المـــوروث الثقافي بينهما ، لجأت القيادة الإيرانية المعتدلة ممثلة في الرئيس "رافسنجاني" إلـــى بعض من دول العالم العربي لتطوير العلاقات الإيرانية مع الدول العربيـــة التـــي زارها وشملت سوريا ولبنان واليمن والبحرين.

لقد تجاوزت القيادة الإيرانية كل حدود الخلاف مـــع مجموعـــة دول مجلـــس التعاون الخليجي وعبرت نحو الغد بخطى ثابتة بدأها الـــرئيس الإيرانـــي بتوقيـــع اتفاقيات أمنية مع الدول التي زارها . وإن لم يتم الكشف بعد عـــن طبيعـــة تلـــك الاتفاقيات .

وفي طريق العبور نحو الغد لجأ الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" زعيم أكبر دولة شيوعية في العالم إلى التحالف مع مجموعة دول الجوار الجنوبي الحـــدودي ذات الأغلبية السكانية الإسلامية لإقامة معاهدة الأمن الجماعي لتأمين بـــلاده ضـــد الوجود الأمريكي في الوسط الأسيوي وخشية وقوع تلك الدول في فلـــك الولايـــات المتحدة .. وهو ما يعني ضـــرورة التطـــوير والتحـــوير والتحـــديث والاجتمـــاع والتحالف، وفي سبيل ذلك صار لقاء الأضداد واقعاً مشهوداً بين أعـــدى الأعـــداء فصاروا في مجابهة الخطر الذي يهددهم حلفاء وأصدقاء.

أما أوروبا فقد سبقت هؤلاء جميعاً وأعلنت عن صياغة جديدة وأسلوب جديـــد واستراتيجية متطورة يمكن التعامل عليها تفادياً لأية انقسامات قد تحـــدث مســـتقبلاً مثلما كان إبان الحرب على العراق.

وفي آسيا الشرقية يمكن أن تلاحظ استمرار سيرها بمعدلات طيبة وبخطى ثابتة نحو التطوير والتحديث وتفعيل اتفاقيات تعاونها الاقتصادي.

بينما لم يتخلف عن مواكبة الركب إلا المتضررين الأوائل من الثبات والجمود وقد نسى هؤلاء أو تناسوا أنه من لم يتقدم يتأخر.

ةلم أجد من بعض العرب إلا إعلان رغبة أو ترجمة لمشاعر وحدوية لا تتعدى كونها نيات حسنة أو تمني بصوت جهري.

ولعلني أجهر كذلك بحديث نفسي المتشائمة من الغد المظلم الذي لا أرى فيه إلا مزيداً من الانهيار والتحلل والشرذمة .. وبسبب شدة الظلام الدامس الذي أرى .. لئن استمر الحال على ما نحن عليه الآن فإن المشرق العربي سيحذو حذو قطر طوعاً أو كرهاً سراً أو جهراً ، كما أن النموذج الأفغاني – العراقي سوف يقع تطبيقه على أكثر من دولة في المنطقة بحيث يعمل الكل مع إسرائيل التي ستقود الشرق الأوسط الجديد الذي بات يعمل له بوش ومن أجله جاء إلى المنطقة واحتل العراق.

إن الشرق الأوسط الجديد الذي تراه أمريكا جعل الرئيس الأمريكي بوش يعمل على إجهاض الدعوة المصرية التي أطلقها الرئيس مبارك والداعية إلى إقامة السوق العربية المشتركة وفوراً لمجابهة التحديات ، حيث أطلق "بوش" مفاجئة تشبه أم القنابل وذلك لأنها تُحدث دوياً هائلاً يهز الأرض هزاً وليست لها أية قوة تدميرية ولا آثار تخريبية ، فقد أعلن عن إقامة منطقة حرة للتجارة مع الحلفاء العرب ، ثم قيل أنها اتفاقية شراكة مع العالم العربي غير المناهض بالطبع للسياسة الأمريكية ، وأخيراً سقط سقف العرض الأمريكي وانخفض المعروض إلى مسمى اتفاقية شراكة مع مصر.

أيها السادة .. إن عرض السيد "بُوش" هو عرض "بوشٍ" في حقيقته .. إنه لا يتعدى القول ، إنه "شِراكٌ لا شراكة" يرمي به إلى تقويض دعوة الرئيس مبارك

ووأدها في المهد ليظل العالم العربي على حاله من الشرذمة والقُطرية لا يعرف للوحدة طريقاً وليظل دائماً سوقاً رائجة لمنتجاتهم الخبيثة.

إن دعوة "بوش" هي في جوهرها تصريح مبطن يحوي كثيراً من التهديدات والأخطار المحققة التي سوف تخرج إلى الوجود قبل عام ٢٠١٣ الذي حددته الإدارة الأمريكية وعند انتهاء الهدنة التي يُهادوننا بها بعد احتلال العراق.

دليلنا على ذلك :

أن الرئيس الأمريكي ستنتهي مدة رئاسته الأولى مع نهاية العام القادم إن شاء الله وبإذن الله جل وعلا ولا أعتقد بإمكانية إعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية ، ولئن اختلف ظني فسوف تنتهي مدة رئاسته الثانية والأخيرة طبقاً للدستور الأمريكي مع نهاية عام ٢٠٠٨ وعندئذ سيخرج من البيت الأبيض إلى غير رجعة .. فـأين سيكون هو وكيف سيتصرف عند حلول عام ٢٠١٣ ، ولعلنا نذكر أن اتفاقية أوسلو الموقعة بين الرئيس الفلسطيني "عرفات" ورئيس الوزراء الإسرائيلي "إسحاق رابين" قد ذهبت مع الريح بصعود "بنيامين ناتنياهو" لرئاسة الوزراء في إسرائيل الذي فاز على "شيمون بيريز" خليفة "رابين" الذي اغتاله يهودي جزاء له على خيانته لإسرائيل بتوقيع اتفاق سلام مع الفلسطينيين .. هكذا هم دائماً .. هذا تفكيرهم.

ومؤخراً جاءت كلمة الرئيس اللبناني "العماد أميل لحود" في قراره بسحب الجنسية اللبنانية من غير مستحقيها لتضع علامة استفهام كبيرة أمام ما تحمل من معنى.

والذي يتراءى لي أن الرئيس "لحود" يسحب الجنسية اللبنانية عن الفلسطينيين في لبنان لإقحام قضيتهم إجباراً في اتفاقية سلام قد تنتج عن الوهم الذي عاشته القيادات العربية بينما فطنت إليه شعوبهم والمُسمى "خارطة الطريق" ضمن موضوع عودة اللاجئين والمبعدين ليكون لهم الحق في التمتع بالعودة إلى أحضان

إسرائيل "عفواً .. فلسطين المحتلة" ومن ثم فإن أي تسوية سياسية للأزمة الفلسطينية ستتناول قضية اللاجئين وبذلك يتمكن لبنان من التفرغ لتنمية الجنوب بعد تفكيك المستوطنات "عفواً .. المخيمات" الفلسطينية ورحيل من فيها أو ترحيلهم.

إلا أن هذا القرار اللبناني الجريء يحمل معه خطراً هائلاً لا يمكن تجاوزه دون التعليق عليه .. ففي ظل الرفض المتشدد واللاءات الصارمة لحق العودة من الجانب الإسرائيلي وبالقياس على مأساة خروج الفلسطينيين من الأردن عام ١٩٧٠ .. أين سيذهب هؤلاء اللاجئين إذا تم اتفاق سلام لا يضمن حق العودة (وهو الأكيد) .. هل سيقبلهم لبنان ويمنحهم الجنسية اللبنانية مرة ثانية..؟ وماذا سيفعل الفلسطينيون إذا ما تعرض لبنان لتكرار محنة ١٩٨٢ والتي استمرت طويلاً ودخلوا في صدام دموي مع اللبنانيين كما كان في الأردن عام ١٩٧٠م ؟..

الجواب على شكلين ..

الأول : أن تقبل العواصم العربية استقبال الفلسطينيين وهذا ضعيف ..

الثاني : أن يمنحهم البابا "بوش" إن كان ذلك في فترة حكمه أو أن يمنحهم من يخلفه حق الذهاب إلى العراق .. وهذا هو الأقوى ، كي يصبح العراق وطناً فلسطينياً يتم ترحيل الفلسطينيين إليه تباعاً في عمليات تهجير إجبارية ويحل محلهم في إسرائيل يهود آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية ، وهو سبب جوهري وهدف أساسي من عملية احتلال العراق وإخضاع شعبه..

أيها الأخوة في العروبة .. لعمري أن الجميع سيتعلق من عنقه ما لم يسارع الكل في التعانق من اليوم ..

أما أهم الخطوات في طريق العبور نحو الغد فهي تلك التي يمكننا أن نطلق عليها "اتفاقية الدفاع العربي المشترك" ..

إنني أسجل أمام الله والوطن والأمة جميعها أن هذه الاتفاقية هي غاية مطلبي ومنتهى أملي أن أراها وقد خرجت إلى النور ودبت فيها الحياة وأن تنمو وتقوى ويشتد عودها كي تصون حدود العالم العربي كله وتحطم المحاولات الأجنبية الرامية إلى التدخل في وطننا العربي ، كذلك درء المخاطر ودفع الأهوال التي تقع بين حين وحين من الداخل العربي ذاته بعد نفاذ سهام التآمر الأجنبي ، كما كان من الغزو الليبي للسودان عام ١٩٧٦ والتهام العراق للكويت عام ١٩٩٠ وقتال شمال اليمن وجنوبه .. إلى غير ذلك من المآسي والأحزان العربية ..

إن الدعوة لإخراج اتفاقية الأمن الجماعي العربي بالشكل والمضمون الذي يرضي طموحات الجماهير العربية الحالمة بها تفتقر في رأيي إلى أمرين أساسيين لابد وأن يسبقاها إلى الوجود وهما ..

أولاً - إقامة السوق العربية المشتركة لتحقيق التكامل الاقتصادي بين بلدان العالم العربي كله ، ولتنشيط البنية التجارية التحتية التي تخلق مزيداً من فرص العمل والتوظيف وتحقيق مزيداً من المكاسب السياسية والاقتصادية من خلال التقارب الشعبي على كل مستوياته وأنماطه ورغباته ولتوفير مصادر التمويل اللازمة لتسليح الجيش العربي الموحد.

ثانياً - الإسراع في الإعلان عن إقامة محكمة العدل العربية والتي يناط بها تنفيذ وتحديد أشكال التدخُلات العسكرية ومحاسبة المسئولين والقادة العسكريين المتخاذلين أو المقصرين ، كما يعهد إليها بالبت في المنازعات التي قد تنشأ بين الدول الأعضاء في الاتفاقية .

وهذا يحتاج بالضرورة إلى الإيمان الخالص والنيات الصادقة والأعمال المخلصة وشدة الولاء وروح الانتماء.

كما يتطلب الأمر حتمية إقامة صندوق عربي ينشأ لذات الغرض يعمل على تحقيق أقصى استفادة ممكنة من الأسلحة المتاحة وتطويرها ، كما يضمن الوفاء

بشراء أحدث المعدات العسكرية المتطورة ، لمواكبة الركب المسرع نحو التطـوير الدائم كما يضمن تنويع مصادر تلك الأسلحة وهو ما يعني إقامة علاقـات خاصـة وطيدة مع الدول الرائدة في مجال التصنيع الحربي لإيفاد البعثات إليهـا واسـتقدام خبرائها ، مع ضرورة إقامة هيئة تدريب مشتركة للقوات الموحدة يتم تدريبها فـي أُطُر وبرامج معينة يحددها العسكريون المتخصصون.

فإذا ما كان ذلك حقيقة وواقع يمكـن آنئـذ عـودة أمجـاد الأجـداد ودحـر إمبراطورية وحيد القرن وسحق قواعدها وتغيير مسار رياح التغيير إلـى الاتجـاه العكسي ..

وصدق الله العظيم القائل :

﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ (البقرة ١٩١).

﴿قاتلوهم يُعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشـف صـدور قـوم مؤمنين ويُذهب غيظ قلوبهم﴾ (التوبة ١٤ : ١٥)

﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي فـي قلـوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ (الأنفال ١٢).

﴿والله غالب على أمره﴾ (يوسف ٢١).

۞ ۞ ۞

يتمتع العالم الإسلامي بموقع استراتيجي عجيب وفريد فهو يضم جميع مضائق العالم الأساسية ، بالإضافة إلى احتكاره جميع البحار الدافئة التي تخترقهـا طـرق العالم ، كما يمتلك سُهولاً خصبة وفيرة ورخيصة ، ويبلغ عدد سكانه ثلـث سـكان العالم تقريباً وهم معظم المستهلكين لبضائع الغرب ومنتجاته ، ومن ثم فـإن رواج الصناعة الغربية قائم عليهم ، كما تتوفر فيه المواد الخام اللازمة للإنتاج والتصنيع بشكل هائل ، ويتمتع أبناء العالم العربي الإسلامي بإمكانيّة قُبول نفسي تُمكّنه مـن إحداث أثراً هائلاً في جميع شعوب العالم الثالث وحيثما ينزل في أي مكان..

لذلك يتعين علينا أن ندرك مدى الشعور بالخطر الذي دفع الغرب إلى ما سبق أن فعله أو ما يخطط لفعله وما يرتكب من حماقات على أراضينا وما سوف يقترف من آثام..

إن الغرب لازال كما كان ، ما يقوم به من أعمال تنبئ عن مهادنة المسـلمين ما هي إلا محاولات للتغرير والوقيعة بالمسلمين في الشراك الخداعية ، لأن الغرب لازال حريصاً على شرب دمائنا وابتلاع إمكانياتنا ، فلننتبه بشدة ، ولنعمل بـإرادة أشد على أن نكسر الأغلال التي تقيدنا ونعود إلى العالم سادة ..

إنهم الآن يحاولون أن يجعلونا في أوطاننا ، غرباء في ديارنا ، لقـد صـدر إعلان عن وزارة الأمن الداخلي الأمريكي عن عزمها وضع مراقبين أمريكيين في عدد من الموانى العامة في عدد من الدول الإسلامية الكبرى في إطار مـا يسـمى بالحملة الدولية لمكافحة الإرهاب بتاريخ ٢٠٠٣/٦/١٣.

إنه تصريح مبطن يرمي إلى وضع الدول الإسلامية تحت الهيمنة الأمريكية والسيادة الأمريكية المباشرة عن طريق مراقبة الموانى البحرية والجوية "المطارات" في كبريات الدول الإسلامية مثل [السعودية ، إيران ، مصر ، أندونيسيا ، الجزائر ، سوريا ، السودان ، ليبيا .. إلخ] ، أي فرض الوصاية على العالم العربي كله وكبريات الدول الإسلامية من غير الدول العربية.

إن الحديث مقتصر على الدول الإسلامية باعتبار المسلمين "إرهابيين" بينما سيطال المسلمين في زوايا العالم الأربع.

إن الفدائي العراقي والفلسطيني المدافع عن وطنه وماله وعرضه "إرهابي" والذي جاء يدمر ويقتل ويحرق هو داعية حرية ورسول سلام.

إن إعلان الحاكم العسكري على العراق "بول بريمر" في ٢٠٠٣/٥/١٥ باستئصال البعثيين والمنهج البعثي من العراق إلى الأبد يأتي في نظر الأمريكيين درباً على طريق السلام في العراق ..

إن قرارات الإدارة الأمريكية بمصادرة رؤوس الأموال العربية لديها تأتي لخدمة السلام الدولي.

واقرأ معي :

قررت وزارة المالية الأمريكية تجميد أرصدة ٧ شركات ومؤسسات سودانية في الولايات المتحدة تنفيذاً لعقوبات كانت قد فرضتها الولايات المتحدة بشكل منفرد بعيداً عن الأمم المتحدة ، وأصبحت سارية المفعول اعتباراً من أبريل ٢٠٠٣ لكنها تجنبت ذكر أسمائهم.

وكانت جريدة الشرق الأوسط اللندنية أكدت على بيان صدر عن مكتب الودائع الخارجية التابع لوزارة المالية تشير فيه إلى تجميد ودائع لسبع مؤسسات

سودانية لها صلة بشكل مباشر أو غير مباشر مع الحكومة السودانية ، واتُخذ قرار تجميد ممثلي الشركات والمؤسسات السبع السودانية منذ أبريل من العام الماضي "٢٠٠٢" غير أن القانون وضع تحت التنفيذ في نهاية ٢٠٠٣/٤.

وانظر إلى الآثار المترتبة على هذا القرار وتوقع كم عدد العمال والموظفين الذين سيفقدون وظائفهم من جراء القرار المشئوم ، وكم عدد أفراد الأسر التي ستتضرر من آثار ذلك القرار ، بينما تسابق الأمريكيون مع الزمن وصالوا وجالوا في العديد من العالم يحملون الوعد والوعيد حتى تمكنوا من استصدار قرار جديد من مجلس الأمن الدولي برفع العقوبات عن العراق ليتمكنوا من الغنيمة بفضل القرار ١٤٨٣ الصادر في ٢٠٠٣/٥/٢٢.

لقد قالت مراسلة "بي.بي.سي" في جنيف "إيموجين فوكس" إن واشنطن غاضبة من استخدام "قوة الاحتلال" التي تقول أنها قد لا تكون صحيحة بموجب القانون الدولي.

وقد عبر السفير الأمريكي "كيفن مولي" لدى الأمم المتحدة في جنيف بصورة واضحة عن غضبه من تصريحات الأمين العام للأمم المتحدة التي ذكر فيها وجوب قيام القوات الأمريكية في العراق بواجباتها كقوة احتلال .. وبعد الظهور بذلك المظهر تقدمت الولايات المتحدة لمجلس الأمن بمشروع قرار تُطالب فيه بالاعتراف بها في العراق سُلطة احتلال .. وصدر القرار لصالحها..

إن وحيد القرن غرّهُ قرنُه الذي يطعن به ضحاياه وأعجبه جسده الذي لا تأكله الكلاب .. ولكنه لو انكسر قرنه لعبث به القردة وطاردته الذئاب وهاجمه النمل .. وهو مع ذلك ضعيف لا يحتمل السقوط في حفرة ، إذ أن جسده الثقيل يكسر قوائمه فلن يقف أبداً إذا سقط .. إنه في حاجة إلى صائد ماهر يتخذ قراراً شجاعاً باصطياده .. أو أن يُسقطه في حفرة تخفيه عن الأنظار .. فتعمر الأرض والديار..

دعاء الختام

الحمد لله وكفى .. وسلام على عباده الذين اصطفى ..

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما ..

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت رب العرش العظيم .. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما .. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ..

اللهم طهر نفوسنا من الغل والحقد والحسد والنفاق والرياء يا رب العالمين

اللهم طهر ديارنا وبلادنا وأرضنا وأوطاننا من دنس الأنجاس الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا

اللهم طهر سمائنا وهوائنا من دوي القنابل ودخان الانفجارات وسموم الكيماويات

اللهم وفق قادتنا في عالمنا العربي والإسلامي وارزقهم الإيمان بالعمل الجماعي وحببهم فيه ووفقهم إليه

الله اشف والديّ ومرضانا ومرضى المسلمين وارزقهم اللهم الستر والصحة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة

اللهم وفقني لما تحب وترضى

اللهم اهدي لي زوجي وأولادي [نهى وحمدي وضياء وآيات] ووفقهم لما تحب وترضى واهدهم إلى سواء السبيل وارزقهم السداد والنجاح في دراستهم وحياتهم وحببهم في الخير وحبب الخير فيهم.

ووفق اللهم ولاة أمورنا وقادة بلادنا ورئيس جمهوريتنا لما فيه خير البلاد والعباد..

آمـــين ..

عبد السلام اللمعي

❋ ❋ ❋

المراجع والمصادر

نظرات حول العصر العباسي الأول ، د. عبد المقصود نصار.

الكامل والبداية ، ابن الأثير.

موجز تاريخ العالم ، محمد غريب جوده.

موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الإسلامية ، د. سيدة إسماعيل كاشف.

تاريخ الخلفاء العباسيين ، الإمام المؤرخ علي ابن أنجب الشهير بابن الساعي ، تقديم وفهرسة د. عبد الرحيم يوسف الجمل.

الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية ، د. عبد العظيم رمضان.

مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، عبد الرحمن الرافعي.

حرب الثلاثين سنة "سنوات الغليان" أ. محمد حسنين هيكل.

قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام .. أبيدوا أهله – جلال العالم .

الطريق إلى جهنم ، د. مصطفى محمود.

اغتيال صدام حسين – إعداد وتوثيق مركز البحوث والدراسات بالدار الشرقية.

الحركة الإسلامية في العراق ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، مؤسسة الجهاد.

تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان ، محمد بن عبد الملك السبيعي ، الرياض.

١٩٦٧ الانفجار ، أ. محمد حسنين هيكل.

الفهرس

الفصل الثاني

ترقبوا للكاتب

صراع الحضارات وحوار الديانات

يعرض فيها الكاتب بأسلوب عصري سلس وبسيط تاريخ الصراع المرير الطويل بين الحضارات الإنسانية منذ قدم التاريخ ، حتى الصراع الحالي بين المدنية الجديدة وأصحاب الحضارات ذات الجذور الطاعنة في التاريخ ، ويبين فيه كذلك بالشرح اليسير المقتضب كيف تلاسنت المدافع وتحاورت الديانات في إدارة ذلك الصراع عبر مراحله التاريخية المتنوعة والممتدة عبر عشرات القرون نعرض فيه بإيجاز للموضوعات الآتية :

- معنى الحضارة ونشأتها ، والعناصر والعوامل الجوهرية المؤثرة في وجودها ٠
- الحضارات في عالم ما قبل الإسلام ٠٠ وكيف تصادمت ؟ ومتى تحاورت
- الحضارة الفرعونية – الفارسية – القرطاجية – الفينيقية – العربية – الرومانية – الإسلامية – وأن حضارة بلاد العرب القديمة هي أقدم الحضارات التي بادت واندثرت وهي أقدم الحضارات على وجه الأرض – والدليل القرآن الكريم ٠
- ثم نلقي الضوء على أتباع الديانات الأخرى ونبين فيها التربية والتعليم عند الإسرائيليين – أنشطتهم – أثار الأفكار الحزبية والقوى السياسية على صناعة الفرد الإسرائيلي ٠
- نشأة الدولة الإسلامية وفضل العرب في نشر الحضارة الإسلامية – كيف تأثرت الحضارة الإسلامية بالحضارات القديمة – ومدى تأثيرها في الحضارات الأخرى وكذلك فضلها على المدنية الأوربية ٠
- كيف دارت الدائرة على الدولة الإسلامية في الإتجاه العكسي في عقر ديار المسلمين وكيف عملت أوروبا على حصار المسلمين في أفريقيا وآسيا بالمجهودات الخارقة لارساليات التبشير ؟ وكيف كانت ردة الفعل الصليبية المستمرة حتى الآن ٠

- مراحل دخول الإسلام إلى آسيا وصولا إلى جنوبها الشرقي .
- نكشف كذلك سر العداء الغربي لأفغانستان والمستمر حتى الآن .
- الجهد الأوروبي الكبير لعزل مصر – وماذا كانت أدواتهم لهذه المؤامرة ؟
- لماذا أفريقيا في المزاد العلني ؟ ونضع كذلك في الميزان التخلف الأفريقي!
- شباك التنصير في العالم الإسلامي كله بما فيه جزيرة العرب والغارة على العالم الإسلامي .
- نشرح كذلك كيف تكون شبه القارة الهندية مأساة متكررة .
- يتحدثون عن خطر جديد اسمه الإسلام – لماذا ؟
- القوى الثورة والخدعة الأمريكية في آسيا وأفريقيا .
- الأقليات الإسلامية في العالم ومشاكلها – والمسلمين في الدول الإسلامية تحت حكم العلمانيين .
- الحضارة الإسلامية في النظام العالمي الجديد- ونثبت بالدليل أن العداوة عالمية وجهرية .
- ونقدم فيه تحليلا كاملا ووافيا لحلم هيرتزل (قناة بين البحرين) أي إحياء البحر الميت وإماتة الحي (قناة السويس) وعلاقتها بالجدار سيئ السمعة الذي تقيمه إسرائيل .
- ونختتمه ببيان عن الصراع العقائدي والصدام المسلح القوي المرتقب بين الأمريكيين والإسرائيليين على أرض العرب .
- بالإضافة إلى موضوعات أخرى شيقة وموضوعية .

أعاننا الله على إخراجه

الكاتب

طبع بمطابع الدار الهندسية
تليفون/فاكس : ٥٤٠٢٥٩٨